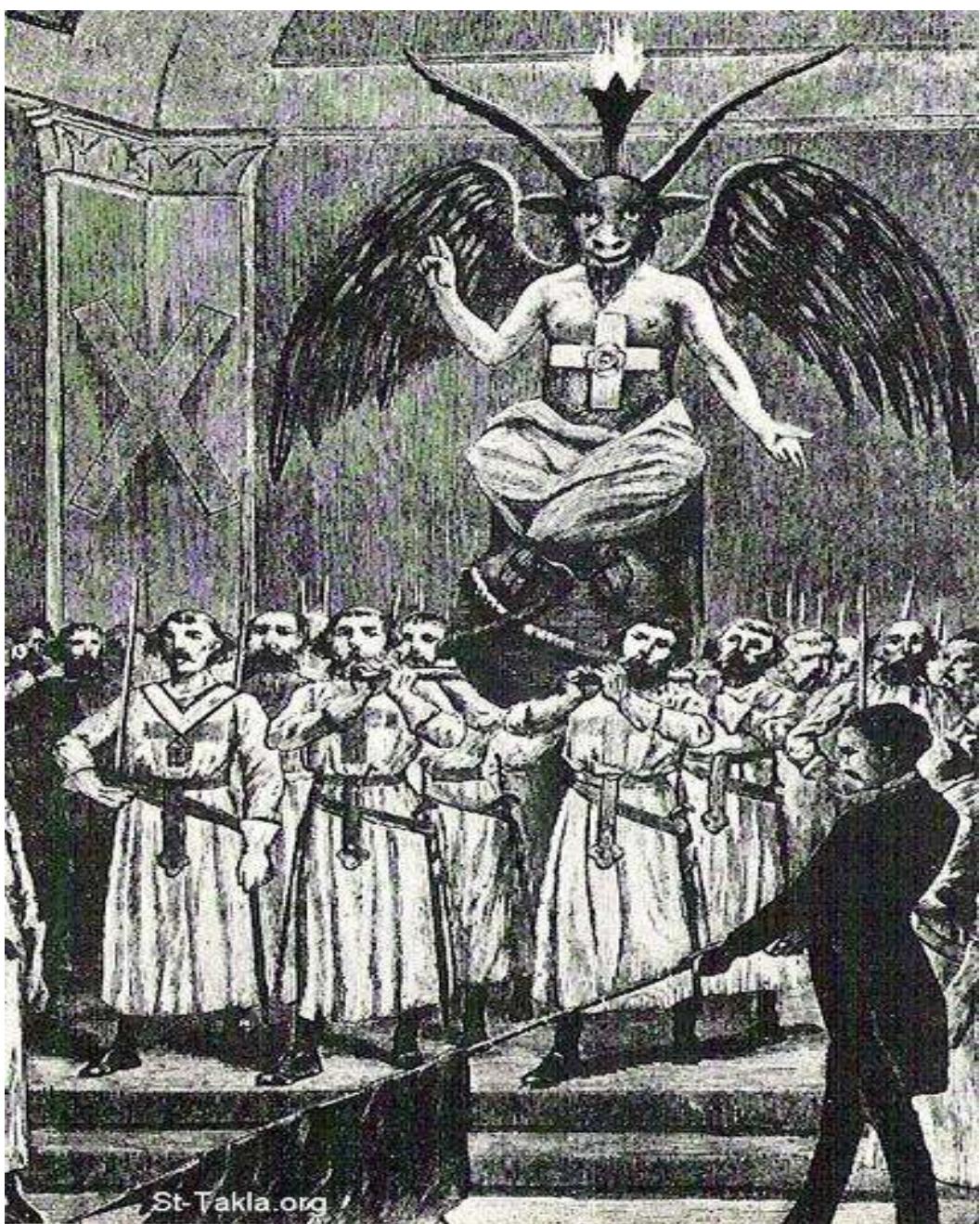


محمود خالفة

أرض الجمل

رواية



إهادء

إلى والدي الحبيب الذي كان يذهب بي إلى كتاب الشيخ محمد بعزبة
بلاد منذ عام 1968 وحتى دخولي المدرسة الابتدائية في أكتوبر 1969.
وإهادء إلى أمي الحبيبة التي تتبع تعليمي حتى دخولي كلية الطب. وإهادء
إلى زوجتي الحبيبة الدكتورة خديجة أحمد إسماعيل فهي التي قالت لي
"اكتب" بضم الألف وتسكين الكاف وضم التاء، وذلك حينما وجدت مني
التردد في تسطير هذه الرواية...

وإلى زوجتي مرة ثانية، وأحمد وأسماء وأسامي الأباء، فقد
ساعدوني كثيراً في ضبط القواعد واللغة في هذه الرواية...

وإلى ابنتي الحبيبة أروى التي ولدت أثناء كتابة هذه الرواية ونفخت فيَ من
روحها العظيمة...

تمهيد

إلى القاريء الكريم، أقول له:

إذا أعجبتاك هذه الرواية، فاعلم أنها نفس من أنفاس "نجيب محفوظ" الأديب المصري العالمي، أو زفراة من زفات "دان بروان" الصحفي والأديب الأمريكي العالمي...

أما النقاد -إن نظروا إلى هذه الرواية أية نظرة- فإن رضاوهم من المستحيلات السبع!

-نبدأ جلستنا بقراءة مباركة من سورة الحج الآيات 26 إلى 32 ويتلوها علينا الأخ علي.

يبدأ علي عبد المنعم في القراءة بصوته الندي العميق:

بسم الله الرحمن الرحيم: {وَإِذْ بَوَأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَرْ بَيْتَيَ الْطَّائِفَيْنَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكُعَ السُّجُودَ} (26) وَأَدْنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِيْنَ مِنْ كُلِّ فَجَّ عَمِيقٍ} (27) لِيَشْهُدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ يَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُّوا مِنْهَا وَأَطْعُمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} (28) ثُمَّ لِيُقْضُوا ثَقْثَمُ وَلْيُؤْفُوا ثُلُورَهُمْ وَلِيُطْوَقُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ} (29) ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحْلَثُ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُنْتَلِي عَلَيْكُمْ فَاجْتَبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قُولَ الرُّورِ} (30) حُنَفَاءُ اللَّهِ غَيْرُ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَكَلَّمَا حَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهُوي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} (31) ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} (32)} صدق الله العظيم.

يبدأ الأستاذ أحمد الغرباوي قائد الجلسة بتعليق على الآيات الكريمة:

-إخواني الأحباء... إن هذه الآيات المباركات تسلط الضوء على فريضة الحج، وتركز على توحيد الله عز وجل، لأن مفتاح قبول الحج أو أي عمل عند الله -عز وجل- هو التوحيد الخالص لله، ومتابعة النبي صلى الله عليه وسلم. يقول الله في الحديث القدسي فيما معناه: ((أنا أغني الشركاء عن الشرك فمن أشرك معى أحدا غيري تركته وشركه)).

في إخواني، إذا كانت أعمالنا 99% الله و 1% شرك مع الله، فإن الله لا يقبل هذه الأعمال!... استرسل الغرباوي في تفسيره لآيات سورة الحج -وكان الأخوة الحضور ينصتون باهتمام بالغ- حتى انتهى تفسيره إلى قوله تعالى: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ}.

أتى حسن ابن الأستاذ أحمد الغرباوي بالشاي، فتبسم الغرباوي وقال:
ـ والآن يا إخواني، نتعرف. أخوكم: أحمد محمد الغرباوي. السن 50 سنة. وأعمل في شركة المقاولون الشرقية. متزوج ورزقني الله بعائشة في السنة النهائية بكلية التجارة، وحسن في الثانوية العامة، ومصطفى في الثانية الإعدادي.

تحمس طارق عمر ليعرف نفسه، فقال له الغرباوي:
ـ أكمل التعريف من جهة اليمين.

وأشار الغرباوي إلى يمينه ناحية الأستاذ إسماعيل عبد الفتاح الذي عرف نفسه:
ـ أخوكم في الله: إسماعيل عبد الفتاح رضا. السن 47 سنة. مدرس أول رياضيات في مدرسة التوفيقية الثانوية. السكن في ميدان خلوصي. متزوج ولا أعون.

ـ فعلق الغرباوي متفائلاً:

ـ يرزقنا الله وإياكم بالذرية الصالحة.

ـ أخوكم: صلاح كمال الشيمي. 46 سنة. أخصائي أمراض جلدية وتناسلية في مستشفى الحوض المرصود. أسكن في 7 شارع عطا الله حنا. متزوج وعندي خالد في الأول الإعدادي وسحر في

الخامس الابتدائي.

-أحوكم في الله: علي عبد المنعم السيد صابر. السن 20 سنة. طالب في الفرقة الثانية بكلية طب عين شمس. السكن في 7 شارع عشرة. وكاد أن يعلق أحمد الغرباوي على الناحية الاجتماعية، فتبسم علي:

-أعزب ولا أعوٰل. وربنا يزوجنا جميعا
فضحوكوا.

أوما الغرباوي:

-اخفض من صوتك حتى لا تسمع الحكومة العسكرية -مشيرا إلى زوجته داخل الشقة- شيئا.
فانفجروا ضحكا...

تبسم الدكتور صلاح الشيمي ضاحكا:

-وحينئذ -أي عند الزواج الثاني- سوف لا يهنا الزوج به لأن الزوجة الأولى سوف تقضي عليه
ليتزوج وبهنا بالحور العين!
فضجوا ضحكا...

-أحوكم: سعيد عوض الزامل. السن 20 سنة. دبلوم صنایع وأبحث عن عمل. السكن في منزل
الدكتور صلاح. أعزب ولا أعوٰل.

-أحوكم طارق عمر فايز. 21 سنة. طالب في الفرقة الثانية كلية التربية جامعة عين شمس.
السكن في 21 شارع يعقوب. أعزب.

بدعوا يحتسون الشاي.

هتف الغرباوي بثقة:

يا إخواني، الواجبات أكثر من الأوقات. والوقت هو الحياة.
وبحماس:

-ونحن نملك أغلى كنزاً لا وهو الحياة. والرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول فيما معناه: ((لا
بارك الله في يوم لم أزدُّ فيه علمًا أو قرباً إلى الله)) ...
علق الأستاذ إسماعيل عبد الفتاح في نفسه:
والله أنت يا غرباوي تتكلّم كلاماً لا يستطيع مدير المدرسة -الحاصل على تعليم عالي- أن يأتي
بمثلك...!

- ... فمعنى الحديث أن نقتصر الوقت اقتتصاً، حتى وقت الفراغ يجب أن نستفيد منه أيمًا إفاده.
كان معاذ بن جبل -رضي الله عنه-. حينما يجد صحابي يقول له: "هيا بنا يا أخي نؤمن ساعة"،
وكانت هذه الساعة هي ساعة يذكرون فيها الله سبحانه وتعالى. وكان الصحابي يشتكي للرسول
-صلى الله عليه وسلم- ويقول يا رسول الله: ألسنا مؤمنين حتى نؤمن ساعة، فيجيبه الرسول
ال الكريم: ((رحم الله معاذ علم أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بذكر الله عز وجل)) ...

فيما أيها الأخوة، نحن في هذه الجلسة الأسبوعية نذكر الله ساعة. فيجب أن نخلص الله وحده. وأن يكون هذا اللقاء الأسبوعي سرا بيننا، وأن يكون يوم الخميس بعد صلاة العشاء، وسوف يتغير المكان في كل مرة. وأرجو منكم أن تأتي في الموعد تماما.

تمطى صمت ثقيل على الجلسة حتى مزقه الغرباوي وهو يقرأ من ورقة أمامه: وكل أخ عليه دور مهم لنجاح هذا اللقاء. فأرجو أن نستشعر المسؤولية. فعلى الأستاذ إسماعيل التحضير من كتاب "الأربعون النووية"، والدكتور صلاح عليه التحضير من كتاب "تهذيب السيرة"، والأخ علي من كتاب "تهذيب الأنفس"، والأخ طارق عليه الفقه من كتاب "فقه السنة"، أما الأخ سعيد فعليه تحضير نشرة الأخبار الأسبوعية، وعلى التعليق على آيات القرآن الكريم. والله المستعان. وقد فيما يا أخوة، علمونا في الدعوة، أن الأخ عليه أن يأتي في الموعد تماما، وإذا أتى مبكرا، فإنه يتمشى حول مكان اللقاء حتى يحين الموعد فإنه يدخل المنزل.

حدث الدكتور صلاح الشيمي نفسه:

نظام عسكري!

قال علي عبد المنعم:

-إن سكننا جميعا متقارب، والحمد لله.

تحمس الأستاذ إسماعيل عبد الفتاح وهو يقول:

-كان الأستاذ عباس العقاد رحمة الله إذا أعطى موعدا لأحد، ولم يأت هذا الشخص في الموعد، فإن العقاد كان يترك شقته حتى إذا أتى ذلك الشخص متأخرا فإنه لا يجد أحدا!

ضحك صلاح الشيمي:

حتى يتعلم الأدب!

انطلق الغرباوي في حديثه انطلاق الرصاصة:

-قدি�ما تعلمنا في الدعوة -سرى حديث نفس لكل الحاضرين ماعدا علي عبد المنعم "أي دعوة هذه التي تعلم فيها وتتحدث عنها كثيرا؟"- أن الإنسان يولد مرتين؛ مرة حين يولد من بطن أمها، والثانية حين يلتحق بالدعوة ويصبح داعية إلى الله.

صمت أحمد الغرباوي قليلا ثم هتف بإيمان ويقين شديدः

-إن طريق الأنبياء هو الدعوة إلى الله...

تأثر علي عبد المنعم وكاد قلبه أن يبكي فرحا...

"ما هذا الكلام العظيم؟ إن تعليمك من المؤكد أنه لا يتعدى دبلوم الصنائع!" محدثا نفسه الأستاذ

إسماعيل عبد الفتاح.

ترك الأستاذ إسماعيل حديث النفس وتجرأ وتساءل:

-أي دعوة تتحدث عنها يا أستاذ أحمد؟

نبرم الغرباوي: -لا تتعجل، يا أستاذ إسماعيل. سوف تعلم بما قليل.

حدث طارق نفسه:

أنا معك منذ شهور طويلة في الدعوة التمهيدية وربما باقي هؤلاء الأخوة، وحيرتنا في الحركة التي تنتهي إليها. فاللحية الكثة لا نجدها في الإخوان، لأن أغلبهم حالفوا للحى. وطولك الفارع والمعطف الذي ترتديه يتماشى مع الجهاد والجماعة الإسلامية!...

بينما سعيد الزامل كاد أن يصيح:

ياشيخ، أسلوبك ينتمي إلى الإخوان، بينما هيئتك تنتهي إلى الجهاد!

Shard the doctorصلاح الشيمي مع نفسه:

الدعوة تعطي من يعطيها، وتمد من يجاهد في الله بنور من السماء. ولا توجد علاقة بين الشهادة الدراسية وبين الدعوة إلى الله يا دكتور... أتذكرة بتهال الراقصة؟!...

عاد صلاح الشيمي من شروده على صوت الغرابوي:

-إن أول أساس في الدعوة أن يدعو الإنسان نفسه ويربيها ثم يدعو غيره، والفشل في ميدان النفس هو الفشل عينه في ميدان الآخرين...

استمرا الشيمي لشروده:

"ما علاقة الراقصة بتهال بالشهادات يا أبا الضمائر؟ الراقصة بتهال كما كنت أسميتها. حاصلة على شهادة جامعية وتعمل راقص...! تريد أن تقول أن العبرة بالأعمال، فلماذا تذكرني في هذه الجلسة الروحانية بالذكريات العفنة؟ يبدو أنك شيطاني ولست ضميري! الله يخرب بيتك"

تنسم الغرابوي وهو يتساءل:

-أين ذهبت يا دكتور صلاح؟

ولم ينتظر إجابة، إنما استألف:

-إننا إذا انتهينا من بناء الفرد، فإنه حينما يتزوج يبني أسرة مسلمة، والأسر تكون المجتمع المسلم، ومن المجتمعات تتكون الدولة المسلمة حتى نصل إلى أستاذية العالم...

تحمس إسماعيل عبد الفتاح متسائلًا:

-يا أستاذنا، أليست هذه تعاليم الإخوان المسلمين؟

فأجابه الغرابوي:

-الأسماء ليست هامة، العبرة بالعمل. فيجب أن يكون الله هو الغاية. والرسول هو القدوة. والقرآن هو الدستور. والجهاد هو السبيل...

قاطعه علي عبد المنعم متحمساً:

-والموت في سبيل الله أسمى أمانينا.

فقال صلاح بسرعة:

-وهذه أيضا شعارات الإخوان المسلمين!

فهتف علي متحمسا مسروراً:

-الله أكبر والله الحمد...

فانفرجت أسارير الغرباوي...

أما سعيد فقد اكتسى وجهه بالإحباط لأنه يؤمن بتغيير المنكر باليد ويعتقد في الجماعات المسلحة، ولكنه لم يعلق بشيء.

و والإحباط نفسه ملأ روح طارق لأنه لا يؤمن بالجماعات الدعوية كالإخوان المسلمين وغيرها، ويوقن ببقيان شديد في الجماعات المسلحة كجماعة الجهاد والجماعة الإسلامية...

احس الغرباوي بما في أعماق سعيد وطارق، فضم شفتيه آسفا ثم استأنف:

-الإمام المؤسس حسن البنا -عليه رحمة الله- خطيب المتمحمسين والمستعجلين لاستخدام القوة

و قال لهم: "منْ يُسْتَعْجِلْ قطف الثمرة قبل نضجها فليتّخّذْ له طرِيقاً آخر..."

حدث طارق نفسه:

ماذا قدمتم للإسلام بعد أكثر من خمسة وستين عاماً من الدعوة السلمية؟

ثم تساءل في سره في سخرية:

أين أستاذية العالم؟!

وأجاب في سره وكاد أن ينفجر ضحكة من قمقمه:

في المشمش !!

وكما نعلم يا إخواني، أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- والصحابة لم يحاربوا إلا في المدينة المنورة بعد أن قويتم شوكتهم وأنذ الله لهم بالجهاد حينما نزل قوله تعالى في سورة الحج: {أَذْنَ اللَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعَ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِيَعْضٍ لَهُدِّمْتُ صَوَامِعَ وَبَيْعَ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدٍ يُذْكُرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَتَصْرُّهُ إِنَّ اللَّهَ لَغَوِيٌّ عَزِيزٌ *} ...

قطع الأستاذ إسماعيل عبد الفتاح استرال الغرباوي:

لكن الإخوان استخدموا القوة في صورة التنظيم الخاص في تغيير المنكر.

نعم، يا أخي. فقد كان التنظيم الخاص أداة للإخوان، وحاربوا به الاستعمار الإنجليزي في معسكرات القنال وكذلك في حرب الصهاينة عام 1948. وفي ذلك الوقت، كانت في مصرنا الحبيبة كثير من الحركات المسلحة مثل: "القمصان الزرق" لحزب الوفد، و"القمصان الخضر" لمصر الفتاة، والحركة الشيوعية ومنها "حدتو" كان لها تنظيم مسلح، حتى الملك فاروق كان له "الحرس الحديدي" التنظيم المسلح الشهير.

نتهد الغرباوي وهو يضيف:

و قبل ذلك بسنوات، كانت هناك جمعيات مسلحة سرية مثل "اليد السوداء"، و"المصري الحر"، و"الانتقام"... ويا أخوه، لقد كان الاحتلال الإنجليزي الجاثم على أنفاس مصر والمصريين، هو

¹ الآياتان 39 و 40 من سورة الحج

الشرارة التي أدت إلى بزوج الحركات المسلحة، ومنها التنظيم الخاص للإخوان. ولكن بعد مقتل الإمام الشهيد حسن البنا، أمسى أداة مدمراً، فقدت جماعة الإخوان السيطرة عليه. تنفس الأستاذ أحمد الغرياوي نفساً عميقاً وهو يكمل:
ـ لذلك انتهى هذا التنظيم بعد رفع الجماعة أيديها عنه...
تساءل الدكتور صلاح:

ـ لماذا لم تبن الجماعة التنظيم الخاص مرة أخرى بعد تحرر الإخوان من السجون الناصرية؟
ـ الجماعة تعلمت من أخطائها ولن تعده مرة أخرى. وتأملوا، يا إخواني، إلى الجماعات المسلحة الموجودة الآن في مصر والجزائر والمغرب وانظروا إلى أيديهم المخضبة بدماء الأبرياء.
فامتعض سعيد عوض:
ـ ولكن أولئك الأبرياء هم الشرطة الظالمة التي تحاد الله ورسوله. بل، يا أستاذنا، إنهم يفتون الناس في دينهم.
وبقوة وامتعض أكثر:
ـ وـأنا أقول ببقيـنـ إنـهـ كـفـارـ مـكـةـ الـذـيـ فـتـنـواـ الصـاحـبـةـ فـيـ دـيـنـهـ...!
وأعقبه طارق عمر بالامتعض نفسه وبسخرية مريرة:
ـ وـأـخـوـةـ الـجـمـاعـاتـ الـمـسـلـحـةـ يـقـتـلـونـ أـفـرـادـاـ مـنـ الـأـمـنـ الـذـيـ أـدـافـواـ الـنـاسـ صـنـوفـ الـعـذـابـ وـخـاصـةـ فـيـ مـذـابـحـ أـمـنـ الدـوـلـةـ.
تبسم الغرباوي وهو يرد:
ـ أيها الأخوة، نحن لا نُكفر أحداً حتى لو عذب الناس. ولا ينبغي لنا أن نغير المنكر باليد. ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة، فقد كان -عليه الصلاة والسلام- يصلّي في الكعبة وبها 360 صنماً، فلم يكسر صنماً، ولم يُغيّر منكراً باليد، حتى أذن الله له في ذلك حينما قويت شوكة المسلمين في المدينة المنورة...

خيم صمت زاحف على الجميع وزحفت معه أفكار متباعدة ومشوشة في نفوس الأخوة من الخوف من المجهول وما هم مقبولون عليه. وبعد برهة من الوقت غير المحسوس، تناثرت في الرؤوس كلمات مثل: إخواني، أمن الدولة، إخوانجي، التيار الإسلامي، فزع الدولة، الخلافة الإسلامية، المعتقلات، أستاذية العالم، في المشمش، السجنون...

كان علي عبد المنعم هو الوحيد المطمئن جداً، وهو الوحيد الذي يعرف الدرب جيداً، وهو الوحيد الذي يتدقق في روحه الحماس وأشياء كثيرة جداً...
كان الأستاذ أحمد الغرياوي يدقق في الورقة التي أمامه ثم اكتسى وجهه ورأسه الكبير بالجدية وقال بحزن:
ـ إخواني الأحباء، علينا بعض الواجبات، وأرجو أن نلتزم بها ونری الله سبحانه تعالى - منا كل جهد وعزّم.

استلم الغرباوي للصمت العميق حتى يشحذ الأذهان لكل ما هو آتٍ...
ثم استأنف وهو يتفرس في عيون الأخوة وهو يقرأ:

- 1- الصلوات الخمس يجب أن تكون في جماعة في المسجد.
- 2- المداومة على أذكار الصباح والمساء وخاصة من رسالة المؤثرات.
- 3- قراءة جزأين -على الأقل- من القرآن الكريم يومياً.
- 4- الحرص على صلاة قيام الليل يومياً، الأفضل في ثلث الليل الأخير.
- 5- صيام يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع.
- 6- الصدقة.
- 7- صلة الأرحام ولو مرة في الأسبوع.
- 8- حسن الخلق مع الناس كافة وخدمتهم وهذا هو رأس مالنا.
- 9- الحرص على لقاءنا الأسبوعي في مسجد الهجين بعد صلاة العشاء يوم الاثنين لنتفقد أحوال بعضنا.
- 10- الدعوة العامة للإسلام، والدعوة الخاصة لضم أفراد جدد للجماعة.

-2-

تسلل خيط رفيع أبيض من ضياء الفجر في سماء القاهرة ليبدد جزءاً من الظلام الدامس الذي يكسو وجه السماء. ارتفع وتعانق صوت المؤذنين: "الله أكبر. الله أكبر" ليعلن عن صلاة الفجر...

احمر وجه السماء في شرق القاهرة ليُنبا عن مخاض ميلاد الشمس التي تنفس من روحها، ومن أشعتها الذهبية، ومن دفتها، في بعث الحياة في يوم جيدٍ في مدينة القاهرة التي لا تنام... تفتح أبواب مستشفى الحوض المرصود العتيق. كان الدكتور أحمد إسماعيل، ذو الثلاثة والخمسين ربيعاً، الرابعة، القمحي اللون، أول الداخلين من أطباء المستشفى كالعادة. ركن سيارته الدوجان الحديثة تحت شجرة الصفاصاف المعمرة. ترجل حتى استوى جالساً على الكرسي البلاستيك الأبيض معطياً ظهره لمطبخ المستشفى ومستقبلاً لشاعر الشمس الدفيء في صباح يوم من أيام شهر يناير عام 1995.

أما الدكتور سليم السيد حامد، ذو الخمسة والخمسين ربيعاً، الطويل، الأبيض الوجه، المهيب، مدير المستشفى، ثاني الداخلين. يركن سيارته السيارات 133 الصغيرة بجوار السيارة الدوجان كالعادة، ويسلم على الدكتور أحمد إسماعيل، ويذهب مسرعاً إلى مكتبه ليراجع بعض المستندات.

بينما الدكتور حكيم نخلة ذو الخمسين ربيعاً -القصير القامة- الأسمى -يكون دائماً هو ثالث الحضور. يركن سيارته الفيات 128 بجوار السيارة السيارات.

وكان السيارة السيارات تقف بين أمها الدوجان وأختها الكبرى الفيات 128. يجلس الدكتور حكيم على الكرسي البلاستيك الأبيض بجوار الدكتور أحمد، لينتظر حضور الدكتورين المسؤولين عن توقيع الأطباء وهما عبد الوهاب محمود وزوجته سميرة سعيد. تساءل الدكتور أحمد:

-لماذا يداك باردتان جداً اليوم يا حكيم؟

فرك الدكتور حكيم يديه وأجاب:

-إنني أعاني من ضيق في الشرايين الطرفية.

-لماذا لا تأخذ أدوية تعمل²? vasodilatation?

-أنا مستمر عليها، ولكن مع البرد الشديد لا تعمل جيداً.

-يبدو أنك تحتاج إلى تدفئة خاصة لليدين والقدمين.

مضت برهة من الصمت المتبادل شرد فيها حكيم نخلة يتساءل مع نفسه:

² أدوية موسعة للشرايين

إلى متى يا أحمد تظل أعزب بعد هذا العمر؟ مسكين يا أحمد. تزوجت عدة زيجات فاشلة حتى استسلمت أخيراً لحياة العزوبيّة القاسية في عمرك هذا. والسبب في ذلك هو عملك بالكويت. يا ليتك لم تسافر. ماذا جنّيت من السفر؟ زواجهات فاشلة.

بينما كان أحمد إسماعيل يتتساءل مع نفسه:

إلى متى ترفض فرص السفر للعمل في الخليج وأنت في ميسىس الحاجة للسفر؟ لقد ضربت يا حكيم مثلاً عظيماً في الصمود أمام المعيشة الضنك التي نحياها في مصر. ولكن إلى متى ستظل ثابتنا صامداً مجاهداً؟ أنا أغبطك على موقفك هذا، ولكنني في الوقت نفسه، أتمنى أن تسافر حتى تتحسن أحوالك المادية كلها، وتعود جهاز ابنك مريم التي على وشك الزواج، وتساعد ابنك عادل المسكين الخاطب منذ عدة سنوات ولا يستطيع أن يجد شقة للزواج ولا أن يجهزها...

قطع أحمد إسماعيل الصمت:

-هل ما زلت تأخذ مئة جنية فقط من العيادات الاقتصادية؟

-للأسف نعم، يا دكتور أحمد. فهولاء القوم يمنحون خمس نقاط -والنقطة بمائة جنية كما تعلم - من يسجل تحاليل طبية كثيرة، سواء كانت هذه التحاليل هامة للمريض أو غير هامة، ضرورية أم وهمية! أما الذين يُرّاعون ربهم وضميرهم ولا يطلبون إلا التحاليل الضرورية، فليس لهم إلا نقطة واحدة ودعوات المريض!

تنسم أحمد وهو يتتساءل:

-وماذا عن الذين يكشفون على أعداد كبيرة من المرضى في أكثر من عيادة من عيادات الاقتصادي طوال اليوم؟

-مهما كشفت طوال اليوم في الاقتصادي، فالعبرة بكم وعدد وقيمة التحاليل.

ـفهذا خداع وغش للمريض.

-نعم، يا أحمد. ونحن قد سألنا المسؤولين عن ذلك فقالوا هذه أوامر المديرية، وسألنا في المديرية فقالوا هذه أوامر الوزارة، وإذا سألنا في الوزارة سيقولون هذه أوامر...!

تعجب أحمد، وقال:

-الكفر كله ملة واحدة!

ـماذا تقصد؟

-أقصد أن ما يتم من خداع وضحك على المرضى في القطاع الخاص، هو نفسه الذي يتم في المستشفيات الحكومية!

ـهتف حكيم وهو ينظر إلى السماء:

ـلله الله يا مصر.

-ولكن أخبرني، يا حكيم، لقد سمعت عن مسؤولين هنا بالمستشفى يتقااضون خمس نقاط، ولا يعملون في الاقتصادي بالمرة، هل هذا صحيح؟

ـنعم.

ثم زفر حكيم زفرات حارة وهو يفسر:

-مدبر المستشفى، ونائبه، ومدير وحدة الأمراض التناسلية، ومدير الطب العلاجي للأمراض الجلدية والتناسلية، ورئيس شؤون الموظفين، يتقاضون خمس نقاط بلا عمل في الاقتصادي.

ضحك أحمد ضحكة ممطولة ثم تساءل ساخراً:

-الأستاذة رئيس شؤون الموظفين ماذا تعمل في العيادات الاقتصادية أو غير الاقتصادية؟
فأجابه ساخراً:

ـيا سيدي، هناك الكثير من الموظفين -غير الأطباء- في المديرية يتقاضون من حلبة عيادات الاقتصادية في مستشفانا وغيرها.

تبسم أحمد وقال:

ـربنا يبارك لهم في بقرة الاقتصادي.

وصلت سيارة الدكتور عبد الوهاب محمود وزوجته. سلما على أحمد وحكيم. وذهبا مسرعين إلى مكتبهما.

ـولكن، يا أخي حكيم، لماذا تتعب نفسك وتبذل الجهد في الاقتصادي طالما أنك لا تأخذ حقك؟
ـأنت سافرت إلى الكويت عدة سنوات، وأرحت نفسك مادياً، ولكن ماذا يصنع الذي لم يسافر، ويجهد هنا في الفقر المدقع.

ـولماذا لا تسافر والعقود كثيرة جداً سواعدة في تخصصناـ إلى دول الخليج الغنية؟
تبسم حكيم قائلاً:

ـهيا بنا للتوقيع، وغداً في جلسة الصباح سأخبرك أسباب عدم سفري وظللت هنا على خط النار...

-3-

ذهب الدكتور صلاح الشيمي إلى مستشفى الحوض المرصود وهو يفكر في جلسة الخميس الماضي...
الشيخ أحمد الغرياوي غريب! فهيتها لا تدل على الإخوان. فهل هو خداع من الإخوان ليستقطبوا

الشباب؟ وخاصة أن كثيراً من الشباب يميل إلى اللحى، وإلى هيئة الجماعات المسلحة الذين يعتقدون في تحريم حلق اللحية. وماذا يفعل الإخوان في الشباب الذي ينضم إليهم ويكتشف حقيقتهم في حلق اللحية؟ ولكن الإخوان أذكياء. فهم يستقطبون الشباب غير المنتمي لأي فكر حتى يسهل تشكيله...

لقد استقطبنا أو اصطادنا من مسجدي الصحابة والهجهين، وتمكن منا على انفراد في الدعوة التمهيدية أو الدعوة الفردية كما تسميه كتبهم. لقد تمكن حتى أدخلنا في شراكه!
ولكن هذا الطريق ملغم بالأشواك؟! ففي الخمسينات والستينات كانت قاعات المحاكم تجلجل بالأحكام العسكرية من إعدام واعتقالات للإخوان. والعجيب أن المحاكم في ذلك الوقت كانت تحكم بالسجن عدة سنوات تصل إلى المؤبد ثم الاعتقال مدى الحياة!
ووالآن اعتقالات وتعذيب وسلح وسلح في مذابح أمن الدولة الذي تعسّر بـلا أن يكون جهازاً مدنياً. وسياط قانون الطوارئ الأزلية لا تتوقف.
وزبيدة وسحر وخالد، الضعفاء في الأرض، وكلنا ضعفاء، من لهم؟ لهم الله يا أخي. لهم الله. لهم الله ذو الجلال والجبروت...

ذهب الأستاذ إسماعيل عبد الفتاح إلى مدرسة التوفيقية الثانوية وهو منشرح الصدر، قرير النفس، يحاول أن يطرد غبار التردد عن نفسه، وبسك سلسيل اليقين في قلبه...
فالحماس للدعوات يكون متوقفاً عند الشباب، وكان جل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الشباب. وعمري الآن لا يمدني بحماس الشباب. ولكن هذا قدرى، فالدعوة لم تعرف الطريق إلى فترة الشباب.

ولقد قرأتُ كثيراً عن دعوة الإخوان المسلمين. وقرأت عن اضطهادهم في العصر الناصري مثل مذبحة الإخوان في ليمان طرة عام 1957، والألاف الذين اعتقلوا عام 1965. وقرأت عن إعدام الكثير منهم؛ إما بمحاكم عسكرية، أو بالتعذيب حتى الموت!...
ولكن ألا تزورى الدعوة بدماء الشهداء؟ وأين الأبناء الذين أخشعوا عليهم؟ وحتى إذا رزقنا الله بالبنين والبنات، ألا يستحق العزيز الجبار القهار الخالق الرازق أن نضحي من أجله؟

{فَلَمَّا أَتَى رَبِّهِ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذِلِّكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ
الْمُسْلِمِينَ *} ...³

والحزب الحاكم قد نهب البلاد، وأضعفها سياسياً، وانهارت على يديه اقتصادياً، وضرب الأحزاب في مقتل، وزرع الفتنة في صفوفها، فأضحت وقد أصابها الكساح والشلل... والدين قد جُففت منابعه. والمساجد العامرة، والتي يلتئم حول دعاتها الجماهير الغيرة، أصابوها بالخرس. وسجنا الدعاة المخلصين؛ إما في المعقل، وإما في بيوتهم! خطيب المسجد لا ينبغي له أن يتعدى أحكام الطهارة، وأحكام الحيض، وإذا أراد الإبداع، فعليه أن يعظ في عذاب القبر ونعيمه. ألم تشرع خطبة الجمعة إلا للتذكرة بالدار الآخرة؟!

وما تتفاك أبواقهم تسخر من هؤلاء الذين (يبركون) السياسة بالدين في خطبة الجمعة، وأولئك الذين لا ينكرون يتحدثون عن الإسلام الشامل. فما علاقة الإسلام بنظم الحكم؟ وما علاقته بالتعامل مع البنك الدولي؟ أو الأمم المتحدة؟ لا يفهم أولئك الموردون أن الإسلام مكانه الطبيعي في المسجد ولا يتعداه؟!

لقد جفوا منابع الدين، والتلف الشباب حول الجاهلين في الزوايا يفتونهم ويفتنوهم ويدعونهم إلى التطرف والتكفير...

وها هي الحروب الصليبية تطل برأسها العفن في البوسنة والهرسك ليبيدوا الإسلام وأهله في أوروبا. ولقد أعلنوها صراحة -بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والشيوعية- أن العدو القادم للغرب هو الإسلام. وال الحرب العالمية الثالثة هي بين الإسلام والغرب!...

{وَلَا يَزَّلُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنِ دِينِكُمْ إِنَّ أَسْتَطَاعُوا} ...⁴

وها هي أمريكا تتدخل في شؤون دولة بعد أخرى؛ مرة عن طريق البنك الدولي، ومرات عن طريق صندوق النقد الدولي، ومرة عن طريق العولمة، ومرة بحجة المساعدات الدولية، ومرة بحجة حماية الأقليات، ومرة بحجة محاربة الإرهاب... ولن يتم ثخنها إلا بالتدمير وتمزيق وحدة ونسيج الدول والأمم والأوطان!...

ثم نختلف مع بعضنا البعض؛ فهذا قومي، وذاك إسلامي، وذاك علماني... والإسلامي يختلف بينه وبين نفسه؛ فهذا سني، وذاك شيعي... والسنني يختلف مع السنني مثله؛ فهذا سلفي، وذاك خلفي، وذاك صوفي... والجماعات الحركية السننية تختلف وتتناحر. والشيعة أمم وطوائف متناحرة...

والأمة تحتاج أن تتوحد في مقاومة العدو الخارجي الذي يريد أن يقطعها ويمزقها ويدمرها... والإسلام يحتاج أن يتحد أبنائه في مواجهة العداون الصليبي الصهيوني. والأمة العربية والإسلامية بجميع طوائف أبنائها -من المسلمين والقوميين والاشتراكيين والليبراليين وكل الوطنين- تحتاج إلى الإتحاد لمواجهة أمريكا التي تريد تقسيم دولنا وتمزيقها ومحوها من على

³ الآيات 162 و 163 من سورة الأنعام
⁴ جزء من الآية 217 من سورة البقرة

الخريطة، وإنشاء الدوليات الشرق أوسطية الممزقة المتاحرة بدلاً منها. وهذا المشروع الخبيث لا تريده أمريكا منه إلا أن تكون دولة إسرائيل أقوى دولة في المنطقة. ومصر تحتاج إلى الدعوة المعتدلة. تحتاج إلى مؤازرة وتطوير الأزهر الشريف. تحتاج إلى جهود الإخوان المسلمين لأن دعوتهم معتدلة... مصر تحتاج إلى كل المخلصين لها...

فلم التردد والخوف يا إسماعيل؟ توكل على الله، وابذل الجهد، وضحي بالغالي قبل الرخيص، وقدم روحك فداء الله ثم لهذا الوطن العظيم... ولا يوجد ما أخشى عليه إلا روحية، الزوجة الحبيبة الصابرية الراضية بقضاء الله. فلماذا التردد إذن يا إسماعيل؟ وطريق الدعوة هو طريق الأنبياء كما علمنا أستاذنا الغرباوي. والغرباوي عنده أسرة وأبناء، وفي الوقت نفسه، يملك الحماس النام للدعوة والجهاد مثل الشباب بل أكثر... فلماذا التردد يا إسماعيل؟ لماذا التردد يا إسماعيل؟ لماذا؟

البلد تحتاج إلى تغيير جذري في كل شيء.

آه، لو كان الإخوان يعملون في النور و لهم حزب سياسي...

كان كلاً من طارق عمر وسعيد عوض، غير مقتعنين بالطريق السلمي للإخوان فلا الأسلوب التربوي البطيء يُفيد في التغيير، ولا دخول مجلس الشعب سوف يؤدي إلى تطبيق الشريعة الإسلامية. بل إن دخول مجلس الشعب يعتبر شرك بالله - كما تقول الدعوة السلفية والدعوات الجهادية- لأن هذا المجلس يُشرع فيه فوائين الطاغوت.

فهم مقتعنان جيداً بأن ما أخذ بالقوة -بالانقلاب العسكري في يوليو 1952- لا يُسترد إلا بقوة الجماعة الإسلامية أو الجهاد. وحركة الجماعة الديناميكية أفضل من حركة الجهاد. وما الجماعة الإسلامية إلا انشقاها وتطویرها وتحسينها لجماعة الجهاد. وما جهود جماعة الإخوان في التربية المزعومة والانتخابات لمجلس الشعب والشورى إلا كالذى يحرث في الماء...

وفي الوقت الذي كان التردد هو الذي يجوس خلال عقول وقلوب أفراد أسرة الغرباوي الإخوانية، كان علي عبد المنعم هو الوحيد المتحمس جداً للدعوة، فقد نشأ في بيت إخوانى عريق؛ فوالده كان من قيادات الإخوان المسلمين، وأمه أخت قديمة من المؤسسات لقسم الأخوات في شعبة شبرا. فهو محاط الآن بحصن الإخوان المسلمين في البيت وفي أسرة الغرباوي. فعلى كما يعتقد- قد عثر على الطريق الذي يقربه إلى ربه، ويدخله الجنة...

-4-

بعد صلاة الفجر وتلاوة أذكار الصباح، ذهب أحمد الغرياوي إلى شارع الترعة البولاقية، ليركب باص الشركة المتوجه إلى عمله. الغرياوي سعيد بانضمام هذه الأسرة إلى الجماعة، وهو سعيد أيضاً بلم حبات عقدها المبعثرة في مرحلة الدعوة الفردية.

يتتسائل مع نفسه: لماذا الدعوة موجهة الآن للطبقة المهنية؟ فأين طبقة العمال من الدعوة؟ دوى أزيز قطار أبي زعلب في أذنيه وهو يحمل عمال مصانع أبي زعلب بعد تحول أغلبهم إلى الإخوان. ولكن ذلك كان الأربعينات والخمسينات، وهو لم يره بعينيه، ولكن سمعه من نقيب أسرته، محمد الوكيل، الذي أخبره عن نشاط الإخوان في تلك الفترة، والذي تغل في كل الطبقات حتى الواقع الحساسة مثل الجيش...

ولكن الآن من يُشم في عائلته رائحة الإخوان، يُطرد من الجيش شر طردة. وليس من الجيش فحسب، بل من كل المواقع الهامة مثل الداخلية والقضاء وعضوية هيئة التدريس بالجامعات، وطبعاً من أمن الدولة والمخابرات وكل أجهزة الحكومة الهامة... ولكن الإخوان موجودون في بعض الواقع الحساسة برغم أنف النظام وإدعائه أنه يعرف خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

والدولة المصرية قد اكتوت من نار الجماعات الإسلامية في الماضي والحاضر. والآن النظام يجف منابع الدين ذاته في البلد كلها وخاصة بعد أن عاثت الجماعات المسلحة فساداً في الأرض. ولكن هؤلاء حفنة من العيال المتحمسين بحماس أهوج، وليس لهم نفس طويل، {فَأَمَّا الرَّبُّدُ فَيَنْهَا بِجُفَاءٍ وَأَمَّا مَا يَنْقُعُ النَّاسُ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ} ⁵... فأين هي جماعة "شباب محمد" الآن وهي قد انفصلت عن الإخوان في الأربعينات لكي تغير المنكر باليدي!

-أنتم منذ أكثر عقد ولا تغيرون منكراً، وتكتفون بالفرجة على المنكرات التي طفت بها البلد طفحاً!

-نحن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر بقدر المستطاع.
-أي منكر تنهون عنه؟! والخمارات، والمسارح الماجنة، والسينمات الفاضحة، وبيوت الدعارة، وتبرج وعرى النساء في كل مكان...

-تغيير المنكرات علىولي الأمر، وليس علينا إلا النصح بالتي هي أحسن.

-وما ثمرة نصحكم طوال السنوات الماضية؟
-ليس علينا إلا البلاغ.

يا إمام. حزب مصر الفتاة يحرقون الخمارات، فلماذا لا تحذني جماعتنا حذوهم؟

⁵ جزء من الآية 17 من سورة الرعد

-لو فتحنا باب تغيير المنكر باليد للناس، لأمسك الفوضى تضرب بأطنابها في كل مكان.
-هذا كلام عجيب أسمعه من إمام مثلك. ونحن لن نتفرج على المنكرات كما تفعلون.
-ولكن يجب أن تلتزموا بالطاعة للجماعة في المنشط والمكره.
-نحن قد انفصلنا عنكم، وسمينا جماعتنا "شباب محمد".

أين أنتم يا جماعة شباب محمد الآن؟ لقد أدعیتم أن جماعة الإخوان المسلمين لا تجاهد، واكتفت بالتبصر لقضية فلسطين. ولو صبرتم لجاهدتكم مع الإخوان في حرب 1948. ولكنكم تعجلتم وذهبتم إلى فلسطين وأبیتم إلا العناد حتى قتلتم الأعراب على حدود فلسطين ظنا منهم أنكم جواسيس! لقد تكبرتم أن تأخذوا كلمة السر لعبور الحدود.

آه، لو كنتُ حاضراً في حواركم مع الأستاذ، لقلت لكم: ملعون أبو الفكر المتحجر.
وصل باص الشركة إلى ميدان عبده باشا بالعباسية. نظر الغرباوي من نافذة باص الشركة فوجد صورة لأحد الملتحين بطريقة عبئية ومكتوب تحتها بلون أحمر (لا للإرهاب).
ثم تأمل في تاريخ الجماعات الإسلامية كلها معتدلها ومتطرفها وقال في نفسه وهو ينزل من
الباص عند باب الشركة في مدينة نصر:
لقد نشابه الإرهاب علينا...!!

-5-

تنأهب بهيجه فرحت، أم سعيد عوض، لذهب إلى عملها بالمستوصف الخيري...
إلى متى يا رب أصرف على هذا (الشحط) الكسول؟! مات أبوه مبكراً وترك لي الهم والحزن...
فأشل في كل شيء لا يعمر في أي عمل إن وجد عملاً أصلاً. لا يمتلك أي همة أو عزم أو
إرادة...! حتى الشباب الذي يجد ويسعى للقمة العيش لا يغير منهم أبداً.
طوال النهار يستمع إلى القرآن الكريم، والخطب الدينية، والأناشيد الإسلامية، فلا ينبعض فيه
عرق يدفعه إلى السعي والجُد. تدين سطحي كاذب عقيم...!
تنادي على سعيد:

-إلى متى سأصرف عليك؟ اذهب إلى مصانع مدينة 6 أكتوبر، وابحث عن عمل في مصانعها
الكثيرة.

فيجبها متذمراً:

-لقد ذهبت الأسبوع الماضي وقبله بكثير إلى عدة أماكن؛ منها مدينة العاشر من رمضان
الصناعية، والمدينة الصناعية بمدينة العبور الجديدة، ومصانع مدينة 6 أكتوبر، والكثير من
الجمعيات الصناعية، وعدت خالي الوفاض.

-ادهب يا بني، مرة أخرى ولا تيأس من رحمة الله.

فيرد في غيظ:

- لقد تيقنت أنهم لا يريدون إلا واسطة ولا سبيل غير ذلك.

فتساءل في حيرة:

-كل المصانع التي في الدنيا لا تريد إلا واسطة؟! ألا يوجد مصنع يريد فنيين حاصلين على
دبلوم صنایع؟

لا يرد على أمه...

فتقول في حزن:

-إلى متى سأصرف على رجل يبلغ من العمر 23 سنة؟
فلا يرد. وهكذا عادته حينما لا يجد ردًا لتساؤل أمه.

فتنركه وتخرج وهي تقول:

-لا حول ولا قوة إلا بالله...

وحيئنذا، يتسرّب إلى سمعه صوت القارئ في الإذاعة، وهو يقرأ من سورة الصاف قوله تعالى:

{وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَحْمَدُ}⁶...

فيبتهج ويصبح فرحاً:

-اسمه أحمد...

⁶ جزء من الآية 6 من سورة الصاف

أحمد الغرباوي...
شركة المقاولون الشرقيه...
فُرجت يا أمري...

ولكن خيبة الأمل غطته لأن أحمد الغرباوي من الإخوان وليس من الجماعة الإسلامية كما توقع.
 وخيبة الأمل غطته أكثر وهو يتساءل:

لماذا ضحك علينا هذا الرجل الغريب؟ الغريب في اسمه وفي تركيبة رأسه الكبير ولحيته الكثة
الغريبة؟! لقد خدعني أو خُدعتُ فيه. قال لي بأن الدعوة الآن دعوة مبتدئة، وأنه يوجد إخوان لي
على الطريق، وسوف نلتقي يوماً ما لكي نبایع. والتقينا، ولم تتم أي بیعة. والحمد لله لعدم البیعة.
 ولكن الغرباوي أعلنها صريحة أنه من الإخوان المسلمين.

الإخوان المسلمون الذين يرتدون (الكرافته)، رباطة العنق، التي يتأنقون بها، ويدخلون بها
مجلس الشعب الذي يشرع للطاغوت، ويمكن له في الأرض. وقد ترشحوا إلى مجلس الشعب
عدة مرات، فأين قوانين الشريعة الإسلامية التي وعدوا خلق الله بتطبيقها؟

أين أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر؟

أين هم من شواطئ العراة في محافظة البحر الأحمر؟ ومن البارات؟ والخمارات؟ والكباريهات؟
 ومن شارع الهرم وملاهيه؟ ومن المنكرات التي طفت بها البلاد؟

أين هم من تصفية الجماعات الإسلامية؟ وقد كانوا ملء السمع والبصر في العزب أسفل السكة
الحديد التي بجوارنا، وفي الشرايبة، والزاوية الحمراء، وفي عين شمس، وإمبابة، وفي محافظة
الشرقية، وال الغربية، والبحيرة، وفي الصعيد كله...

أين هم من سياسة الضرب في المليان؟

يقول الغرباوي: أيدي أعضاء الجماعة الإسلامية مخضبة بالدماء.

ها... بدماء منْ يا شيخ؟

بدماء الكتاب العلمانيين الكفرة؟

بدماء منْ يا شيخ؟

بدماء السائرين الكفرة العراة؟

بدماء منْ يا شيخ؟

بدماء زبانية أمن الدولة الذين أذاقوا الموحدين صنوف العذاب؟

فهل أنت وجماعتك الخانعة مستاؤون ومحزونون من أجل هذه الدماء؟ سبحان الله.

ألا يتعمّر وجهك من أجل الله حينما ترى السائحات العراة في كل مكان؟

ألا يتعمّر وجهك حينما ترى الكتاب الكفرة يسخرون من دين الإسلام ومن الشريعة الإسلامية
وحتى من الأنبياء؟

يا رجل. يا رجل. أين دينك؟

وأين جماعتك التي تدعي أنها ت يريد نطبيق الشريعة الإسلامية؟

غضبان على الجماعات الإسلامية التي تقتل أعداء الله، ضباط فرع الدولة الذين يذيقون الشباب
المسلم المجاهد صنوف العذاب؟
ألم تسمع عن خلع الأظافر؟
ألم تسمع عن إطفاء السجائر في الأعضاء الحساسة؟
ألم تسمع عن جلسات الموت بالكهرباء؟
ألم تسمع عن سجن العقرب؟ وما أدرك ما سجن العقرب؟ ويكفي اسمه!...
ألم تسمع عن أصحاب الأخدود الجدد يا غرباوي؟
ولكن فرجت يا أمي. سأخذعه كما خدعنا -على الأقل- حتى يتوسط لي للعمل في شركته ...

-6-

ذهب على عبد المنعم إلى كلية طب عين شمس، وقلبه فرح مسرور بانضمامه الرسمي إلى جماعة الإخوان المسلمين...

لقد تعلم الدعوة إلى الله في مرحلة الدعوة الفردية. من غلام أصحاب الأخدود الذي أخلص الله؛ فأجرى الله على يديه المعجزات، وشفاء المرضى... فالغلام بإخلاصه لله، فاق أستاذه الراهن. والدابة التي سدت الطريق على الناس، ضربها الغلام بحجر؛ فإذا بها تتصرف. وقد عجز -

المتجمهرون على جانبي الطريق. عن تحريكها شيئاً واحداً!

وحيثما أجرى الله على يديه معجزة شفاء المرضى؛ كان يدعو إلى توحيد الله عز وجل. فالأعمى، جليس الملك، دعاه الغلام إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له حتى يشفيه الله...

ولقد قال جليس الملك:
-إنني -ككل الناس- أعتقد بأن الملك إله.

فقال الغلام:

-الله هو ربى، وربك، ورب الملك، ورب الكون كله.
فأمن جليس الملك بالله الواحد، فشفاه الله.

وقد كان هذا الغلام ذكياً وموفقاً في اتخاذ معجزة الشفاء وسيلة إلى الدعوة إلى الله الواحد الأحد، والكفر بالملك الإله المزيف. وقد كانت الجماهير تهتف بحياة هذا الإله المزيف... وكان المرضى يتهاقون على الغلام لكي يبرعوا من أمراضهم. فكان الغلام الذكي يدعوهم إلى الكفر بالملك، والإيمان بالله الواحد الأحد.

أكرمك الله ياشيخ غرباوي. فقد كنا نتلوا سورة البروج، ولا نعرف قصة الغلام وأصحاب الأخدود جيداً.

لقد انتشرت وذاعت دعوة الغلام إلى الكفر بالملك الإله، وتوحيد الله المتعال، وكثير عدد الموحدين... وأخبرت التقارير الملك بانتشار دعوة الغلام، وازدياد عدد الكافرين به كملك إله. فقتل الملك الطاغية جليسه الأعمى، والراهن، وحاول أن يقتل الغلام، فعجز ويسأ في ثلاث مرات! وبعد كل محاولة قتل، كان الغلام يذهب وهو شامخ الرأس. إلى الملك ليقول له:
-لقد نجاني الله، وأهلك رجالك.

وفي آخر الأمر، فرض الغلام شروط قتله على الملك، والملك الإله يسمع ويطيع!
-اجمع الناس في صعيد واحد، وخذ سهماً من كنانتي، واضربني به، وأنت تقول ((بسم الله رب الغلام)).

وتم ما أراد الغلام، وجُمع الناس. وقال الملك:
-بسم الله رب الغلام.

ووقع السهم في صدغ الغلام العظيم، فمات شهيداً...
ولم يفطن الملك إلى ما كان يبتغيه الغلام النبيه...

لقد كان الناس يعلمون عجز ملتهم الإله بجبروته وطغيانه- عن قتل الفتى الصغير إلا حينما فرض الغلام شروط قتله على الملك! ولما استشهد الغلام انجلت الحقيقة ساطعة أمام بصائر الحاضرين؛ فهتفوا جميعاً:

-آمنا برب الغلام... آمنا برب الغلام... آمنا برب الغلام...

فأسقط في يدي الملك وحاشيته...

قالت الحاشية:

-لقد آمن الناس... لقد آمن الناس...

قال الملك وقد تملكه الغيظ والغل والحدق:

ـ ما عليكم. ما عليكم. احفروا الأخدود في الطرق، وأشعلوها نارا، وادعوا الناس إلى الكفر بالله والإيمان بي. فمن لم يستجب لكم، فألقوه فيها...

اغرورقت عينا علي عبد المنعم بالدموع وهو يتذكر قوله تعالى في سورة البروج:
{قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ⁷ النَّارُ ذَاتُ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ⁸ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ*}

وحيثما أجرى على قلبه قوله تعالى: {وَمَا نَقْمُدُ مَنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ*}⁸، انفجر النشيج في قلبه، وتتفق في روحه، وتزلزل في كل كيانه، ولسان قلبه يقول:

-السکينة يا رب... السکينة يا رب...

⁷ الآيات 4-7 من سورة البروج

⁸ الآية 8 من سورة البروج

-7-

بعد التوقيع، ذهب الدكتور أحمد إسماعيل إلى عنبر الرجال الداخلي للمرور على الحالات التي يتبعها. مر على مريض يعاني من مرض "ذو الفقاع"، وكان المريض يائساً جداً، فبعث في نفسه الأمل.

ولكن المريض قال له: -أنا سمعت أن هذا المرض قاتل.
منْ قال ذلك؟
أحد الأطباء.

فغضب الدكتور أحمد وقال: "أبداً، يا أخي. أحمـد ربـكـ إنـهـ مـرـضـ لـهـ عـلاـجـ الآـنـ. ولـكـ قـبـلـ اـخـتـرـعـ الـكـوـرـتـيـزـونـ كـانـ هـذـاـ مـرـضـ شـدـيدـ الـخـطـورـةـ".

فغمغم المريض قلقاً: "لـكـنيـ أـسـمـعـ أـنـ الـكـوـرـتـيـزـونـ شـدـيدـ الـخـطـورـةـ أـيـضاـ".
فتـبـسـمـ الـدـكـتـورـ أـحـمـدـ: "لـيـسـ بـهـذـهـ الـدـرـجـةـ الـتـيـ تـتـصـورـهـاـ. وـمـعـ ضـبـطـ الـجـرـعـةـ لـاـ يـحـدـثـ أـيـ مشـاكـلـ إـنـ شـاءـ اللهـ".

ثـمـ تـنـاقـشـ مـعـ الـأـطـبـاءـ الـمـقـيـمـينـ وـبـعـضـ الـأـخـصـائـيـنـ حـوـلـ الـحـالـةـ وـقـالـ لـهـمـ بـعـدـماـ خـرـجـواـ مـنـ الـعـنـبرـ:

-اللهـ يـخـربـ بـيـتـ الـغـباءـ. كـيـفـ نـبـعـثـ الـيـأسـ فـيـ نـفـوسـ الـمـرـضـىـ؟ـ ثـمـ اـسـطـرـدـ بـالـإـنـجـلـيـزـيـةـ كـلـامـاـ وـأـكـملـهـ بـالـعـرـبـيـةـ: "وـلـكـنـ لـاـ يـنـبـغـيـ أـنـ يـقـالـ هـذـاـ لـلـمـرـضـ".

ثـمـ ذـهـبـ مـعـهـمـ إـلـىـ حـجـرـةـ الـأـطـبـاءـ لـيـحـتـسـوـاـ قـهـوةـ الصـبـاحـ قـبـلـ بـدـءـ الـعـيـادـاتـ فـيـ النـاسـعـةـ صـبـاحـاـ.

وـفـيـ حـجـرـةـ الـأـطـبـاءـ، قـالـ الـدـكـتـورـ عـبـدـ الـوـهـابـ مـحـمـودـ:
يـضـافـ إـلـىـ عـجـائـبـ الـدـنـيـاـ السـبـعـ عـجـيـبـ ثـامـنـةـ فـيـ مـسـتـشـفـانـاـ!

فـقـالـواـ لـهـ: "هـاتـ مـاـ عـنـدـكـ يـاـ أـبـاـ الـعـجـائـبـ".

فـقـسـاءـلـ وـهـوـ يـبـتـسـمـ:

كـيـفـ يـرـكـبـ مـديـرـ الـمـسـتـشـفـىـ -وـهـوـ فـيـ مـرـكـزـ مـرـمـوقـ-ـ وـفـيـ مـثـلـ سـنـهـ الـوقـورـ-ـ سـيـارـةـ سـيـاتـ؟ـ 133

فرـدـتـ عـلـيـهـ زـوـجـتـهـ الـدـكـتـورـةـ سـمـيرـةـ سـعـيدـ:
يـاـ عـبـدـ الـوـهـابـ، لـاـ عـجـيـبـ وـلـاـ يـحـزـنـونـ. لـأـنـ مـرـتبـهـ كـمـديـرـ الـمـسـتـشـفـىـ 550ـ جـنـيـهـ، فـهـذـاـ الـمـرـتبـ لـاـ يـنـتـنـاسـ إـلـاـ مـعـ رـكـوبـ دـرـاجـةـ!
فـضـحـكـ الـأـطـبـاءـ.

استـأـنـفـ عـبـدـ الـوـهـابـ: "وـلـكـنـهـ يـسـتـلـمـ مـعـ رـاتـبـهـ مـنـ الـوزـارـةـ -ـ 500ـ جـنـيـهـ مـنـ الـعـيـادـاتـ الـاـقـتـصـادـيـةـ".

تـدـخـلـ طـبـيبـ ثـالـثـ: "طـبـيبـاـ دـفـرـ التـوـقـيعـ وـقـعاـ فـيـ بـعـضـهـمـاـ".
وـتـحـمـسـ رـابـعـ: "هـذـهـ سـيـارـةـ الـمـيدـالـيـةـ مـقـصـودـةـ فـيـ ذـاتـهـاـ حـتـىـ تـبـعـدـ الـعـيـونـ الـمـتـطـلـفـةـ عـنـهـ".
وـتـهـكـمـ خـامـسـ:

-لكي ندعوه لأن يوسع الله عليه.
فضحك الأطباء.

قالت الدكتورة ابتسام عوض الله، ذات السابعة والثلاثين ربيعاً، الجميلة، ومن أنشط أطباء المستشفى وأشطرهم:

-لماذا تتعجبون من سيارة الدكتور سليم؟ سيارة الدكتور فتحي مقلد مدير إدارة الطب العلاجي للأمراض الجلدية والتناسلية. أصغر لأنها نصر 126، وهي أصغر سيارة في مصر، وموتورها هو أصغر موتور لأنه موتور دراجة بخارية!
فضح الأطباء ضحكا لأنهم نذكروا أسطول السيارات الفارهة للمسؤولين بالوزارة حينما يأتون للتفتيش على المستشفى وتكون سيارة الدكتور فتحي مقلد في المقدمة وكأنها توسع لهم الطريق...

قال الدكتور صلاح الشيمي:
يبدو أن ركوب السيارات الصغيرة أضحي مريضا معديا بالمستشفى، فالدكتور سامي حليم اشتري بالأمس سيارة زاستافا 750.

قالت الدكتورة سميرة:
ولكننا لم نره يركبها.
لأنه أرسلها لورشة صيانة لأنها قديمة.

فتساءل طبيب 6:

ومن الذي أخبرك بشرائها يا صلاح؟
فلم يرد الشيمي لأن عبد الوهاب رد نيابة عنه:
لأنهما جيران في شبرا.

فأشعار الطبيب 4 بيده ساخرا:

-هؤلاء الأطباء سخراة الكبار - ربما أرادوا برکوبهم هذه السيارات الصغيرة أن يبعدوا عنهم العين كما قلت لكم.

فتتساءل الدكتور حكيم نخلة:

-وأيضا يريدون أن يبعدوا عنهم الشبهات، وقانون "من أين لك هذا؟"
فصاح عبد الوهاب وهو متوجه:

-ما هذه الحكم يا حكيم؟ يا سيدني يا نخلة، ارمي علينا رطبك وحكمك.
فضحوكوا...

قال الدكتور أحمد إسماعيل منفعلا كعادته في نهاية حوار الصباح:
الساعة التاسعة. هيا بنا إلى العيادات. الطوابير منتظرة. كفى نميمة يا قوم!...

-8-

ذهب طارق عمر إلى كلية التربية وهو ناقم على الجهد الذي بذله مع الغرباوي في مرحلة الدعوة الفردية وفي نهاية الأمر لا يجد جماعة الجهاد ولا الجماعة الإسلامية ولكن يفاجئه الغرباوي بجماعة الإخوان التي يعتقد طارق بأنها جماعة متخاذلة عن نصرة الإسلام ومتقاعسة عن طريق الجهاد الحق... نعم شفتيه آسفا على انداده في هيئة الغرباوي...

وبعد انتهاء المحاضرات، تقابل وزوجته نجوى فهمي في الكافيتيريا.

كان طارق غاضبا بسبب صاحب السعادة الذي قد شرف في أحشاء نجوى في وقت غير مناسب بالمرة. لذلك تمنى طارق أن يسقط هذا الجنين غير المرحب به ولكنه متثبت بالحياة.

يغمغم طارق في سره:
ما العمل يا رب؟

وبصوت مسموع:

-ما أخر قرارك في الحمل؟

قوست نجوى حاجبيها متسائلة:

-أتريد أن أسقطه؟!

نعم، ولا يوجد حل آخر.

-ولذلك، يا طارق، رجل متدين وتعلم أن الإجهاض حرام.

-نعم يا حبيبتي، ولكن ليس بأيدينا حلا آخر.

-ولكن أليس الإجهاض فيه خطورة على حياتي يا حبيب؟

أجابها طارق ببرود قاتل:

ليس بالخطورة التي تفكرين فيها. والكثيرات أجهضن ولم يحدث لهن مكروه.

لقد تزوجت عرفيَا كما فعل كثير من زملائي في الكلية، فلماذا هذا الحمل هذه المرة يا ربِي؟ لقد أنتَ في وقت غير مناسب بالمرة. أنا في حرج شديد. ماذا أفعل يا ربِي؟ باباً؟ ماماً؟ أخوتي؟ المجتمع؟ مجتمع الكلية يعلم أننا متزوجان عرفيَا ولكن المجتمع الخارجي؟ العائلة؟ الجيران؟ عما قريب سيكبر بطني وستتضخم... وأين ذلك الحب الجارف يا طارق الذي لا يقوى على حل أول مشكلة؟ أين تلك المشاعر الفياسقة؟ أين تلك المشاعر الجياشة؟ لقد سقطت في أول اختبار لها. لماذا لا نواجه الجميع ونعتذر بالزواج وثمرته؟

تساءلت نجوى بعد استجماع عزيمتها:

-ما المانع، يا حبيبِي، أن نعلن زواجنا رسمياً ونوثقه في المحكمة؟

ووقع السؤال صاعقة على طارق! لقد تذكر أخاه حسن...

ثم تسأَلَ مع نفسه:

إذا كنتُ أحبها حقاً، فلماذا لا أتحمل المسئولية كاملة؟ أم أصبحنا شطاراً في قضاء الوطر فقط!

قال لها بعد أن ازدرد ريقه وعاد إليه نفسه:

-يا حبيبتي، أنت تعلمين أن ظروف في الاجتماعية سيئة.

ثم تنهى:

-فوالدي مات ولم يترك لنا معاشا لأنه رحمة الله. كان يعمل باليومية، ولم يكن له عملا ثابتا؛ فقد كان يعمل حمala وتباعا، وكان يحمل الزلط والرمل والطوب لأنه لم يكن معه حرفة. وبعد موته، اضطر أخي الأكبر حسن أن يترك كلية الهندسة، وتطوع في الجيش حتى يستطيع أن يحمل أعباء أسرة من خمسة أفراد في مراحل تعليمية مختلفة وأمي المريضة بالقلب. فلو قلت له: أريد أن أتزوج أو أعلن زواجنا العرفي؛ لضربني بالنار!

حال الصمت بينهما وصال فمزقه طارق وهو يهتف:

-فالإجهاض هو الحل.

فتتساءلت في غضب:

-ألا يوجد عندك أي حل سوى الإجهاض؟

لم يرد وغرق في صمت عميق ليفكر في حل آخر. أما نجوى فقد فكرت في حب طارق الغير صادق وتدينه الشكلي!...

وبعد فترة طويلة من الصمت المتبادل والتفكير العميق، قال طارق متلهلا:

-ووجدت الحل يا حبيبتي.

-خير؟

-أنا أعلم أنكم من الميسورين جدا، فلماذا لا يساعدك أهلك ويتحملون مثونة الزواج ونعلنه أمام الجميع؟

تصبغ وجه نجوى بلون فرن kali أحمر، ثم قالت في غيظ:

-عجبًا لهذا الزمان، المرأة هي التي تتزوج الرجل! أين...؟! ثم تركته وانصرفت.

-9-

تحت شجرة الصفاصاف العتيقة، واستقبلاً لأشعة الشمس الدافئة، وانتظاراً للتوقيع، يجلس الدكتور أحمد إسماعيل وصديقه الأثير الدكتور حكيم نخلة يتبدلان الحديث كعادتهما صباحاً، وأحياناً يشاركهما بعض الأطباء الذين يأتون مبكراً. وقد أطلق أطباء المستشفى على هذا اللقاء "الحزب الشجري" نسبة إلى شجرة الصفاصاف التي يجلسون تحتها.

أحمد إسماعيل كان حريصاً على أن يسافر صديقه حكيم لتحسين ظروفه المادية السيئة، لذلك سأله:

-استكمالاً لحوار أمس أخبرني: لماذا لا تসافر إلى إحدى دول الخليج وخاصة أن تخصصنا مطلوب جداً هناك؟

تبسم حكيم وأجاب:

-أنا فعلاً، محتاج في هذه الأيام لظروفي العائلية -للسفر. ولكنني، يا أحمد، أحترم نفسي...

-ماذا تعني يا حكيم؟

-أنا لا أستطيع أن أعمل في دولة تعاملني كأنني قاصر، وتجبـرـ الكـفـيلـ ليـأخذـ منـيـ جـواـزـ السـفـرـ منـ أولـ يـوـمـ، وـتعـيـنـهـ مـسـؤـلـاـ عـنـيـ!....

رد أحمد بحب وألفة:

-يا أخي، هذا نظامهم ولا يضرنا ذلك في شيء. ومع ذلك الأفضل أن تتجنب القطاع الخاص وأن تعمل في القطاع الحكومي. وحينئذ، لا تتذرى نفسك لأن الكفيل لن يكون فرداً بل وزارة الصحة.

وبنفاؤل: "وهي كفيل معنوي".

شرد حكيم وتذكر الدكتور مؤمن... فقطع أحمد شروده وسأله:

-أجبني، ما رأيك في القطاع الحكومي؟

تبسم حكيم ساخراً ثم أجاب:

-أذكر زميلنا الدكتور مؤمن عبد العال؟ لقد كان يعمل في مستشفى حكومي، وقد أنهى رئيس قسم الباطنية عمله بلا سبب سوى أنه لا يستطيعه! ربما أهمل.

-الحقيقة أنه لم يؤد فروض الطاعة كما ينبغي لأنه معذج بنفسه. وكان يعرض على فحص الأطباء السعوديين للمرضى بالجلابة دون ارتداء المعطف الأبيض الخاص بالطبيب مثل باقي الأطباء في الدنيا كلها!...

ثم أضاف حكيم والابتسامة الساخرة انحرست في جانب فمه:

-سأخبرك بما هو أشد وأنت تعرفه جيداً.

-هات ما عنك يا أبو الحكم.

-كيف تعمل في دولة كلما انتقلت من مدينة إلى أخرى داخل ذات الدولة لابد أن تحمل معك خطاب تنقل؟!

يا أخي، لا تنظر إلى الجزء الفارغ من الإناء.
تنهد حكيم وقال بمرارة:

يا دكتور أحمد، إذا لم تكن هذه هي العبودية بشحها ولحمها، فما هي العبودية؟!
وصل الدكتور عبد الوهاب محمود وزوجته الدكتورة سميرة سعيد. وعبد الوهاب أحد أعضاء الحزب الشجري.

صاحب الدكتور أحمد: "الحمد لله، لقد أتيت في الوقت الملائم يا عبد الوهاب".

ثم سأله: "أخبرنا عن تجربتك في العمل في السعودية؟"

فقط عبد الوهاب جبيه: " يجعل صباحك صباح الخير يا أسطى عطية".
فضحوكوا جميعاً...

قال الدكتور أحمد: "الدكتور حكيم يريد السفر، ولكنه متعدد أو خائف".

فرد الدكتور عبد الوهاب وهو يتذكر مرارة تجربته:

-إذا أردت السفر، فخذ تجربة الدكتورة علية على. وإذا أردت ألا تسفر، فخذ تجربتي.
قال حكيم متحمساً: "هات ما عندك يا أخي، فقد شوقتنا لمعرفتها".

فضحوك عبد الوهاب وقال صاحباً: "إذن أنت لا تري السفر!"

فتقبسم حكيم صاحكاً: "أريد أن أبني فكرة شاملة عن الحسنات والسيئات".

تبسم عبد الوهاب:

-أما الحسنات: فإن راتبك الشهري بالإضافة إلى الاقتصادي هنا يعادل راتب يوم هناك!
فابتھج أحمد وتحمس قائلاً:

-هذا غير تذاكر الطيران لك ولزوجة واثنين من الأبناء، بالإضافة إلى أجازة 45 يوماً مدفوعة الأجر.

فهز عبد الوهاب رأسه موافقاً: "ذاك، يا دكتور أحمد، للذي يعمل في القطاع الحكومي".

-حتى الذي يعمل في القطاع الخاص، فإن له تذكرة طيران كل سنة، مع شهر أجازة مدفوع الأجر.

-لا يلتزم بذلك إلا القليل من المستشفيات الكبيرة.

فتسائل حكيم شبه محتد: "أين السيئات يا قوم؟ وأين تجربتك يا دكتور عبد الوهاب؟"

-نحن نريد أن تتتشجع وتتسافر. ولا داعي لذكر التجارب المريرة.

فزم حكيم شفتيه ضيقاً.

أخذ عبد الوهاب نفساً عميقاً واسترسل:

-بعد أسبوع من وصولي، غير صاحب المستوصف عقدي، وكتب عقداً جديداً، ضاعت فيه كل ميزات العقد القديم!

اندھش حکیم: "وما هي تلك الميزات؟"

-أصبح الراتب 3500 ريال بدلاً من 5500 ريال. رسوم استخراج الإقامة كانت على الطرف الأول أي على الكفيل، فأصبحت علىي. كانت لي نسبة 20% من دخل العيادة بعد انتهاء الدوام، فلم يستلم 5%. كانت لي أجازة سنوية لمدة شهر مدفوع الأجر مع تذكرة طيران ذهاب وعودة، فتغيرت الأجازة إلى شهر مدفوع منه راتب خمسة عشر يوماً فقط وتذكرة الطيران...!!
فلم يكمل الجملة لأنهما سالاه معاً في صوت واحد:

- عذرًا؟!

نعم!

-هل وافقـت عـلـيـ هذه الشـرـوـطـ المـحـفـةـ؟ـ

كان أمامي حلان، كلاهما مر؛ إما أن أعود بعد أسبوع واحد من السفر وأجر خفي أدت إلى الخيبة، وإما أن أستمر بهذه الشروط الجائرة...! فاخترت الاستمرار.

ولگزائی عدت م

وأضاف أحمد:

أطماء تحرير

فهد الدكتر تمدد على الماء هادئاً يهدى لامتنان

فرد الدكور عبد الوهاب بمزاره.

-بعد سهرين لم يعجب صاحب المسوصف دخل عيادة الجلدية لاني لم امتص دم المرضى من
تحاليل ومغذيات كما يفعل كل أطباء المستوصف حتى يستمرموا...!
فتنهكم حكيم:

فتہ کم حکیم:

الاقتصادي هنا وهناك!

-الأمر هنا هين. أما هناك فإنما أن تدور في عجلة الاقتصادي، وإنما أن تحفظ باحترامك لنفسك ولمهنتك وتخرج من هذا الدوران الممتهن وتعود أدراجك إلى هنا...

ثم أردد:

-الأفضل يا دكتور حكيم، طالما أنك تنوی السفر، أن تفكّر في العمل الحكومي فهو أخف الضررین.

قال الدكتور أحمد:

-هيا بنا نوقع قبل أن تغلق الدكتورة سميرة الدفتر.

-10-

بعد انتهاء جلسة الذكر أو -الأسرة- بتعبير الغرباوي والإخوان المسلمين، قال الغرباوي:
تحضير الموضوعات جيد، ولكن غالب عليكم القراءة من الكتب. وهذا لا نجده حتى يخرج
الكلام من القلب فيستقر في أعماق القلوب.

ثم خاطب سعيد بود:

لماذا لم تُحضر نشرة الأخبار؟

كاد أن يقول سعيد أين المال الذي أبتاع به الجرائد التي أجمع منها الأخبار.
-انشغلت. وأنساني الشيطان.

قال الغرباوي:

-نحن الآن في فترة مفتوحة يمكن أن نتناقش في أي موضوع خاص أو عام...
كان الأستاذ إسماعيل عبد الفتاح أول المحدثين:

-لقد تدخلت أمريكا الآن في البوسنة لكي توقف إطلاق النار، (وتفرّك) اتفاق سلام!
قال الدكتور صلاح الشيمي:

تتدخل الآن بعد أن بدأت ترجم كفة البوسنة عسكريا.

قال طارق عمر في ضيق:

ثلاث سنوات من المجازر الجماعية وأوروبا تكتفي بالفرجة بتلذذ! ثم التدخل يأتي من قبل
أمريكا وليس من جهة أوروبا التي تجري المجازرة على أرضها!

فانفعل إسماعيل عبد الفتاح:

-الطامة الكبرى كانت في سربرنيتسا، حيث تجمع فيها أكثر من سبعة آلاف بوسنوي من
المدنيين بعد أن أعلنت الأمم المتحدة أنها منطقة آمنة، فإذا بالجزاريين الصرب يحصدون
أرواحهم حصدا تحت سمع وبصر قوات الأمم المتحدة الهولندية...!

تهكم علي عبد المنعم بمرارة:

-أوروبا لا تزيد دولة مسلمة في أراضيها!

احتد سعيد عوض:

-لَوْلَنْ تَرْضَى عَنِّكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبَعَ مُلْتَهِمْ⁹...
صدق الله العظيم.

فامتعض الغرباوي:

-أس المشكلة يا إخوة، أن العالم الإسلامي وقف يتفرج لأن الأمة ملأسف- تعيش في المرحلة
الغاثانية!

أشع الغرباوي ابتسامة عريضة في وجهه الأخوة وهو يتساءل:

⁹ جزء من الآية 120 من سورة البقرة

-أخبروني عن أخباركم.

فحانـت الفرصة لـسعـيد:

-أنا أبحث عن عمل منذ فترة طويلة جداً.

فـسـأـلـهـ الغـربـاـوـيـ:

-ما هو تخصصك في دبلوم الصناعـيـ؟

منذ أكثر من عام ولم تعرف تخصصـيـ في الدـبـلـوـمـ.ـ أهمـ شـيءـ عـنـدـكـ هوـ انـضـامـاـنـاـ لـلـتـنـظـيمـ!

ـكـهـرـبـةـ سـيـارـاتـ.

ـلـمـاـذـاـ لـاـ تـعـمـلـ فـيـ وـرـشـ السـيـارـاتـ وـهـيـ مـوـجـودـةـ فـيـ كـلـ مـكـانـ؟

ـأـمـيـ هـيـ الـتـيـ تـلـحـ عـلـيـ لـكـيـ أـعـمـلـ فـيـ شـرـكـةـ كـبـيرـةـ لـكـيـ أـضـمـنـ مـعـاشـاـ وـتـأـمـيـنـ صـحـياـ.

ـوـهـلـ تـقـنـ كـهـرـبـةـ السـيـارـاتـ؟

ـالـدـبـلـوـمـ الـآنـ غـيـرـ أـيـامـكـمـ يـاـ شـيخـنـاـ.ـ فـالـدـرـاسـةـ الـآنـ أـغـلـبـهاـ نـظـريـ وـالـعـمـليـ قـلـيلـ جـداـ.

ـامـتـدـ مـشـرـوعـ صـمـتـ زـاحـفـ فـبـدـدـهـ إـسـمـاعـيلـ:

ـيـاـ أـسـتـاذـ أـحـمـدـ،ـ أـلـاـ تـوـجـدـ فـرـصـ عـمـلـ عـنـدـكـمـ فـيـ شـرـكـةـ المـقـاـولـونـ الشـرـقـيـةـ؟

ـبـلـ سـعـيدـ أـنـفـاسـهـ وـقـالـ فـيـ سـرـهـ:

ـالـحـمـدـ اللـهـ أـنـ بـلـغـهـ الـأـسـتـاذـ إـسـمـاعـيلـ بـدـلاـ مـنـيـ.

ـأـرـادـ الغـربـاـوـيـ أـنـ يـقـوـلـ:ـ "ـهـلـ سـعـيدـ يـجـيدـ أـيـ صـنـعـةـ حـتـىـ أـبـحـثـ لـهـ عـنـ عـمـلـ؟ـ"

ـالـعـمـالـةـ أـكـثـرـ مـنـ الـمـطـلـوبـ.

ـفـتـسـأـلـ الشـيـمـيـ:

ـوـلـكـنـ أـيـنـ وـظـائـفـ الـذـينـ وـصـلـواـ إـلـىـ سـنـ التـقـاعـدـ؟

ـأـغـلـبـ الـقـدـامـيـ فـيـ الشـرـكـةـ قـدـ توـسـطـواـ لـكـيـ يـوـظـفـواـ أـبـنـائـهـمـ أـوـ ذـوـيـهـمـ حـتـىـ كـثـرـتـ الـعـمـالـةـ وـفـاقـتـ

ـاحـتـيـاجـاتـ الـعـلـمـ...

ـتـسـرـبـ الـيـأـسـ إـلـىـ نـفـسـ سـعـيدـ...

ـكـانـ سـعـيدـ يـتـمـنـىـ أـنـ يـكـونـ الغـربـاـوـيـ هـوـ سـفـيـنةـ النـجـاةـ إـلـىـ شـاطـئـ الـعـلـمـ،ـ وـلـكـنـ أـمـلـهـ قـدـ ذـابـ فـيـ

ـأـرـضـ الـوـاقـعـ...

ـ"ـفـلـمـاـ أـسـتـمرـ بـعـدـ ذـلـكـ فـيـ الجـلـسـاتـ وـفـيـ الجـمـاعـةـ طـالـمـاـ فـرـصـةـ الـعـلـمـ قـدـ أـجـهـضـتـ.

ـفـاـسـتـمـارـاـيـ فـيـ الجـلـسـاتـ بـعـدـ ذـلـكـ نـفـاقـ فـيـ نـفـاقـ...ـ"

ـهـذـاـ مـاـ فـكـرـ فـيـهـ سـعـيدـ ثـمـ اـنـتـبـهـ عـلـىـ صـوتـ أـحـدـ الـأـخـوـةـ:

ـالـبـلـدـ تـكـدـسـتـ بـالـبـطـالـةـ،ـ فـأـيـنـ هـيـ آـثـارـ الـخـطـطـ الـخـمـسـيـةـ الـتـيـ أـرـهـقـواـ بـهـاـ أـسـمـاعـنـاـ لـيـلـاـ وـنـهـارـاـ؟ـ"

ـفـرـدـ إـسـمـاعـيلـ:

ـلـقـدـ بـشـرـوـنـاـ بـمـشـرـوعـ جـدـيدـ فـيـ تـوـشـكـىـ،ـ فـعـسـىـ أـنـ يـكـونـ فـيـهـ خـيـرـ،ـ وـأـنـ يـأـتـيـ بـالـرـخـاءـ الـذـيـ

ـنـنـتـظـرـهـ مـنـذـ عـامـ 1980ـ الـذـيـ بـشـرـ بـهـ السـادـاتـ وـقـالـ سـيـكـونـ عـامـ الرـخـاءـ!

ـطـرـقـ حـسـنـ الـبـابـ وـهـوـ حـامـلـاـ صـيـنـيـةـ كـبـيرـةـ فـيـهـ طـعـامـ الـعـشـاءـ.ـ تـبـسـمـ الغـربـاـوـيـ قـائـلاـ:

- لقد رضيت عنا أم حسن. ولابد أن تكون هذه الليلة مباركة. وهذا رزق من السماء. والعشاء أفضل من الشاي.
- فضحك إسماعيل:
- ولكن العشاء لن يكون بدلاً من شاي الجلسة المقدس. فضحوكا.
- واصل إسماعيل:
- سنضرب بتعليمات الدكتور صلاح عرض الحائط، وسنشرب شاي الجلسة المقدس بعد العشاء مباشرة، وليس بعد ساعتين، حتى لو أتف حديد الطعام وحوله إلى خشب! فانفجروا ضاحكين... تركوا كراسي الصالون العتيق مبهجين وجلسوا على السجادة.
- تبسم الغرباوي:
- أضحك الله سنك يا أخي إسماعيل. واعذروني لتناول الطعام على الأرض لعدم وجود سفرة. وأنذركم بحديث الرسول -عليه الصلاة والسلام- ((نحن قوم نأكل بأرض)).
- فأوّلما صلاح ناحية الغرباوي:
- ـلكن الإسلام لا يمنع السفرة.
- ـنعم، يا أخي. إن أمر الإسلام أوسع مما نظن. والمائدة أريح للركب من الجلوس على الأرض.
- قال علي عبد المنعم:
- ـمن السنة أن نتحدث أثناء تناول الطعام.
- تساءل طارق:
- ـما رأيك يا أخي سعيد أن تقدم صورة من شهادة الدبلوم لمكتب القوى العاملة؟
- فابتئس سعيد وهو يرد:
- ـلقد ذهبت إليهم فقالوا لي بأنه قد توقف تعيين المهندسين منذ الستينيات، أما أصحاب الشهادات الثانوية الفنية... فلم يكمل جملته لأن صلاح الشيمي قاطعه:
- ـهؤلاء لم يُعينوا منذ أيام الملك فاروق!
- فضحوكا.
- فقال إسماعيل ضاحكا:
- ـوربما منذ أيام الملك فؤاد!
- فضجعوا ضاحكا.
- قال الغرباوي ضاحكا:
- ـيعني منذ أيام جدك الزامل!...

-11-

في حجرة الأطباء وقبل بداية العيادات، كان الدكتور صلاح الشيمي يقرأ أشعاراً أجنبية عالمية، وفي أحيان قليلة جداً، أشعاراً عربية. وأحياناً تكون الأشعار في نهاية حوار الصباح، أو لا يكون هناك موضوع للحوار فتكون الأشعار هي لب الحوار...
والليوم لم يكن هناك موضوع للنقاش أو الجدال الصباحي، فطلب منه الدكتور مجدي النحال أن يتحفهم بقصيدة من جرaby الشعري. فأخرج صلاح دفتره الشعري والذي يحمله معه في حقيقته كما يحمل عدسة مكرونة وبعض الآلات الطبية للفحص.

امتد الصمت في الحجرة وتمطى لسماع صلاح. وبدأ يقرأ بصوته المؤثر:

ـ عندما عشنا سوياً

على الصخور قديماً

حيث ينساب الماء

والغابة تهتز

في منزل يجاور الغابات

كان عندها عشر سنين وثلاثون عندي

وأنا دنياها كنت

آه، كعشب معطر

تحتأشجار ممتدة وخضراء

لقد صنعت مصيري المزدهر

عملي خفيف وسمائي زرقاء

عندما قالت لي: أبي

صرخت من قلب: يا الله

عبر رؤاي التي لا تحصى

سمعت كلامها المنتشي

وجبهي استضاعت في الظلام

من ضوء عينيها

كان لها سمت الأميرة

حينما أمسكتها بيدي

بحثت عن الزهور بلا انقطاع

والقراء في الدروب

فقالوا له: من هذا الشعر؟ فرد عليهم مبتسمًا:

ـ قصيدة: "شمس عشقى" لفيكتور هوجو.

ـ فانطلقو يتناقشون في معانيها...

-12-

كانت نجوى تتلفع برداء الهموم والأحزان... .

قال طارق في نفسه:

الله يخرب بيت الجواز العرفي واليوم الذي تزوجنا فيه.

لم رداء الحزن هذا الذي تردينه يا حبيبتي؟

ردت بحزن:

لا تقل حبيبتي، فلو كنت حبيبتك حقا لسألت عنِّي!

فسألها ببرود:

كيف أسأل عنك؟ وبأي صفة أسأل أهلك؟ زميل؟ حبيب؟ أم زوج من الزواج العرفي؟

والدي سيكرهك بمجرد رؤيتك بتدينك الزائف!...

لابد أن نتزوج يا نجوى بأي شكل...

تعالى وقابل أبي واحتسبني منه.

لا أستطيع يا حبيبتي. ظروفي صعبة. الأفضل أن نتزوج عرفيا مثل كثير من زملائنا. أنا غير

قادر على البعد عنك. أنا بحبك قوي قوي يا نجوى...

يا حبيبتي يا طارق.

أرجوكِ. وافقني. ولنترك على الله...

بكِ نجوى وهي تجتر الذكرى...

اصطعن طارق التأثر بيكيائهما:

لماذا هذا البكاء يا حبيبتي؟

أجابته بصوت بالكِ:

لو مث أثناء الإجهاض ما نبض قلبك نبضة حزن!

دبت السعادة في قلب طارق...

هل أجهضت حفا؟ يا رب تكون قد أجهضت وتخليتنا من كابوس الحمل... يا رب... يا رب...

لولا أنني معتقد أن الأغاني حرام لذكرتك بأغنية عزيزة جلال (سامحتك كثير).

ثم تسأعل بتلهف شديد:

هل تم الإجهاض حفا؟

ردت نجوى وهي ترمي بشعاع من الضيق والغضب:

لا تفرح كثيرا. إن الإجهاض لم يتم لأن أكثر من طبيب أكدوا بأن الإجهاض فيه خطورة على

حياتي.

ولكن الكثيرات أجهضن بلا خطورة.

فعبست في وجهه:

-أخفض من صوتك. نحن لسنا وحدنا في الكلية.

فرد في صوت خفيض:

-اطمئني. فأكثر من نصف الدفعه متزوجون عرفيا، ويفكر باقي الدفعه في هذا الزواج! ولكن

أخبريني لماذا غبت الفترة الماضية؟

- كانت حالي النفسية سيئة جدا، وخاصة بعد تأكيد الأطباء لخطورة الإجهاض على حياتي؛

فأخذت راحة حتى تهدأ أعصابي.

كان طارق يتمنى أن تخبره بإجهاضها، ولكنه أصيب بخيبة أمل شديدة...

"الحب... الرغبة الجنسية تنفجر داخلي... أريد أن أعيش في الحلال... أخي حسن... أخيتني...

الفقر... العادات والتقاليد... بساطة الزواج في القرن الإسلامي الأول... الزواج العرفي له

مشاكل عويصة... حلال أم حرام؟!... أين موافقةولي أمر الزوجة...؟"

خرج طارق من شروده على صخب زميله سمير وزوجته من العرفي أيضا. رانا حيث

تساءلاً:

-ما هذه الكآبة؟ هل تفرجتما على فيلم هندي حزين؟!

أجبت نجوى بحزن:

ـيريد أن أجهض.

فتساءلت رانا باندهاش:

ـلماذا لم تتجنبنا الحمل؟

ـوتحمس سمير:

-الواقي الذكري يا جماعة أفضل وسيلة.

ـطرز الخجل وجه نجوى ورانا.

ـوأصل سمير بالحماس نفسه:

-ليس بين الأزواج حرج. وكما قال لنا شيخنا طارق: "إن للمرأة سبعين ثوبا من الحياة، فإذا

تزوجت زال عنها تسعة وستون ثوبا، فإذا زنت زال عنها السبعون".

ـفصحح طارق:

ـهذا ليس قوله، إنما قول الإمام الشافعى.

ـثم تسأعل:

ـوما العمل الآن في الحمل؟

ـأجابته رانا:

ـتفعلا كما فعلنا نحن.

ـفسألها طارق بعينيه:

ـبأن تخبرنا أهلكما.

-وهل استقبل أهلك الخبر بهدوء؟

-والدي رجل عملي كما هو رجل أعمال. ولقد اتفق مع سمير بإعلان الخطبة الآن وإعلان الزواج بعد التخرج.

فاندھشت نجوى:

-إعلان الزواج العرفي؟!

فتبتسم سمير:

-ما هذه السذاجة يا نجوى؟ المقصود إعلان الزواج العادي.

قال طارق بحيرة:

-لكنني لا أستطيع أن أخبر أخي حسن. ونجوى لا تستطيع أن تخبر أهلهما أيضا.

ثم هتف وهو يهز يديه بقوة:

-فالإجهاض هو الحل.

قالت نجوى:

-والدي رجل ليبرالي ويستطيع أن يتقبل الزواج العرفي ولكنه يريد أن يكون الزوج رجلاً بمعنى الكلمة ويتحمل المسئولية بشهامة ورجلة.

تدفق الدم في وجه طارق ولم يعلق...

أوما سمير رأسه ناحية طارق مداعباً:

-الكرة في ملعبك الآن ياشيخ طارق.

ازدر طارق ريقه ولم يرد...

مرت بجوارهم مظاهرة صاحبة، فقال طارق بحماس مصطنع ليشتت تركيزهم عن الحديث عن الزواج العرفي وتحمل المسئولية والشهامة والرجلة:

-المظاهرة خرجت في كل الجامعات بسبب دعوة كلينتون لانعقاد مؤتمر للسلام في أوهابو.

علق سمير:

-عسى أن تصل الرسالة إلى كلينتون ليوقف نزيف الدم في البوسنة.

وأعقبه طارق:

-ألا يكفي الغرب ثلاث سنوات من التلذذ بالفرجة على مجازر المسلمين في البوسنة!

فاحتذت رانا:

-وهل فعلت الدول المسلمة شيئاً؟!

أجابتها نجوى وهي تتناسى أحزانها وحملها:

-اكتفت بالفرجة أيضاً!

فتهكم طارق:

-ولكن بلا تلذذ!

وسخر سمير:

-والأم المتحدة لم تفعل شيئاً واكتفت بالفرجة مع المشاهدين!

وأعقبته نجوى:

-الصرب يأخذون جنود الأمم المتحدة رهينة عندهم!

وأعقبتها رانا غاضبة:

-هذه فضيحة للأمم المتحدة!

قال طارق وقد سعد باندماجهم في هذا الحديث:

-حتى أمريكا سكتت ثلاثة سنوات تتفرج حتى تثبت للعالم أن أوروبا لا تستطيع أن تفعل شيئاً

لوقف الحرب الدائرة على أرضها!

وبسخرية:

-وها هي تدعو رؤساء البوسنة وكرواتيا والصرب لعقد مؤتمر السلام على أرضها وليس في

أوروبا!

قال سمير متھکما:

-أمريكا تريد أن تقول: "إنها إذا أرادت شيئاً أن تقول له كن فيكون!"

فتساءلت نجوى في ضيق:

-هل سنكتفي نحن أيضاً بالفرجة؟

فردت عليها رانا في حماس:

-هيا بنا نلتحق بالمظاهره وننهتف معهم...

-13-

كان الانتداب في أغلب منشآت وزارة الصحة لا يخضع للشفافية، إنما تتدخل فيه العلاقات الشخصية والأهواء! وكان الدكتور صلاح الشيمي من الأطباء الذين ظلموا كثيراً من الانتدابات الكثيرة والمتكررة والمملة والمعطلة أحياناً لعمل الطبيب في عمله الخاص الذي لا يستطيع أن يتخلّى عنه طبيب في المحروسة بسبب هزالة مرتب وزارة الصحة! بل أغلب موظفي الحكومة المصرية يعملون عملاً ثانياً بعد الظهر لكي يحاول أن يحيا حياة كريمة بقدر الإمكان. فنظام ثورة يوليه 1952 وحكوماته المتعاقبة دمرت الطبقة الوسطى تماماً!...

دخل الدكتور صلاح الشيمي على مدير المستشفى حاملاً خطاب الانتداب إلى مستشفى الزاوية الحمراء.تساءل غاصباً:

-لماذا هذا الانتداب الآن يا دكتور سليم، ولم أعد من انتداب مستشفى الخليفة إلا منذ شهرين فقط؟!

رد المدير ببرود:

-لست وحدك المُنتدب إلى مستشفى الزاوية، معك طبيان آخران.

-ولكن توزيع الأطباء على الانتداب غير عادل!

رشق سليم صلاح بعينيه:

-ماذا تقصد؟

-إن عدد أطباء المستشفى حوالي 150 طبيباً، ومع ذلك يوجد بيننا من لم يُنتدب ولا مرة!

تبسم المدير ابتسامة باردة، وقال في سره:

طبعاً، أنت عارف السبب يا شيمي ولكنك (تستعطف) عليّ... تدعى الاستقامة الكاذبة...!

-إن الانتداب يُوزع على أطباء المستشفى، ولكن أخبرني عن اسم طبيب لم يُنتدب ولا مرة؟

-الدكتور سامي حليم.

ضحك المدير ضحكة عريضة:

-إن سامي حليم مثل السمك في الماء، فإذا خرج من الحوض المرصود فإنه يموت!

تبسم الشيمي ساخراً:

-يعني سيادتك تريد أن تقول بأن سامي حليم (مائي)، وبقية أطباء المستشفى (برمائيون)!

ضحك سليم مقهقاً متقدراً.

قال الشيمي في نفسه:

لا أضحك الله سنك. وكاد أن يقول: "الله يخرب بيتك وبيت سامي حليم معاً".

وبعد أن شبع المدير قهقهة، تفرس في عيني صلاح:

-أحمد ربك. أنت مُنتدب إلى مستشفى عام، ولم تُنتدب إلى وحدة الإسعاف، والتوبتجية فيها تتغير

كل 8 ساعات على مدار 24 ساعة، يعني (برنجي وشنجي وكنجي).

وبابتسامة مزيفة:

-ويا سيدى، مستشفى الزاوية قريبة من سكنك في شبرا.

دخل الأطباء: أحمد إسماعيل، وحكيم نخلة، وعليه علي، ومجدى النحال، وابتسام عوض الله، ثم دخلت مدام سعدية سعد مدير شئون الموظفين. أراد صلاح أن يشارك الحاضرين في مشكلته فربما يُلغى هذا الانتداب الجائز.

-أيها الزملاء، الدكتور سليم مصمم على أن تنتدب دائماً. وكأنه لا يوجد طبيب في المستشفى غيري!

فنظر سليم إلى الأطباء:

-المديرية هي التي ترشح الأسماء.

ثم عضضت سعدية رأى المدير:

-يأتينا قرار المديرية شهرياً وفيه أسماء المرشحين للانتداب.

حدج الدكتور أحمد إسماعيل كلاماً من سليم وسعدية وقال:

-ولكن المديرية المصنونة تقر الأسماء بناء على الترشيح الصادر من المستشفيات. فكل مستشفى أدرى بأحوال أطبائها ومنْ هو الذي تسمح ظروفه للانتداب. فربما يكون طبيب في

أجازة مرضية طويلة، فهل ستترشحه المديرية وتستدعيه من أجازته المرضية؟!

بُهت المدير وسعدية ...

قال صلاح:

-الدكتور سليم يعلم أن مستوانا العلمي ينخفض بمجرد بعدها عن المستشفى.

وقال حكيم نخلة:

-حقاً يا دكتور صلاح، لأن الحالات النادرة، وحالات¹⁰ atypical presentations نفقدناها ويهبط مستوىنا بمجرد بعدها شهراً واحداً عن الحوض المرصود.

هزت الدكتورة ابتسام عوض الله رأسها موافقة لرأي الدكتور حكيم:

-وخاصة أن المستشفيات الأخرى لا يوجد بها حالات جلدية ذات قيمة.

ووافقها الدكتور أحمد إسماعيل:

-حتى أساتذة الجامعات حريصون على حضور الكونسلتو الأسبوعي هنا حتى يحافظوا على مستوى علمي.

قال الدكتور مجدى النحال:

-الحق أتنا أحياناً نعاني من بعض الانتدابات، وخاصة أن إدارة بعض المستشفيات التي تنتدب إليها لا تفرط فيها بسهولة للعودة إلى هنا بعد انتهاء فترة الانتداب.

فرد عليه الشيمي ساخراً:

-مكافأة لنا على جهذا!

¹⁰ الأمراض التي تظهر بصورة شاذة غير صورتها المألوفة

فاندشت سعدية:

-كيف يحدث هذا؟ إنه انتداب وليس نقلًا

وتساءل المدير:

ما هذا التضامن مع الدكتور صلاح؟ هل هو أول طبيب سينتدي؟ ومع ذلك يمكن المحافظة على المستوى العلمي، لأن العمل في مستشفيات الانتداب يكون عادة يوم بعد يوم، ويمكن للطبيب أن يأتي هنا في اليوم التالي من العمل، ويحضر الكونسلتواليومي بعد عيادات الصباح بالإضافة إلى حضور الكونسلتو الأسبوعي مع أستاذة طب القاهرة وعين شمس.

فهز مجدي النحال رأسه موافقاً:

-هذا كلام جيد جدا يا سيادة المدير، ولكن لا ينطبق على كل المستشفيات والوحدات التي ننتدب إليها.

ثم سأله:

-وأين العدالة في التوزيع العادل للانتداب؟

فاختدت الدكتورة عليه:

-إنها عدالة مواعدة!

ثم أردفت:

-المفروض أن يكون الانتداب للأخصائيين الجدد أو للذين بوظيفة مساعد أخصائي.

فردت عليها الأستاذة سعدية:

-الانتداب يكون حتى الدرجة الثانية من السلم الوظيفي بغض النظر عن العمر.

قال الدكتور أحمد إسماعيل:

-ويجب أيضا يا مدام سعدية، أن يُوزع بجدول دوري بدون أي شبهة ظلم لأحد.

فاختدت المدير:

-هو صلاح أحضركم كمحامين له، أم أنتم عملتم (رباطية) مع بعض!

فاشتاطت عليه:

-ما هذا الهراء الذي تقوله يا دكتور سليم؟! رباطية!!

وغم أكثر من طبيب لاعتراضهم على كلام سليم...

غضب صلاح:

يا جماعة، لقد عُدت من انتداب مستشفى الخليفة منذ شهرين فقط. حرام هذا الظلم.

قال حكيم بهدوء ليطفئ شرر النار التي تستعر:

-العدل أساس تقدم الأمم، يا سيادة المدير. ونحن نعرض على كلامك.

رشق أحمد إسماعيل المدير بنظرات نارية:

-أنت تعلم يا دكتور سليم، أن كثيرا من أطباء المستشفى لم ينتدوا ولا مرة. وكثير منهم لم يدخلوا عيادات الصباح المجانية ولا مرة. ومنهم من يجلسون في مجالس النمية الصباحية

يحتسون القهوة وهذا هو دوامهم اليومي. والجبيعة الكبرى أنه يوجد أطباء لا نراهم إلا حينما نتسلم الراتب الشهري !

قالت سعدية لتهدا النار المتأججة في النفوس:

-يا جماعة، اهدعوا. يا دكتور أحمد، لا داعي لهذه العصبية.

تهكم النحال:

-مجموعة الأطباء الأخيرة تذكرنا ببعض المجندين الذين لا يأتون وحدتهم إلا في آخر الشهر ليتسلّموا الراتب ! جنود مرفهون أصحاب الوسائل الكبرى.

وأكملت عليه بالتهكم نفسه:

-والعزائم الصغرى !

تدخل سليم للتهedia:

ـيا دكتور أحمد، عدد أطباء المستشفى أكبر من المطلوب لقوة العمل، فعدد عيادات الرجال أربعة ومثلهم عيادات النساء. فلو وضعنا 10 أطباء لكل عيادة -وهذا عدد كبير للعيادة الواحدة- فستكون قوة العمل المطلوبة 80 طبيباً، وهذا هو العدد المناسب لقوة عمل المستشفى.

ـأو ما تدّام سعدية برأسها ناحية الدكتور صلاح وأكملت ما قاله المدير:

ـوحينئذ، لن تأتي قرارات كثيرة من المديرية للانتداب، لأن قوة عمل المستشفى تتناسب طرديا مع ...

فضحكت لأنها لم تستطع أن تكمل الجملة.

فأسعفتها الدكتورة ابتسام عوض الله:

ـتناسب طرديا مع قوة الأطباء الحقيقة الموجودة بالمستشفى.

فضحكت سعدية:

ـشكراً يا دكتورة ابتسام، لقد أنقذتني في الوقت المناسب.

ـثم استطردت وهي تبتسم:

ـالمشكلة الكبرى أنني بليدة في الرياضيات، فحينما كنت في كلية التجارة سألني أحد أساتذة الاقتصاد ما هو حاصل ضرب 7×9 ؟ فظلت برهة من الزمن وأنا متربدة في الرد، وأخيرا قلت له: 63، ولكن أذعرني لقد كنت في الثانوية العامة أدبي !

ـفانفجرت الحجرة ضحكاً. أعقبت:

ـأستاذ الاقتصاد ضحك أيضاً.

ـوبابتسامة عريضة:

ـولكنني الآن نسيت جدول الضرب كله.

ـفضحك الأطباء.

ـقالت الدكتورة ابتسام بابتسام:

ـبعد العيادات الصباحية، سوف أعطيك درساً خصوصياً في حفظ جدول الضرب ...

-14-

على الدَّرَجِ، اشْتَكَى أَحْمَدُ الْغَرْبَاوِيُّ لِلْدَّكْتُورِ سَامِيِّ حَلِيمِ -السَاكِنِ فِي مَنْزِلِ الْغَرْبَاوِيِّ- عَنْ كُثْرَةِ اِنْتَدَابِ الدَّكْتُورِ صَلاحِ الشَّبِيمِيِّ... تَبَسَّمَ سَامِيًّا:

-الدَّكْتُورُ صَلاحُ لَا يَعِيشُ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَعْرِفُ كَيْفَ يَسْوِي أَمْوَارَهُ جَيْدًاً. أَلَمْ يَسْمَعْ عَنِ الْهَدَىِّا التَّيْ نَعْطِيهَا لِلْمَدِيرِ حَتَّى نَسْتَرِيحَ مِنْ كَدْ وَعَنَاءِ سَبِيلِ الْإِنْتَدَابِ الَّذِي لَا يَنْتَهِي أَبَدًا؟ فَهُنَاكَ اِنْتَدَابٌ لِمَسْتَشْفِيِ الْخَلِيفَةِ، وَلِمَسْتَشْفِيِ الْمَنِيرَةِ، وَلِمَسْتَشْفِيِ مَنْشِيَّةِ الْبَكْرِيِّ، وَلِأَمَانَاتِ أُخْرَى كَثِيرَةٍ... وَهَذَا اِنْتَدَابٌ مُتَكَرِّرٌ بِاسْتِمرَارٍ...

فَسَأَلَهُ الْغَرْبَاوِيُّ:

-وَلِمَاذَا أَطْبَاءَ مَسْتَشْفَاكُمْ هُمْ هُدُوفُ الْمَدِيرِيَّةِ لِلِّإِنْتَدَابِ؟

-لِأَنَّ الْمَدِيرِيَّةَ تَنْظُرُ إِلَى عَدْدِنَا الْمِائَةِ وَالْخَمْسِينَ.

-يَعْنِي قُوَّةُ الْأَطْبَاءِ أَكْبَرُ مَا تَحْتَاجُهُ الْمَسْتَشْفِيُّ!

-نَعَمُ، وَلَا حلُّ عِنْدِ الْمَسْؤُلِيَّنَ بِالْمَدِيرِيَّةِ إِلَّا اِنْتَدَابِنَا.

فَقَسَاعَلَ الْغَرْبَاوِيُّ مُنْدَهِشًاً:

-وَلَكِنْ لِمَاذَا تَعِينُوكُمُ الْمَدِيرِيَّةُ وَالْعَمَلُ لَا يَحْتَاجُكُمْ؟

تَبَسَّمَ الدَّكْتُورُ سَامِيُّ وَهُوَ يَجِيبُ:

-لِأَنَّ أَغْلَبَنَا تَعِينُ فِي الْحَوْضِ الْمَرْصُودِ بِالْوَاسْطَةِ!

ضَحَّكَ الْغَرْبَاوِيُّ:

-يَعْنِي (الَّلِي مَعَهُ وَاسْطَةٌ يَرْكِبُ الْوَاسْطَةَ)！ يَبْدُو أَنَّ الْمَوْضُوعَ شَيْقٌ. هِيَا بَنَا نَحْتَسِيِ الشَّايِ عَنْدِي. وَأَثْنَاءِ اِحْتِسَاءِ الشَّايِ، تَسَاءَلُ الْغَرْبَاوِيُّ:

يَا دَكْتُورُ سَامِيُّ، هُلِّ الْمَسْتَشْفِيَّاتُ الَّتِي تُنْتَدِبُونَ إِلَيْهَا تَحْتَاجُ إِلَيْكُمْ؟

-أَحْيَانَا نُنْتَدِبُ إِلَى مَسْتَشْفِيَّاتٍ لَا يَوْجِدُ بَهَا أَخْصَائِيَّ جَلْدِيَّةٍ وَتَنَاسِلِيَّةٍ.

يَعْنِي إِسْرَافٌ هُنَا وَتَقْطِيرٌ هُنَاكَ！

سُوءُ تَوزِيعِ نَتْيَجَةِ (الْوَاسْطَةِ)！

شَيْءٌ عَجِيبٌ. تَرْضُخُ مَدِيرِيَّةُ الصَّحَّةِ لِضَغْطِ أَصْحَابِ الرُّفْعَةِ وَالسَّعَادَةِ؛ فَتَعِينُ أَطْبَاءَ لِمَكَانٍ مَكْتَظٍ بِالْأَطْبَاءِ، وَتَنْتَرُكَ مَسْتَشْفِيَّاتٍ أُخْرَى بِلَا أَخْصَائِيَّ جَلْدِيَّةٍ!

-الْأَطْبَاءُ حَرِيصُونَ، يَا أَسْتَاذَ أَحْمَدَ، عَلَى التَّعِينِ فِي الْحَوْضِ الْمَرْصُودِ حَتَّى يَتَقْنُوا تَخْصِصَ الْجَلْدِيَّةِ وَالْتَّنَاسِلِيَّةِ جَيْدًاً. وَهَذَا هُوَ الَّذِي أَدَى إِلَى هَذَا الْوَضْعِ الغَرِيبِ.

-وَلِمَاذَا لَا تَنْشِئُ الْوَزَارَةُ مَسْتَشْفِيَّ جَلْدِيَّ فِي كُلِّ مَحَافَظَةٍ؟

ضَحَّكَ سَامِيُّ وَأَجَابَ:

-الْإِنْجِلِيزُ حِينَما كَانُوا مُحَتَلِينَ مِصْرَ هُمُ الَّذِينَ أَشَيَّنُوا مَسْتَشْفِيَ الْحَوْضِ الْمَرْصُودِ عَامَ 1901، وَلَيْسَ وزَارَةُ الصَّحَّةِ.

-تريد أن تقول بأن مستشفى الجلدية الوحيد في مصر لم تنشئه وزارة الصحة.

رشف الغرباوي رشفات من الشاي بدون صوت كعادته ثم قال:

-لقد سمعت من الدكتور صلاح أن المستشفى أنشئت لكي تعطي تراخيص طبية للداعرات.

ضحك سامي قائلاً:

لكي يمارسن الدعارة على نظافة، ولا يُصاب جنود الجيش الإنجليزي المحتل بأمراض تناسلية.

فتبيسم الغرباوي ساخراً

-ولكن الدعارة ثمارس الآن بدون هذه النظافة!

ضحك سامي وهو يقول:

-لقد أتت إلينا في المستشفى امرأة ساقطة مصابة بالزهري، فأخبرتنا بأنها تمارس بما لا يقل عن

ثلاثة عشر لقاء في اليوم الواحد مع طالبي المتعة.

تساءل الغرباوي متعجبًا:

-وكيف تجد وقتاً لكل هؤلاء الزبائن؟!

-العجب أن لها لا تمارس الدعارة في بيتها، ولكن في أماكن الزبائن.

فضحك الغرباوي وهو يقول ساخراً "أكيد أن لديها قناعة في دورها القومي في حل مشاكل

الجنس!"

فقه سامي:

-ليس للمصريين فقط، ولكن للزائرين العرب كذلك!

ـربما تقوم بحل مشكلة الوحدة العربية نيابة عن السياسيين والزعماء الفاشلين...!

ـلا يوجد أعظم من الجنس لحل أي مشكلة.

ـحقاً ما تقول يا دكتور سامي. والجنس أيضاً هو سبب كثير من المشاكل والمعضلات والطلاق

أيضاً!

تعجب سامي وتساءل مع نفسه:

ـهل هذا الرجل البسيط يريد أن يخبرني أنه قرأ عن فرويد مثلاً؟

ـوبعد أن رشف الغرباوي عدة رشفات أخرى من كوب الشاي، قال في خبث:

ـمن المؤكد أن هذه الداعرة لو عملت في أي مصلحة حكومية لا تُنتدب منها أبداً!

احمر وجه سامي وتصهد...

ـماذا يريد أن يقول هذا الرجل؟ من المؤكد أن الشيمي أخبره عن عدم انتدابي.

قطع الغرباوي حبل أفكاره قاتلاً وقد طبع على شفتيه ابتسامة ماكرة:

ـولكني سمعت أنك لا تُنتدب أبداً يا دكتور سامي!

رد سامي بعدما ازدرد ريقه الذي جف:

ـفعلاً، أنا لا أُنتدب؛ والسبب يا أستاذ أحمد، أنني أعطي دم قلبي من الهدايا والمكوس حتى أظل

بالمستشفى.

فتساءل الغرباوي والابتسامة الماكراة مازالت لا تفارقه:

-ولكن أليست هذه رشوة؟!

تصبغ وجهه سامي باللون القرمزي وتتسارعت نبضات قلبه، فرشف رشفات ليغطي على
انفعالاته وقال:

-إن ديني يمنعني من الرشوة.

فقطاعه الغرباوي:

-لا يوجد أي دين ولو دين وضعى يدعوه إلى الرشوة.

استطرد سامي:

-أخبرني بربك، كيف أديرك عيادتي الخاصة؟ والانتداب ما هو إلا تعطيلًا لكل شؤوننا. فالوزارة
 تعالج -بالانتداب- خطأ بخطأ آخر...!

ثم استرسل:

يوجد الكثير من أطباء المستشفى لا ينتدبون أبداً، وهؤلاء لابد وأن يقدموا المكوسر في
المناسبات المختلفة، مثل عيد ميلاد المدير، نجاح أبناء المدير في الدراسة، فوز الأهلي على
الزمالك...! ألم يسمع صاحبك عن جنيهات الذهب التي تُقدم إلى كبار الموظفين المرموقين في
المديرية؟!

و قبل أن ينصرف، قال:

-يا أستاذ أحمد، يوجد أطباء عندنا لا يأتون المستشفى إلا يوم استلام الراتب الشهري...

-15-

- "قابلني يا علي في أرض الجمل... في أرض الجمل... أرض الجمل... أرض...
الجمل... الجمل... الجمل..."
استيقظ علي من النوم وأنفاسه تلهث، والعرق الغزير ينصب من جبهته... من. هذا الرجل
الوقور؟ من. هذا الرجل الوقور؟!...
هل هو ولی من أولياء الله؟
هل هو نبی؟
هل هو ملأک؟
هل هو شیطان؟!
فإذا كان ولی أو نبی أو ملک، فلماذا أقبله في أرض الجمل؟ وهي أرض فضاء محصورة بين
السکة الحديد يلعب الشباب فيها الكرة. فلماذا لا يكون اللقاء في مسجد؟!
وإذا كان شیطان، فلماذا يأتي في صورة طيبة مهيبة؟ هل هو خداع من الشیطان؟!
هل يوجد خطر على حیاتي؟
هل هي أضغاث أحلام؟
أم ماذا؟!...

-قابلني يا علي يا بن عبد المنعم غداً بعد صلاة العشاء في أرض الجمل.
-من. أنت يرحمك الله؟
-أنا عبد من عباد الله.

-كلنا عباد الله. ولكن هل أنت ملك من ملائكة الله؟

-قابلني يا علي يا بن عبد المنعم غداً بعد صلاة العشاء في أرض الجمل.
-هل أنتنبي؟

-قابلني يا علي يا بن عبد المنعم غداً بعد صلاة العشاء في أرض الجمل.
-هل أنت ولی؟

-قابلني يا علي يا بن عبد المنعم غداً بعد صلاة العشاء في أرض الجمل.

إنه يعرف اسمي واسم أبي. أنا في حيرة يا ربى. أهدنى يا ربى. أرشدى يا ربى...
من. هذا الرجل؟ هل أقبله؟ هل أقبله بمفردي أم أخبر الأخوة ليحضروا معي؟ ماذا أفعل يا
ربى؟

الأمر أمرك يا رب. الصانع هو أنت يا رب. كل شيء بقضاءك...
نام علي مرة ثالثة فرأى الرؤيا نفسها...

-"قابلني يا علي غداً بعد صلاة العشاء في أرض الجمل... يا علي... لا تخبر أحداً بهذا اللقاء..."

ظل علي يذكر الله ويطلب منه العون. وفي آخر الأمر، عزم أن يصلّي العشاء غداً في المسجد المقابل لأرض الجمل من جهة شارع أحمد حلمي، ثم يصلّي ركعتين استخارة، ويتوكّل على الله، ويقابل رجل الرؤيا...
ثم نام بعد هذا العزم وهذه النية، فلم ير الرؤيا للمرة الرابعة.

-16-

كان الأستاذ إسماعيل عبد الفتاح يعاني من عقم مزمن ولم تحمل زوجه روحية خالد ولا مرة منذ زواجهما منذ أكثر من سبعة عشر عاما. لم يفكر إسماعيل أن يتزوج من امرأة أخرى لتجب له ولـي العهد حتى لا يغضب روحية. وضرب كلاهما أروع مثل في الرضا بقضاء الله وقدره... وكان الحب هو أقوى رباط بينهما...

زاره الدكتور صلاح الشيمي وزوجته زبيدة رمزي ليقفوا على آخر ما وصلت إليه حالتهما.
قالت روحية:

-جلدي يجف كثيراً في الشتاء يا دكتور صلاح.
فرد صلاح مبتسمًا:

-سأحضر لك من المستشفى مرهم أكسيد زنك، وهو مفيد جداً في ترطيب الجلد.
سألت زبيدة روحية وهي تشير إلى بطنهما:

ـما أخبار الحمل وتحاليله؟

ـلقد تعينا من كثرة الفحوصات وكلها بلا فائدة.

ـيا أختي، يجب ألا ن Yas من رحمة الله.

ـونعم بالله.

فتقهكم إسماعيل:

ـالعجب في حالتنا أن الأطباء أجمعوا على أننا سليمان!

فتقبسم صلاح:

ـتوجد حالات يكون كلا من الزوجين سليمين، ولكن الزوجة تكون أجسام مضادة ضد الحيوانات المنوية للزوج.

فرد إسماعيل:

ـعملنا تحاليل الأجسام المضادة وكانت سلبية.

ـربما يكون كلا منكما **subfertile**، يعني معدل الخصوبة أقل من الطبيعي.

ـوقال في سره:

ـولو تزوجت يا إسماعيل من امرأة أخرى سليمة لأنجبت، وكذلك الحال مع روحية.

ـثم تسأعل ضاحكا:

ـما أخبار آخر الفحوصات مع الطبيب رقم ألف أو أكثر والذي تتبع معه؟

ـفأجاب إسماعيل:

ـالفحوصات أثبتت أن الخصوبة عندنا طبيعية.

ـكاد صلاح أن يقول: الآية الكريمة: {وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا} ¹¹.

¹¹ جزء من الآية 50 من سورة الشورى

ولكنه تساؤل:

-هل تم عمل أشعة تلفزيونية جديدة على الخصيتين؟

-نعم، وأخبرني الطبيب أنه لا توجد دوالي كما كان من قبل.

ثم سأله الدكتور صلاح روحية:

-هل الدورة الشهرية منتظمة كما كانت من قبل؟

نعم، والله الحمد.

فسألت زبيدة روحية:

-ألم تجربوا عسل النحل وغذاء ملكات النحل وخاصة أن الآية الكريمة تقول: {فيه شفاء للناس}؟¹²

-لقد جربنا وصفات شعبية كثيرة، ولكن بلا فائدة.

وبسخرية وتهكم:

-لقد جربت كل شيء، حتى الخزعبلات جربتها، وأنا المثقفة مدرسة العلوم!

فضحكت زبيدة وتساءلت:

-وما هذه الخزعبلات؟!

-لقد أخذت الهيكل العمسي من أم علي عبد المنعم، ومررت عليه سبع مرات.

فضحك صلاح:

-هذا الأمر شائع جداً، وربما له خلفية علمية.

فضحك إسماعيل متسائلًا:

-وما هذه الخلفية العلمية يا دكتور صلاح؟

-الشعور بالخوف من أي شيء، وخاصة من هيكل عظمي لإنسان ميت، ربما يحسن من خلل ما في الجهاز العصبي، فيصلح خلل التبويض والدورة الشهرية...

قالت روحية:

-كثير من نساء الحي يأخذن هذا الهيكل لكي يحملن.

فتبتسمت زبيدة ضاحكة:

-يجب أن يستفيد الدكتور علي وأمه مادياً من هذا الهيكل العمسي...

¹² جزء من الآية 69 من سورة النحل

-17-

دخل علي عبد المنعم من فتحة سور السكة الحديد -والتي تسمى (شَرْم)- عند محطة محمد فريد بشارع أحمد حلمي. مشى خمسين متراً في عربة الورد ثم صعد درج كوبري الورد ليصل إلى الشرايبة. سار إلى اليمين بجوار سكة حديد الفرز، عابراً بحراً من عشش الذين تهدمت منازلهم وليس لهم مأوى إلا تلك العشش التي لا يصل مستواها المعيشي إلى مستوى عشش الدجاج!...

ترحم علي على أيام الملكية وحكامها (غير المصريين) والتي حدثها عنها الأستاذ محمد الوكيل في بعض اللقاءات وأخبرهم أن شوارع المدن كانت تُكسس وترش بالماء في الثانية صباحاً بل ويرش الجو بالعطور...

أما الآن ونحن نودع القرن العشرين، فإن المصريين يفترشون العبراء والإسفلت وتحت الكباري والعشش وحتى المقابر، ويلتحفون بالسماء...!!

عبر سكة حديد الفرز حيث لا يوجد سور ثم نزل إلى أرض الجمل. وهي أرض مثلثة الشكل، قاعدها تحت كوبري الورد، وضلعاهما سكة حديد كلا من الوجه البحري والفرز. الأرض رملية. الظلام مطبق لا يبده إلا قيس من نور يأتي على استحياء من مساكن الشرايبة المطلة على السكة الحديد والمشاهدة للموقف في صمت...

الصمت شامل ولا يقطعه إلا صوت القطارات على فترات متباude أو هسيس بعض الأوراق نتيجة دفع الريح.

القمر يسبح في بحار الظلام. النجوم متلائمة، تنظر إلى علي عبد المنعم وكأنها تبتسم له...

النجوم تسخر مني ومن تفاهة الجري وراء خزعبلات الأحلام وأضغاثها... ما التي أتى بي إلى هنا؟

رؤيا؟

أين رجل رؤيا؟!...

ظل علي يقطع أرض الجمل طولاً وعرضاً، ويتألفت يميناً ويساراً. وكلما مر الوقت بلا ثمرة؛ يزداد توتراً واضطرباً، وتتوتر شرایین قلبه، وتلهث أنفاسه وتقرع كأنها الطبول، وتنساقط قطرات العرق من جبينه بالرغم من برودة الجو!...

وأخيراً جلس من الإعياء على حجر وظل يتذكر الرؤيا...

لقد آتاني الرجل الوقور عدة مرات. "قابلني قابلني... أرض الجمل أرض الجمل... الجمل... الجمل... بعد صلاة العشاء"...

أين أنت يا رجل الرؤيا؟ لقد خُدعت! إنه شيطان ملعون! الوغد ضيع وقتى وشغل بالي بالتفاهات... قابلني يا علي يا ابن عبد المنعم في أرض الجمل. ها أنا علي ابن عبد المنعم في أرض الجمل، فأين أنت؟

استعاد على من الشيطان الرجيم، ورتل آية الكرسي وسورة الإخلاص والمعوذتين بصوت
مرتفع، ثم ظل يذكر الله ويسبحه ويمده...
سبحان الله سبحان الله سبحان الله...
لا إله إلا الله...
لا إله إلا الله...
لا إله إلا الله... محمد رسول الله...
تسربت السكينة إليه رويداً رويداً، والتآمت أنحاء نفسه المبعثرة، وهدا قلبه...
فلا يوجد أنس ولا جان. إنها أضغاث أحلام. لقد تزين الشيطان لي بشكل رجل صالح وقور
ليشغلني ويضيع وقتي. ما أنفهني...
حسبى الله ونعم الوكيل...
ثم أخذ نفساً عميقاً، وتوكّل على الله، وقرر أن يغادر أرض الجمل...

-18-

تعتقد بهيجه اعتقاداً شديداً في الوظيفة (الميري) لأنها تمنح الأمان...
تنتاجي مع نفسها:

ربنا يرزقني وظيفة حكومية. يا رب. وربنا يرزقك يا سعيد يا ابني، وظيفة ميري. فالوظيفة الميري أمان وتأمين صحي ومرتب مستمر حتى أثناء الأجازات المرضية والغير مرضية. المرتب مستمر مهما حدث. أما القطاع الخاص، فالعمل فيه يعتمد على صحتنا وقوتنا، فإذا ما أصابنا أي مكره - لا قدر الله- فلن يصرف أي مرتب، ولن تقدم حتى الخدمة الطبية... فحقا "إذا فاتك الميري اتمرغ في ترابه".

بعد تناول العشاء، قالت لسعيد:

-يا ليت تكلم الدكتور صلاح ليبحث لي عن وظيفة في مستشفى الحوض المرصود أو في أي مكان يتبع وزارة الصحة.

امتعض سعيد سألهما في تذمر:

- ولماذا يا أمي، العمل الحكومي ومستوى صفائكم ليس به أساس؟

أنت لا خير فيك أبداً. حتى ربك ناشف! أعوذ بالله. كيف ستجد عملاً لي وأنت فشلت في البحث عن عمل لك؟ مات أبوك مبكراً وترك لك لـ، هموم الدنيا والأخرة.

-أنت تعلم يا سعيد، أن أملبي القديم هو في العودة للعمل في الحكومة بعد استقالتي منها وسفرني إلى السعودية.

-ولكن المستوصف الخيري أكثر راحة في العمل بالإضافة إلى قربه من البيت، أليس كذلك يا أمي؟

-بلی يا سعید، ولكننا نعمل به اعتمادا على ذراعنا وقوتنا وصحتنا، وبالتالي لن يصرف أي مرتب عند حدوث أي مرض لا قدر الله.

ولاتنس أن العمل الطبي الخاص لا يوفر أي تأمين صحي ولا معاش...
تذمر سعيد وصمت ولم يرد.

-الدكتور صلاح رجل محترم، فأخبره وهو سوف يهتم بالأمر.

تذمر سعد أكثر . قال في نفسه :

الله يخرب بيت العمل الحكومي والمعاش والتأمين الصحي في يوم واحد. ماذا أقول للأخوة؟
ابحثوا عن عمل له، وعمل حكومي لأهمي...

-19-

عزف الرياح عزفها الجنوبي. وتفجر البرق في الفضاء. وصرخ الرعد صراخه الخرافي، وضرب بأذرعه السماء ضربات ساحقة؛ فارتجمت رجا عنيفاً، وتفتحت أبوابها فتحاً مجلجاً، وانهال المطر سيولاً مدمراً عاتية... ترك الدكتور أحمد إسماعيل والدكتور حكيم نخلة جلستهما الصباحية تحت شجرة الصفصاف وهرعاً إلى حجرة المدير.

تساءل أحمد إسماعيل وهو يضحك:

-المطر ينزل عادة بعد الظهر، فلماذا هذا التبكير؟

فتبسم المدير ضاحكاً:

-حتى يأتي قبلك، فلا تدعني أنك أول الحضور.

وأتبعه حكيم:

-لقد وقع المطر في دفتر الكون مبكراً، بينما دفاتر المستشفى هاجعة.

والمدير:

-السماء الآن مشغولة بتنزيل الحمولة الثقيلة التي تتواء بطنها بها من الماء.

وأحمد:

-حتى تستريح من الحمل.

فضحكوا.

قال حكيم ضاحكاً:

-وتأخذ نفسها.

وقال المدير والإبتسامة مازلت مطبوعة على شفتيه:

-الإفطار على اليوم حتى نصالح الدكتور أحمد بعد خصم طويل.

فتساءل حكيم:

-والقهوة؟

فضحك سليم وأجاب:

-عليك يا حكيم.

دخل أكثر من طبيب إلى حجرة المدير مسرعين. قال الدكتور مجدي النحال منفعلًا:

-السيول تدمر زنازين الـ¹³sypphilis.

قال المدير:

¹³ مرض الزهي

-لقد استرخنا من هدمها نسبيا لأن الوزير الجديد، أستاذ أمراض جلدية وتناسلية، ومهتم جدا بالمستشفى، ولقد أصدر قرارا بتحويل المستشفى إلى معهد للأمراض الجلدية والتناسلية؛ فكان لابد من هدم زنازين الـ *syphilis*.

فحزن الدكتور أحمد قائلًا:

-ولكنها كانت ذكرى وتاريخا.

فرد عليه الدكتور سامي حنا:

-على العموم، الزنازين كانت مبنى مهجورا منذ اكتشاف البنسلين في الأربعينات، واستغلال مكانها سيعمل على تطوير المستشفى تطويرا مذهلا.

فسؤاله أحمد إسماعيل:

-ما هو هذا التطوير المذهل؟

-بتحويل المستشفى إلى معهد قومي؛ سيتم بناء وحدة جراحات الجلد والتناسلية، وهذا ما تفتقده المستشفى.

-ولكننا لم نتدرّب على إجراء هذه الجراحات. ولا يوجد تخصص تخدير بالمستشفى.

فرد المدير:

-سيتم تدريبنا يا دكتور أحمد. وسيتم توفير كل ما تحتاجه غرفة العمليات إن شاء الله.

قالت الدكتورة ابتسام عوض الله:

-كل أقسام الجلدية والتناسلية بالمستشفيات الجامعية بها وحدات عمليات لجراحات الجلد والتناسلية وهذا يزيد الفرق كثيرا بين مستوانا العلمي والعملي ومستواهم...

وأكّد الدكتور وجدي النحال:

-وهذا هو الفرق في المستوى بين المستشفيات الجامعية ووزارة الصحة.

ثم أردف في سره:

لكن وزارة الصحة شاطرة في الانتدابات!

فتساءل الدكتور سليم:

-ولماذا لا نكون مثلهم؟ وخاصة أن الكثير من أساتذة الجلدية والتناسلية بطب القاهرة وعيّن شمس يحضرون الكونسلتو الأسبوعي هنا.

فرد عليه حكيم:

-عند حق يا سيادة المدير، يجب أن يكون مستوانا مثلهم أو حتى قريبا منهم.

-إن وزارة الصحة تعين دائمًا استشاري للمستشفى من أساتذة الجامعات حتى يرتفع مستوانا العلمي وتتطور مستشفانا، ولكن هذا وحده لا يكفي، ويجب تطوير المستشفى تطويرا كبيرا لأنها المستشفى الوحيد في الدول العربية كلها الخاصة بأمراض الجلدية والتناسلية.

فتساءل أحمد إسماعيل في امتعاض:

-وإذا -لا قدر الله- تغير وزير الصحة، فهل سيكمل مشروع تحويل المستشفى إلى معهد قومي أم سيتوقف بمعادرة الوزير الوزارة؟!
فأجابته الدكتورة علية علي ساخرة:
-غالب ظني أن المشروع سيتوقف، إلا إذا رزقنا الله بوزير جديد متخصص في الجلدية والتناسلية أيضاً!
ان فعل مجدي النحال:
طبعاً، سيتوقف المشروع يا عليه، بمجرد تغيير الوزير لأننا نفقد الفكر الإستراتيجي!
فرد عليه حكيم بحكمته المعهودة:
-فعلاً، يا مجدي. ولننظر إلى الهند كيف بدأت معنا في الستينيات في البرنامج النووي وهي الآن على وشك الالتحاق بالنادي النووي. بينما توقف مشروع صاروخ "القاهر" وصاروخ "الظافر" عند مرحلة الحبو ثم مات!
فضعد أحمد رأيه:
-وجاراتها الباكستان على وشك الالتحاق بالنادي النووي...
فصاحت عليه ساخرة:
-حتى عدوتنا إسرائيل عندها سلاح نووي رادع منذ الخمسينات. وأطلقت أول قمر صناعي تجسسي منذ أربعين. بينما قادتنا السياسيون وعلى رأسهم رئيس الجمهورية يتحدثون في تصريحاتهم وخطبهم عن فضل "الرغيف الطباقي" بعد رفع سعر رغيف الخبز إلى خمسة قروش مرة واحدة!
 وأشار الدكتور سليم على أذنه وقال بهميس:
-الحيطان لها ودان يا دكتورة علية!
فردت عليه بصوت قوي:
-الله يطربها!
فضجت الحجرة ضحكاً...
ظللت الريح تعوي في الخارج والمطر لا ينفك عن ضرب جدران المستشفى بجنون جامح...
دخل الدكتور حمدي علي ذو السابعة والعشرين ربيعاً، والدكتور فوزي نجيب ذو الثلاثة والخمسين ربيعاً، ومدام سعدية سعد، مسرعين.
ضحك المدير قائلاً:
-المستشفى كلها هنا.
فردت سعدية عليه ضاحكة:
-إنحتمي بسيادة المدير من المطر.
فتتساءل أحمد إسماعيل في سره:
ما هذا النفاق الرخيص؟!

قال الدكتور حمدي علي:

-يبدو أننا لن ندخل العيادات اليوم.

وقال فوزي نجيب:

-لن يأتي مرضى اليوم إلا إذا توقف المطر.

وساحرا:

-ولكن أخبرني يا حمدي، هل أنت تدخل العيادات حتى تتحدث عنها؟

-الحال من بعضه يا دكتور فوزي!

فتدخل سليم:

-حمدى عنده ظروف خاصة تجبره لعدم التواجد في العيادات.

فتتساءل فوزي والساخرية قد انزوت في جانب فمه: "وما هي هذه الظروف؟"

فاحتلت علية:

يا فوزي، المدير قال لك عنده ظروف خاصة. فهل من اللباقة أن يذكرها لك على الملا؟

قال حمدي وقد تورد وجهه قليلا: "أنا أذكرها لك يا دكتور فوزي، حتى تكفووا لغطكم حولي".

قالت ابتسام في هدوء:

-دعني أقولها أنا يا دكتور حمدي لأنك منفعل. يا دكتور فوزي، حمدي له ابن يعاني من مرض

C.P.¹⁴، وعلاجه الشهري يتكلف ما يقرب من 5000 ألف جنيه، فمن أين يأتي بهذا المبلغ

ومرتبه 150 جنيه؟

قال فوزي في نفسه:

طبعا، ابتسام تتكلم نيابة عنك. لماذا؟ توجد نظرات حب بينكما على ما يبدو منذ فترة. العيون

أقوى رسول. ولكن ابتسام أكبر منك في العمر بكثير يا حمدي. وأنت فاضي للحب يا رجل...

أكملت مدام سعدية:

-فاضطر أن يأخذ دبلوم تسويق من الجامعة الأمريكية، واشتغل به مندوبا للمبيعات في إحدى

شركات الأجهزة الطبية، بعدها استأذن من الدكتور سليم. ولا يعلم هذا الأمر إلا قليل.

ثم أضافت وهي تشير بيديها:

-والمستشفى -كما تعلم يا دكتور فوزي- بها وفرة من الأطباء.

استطار الشر من عين عليه وهي تقول:

ـيا سيادة المدير، يوجد بعض الأطباء الذين يدخلون العيادات المجانية قبل بدايتها لكي يكتشفوا

على أكبر عدد من المرضى ويخبرونهم -للأسف- بأنهم يحتاجون إلى تحاليل لا تتوفر إلا في

العيادات الاقتصادية!

قال فوزي في نفسه: "تركتم موضوع حمدي لتهاجموني".

الشلل الدماغي C.P.=Cerebral Palsy ¹⁴

فأكمل أحمد إسماعيل:

-وحين تأتي الساعة التاسعة، إذا بهؤلاء الأطباء ينصرفون، ولا يضعون ورقة التوت على سوءاتهم، ولا يكلّون العيادة مع زملائهم!
وجم المدير لأنه يعلم هذه الحقائق، ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً.
ولكن أنظار الحاضرين اتجهت إلى فوزي لأنه من أشد الأطباء الذين يفعلون ذلك... فكسر فوزي وجهه وقال بصوته الخشن:

-لماذا تنتظرون إلي؟ فهل أنا الوحيد الذي يفعل ذلك؟ الكثير من الزملاء من يفعل أكثر من ذلك.
ألا تعلمون أن مستشفيات الصحة ستتحول كلها إلى الاقتصادي؟ فالعمليات الجراحية التي كانت تتم بمنتهى السهولة فيما مضى، أصبحت الآن تتم عن طريق استخراج قرار علاج على نفقة الدولة. وأنتم تعلمون المهازل والذل في استخراج هذا القرار! انسوا مرحلة العيادات المجانية.
غول العولمة سيكتسح الجميع. انظروا يا سادة، إلى الدولة كيف تبيع كل ممتلكات الشعب باسم الشخصية؟ وكيف رفعت ثمن رغيف العيش من قرش صاغ إلى خمسة قروش دفعه واحدة؟

ثم حرج عليه بنظرة حادة وهو يواصل:

-ويا حاجة عليه، أنت سافرت إلى السعودية عدة مرات. وأموالك الآن تتضاربين بها في البورصة. فدعني الأطباء الكادحين هنا -والذين لم يسافروا إلى الفردوس التي سافرت إليها- يأكلون لقمة عيشهم المرة.

نظرت عليه إليه شرراً ولم تعلق.

قالت ابتسام في ثوريتها المعروفة:

-ولكن ما تفعله يا دكتور فوزي، غش للمرضى، وفيه ابتزاز لأموالهم!
وزارة الصحة تريد ذلك!

فسأله حكيم: "وأين القسم الذي قسمته يا فوزي؟"

تدعون أنكم شرفاء! ألا تعلمون أيها المنافقون، أن الخمس نقاط في الاقتصادي لا تعتمد إلا على التحاليل؟

-هل هذه محاكمة لي أم ماذا؟ وعلى العموم، أنا لم أقسم القسم، لأنه قسم الإخوان المسلمين الذين ابتدعواه بعدما دخلوا النقابة. فلو أعادوا القسم القديم سأقسم.

فتتساءل أحمد إسماعيل بضيق: "وماذا سيصنع القسم بالطبيب إذا لم ير ارع ربه؟"
ثم وهو يضرب كفاف بـ:

-القسم القديم هو القسم نفسه الموجود الآن مع تحوير بسيط لا يخل بالمعنى. ثم إنك يا فوزي قد تخرجت في أول السبعينيات قبل دخول الإخوان النقابة في منتصف الثمانينيات!....

-20-

بعدما هرع على عبد المنعم يميناً ويساراً للبحث عن رجل الرؤيا ولم يجد أحداً، قرر أن يغادر أرض الجمل. فلم يمش إلا خطوات حتى شعر بسريان تيار كهربائي في جلده... ما هذا؟ هل يوجد مجال مغناطيسي حولي؟! توجد قشريرة في جلدي، عضلات شعر جلدي تتقلص، تتنفس. شعري جسمي كله يتتحرك، يرتجف، يقف. التيار الكهربائي يتسرّب إلى كل جسمي من أسفل قدمي إلى فروة رأسي. ريقني يجف. لسانني عاجز عن قراءة آية الكرسي... حاول أن يتعود بالله من الشيطان، فلم يطأوه لسانه. ثقلت رجليه عن الحركة لأنها مقيدة في سلاسل جبلية...

بدأ يشعر بضربات قلبه، ازدادت رويداً رويداً، أمست كأنها الطلب، أو كصوت عجلات قطار السكة الحديد السريع... تصبب العرق من كل جسده. بدأ يلهمث...

شعر بقوة المجال المغناطيسي تقترب منه، تزداد قوة على قوة، المجال المغناطيسي في ظهره الآن على أشد ما يكون. حاول أن يلتفت فلم يستطع!...

يد دافئة تربت على ظهري، الطمأنينة تسري مع دمي إلى كل أنحاء جسمي. أستطيع أن التفت الآن. الله. الله... رجل الرؤيا!... ابتسامة حانية ودية تكسو وجهه. الله. الله... ما هذه الهالة البيضاء المترهجة المحيطة بجسده؟ أصوات "كرايان"؟ لازال يبتسم. لماذا لا يتكلم؟ هل أنا في يقظة؟ أم نمت هنا في أرض الجمل؟ هل أنا في حلم؟

راحه تتذبذب في كل أنحائه، سعاده لا أعرف كنهها تتوجه في نفسي وروحه وكيني كله... بالرغم من الراحة والسعادة والطمأنينة إلا إن لسانه لا ينبع ببنات شفة، لا ينحرج عن مكانه، ثقيل كأنه الجبال. شفتاي ملتصقان كأنهما ملتصقان منذ الأزل!...

الهالة البيضاء المترهجة تزغل عيني لدرجة أنني لا أستطيع تمييز ملامحه جيداً ماعدا الابتسامة الحنون. المجال المغناطيسي اشتعل حولي...

خرست أصوات القطارات...

اختفت أرض الجمل من حولي...

اختفت السكة الحديد...

اختفت مساكن الشرابية...

هل أنا في حلم وانقلت إلى مكان آخر؟

طنين دوار...

الأرض غير الأرض...

السماء غير السماء...

حتى الليل غير الليل...

هل أنا مت؟

هل أنا في البرزخ الآن؟

الشيخ المضيء هو هو. ابتسامته المزروعة على شفتيه هي هي ...

من جوفي أحاول أن أكلمه. تكلم أيها الرجل المضيء، تكلم. أخبرني من ° أنت؟ من ° أنت؟ من °

أنت يرحمك الله؟

بدأت الجبال تنزاح عن لسانى؛ جبل وراء جبل، هضبة وزراء هضبة، كتلة وراء كتلة، حجر

وراء حجر... .

لسانى يخف وزنه الآن رويدا رويدا، عقاله ينفك. بدأت عقد الغراء من شفتاي تتفتت، تذوب،

تسيل...

صعد الكلام من جوفي رويدا رويدا. فرحت. تهلل وجهي سرورا. اشرابت السعادة من

أنحائي...

قلت:

-لا إله إلا الله.

فرد علي بابتسامته الوديعة الحنون:

-محمد رسول الله...

-21-

في الفترة المفتوحة في لقاء أسرة الغرباوي الإخوانية، بلغ سعيد طلب أمه للدكتور صلاح الشيمي. تبسم صلاح قائلًا: ولكن والدناك كبيرة نسبياً. بالنسبة إلى المتخرجات حديثاً من مدارس التمريض. وأظن أن فرصة توظيفها صعبة نسبياً.

-هذه هي رغبتها، وهي مصرة عليها. كما هي مصرة على أن أعمل في شركة كبيرة حتى أضمن التأمين الصحي والمعاش.

فسؤاله الغرباوي:

والدك رحمة الله متوفى منذ فترة طويلة؟
نعم، ولم أره.

-يبدو أنها تحملت كثيراً في تربيتك. ولكن لماذا هذا الإصرار على العمل الحكومي؟

فأجابه سعيد:

- هي تبحث عن الأمان. لأن العمل الخاص ليس به استقرار ولا أمان.

فقال صلاح:

-عليها أن تقدم صورة من الدبلوم وشهادة خبرة من المستوصف الخيري إلى مديرية الشئون الصحية بالعتبة. وإذا ما توفرت درجة مالية، فربما يتم تعينها إن شاء الله. وسوف أسأل في المديرية عن هذا الأمر.

تبسم إسماعيل عبد الفتاح:

-يبد أن والدناك تعتقد في المثل القائل: (إن فاتك الميري اتمرغ في ترابه). ثم تحدث الغرباوي عن مقابلته مع الدكتور سامي حليم.

فاحتدى صلاح:

-النفاق والرشوة هما سيداً الأخلاق في هذه المستشفى!

فقال إسماعيل:

-النفاق والرشاوي والفساد في كل مكان.

وواصل صلاح:

-والعجب أن النفاق لم يظل داخل أسوار المستشفى، إنما امتد إلى مداهنة وتملق النظام الحاكم. فمنذ عامين، وضعنا إدارة المستشفى لافتة كبيرة على بوابة المستشفى الرئيسية يعلون فيها عن مبايعة إدارة المستشفى والأطباء والعاملين للرئيس. فمنْ أعطى لهم صكاً بمبايعتنا؟!

فتبسم طارق ضاحكاً:

-حتى أصحاب الأكشاك وال محلات والمطاعم وضعوا اللافتة نفسها.

وبصيق:

-نفاق في نفاق...

هز إسماعيل رأسه موافقاً:

-لقد نفذ أصحاب هذه المحلات والمطاعم الأوامر التي أقيمت عليهم...

وقال الغرباوي بمرارة:

-وإلا ستغلق.

وقال علي عبد المنعم:

-لابد أن يُظهر النظام الحاكم للدنيا كلها أن البلد كلها تبایع وتقول نعم لمبارك. وفي دول العالم الثالث، بوجه عام، تتم المبايعة للرؤساء من كل شيء.

وبسخرية:

-أفراد، دواب، أشجار، تراب، رمل، زلط... وبنسبة...

قطع صلاح كلامه:

-خمس تسعات!

فقال الغرباوي ساخراً:

-أكيد الواحد في الألف الذي لم يبایع هم من المجانين!

وتهكم إسماعيل:

-أو من الموتى الذين لم يبایعوا لأنهم كانوا من المعارضة!

فضحوكوا...

وأثناء احتساء الشاي، سأله الغرباوي كلا من سعيد وطارق:

-ما رأيكما في خبر النشرة الأسبوعي المتعلق بضرب أتوبيس السياحة في الهرم؟

فنهل طارق وهو يرد:

-الجماعة الإسلامية صنعت خيرا حتى تقلل من الوفود السياحية.

فأندهش الغرباوي وتساءل:

-وما الحكمة في تقليل أو منع السياح من دخول مصر؟!

فأجابه سعيد محتداً:

-ألا ترى تبرج السياح وعرفهم ياشيخ أحمد.

فبعس الغرباوي:

-هل الشريعة الإسلامية أباحت لنا قتل أجانب دخلوا البلد آمنين مسلمين يدفعون لنا أجر السياحة بالعملة الصعبة؟!

نعم، لأنهم شبه عرايا.

-وهل حد التبرج والعرفي في الشريعة الإسلامية هو القتل؟!

فلم يرد طارق ولا سعيد.

فتساءل إسماعيل:

-وحتى لو افترضنا أن حد التبرج هو القتل، فهل يقوم الأفراد بتطبيق هذا الحد؟

فرد صلاح:

-ولي الأمر هو المسئول عن تطبيق الحدود.

وأكَدْ على:

لو فتح الباب للأفراد بإقامة أي حد، لأصبحنا نعيش في غابة...!

فتهكم سعيد:

-ولي الأمر لا يطبق الشريعة الإسلامية ولا حدودها.

فضضب الغرباوي:

-ليس هذا مسوغاً للأفراد لتطبيق أي حد من حدود الله. والتبرج يا أخوة، حده لن يزيد عن

"التعذير" وليس القتل!

ثم أضاف:

-والرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول فيما معناه: ((إن بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة))،

فهل يقوم الأفراد بقتل تارك الصلاة لأنَّه كافر! والعجيب أن جماعات العنف والإرهاب لم تقتل

تارك الصلاة -وإلا عشنا في حمامات دم بسبب كثرة تاركي الصلاة-. وقتل السياح رجالاً ونساء

لأنَّهم متبرجون! مع العلم أنَّ الرسول لم يقل على تبرج النساء بأنه كفر. فأين العقول التي تفهم؟!

تساءل إسماعيل ساخراً:

-إننا ننفهم قتلهم للنساء السائحات بسبب تبرجهن. ولكن لماذا يقتلون الرجال السائحين أيضاً؟!

فضحك صلاح الشيمي وهو يحبه:

-أكيد أبا حوا دمه لأنَّه مرتدٍ لشورت!

قال علي في سخرية:

-إذن يجب قتل لاعبي كرة القدم لأنَّهم متبرجون أيضاً.

صلاح ساخراً أيضاً:

-لماذا لاعبي كرة القدم فقط يا أخي؟ لاعبي أي رياضة بدنية يرتدون الشورت.

امتعض طارق وعبس وتضليل وهو يسألهم:

-وأين أنتم من حديث الرسول عليه الصلاة والسلام: ((منْ رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم

يستطيع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقبله وهذا أضعف الإيمان))؟

تحمس سعيد:

-أخوة الجماعة الإسلامية استطاعوا أن يغيروا المنكر بأيديهم. فجزاهم الله خيراً.

قال الغرباوي بيقين المتبخر في الدين:

-أولاً: لابد أن نحدد المنكر وحدَّه في الشريعة الإسلامية. وقتل السياح بحجة تبرجمهم، لهو السفه

والغباء والجهل بأحكام الشريعة الإسلامية. ثانياً: أجمع جمهور الفقهاء على أن تغيير المنكر

باليد إذا أدى إلى فتنٍ ومنكر أشد، فإنه لا يُغيِّر باليد. ثالثاً: تغيير المنكر باليد في المجتمع على

الحاكم وليس على الأفراد. وإذا قصر الحاكم فهو المسئول أمام الله. ولو فتح باب تغيير المنكر

باليد للأفراد، لأنّ صحت الفتنة والفوضى تضرّيان بأطنابهما في البلاد. رابعاً: هؤلاء السياح ينطبق عليهم ما يُسمى في الفقه الإسلامي "بالمستأنم"، والمستأنم هو من غير المسلمين، ويدخل لبلاد المسلمين لقضاء مصلحة، والدولة الإسلامية تعطي له الأمان حتى يخرج منها بسلام. فالسياح، يا إخوة، مستأنمون، لا يجب أن تتعرض لهم بأدنى سوء، بل نؤمنهم حتى يعودوا لبلادهم بسلام. وأخيراً، لابد أن نقرأ تفسير هذا الحديث الشريف جيداً ولا نأخذ به بظاهره...

امتعض صلاح وهو يتساءل:

-أليست السياحة لها دور هام في تنمية اقتصاد البلد؟ أليس هذا أمر بدائي؟!

ثم تسأله إسماعيل:

-ولكن، يا أستاذ أحمد، رب الأسرة يستطيع أن يغير المنكر باليد في محيط أسرته.

فرد عليه الغرباوي:

-نعم، يا أستاذ إسماعيل.

عبس على:

-الجماعة الإسلامية بعملها هذا شوهرت الإسلام أمام العالم...!

نظر طارق وسعيد إلى بعضهما، ولسان حالهما: هل نحن في أسرة من الإخوان المسلمين، الجماعة الأم للجماعات الإسلامية، أم مع أعضاء في الحزب الوطني الحاكم؟!

فكر سعيد في اليوم الذي يقول فيه للإخوان: "إلى اللقاء" بعدما يجد الغرباوي عملاً له في شركة المقاولون الشرقيّة، وفكّر طارق في اليوم الذي يقول فيه للإخوان "باي باي"...

تجهم سعيد:

-لم يتبق إلا أن نصف الجماعة الإسلامية بالإرهاب، كما نصف عملها بالإرهابي.

وأكّد طارق:

ـ مثل وصف الإعلام الرسمي.

ـ وأردف في سره:

ـ أعوذ بالله.

ـ واستطرد في أعماقه:

ـ يبدو أنكم لا إخوان ولا مسلمون! أعوذ بالله...

ـ لم يعلق أحد على كلامهما. ولسان حالهم هم فعلاً "إرهابيون"...

أراد صلاح أن يقول: "بعد حادث باص الهرم بأيام قليلة، ونحن على أبواب القرن الواحد والعشرين، قامت نقابة الأطباء بعمل ندوة عنوانها: (هل السياحة حلال أم حرام؟) فإذا كان هذا هو فكر جماعة الإخوان المسلمين المعتدلة التي تسيطر على النقابات، فماذا تتوقع من جماعات أشباه المتعلمين والجهلة بالدين؟"، ولكن لم تكن مساحة الحرية كافية لكي يعرض صلاح وجهة نظره؛ ف أمسك بتلابيب لسانه، وأثر الصمت العميق...

-22-

بعد انتهاء الجلسة، سأله محمد الوكيل -ذو السبعين ربيعاً ونقيب الغرباوي في أسرة "الإخوان العاملون" كل أخ عن الأسرة المسئولة عنها، فجاء الدور على الغرباوي الذي قال:

-الأخ علي عبد المنعم هو الوحيد المتهم جداً للدعوة، أما الدكتور صلاح والأستاذ إسماعيل فهما متذمدان ببعض الشيء. ولكن الأخوين طارق عمر وسعيد عوض فجسداههما مع الإخوان، وقلباهما مع الجماعة الإسلامية!

تأمل محمد الوكيل ما قاله الغرباوي ثم هز رأسه:

بالنسبة لتردد الأخوين صلاح وإسماعيل طبعي جداً، بسبب الخوف على الزوجة والأبناء، بالإضافة إلى توقيت انضمامهما للجماعة في مرحلة سنية متقدمة عن مرحلة الشباب والكهولة. أما طارق وسعيد، فست Starr بصيرتهما بالمعشرة للإخوان فترة طويلة، وسيكونان مع الإخوان إن شاء الله قلباً وقالباً.

فقال الغرباوي:

-هـما متأثران بثمرات تغيير المنكر باليد مثل غلق بعض الخumarات في بعض مدن الصعيد.
-ليس فقط التأثر بغلق بعض الخumarات، ولكن ستجد كثيرا من الشباب متعاطفين ومتأثرين باعتقال الكثير من أعضاء الجماعة الإسلامية والجهاد.

قال أخ 1:

يُعتقد الكثير من الشباب أن الجماعة التي على الصواب هي التي تتعرض للاعتقالات.

فاحتد أخ2:

-الإخوان هم أكثر الناس تعرضاً للمحن والاعتقالات وخاصة في الخمسينات والستينات.

فأوماً الوكيل بوجهه إلى آخر²:

-ذلك كان فيما مضى، فربما يظن البعض أن هناك تحالفاً بين الإخوان والنظام الحاكم في المرحلة الحالية.

فتسائل الغرباوي غاضباً:

-كيف يكون ذلك؟ ألم تجر اعتقالات لكثير من الإخوان في الثمانينات وفي الفترة الحالية؟-

وطارق وسعيد يعلمان أننا اعتقلنا وكثير من الإخوان- في انتخابات 1984 و 1987.

فقاًل أخ٣:

-الشباب يرى أن من يعتقل من الجماعة الإسلامية لا يُفرج عنه، بينما من يعتقل من الإخوان المسلمين فإنه يُفك أسره بعد فترة حتى لو طالت.

فتتحمس آخر 2:

طبعاً، لأن الإخوان لم تُخضب أيديهم بدماء الأبرياء.

فسؤال محمد الوكيل الغراباوي:

هل الأخوان سعيد وطارق ملتزمان بالحضور في الجلسات؟

-نعم، ولكن بلا روح! حتى تحضير النشرة من الأخ سعيد لا يتم بالوجه المطلوب، فمثلاً خبر اقتحام القوات الروسية للعاصمة الشيشانية جروزني -وهو خبر هام جداً- ومع ذلك لم يذكره.

تساءل آخر 1:

في تقييمك الدعوي يا أخ أحمد، هل يستمران مع الإخوان؟

-رأيي مثل رأي الأستاذ الوكيل، أن نعطيهم الفرصة. فربما يتغيران بمخالطتهم للإخوان مع الوقت.

ثم سؤال الوكيل:

هل يبايعان الآن؟

نعم، يبايعان مع باقي أفراد الأسرة. وادع الأسرة للمبايعة في كتبة الشهر القادم.

فسؤال آخر 2 الوكيل:

وإذا لم يتغير حالهما إلى الأحسن، فهل سيستمران في الجماعة؟

-نعم، طالما ملتزمان بالحضور، ولم يصدر عنهم ما يعرقل مسيرة الأسرة.

فتساءل آخر 1:

-وإذا طال بهما الزمن ولم يحرزا تقدماً في طريق الدعوة، فهل سيصعدان إلى مرحلة الأخ "المؤيد" أم سيظلان في مكانهما؟

فرد الوكيل بقوة:

لن يصعدا، ولو ظلا في مستوى "المُحب" مائة سنة، إلا إذا تقدم مستواهما الدعوي وتحمسا لجماعتنا.

وأثناء تناول الشاي، قال الغراباوي:

-أغلب الشباب بوجه عام- متاثرون بالجماعات المسلحة الآن.

فبعض الوكيل:

-لا تقل، يا أخ أحمد، "أغلب الشباب" لأن أغلب أعضاء جماعتنا الآن من الشباب.

-معك الحق يا أخ محمد، ولكنهم من طلبة وخريجي الجماعات. فأين طبقة العمال في الإخوان؟

-توجد شريحة العمال في صفوف الإخوان، ولكن ليست بالكثرة كما كانت في الماضي. ثم ضحك الوكيل وتساءل:

وأسرتنا هذه أليست من العمال؟

فأجابه أخ3:

نعم، ولكن الله يرحم قطار "أبي زعلب".

صحك الوكيل قائلًا:

-ذلك عصر قد مضى.

تحمس أخ2 وهو يقول:

-كان العمال والشعب بوجه عام متميزين بانتتماءات مختلفة؛ فلذلك نجد الإخواني، والوفدي، والسعدي، والشيوعي، ومصري الفتاة...

فأومأ الوكيل مؤكداً:

-كان الشعب عنده هدف قومي ألا وهو تحرير البلد من المحتل الإنجليزي، وكان الانتماء إلى التيارات المختلفة هو الطريق لتحرير البلد.

فقال الغرباوي:

-ولكن أغلب الانتتماءات كانت للإخوان وللوفد.

نعم، يا أخ أحمد. ويكفي أن عدد الإخوان في الأربعينات يربو عن ثلاثة ملايين. وكان الوفد هو حزب الأغلبية في الوقت نفسه.

علق الأخ3 غاضباً:

-الأحزاب الآن أرادها النظام ديكوراً.

ثم وهو يمط شفتيه ضيقاً:

-الانتماء أضحى إلى السعي إلى لقمة العيش!

فوافقه الوكيل:

-الأحزاب منذ نشأتها في عهد السادات وهي لا تتعذر الديكور. والنظام لا يريد للشعب أن يحيا بكرامة ولا أن يشع حتى من الخبز! وانظروا إلى طوابير الخبز غير المسبوقة في أي دولة في العالم. وهذا -بوجه عام- صنيع نظام العسكر بعد انقلاب يوليو 1952.

فانفعل أخ2:

-حتى يذلوا الشعب!

واشمنز الوكيل:

-يذلوه بالخوف والجوع!

وقال أخ1 بغيط:

-ويمرغوا أنفه في التراب!...

يا ابن الكلب... كل زملائك من الإخوان ينحرون أمام تمثال الزعيم ويقدمون له التحية. وأنت يا ابن القحبة، حينما يأتي دورك تبصق على وجه الزعيم!

-هذا هو اعتقادي في تكريم زعيمكم. يكفي أنه حكم مصر وكانت حرة وتحكم حتى غزة، والآن
انظر إلى خمس مصر المحتل!
ولماذا ينحني زملائك؟ أليسوا إخواناً مثلنا؟
-هم ينحنون خوفاً من سياطكم، أما أنا فلو أن لي ألف نفس أزهقت بأيدي جلاديكم فلن أنحني إلا
له وحده... والله قد كرموني ولست ابن كلب ولا ابن قحبة.
-أنا سأمرغ أنفك في التراب. وسأذيقك الذل كله، يا محمد يا وكيلاً!

عاد محمد الوكيل من اجتراره للذكريات على قول الغرباوي:
-يكفي أن من بركات حكومتنا العسكرية بعد الانقلاب المشؤوم، أن شعبنا الوحيد على وجه
الأرض هو الذي يسكن المقابر!

فتعبس الغرباوي:
-فعلاً، وإنها لوصمة عار في جبين الثورة!

فامتعض آخر 3:
-لقد دمروا الطبقة الوسطى!
-ودمروا الطبقة الدنيا!
-بل دمروا شعباً كريماً!
-وأداقوه صنوف الذل والعذاب والجوع والخوف!
-وكله من الثورة المباركة!...

ويكفي أننا نحكم بأحكام عرفية تقريباً منذ 1952 حتى الآن، ماعدا فترة الرئيس السادات،
وإن كان قد أنهى حكمه بتشريع قوانين جائرة سيئة السمعة، ولم يتمت إلا بعدها فتح المعقلات
التي أغفلها بيديه في أول عهده!

تساءل الغرباوي:
-ولكن، ألم يشارك الأخوان في دعم الثورة؟
فأجابه الوكيل:

-النظام الخاص، الذي يهيلون عليه التراب الآن، هو الذي دعم انقلاب يوليو وساعد في نجاحه.
فسألته الغرباوي:

-لماذا إذن انقض عليه عبد الناصر؟
-عبد الناصر انقض على الجميع؛ الأحزاب، الإخوان، الضباط الأحرار في مجلس قيادة الثورة
بداية من محمد نجيب وانتهاء بعبد الحكيم عامر، ولم يبق إلا الذين كانوا في الظل!
-استطاع ناصر أن يقضي على التنظيم الخاص، وزرع الفتنة بينه وبين الإخوان، ولكنه لم
يستطيع أن يقضي على الإخوان المسلمين.

- قادة الإخوان هم الذين تركوا التنظيم الخاص ليتهي. أما جماعة الإخوان نفسها فلم يستطع ناصر أن يقضي عليها لأنها دعوة الله سبحانه وتعالى.
- فأولما الغرباوي رأسه لرؤك كلام الوكيل:
- الإخوان أصبحت كالشمس والهواء والماء، فهل يستطيع أحد أن يحجز شعاع الشمس؟ وهل يستطيع أحد أن يمنع الهواء؟ وهل يستطيع أحد أن يوقف تيار الماء؟
- قال أخ 1 بقوة الإيمان بالله:
- الأنظمة الديكتاتورية تستطيع أن تعقلنا. أن تصفينا جسدياً. أن تزهق أرواحنا. ولكنهم لن يستطيعوا أن يزحزحوا إيماناً بدعوة الإخوان... ثم بكى وانسلت الدموع الرقراقة من أعين بعضهم.
- قال الغرباوي بصوت متهدج من البكاء:
- يكفي أن آلاف الشباب الآن قد انضموا إلى الإخوان، وقد قرءوا عن المحن التي تعرض لها الإخوان المسلمين.
- قال الوكيل:
- يا أخوة.
- ثم سكت قليلاً وبعدها استكمل:
- الإخوان المسلمون أصبحت كالشجرة الباسقة، جذورها في الأرض وفروعها في السماء. وهذه الشجرة لا تُروى إلا بالإخلاص والتضحية...
- وواصل:
- وأبشركم بأن دعوة الإخوان الآن موجودة في خمس وستين دولة.
- وفي نهاية الجلسة بلغ الواجبات والأوامر:
- الواجبات في الفترة القادمة:
- (1) الكتبية في الخميس الأول من الشهر القادم.
 - (2) في الكتبية المقبلة، ستتم المبادعة ستتم للأخوة الجدد إن شاء الله. فنرجو عدم تخلف الأخوة عن الحضور.
 - (3) تبليغ الأسر بالاستعداد لانتخابات مجلس الشعب في نوفمبر القادم بإذنه تعالى...

-23-

يا حكيم. الإسلام لا علاقته له بالإرهاب. أما هؤلاء الشباب المتطرف فإنهم ضحايا الجهل والتعصب والفقر واليأس من الحياة...!
لكن تعليق الإعلام وخاصة في الغرب لن يكون إلا اتهام الإسلام بالطرف، وخاصة أن عدد ضحايا باص الهرم السياحي كبير!
دخل طبيب جديد، فسلم وجلس معرفا نفسه:
الدكتور عماد الدسوقي، طبيب مقيم جلدية تناسلية. ومنتدب للعمل هنا بالمستشفى.
فتسأله الدكتور حكيم:
طبيب مقيم أساسى أم منتدب؟ فرد بأنه أساسى.
من أي الجامعات تخرجت يا دكتور عماد؟
من طب بنها، دفعة ديسمبر 1991.
وسأله الدكتور أحمد:
وهل أنت من دسوق؟
هذا لقب العائلة، ولكنني جذور عائلتي كلها من شبرا مصر.
فقال حكيم:
يعنى قاهري الأصل.
تساءل أحمد:
ولماذا لم تلتحق بطب عين شمس وهي ليست بعيدة عن سكنك؟
كنت فيها في السنوات الثلاث الأولى، والتحقت بطب بنها في سنوات البكالوريوس الثلاث التالية.
فتساءل مرة أخرى مندهشاً:
ولم هذا التعب؟
فابتسم عماد:
حتى أستطيع أن أحصل على تقدير أفضل.
فتبسم حكيم:
يا أحمد، ألم تسمع عن تسمية الطلبة لجامعة عين شمس بالسم الشنيع؟!
فضحك أحمد قائلاً:
يقلبون الاسم لصعوبة الحصول على تقدير مرضي. ولكن لم يكن في أيامنا نترك الجامعة ونلتحق بأخرى بسبب التقدير.
فقال عماد الدسوقي:
أريد التعرف عليكم وعلى أقسام المستشفى ونظام العمل؟
فقال أحمد مشيرا إلى حكيم:

-الدكتور حكيم نخلة، استشاري جلدية وتناسلية، دفعة 1973، طب القصر العيني. وأنا الدكتور أحمد إسماعيل، استشاري جلدية وتناسلية، دفعة 1969، طب القصر العيني أيضا.

فضحك حكيم وقال:

-عجوزان.

فتقبس الدكتور عماد قائلاً:

-بارك الله لكما.

بدأ الدكتور أحمد يعرفه أقسام المستشفى:

- بالنسبة إلى المستشفى، فلها ثلاثة أبواب؛ الباب الرئيسي الذي تدخل منه السيارات، وبابان صغيران يؤديان لعيادات الرجال والنساء. وأمامنا توجد وحدة الأمراض التناسلية والمخبر. وفي ظهرنا توجد مبني: شئون الموظفين، ومخزن الأجهزة الطبية، والمطبخ الذي يعلوه قاعة المحاضرات. فتقبس الدكتور حكيم:

-حتى تكون المحاضرات ساخنة! ثم التفت يساراً وقال:

-ووهذا المبني العتيق خاص بجناحي التنويم الرجال والنساء.

-وأين الصيدلية؟

-بجوار باب عيادات الرجال.

-وأين سكن الطبيب النوبجي؟

-أعلى عيادات الرجال.

-وأين عيادات الرجال والنساء؟

لن نراها من موقفنا، ولكنها قريبة من سور المستشفى المطل على شارع فدرى، وبابان الصغيران يؤديان لها مباشرة.

وأين مكتب التوقيع؟ أجا به أحمد:

-حينما تدخل من البوابة الرئيسية، تجد طرقة عريضة عن يسارك، وفيها يوجد مكتب المدير على اليمين، وحجرة الكونسلتو على اليسار، ومكتب التوقيع أمامك تماماً.

ثم تبسم:

-وملاصق لمكتب التوقيع، توجد حجرة هامة جداً للأطباء، وهي حجرة النمية بالمستشفى!

فضحك الدكتور عماد قائلاً: "الحمد لله أن للنمية حجرة واحدة فقط!"

ثم تسأعل:

-أريد أن أعرف نظام العمل؟ وأضاف: وتاريخ المستشفى؟

فرد الدكتور حكيم:

-إجابة هذا السؤال الثاني بالذات تحتاج إلى جلسة خاصة. ولقد وصل الدكتور عبد الوهاب والدكتورة سميرة المسئولة عن التوقيع، فهيا بنا للتوقيع.

-24-

ابنهاج صلاح الشيمي وهو يقول لسعيد عوض:

-لقد سألت عن عمل لوالدتك في مديرية الشئون الصحية، فأخبروني بأن الوزارة تحتاج إلى ممرضات، وتوجد درجات مالية خالية. فهل قدمت والدتك المستندات المطلوبة للمديرية؟
نعم.

تصفح أحمد الغرباوي شهادة دبلوم سعيد، فانتبه إلى لقب العائلة "الزامل":
-سعيد عوض مسفل الزامل! يا أخ سعيد: جدك "مسفل الزامل" من مصر؟
لم تنتبه إلى اسم جدي إلا الآن!

-إن أبي كان سعودياً، وكان يملك المستوصف الذي كانت تعمل فيه والدتي في الرياض. وبعد فترة بسيطة تزوجها، وتركت العمل.

-ولماذا لم عادت والدتك إلى هنا؟ وهل أخذت الجنسية السعودية؟
-لم تأخذ الجنسية السعودية، بل ظل جواز سفرها في المستوصف بعد الزواج. حتى أنا لم أخذ الجنسية السعودية.

فسألته صلاح: "أين استخرجت شهادة ميلادك؟"
-من مصر لأنني ولدت هنا.

وبمرارة:

-بعد وفاة والدي، حجب أخوتي من أم سعودية الميراث عنا.

فسألته إسماعيل: "ولماذا لم تذهب والدتك إلى الفنصلية المصرية هناك؟"
فرد سعيد في أسى:

-ذهبت. وقالوا لها قدمي شكوى للمحكمة الشرعية لتأخذ حقك. وقدمت الشكوى في المحكمة الشرعية، فقالوا لها ميعاد النظر في الشكوى بعد ستة أشهر. وبعد أسبوع من تقديم الشكوى، أخبر أخوتي أمي بضرورة المجيء معهم لأمر هام يتعلق بالميراث، وكان هذا خدعة منهم، حيث كان الأمر الهام هو السفر النهائي لأمي. وفي المطار أخبروا أمي بضرورة السفر وإلا السجن في انتظارها لأنهم تقدموا بشكوى لقسم الشرطة تفيد سرقة أمي لخزنة المستوصف بعدما استولت على مفتاحها من أبي قبيل موته! وأظهروا صورة من محضر الشكوى.
ظهر التأثر والوجوم على الحاضرين وغرقوا في صمت عميق لم يُنتشلوا منه إلا على قول سعيد:

-لقد عادت بملابسها التي ترتديها فقط. والحمد لله.

فسألته الغرباوي: "هل تقدمت والدتك بشكوى للفنصلية السعودية هنا؟"

-احتسبت عند الله، ولم تقدم بشكوى حتى الآن.
ثم أردف: ولكنها استطاعت بوثيقة الزواج أن تثبت أبوة أبي لي واستخرجت شهادة الميلاد من الفنصلية السعودية هنا".

فاحتد على: "لو كانت سفاراتنا بالخارج قوية ما حدث مثل هذا أبدا!"
وان فعل صلاح: "ترحوموا على عبد الناصر والسدات، فقد كنا في أيامهما لنا قيمة".

قال الغرباوي:

-ما ضاع حق ورائه مطالب. يمكن أن تقدم والدتك شكوى للسفارة السعودية هنا، ولن يضيع حكم إن شاء الله.

ثم استطرد:

يا إخوة، الدعوة قامت على الحب والتآخي في الله، فأرجو منكم أن نفتح مكنون صدورنا البعض، وأي أخ عنده مشكلة يجب أن يعرضها في الجلسة، وإن شاء الله سوف تُفرج بإذن الله.
أقول مشكلتي العويسة أم التزم بالصمت؟ ولكن ماذا أقول لهم؟ أأقول لقد تزوجت عرفي؟
أقول إن زوجتي حامل في الشهر الثالث الآن؟! كيف أقول ذلك؟ ربما أسقط من نظرهم.
أرشدني يا ربى. توكل على الله، وأخبرهم، فلا حرج بين الإخوة..."

هذا ما فكر فيه طارق عمر. ثم تشجع وقال:

يا إخوة، عندي مشكلة عصبية على الحل. فأرجو منكم المشورة.
فرد عليه الغرباوي: "تفضل يا أخ طارق".

-أنا في حرج لعرض مشكلتي، ولكنني سأتوكّل على الله وأعرضها. لقد تزوجت من زميلة في الدفعه زواجاً عرفياً، وهي الآن حامل في الشهر الثالث تقريباً، ولا أدرى ماذا أفعل؟
صُدم الغرباوي والحاضرون...

قال الغرباوي في نفسه:

جيـل فـاسـدـ، لا يـسـطـيـعـ أـنـ يـضـبـطـ شـهـوـتـهـ إـلـاـ بـالـزـوـاجـ الـعـرـفـيـ! يـورـطـ نـفـسـهـ وـيـرـيدـ أـنـ نـتـشـلـهـ مـنـ وـرـطـتـهـ. مـاـذـاـ تـنـظـنـ أـنـ نـفـعـ لـكـ؟ هـلـ تـرـيـدـ أـنـ جـمـعـ تـبـرـعـاتـ مـنـ أـعـضـاءـ الـأـسـرـةـ لـكـيـ نـزـوـجـكـ زـوـاجـاـ رـسـمـيـاـ؟ أـنـاـ مـسـؤـلـ عـنـكـ فـيـ الدـعـوـةـ مـنـذـ مـاـ يـقـرـبـ مـنـ سـنـةـ وـنـصـفـ، فـلـمـاـ لـمـ تـخـبـرـنـيـ قـبـلـ الإـقـادـ عـلـىـ هـذـهـ الـخـطـوـةـ؟!

سؤال إسماعيل:

-هل عرف أخوك حسن بهذا الأمر؟

لم يعرف حتى الآن.

قال الغرباوي ساخراً:

-الحمد لله أنه لم يعرف، لأنه لو عرف لضربك ببندقية آلية في ميدان عام!

وأعقبه صلاح وهو يضحك:

-أو بمدفع آر بي چيه!

تساءل الغرباوي بضيق:

-لماذا لم تخبرنا وتستشيرنا قبل هذا الزواج؟

لقد تحرجت أن أخبركم.

فهتف صلاح:

-أرى أن الإجهاض هو الحل!

فتسائل إسماعيل:

-ولكن أليس فيه خطورة على حياتها؟

فأجابه صلاح:

-فيه خطورة على حياتها بالطبع. ولكن ما العمل وهو لا يستطيع الزواج؟

قال الغرياوي بحزن:

-الإجهاض حرام.

وأيده علي:

-الإجهاض حرام حرام.

ثم تساءل:

-هل تستطيع يا أخ طارق، أن تشهر زواجك العرفي أمام عائلتها؟

-لا ...

فهتف سعيد:

-الزواج الإسلامي البسيط هو الحل.

قال الغرياوي:

-عندك حق يا أخ سعيد. فلو بسطنا أمور الزواج ما لجأ الشباب إلى الزواج العرفي من وراء الأهل ...

تساءل صلاح:

-لماذا لم تأخذ زوجتك وسيلة لمنع الحمل؟

لم نفك في موضوع الحمل.

هكذا بمنتهى السذاجة. لماذا تستشيرني كطبيب؟ أهم شيء قضاء الوطر!

سأله الغرياوي:

-هل علم أهلها بهذا الزواج؟

لم يعلموا.

فانفعل الغرياوي قائلاً:

-يابني، كيف يكون الزواج شرعاً ولم يتم الإشهار ولا موافقة ولد الأمر؟!

هذا ما جعلني متربداً في إخباركم بالأمر. فبدلاً أن تجدوا حلولاً للمشكلة، جعلتم من أنفسكم قضاء

لمحاكمتي، تبا لكم... تبا لكم...

فتسائل صلاح:

-ولكن بطن زوجتك سيتضخم بعد قليل، فكيف ستواجه أهلها؟!

أجابه طارق وقد سخن وجهه وشعر بحرج شديد:

-أنا في ورطة، فأرجو منكم العون حتى أخرج منها بسلام.

قال الغرباوي:

-أرى أن تخبر أهلهما بهذا الزواج، فربما تفهموا الوضع وخاصة أن هذا الزواج العرفي أضحت بلاء عاماً في هذه الأيام بين طلبة الجامعات.

عبس إسماعيل:

-وماذا بعد إخبار أهلهما؟ وماذا سيصنعون بالحمل؟

فرد الغرباوي:

بعد تفهم أهلهما لهذا الأمر، يتم عمل حفلة عائلية بسيطة، ويشهر هذا الزواج.

فتتساءل علي:

-وأين سكن الزوجية؟

فأجابه سعيد:

-في حجرة بشقة أهلهما. وهذه هي بساطة الإسلام في القرون الأولى.

فألوماً الغرباوي رأسه موافقاً لسعيد:

ـفي الفقه الإسلامي يجوز أن تتنازل الزوجة عن سكن الزوجية إذا دعت المصلحة إلى ذلك.

ـقال إسماعيل: "ولكن لابد أن تخبر أخاك حسن يا أخي طارق".

ـفرد طارق: "أنا لا أستطيع بمفردي".

ـفتحقق علي:

ـيا طارق، تستطيع أن تقرر بمفردك الزواج العرفي، ولا تستطيع أن تتحمّل تبعاته. الرجلة موقف يا أخي!

ـأتعطيني درساً في الرجلة وتحمل المسؤولية؟ أنت لا تعرف أخي حسن، تبا لك يا علي أنت الآخر....

ـقال الغرباوي:

ـالإخوان سيدخلون انتخابات مجلس الشعب في نوفمبر القادم إن شاء الله، وستتوزع عليكم المهام للاستعداد لهذه الانتخابات في الأيام المقبلة. وعندكم كتبية الخميس الأول من الشهر القادم، وستبلغون بالمكان قبيل الموعد مباشرة إن شاء الله. وأذركم بجدية السعي لضم أفراد جدد للجماعة.

ـثم قال لطارق بعد انصراف الأخوة:

ـاطمئن يا أخي طارق. استعن بالله ولا تعجز. مهد لنا زيارة أخيك حسن لمشاورته في هذا الأمر.

ـستفرج إن شاء الله.

ـوبعد برهة قال وهو يضحك ضحكة ممطولة:

ـيبدو أن لديك شقة تمارس فيها مشاعر الزواج العرفي!...

-25-

أثناء تناول طعام العشاء، سأل أحمد الغرباوي ابنته عائشة:
ما هو حجم ظاهرة الزواج العرفي بين شباب طلبة الجامعة؟
تنسمت عائشة وهي تجيب:
-النسبة كبيرة يا أبي!
فاندفع حسن:
حتى بين طلبة الثانوي نجد هذه الظاهرة!
قالت وداد شاهين زوجة الغرباوي ساخرة:
-ربما غار طلبة الثانوي من طلاب الجامعة!
فضحك مصطفى:
-الدور على طلبة الإعدادية يا أبي!
قال الغرباوي بضيق:
-بيد أن هذه الظاهرة ستدمّر جيلاً، والعياذ بالله.
فأومأت وداد مؤكدة:
يا أحمد، الفتن شديدة أمام الشباب وخاصة الفيديو كليب الذي انتشر في بلدنا منذ عدة سنوات.
ربنا يلطف بهذا الجيل...
-الفتن شديدة، والجيل سيتمر بها الشكل. ولا حول ولا قوة إلا بالله. والأغاني الخليعة انتشرت مع ازدهار الفنون الفضائية، ليس فقط في القمر الأوروبي بل في قمر عرب سات الجديد!
فهزت وداد رأسها مؤكدة:
-الدولة نشرت أغاني الفيديو كليب حتى في التلفزيون الحكومي لكي تضرب الصحوة الإسلامية...!
قالت عائشة:
-رد فعل أمام الإرهاب.
يا بنיתי، هم لا يريدون إلا تجريف منابع الدين نفسه!
يا أبي، الدولة لازالت تكتوي من نار الإرهاب، وليس حادث باص الهرم بعيد.
-علاج الإرهاب لا يكون بنشر الانحلال باسم الفن!
قالت وداد:
-حتى الغناء القديم أصبح منزرياً في الإعلام الرسمي، وانحصرت مساحته جداً.
فأكمل حسن:
-ليفسحوا الطريق للوافد الجديد...
وتهكم مصطفى:
-الغناء القديم يُسمى الآن الغناء الكلاسيكي...

امتعضت وداد قائمة:

- حينما أسمع هذه الأغاني الجديدة الماجنة الآتية من الحيران ومن السيارات، أتعجب على تشابهها في الصخب واللحن غير العربي! ونجد أغنية من هذه الأغاني التافهة تنتشر جداً ثم

تخفي ولا يُسمع لها حس ولا خبر.

- حتى أصوات المغنيين متشابهة.

- لا توجد بصمة غنائية مميزة لكل واحد منهم.

- توجد بصمة في العربي والخلاعة...!!

فتساءل الغرباوي:

ـ يا وداد، توجد فتن أمام الشباب. ولكن هل الزواج العرفي هو الحل؟!

ـ أفضل من الزنا، والعياذ بالله.

فغضب الغرباوي قائلاً:

ـ ولكن هذا الزواج يشبه الزنا، لأنه زواج متعدة، ويتم من وراء ولی أمر البنت.

ـ ربما يأخذ هؤلاء الشباب برأي أبي حنيفة في عدم اشتراط موافقة ولی الأمر.

ـ يا أم حسن، أبو حنيفة خالف جمهور الفقهاء في هذه المسألة.

ثم تسأله:

ـ وهل هؤلاء الشباب يعرفون أمبا حنيفة أو فتاويه؟! هم يهرون وراء شهواتهم...

وبقرف:

ـ للأسف!

قالت عائشة:

ـ الزواج العرفي عادةً يتم بين شباب في أسر مفككة؛ فالأخ يعمل خارج البلد، وأحياناً الأب

والأم معاً في الخارج، وأبنائهم تلاطمهم أمواج الغربة في الداخل.

ـ وأشار الغرباوي بيده لكي ينصرف مصطفى، ثم قال بصوت ضعيف:

ـ أحد طلبة الجامعة متورط في زواج عرفي. وزوجته حامل في الشهر الثالث. ولا يستطيع أن

يعلن الزواج أو يخطبها من أهلها ليتزوجها بسبب ظروفه المادية السيئة. فما رأيكم لحل هذه

الورطة؟

ـ رأى حسن أن يتوكّل على الله ويتزوجها الزواج الإسلامي البسيط، وخاصة أن الرسول -صلى

الله عليه وسلم- يقول: (أفهن مؤونة أكثرهن بركة).

ـ فانفعل الغرباوي:

ـ يابني، هو لا يملك حجرة للزواج، فضلاً عن شقة.

ـ ورأت عائشة أن يتم إجهاض هذا الحمل.

ـ فاحتذت وداد:

ـ الإجهاض حرام حرام.

- قال الغرياوي بمرارة وامتعاض شديدين:

- عما قريب سيكبر بطنها، فماذا ستقول لأهلها؟!

وتساءل حسن:

- وأيضاً ما موقفها أمام زملائها في الكلية؟

فأجابته عائشة:

- الطلاب المتزوجون عرفيًا معروفون. فلا توجد مشكلة في الكلية، المشكلة أمام أهلها والمجتمع.

غرقوا كلهم في صمت وتفكير عميقين ولم يُنتشلو منه إلا على صوت وداد:

- يا أحمد، لا أرى إلا تحمل مسؤولية هذا الزواج من الطرفين، والاعتراف به أمام أهلهما. فوافقوا.

وبعد انصراف حسن وعائشة، تساءلت وداد ومشروع ابتسامة على جانب شفتيها:

- لا تؤاخذني، يا أبا حسن، أين تم هذا الحمل؟

- في شقة زميل له، أبواه يعملان في إحدى دول الخليج. وهذا الزميل متزوج أيضًا عرفيًا.

فضحكت وداد:

- شقة الزميل هذا تقوم بدور اشتراكي عظيم للزواج العرفي... فإذاً المشكلة قد حلّت.

كيف؟

- هذا الطالب وزميله يقتسمان هذه الشقة ويتزوجان فيها.

فتبرم الغرياوي قائلاً:

- ويقوم والد الطالب المتغرب بدور الأب البنكي لمصاريف بيتي الزواج العرفي!...

-26-

تناقلت الأخبار العالمية نفلا عن وسائل الإعلام الإسرائيلية أنباء وصور دفن الأسرى المصريين أحياءا في حربنا مع إسرائيل في عامي 1956 و1967... أما وسائل إعلامنا المحلية فنقلت هذه الأخبار على استحياء!...
فسأل طارق شقيقه حسن:

-ألم تسمع عما أعلنه التلفزيون الإسرائيلي من أخبار وصور المجازر الجماعية ودفن أسرانا أحياءا في حرب 1956 و 1967؟
-سمعت. وأخبار هذه المجازر قد وصلت إلى قيادة الجيش منذ زمن بعيد، ولكن القيادة رأت أن تكتتم عليها حتى لا تتحطم معنويات الجيش ونستعد للثأر.
فتهكم طارق:

-أين هذا الثأر؟! ففي عام 1967 لم يتم أي ثأر لما حدث في 1956، بل كانت هزيمة مروعة، وفضيحة عسكرية، لم يُصب بها جيش من قبل. هل سمعت عن جيش ينسحب بظهره بلا تغطية في التاريخ البشري كله؟!
-الجيش لم يحارب في 56 ولا في 67. وكانت القيادة السياسية في عام 1967 تظن أن القطبين الكبارين سيتدخلان ولن تتم الحرب وسنخرج منتصرين كما حدث في العدوان الثلاثي في عام 56.

-ولكن القيادة أغلقت خليج العقبة أمام السفن الإسرائيلية، وطردت قوات الأمم المتحدة من الحدود مع إسرائيل، ونشرت أكثر من مائة ألف جندي من قواتنا في سيناء... أليس بذلك تعلن الحرب؟! ولم تكتف قيادتنا المجيدة بذلك، بل جمعت وأعلنت بأنها ستلقي بإسرائيل في قاع البحر...!

قالت أم حسن:
-لا تظلموا عبد الناصر. فهو لم يرد إلا الخير للبلد. المشكلة كانت في الجيش الذي لم يكن على استعداد للحرب.
فعارضها طارق:

-عبد الناصر هو المسؤول عن الكارثة التي ليس لها مثيل في تاريخنا كله. وإذا كان الجيش ليس مستعدا للحرب، فلماذا تدخله القيادة السياسية في المعركة إذن؟! لكي ينهزم؟ لكي ينهزم حتى يتخلص الرئيس عبد الناصر من المشير عبد الحكيم عامر؟ يدمر جيشه ومائة ألف نفس تزهق بلا جريرة لكي يتخلص الرئيس من المشير في صراعهما على السلطة؟!

قال حسن في أسي:
-يا أمي، ليس على جيئتنا الوزر، ولكن على قيادتنا السياسية.
ثم تسأله:

-ألم يثار جيئنا العظيم في سنة 1973؟ ألم يعط العدو درسا لن ينساه؟

فرد طارق:

-نعم، ولكنه لم يحرر سيناء كاملة في تلك الحرب.
-أنت تعلم السبب يا طارق.

-الجسر الجوي الأميركي. ولكن ألم يكن يأتينا السلاح من الروس في التوقيت نفسه؟
-ليس بحجم مساعدة أمريكا لإسرائيل. فمصر كانت محاصرة من ناحية التسلیح بالاتفاق الدولي
بين السوفيت والأمريكان.

تدخلت سناء أختهما، ذات التاسعة عشر ربيعًا:

-الله يرحم السادات رحمة واسعة لأنه حرر سناء بحرب أكتوبر المجيدة وأكمل تحريرها
بمعاهدة السلام.

فقال كرم، ذو سبع عشرة سنة:

-يا أختي، إن إسرائيل تستطيع أن تحتل سناء مرة أخرى في ثلاثة ساعات أو في ثلاثة دقائق!
فحنق طارق:

-طبعاً، لأنها منزوعة السلاح!

فقال حسن:

-يا إخوتي، سناء ليست كلها منزوعة السلاح. وإسرائيل ملتزمة بمعاهدة السلام أمام العالم، ولن
تستطيع أن تنسف المعاهدة بين عشية وضحاها.

فاحتذت سناء:

-تفعلها إسرائيل لأن لعابها يسيل أمام خمس مساحة مصر الفارغ من الجيش والسلاح!
وتهكم طارق:

-بل فارغ من الكثافة السكانية منذ قديم الأزل!...

-وهذا هو الذي سهل للغزاة منذ فجر التاريخ لاحتلال مصر من بوابة مصر الشرقية.
فعارضهما حسن:

-ولكن لنا قوات على الحدود مع إسرائيل.

فرد طارق في تهكم:

-هذه القوات لا يتعدى عددها ثلاثة آلاف جندي. وتسلیحها بنادق آلية.

فهزت سناء كتفيها:

-في الوقت الذي لنا في سناء قوات رمزية، نجد أن إسرائيل حشدت على حدودنا ثلاثة لواءات!
فقالت أم حسن في يقين:

-ثلاثة لواءات أو عشرة، فمصر منصورة بإذن الله. ومصر ولادة يا أولادي؛ فمصر هي التي
أنجبت عبد الناصر الزعيم الذي ليس له مثيل والذي كاد أن يكون صلاح الدين الأيوبي في
عصرنا الحديث لو لا الاستعمار وإسرائيل، ومصر أنجبت السادات الزعيم الراهن صاحب قرار
العبور العظيم الذي مسح عار هزيمة 67، ومصر أنجبت حسني مبارك القائد العظيم صاحب

الضربة الجوية في حرب أكتوبر المجيدة والتي لها الفضل الكبير في العبور العظيم، وستتجه
غيرهم إلى يوم القيمة...
قال طارق لنفسه:
أنا غير مقتنع بهؤلاء الزعماء الثلاثة.

وحاول أن يتحدث عن زيارة الغرباوي المرتقبة لكي يتشاور مع حسن في زواجه العرفي
والورطة التي وقع فيها، ولكنه لم يستطع، فأجل الحديث إلى أن يستجمع قوته النفسية لهذا الأمر
العصيب...

تحمس حسن قائلاً:

-الخير كله في مصر... إن عساف ياجوري كان تعتبره دولة العدو المثل الأعلى للجيوش في
العمل المدرع، وأفضل من يستخدم الدبابات في تاريخ إسرائيل، وكان يقود اللواء 190، ومع
ذلك أسر في حرب أكتوبر 1973 المجيدة، ودُمرت مجموعته المدرعة تماماً يوم 8 أكتوبر،
يعني في بداية الحرب. والعجيب أن دولة العدو أعلنت أنه في مستشفى اللد يعالج من جروح
بمجرد إعلان جيشنا عن أسره، فاضطر جيشنا المظفر إلى أن يجري حواراً معه في التلفزيون
المصري حتى يفضح أكاذيب العدو. وكانت فضيحة للعدو الجبان بخلاف...!

بلغ حسن ريقه، وأخذ نفساً عميقاً وواصل حانقاً:

-عساف ياجوري هذا، كان برتبة رائد في حرب 1967، وكان يدهس بدباباته ضباطنا وجندنا
الأسرى في تلك الحرب!...

بكث أم حسن -بقلبها الرقيق قبل عينيها- وظلت تردد:

-حسينا الله ونعم الوكيل... حسينا الله ونعم الوكيل...
ربت حسن على كتفها، وقبلها في رأسها، وقال:

-ومع ذلك، يا أمي، حينما أسرناه في حرب 73، لم يعامل إلا معاملة كريمة حتى ظل أسره في
تبادل الأسرى بعد الحرب...

-27-

أحدثت أخبار دفن إسرائيل لأسرانا أحياءا في حربى 56 و 67 ضجة كبرى على المستوى العالمي والمحلى...
في الجلسة الصباحية تحت شجرة الصفصاف المعمرة، قال الدكتور حكيم نخلة لصديقه الأثير أحمد إسماعيل:
-يا دكتور أحمد، هذه فضيحة للنظام الذى كتم أخبار دفن الأسرى في حربنا مع إسرائيل. ثم
-إن إعلان إسرائيل الفج، وإظهار صور الخنادق التي حفرها جنودنا بأيديهم، والتي يعقبها دفن
الجيش الإسرائيلي لجنودنا أحياءا، لهى إهانة ليس فقط للنظام بل للأمة كلها...!
تساءل حكيم مستغربا:
-العجب أننى لست أفهم لماذا تفصح إسرائيل نفسها وتعلن أمام العالم عن انتفاء آدميتها في
حروبها معنا؟!
-يا حكيم، لا تتعجب. فإن إسرائيل لابد وأن تهدف إلى شيء من إعلانها هذا... ولكن دعنا من
السياسة، وأخبرني هل نوبيت السفر للعمل بالخارج?
-فعلا، أنا مضطر للسفر بسبب ظروف مادية. وأحاول أن أجمع الحسنات والمساوئ لتجارب
الزملاء الذين خاضوا هذه التجربة، حتى أخرج برأي نهائى.
فأنفعل الدكتور أحمد إسماعيل:
-حتى الآن لم تجمع حسنات وسعيّات العمل بالخارج؟ هيا بنا إلى المدير فعنه أخبار تجارب
أطباء المستشفى، وربما تجارب أطباء منطقة جنوب القاهرة الطيبة كلها.
مع سؤال الدكتور حكيم عن تجارب الزملاء الناجحة والفاشلة، تبسم المدير وسأله:
-ما الذي يجعلك ت safar يا حكيم والسفر يحتاج إلى الشباب؟
فأجابه حكيم ساخرا:
-ماذا يصنع الطبيب مع غلاء المعيشة؟ فمرتب الوزارة هزيل، ولا يسمن ولا يعني من جوع.
بالإضافة إلى توزيع راتب الاقتصادي العجيب هنا؛ فبعض الأطباء يأخذون خمس نقاط
بخمسمائة جنيه، والأكثرية وسيادتك أبو العارفين - يتلقون نقطة في قلوبهم!
قال سليم والابتسامة لازالت على شفتيه: "بالنسبة للاقتصادي -والذي تسميه عجبا- هذا هو
توزيع المديريّة. أما الراتب..."
فقطّاعه الدكتور أحمد: "الدولة (تستعBet) في إعطاء رواتب الموظفين عامة والأطباء خاصة".
فعلا صوت الدكتورة علية الثوري: "ليس (استعBet)، يا دكتور أحمد، بل إدلالا للشعب عامة
وللأطباء خاصة!"
تحمس حكيم: "الله يرحم الملك فاروق. فقد كان مرتب الطبيب في عهده ثلاثة جنيهات ويتكون
من خمسة عشر جنيهاً كراتب، وخمسة عشر جنيهاً كبدل طبيعة العمل أيضاً".

فامتعضت عليه:

-لازلنا نتسلم الخمسة عشر جنيها كبدل طبيعة العمل حتى الان، مع إنها كانت مائة في المائة من الراتب.

فتسائل أحمد محتدا:

-حتى لو أخذنا مائة في المائة كطبيعة عمل الان، فماذا ستضيف والراتب لا قيمة له أصلا !

فتهكم الدكتور مجدي النحال:

-إذا أردت أن تذل شعبا جوعه!

فأشار سليم بيده وأومأ برأسه: "على رسّلكم. فالحيطان لها آذان..."

ثم اتجه برأسه ناحية حكيم:

-يا دكتور حكيم، على العموم في السفر خمسة فوائد. وأرض الله واسعة. وتوجد تجارب ناجحة في العمل بالخارج.

ثم نظر إلى الأطباء وتبسم:

-ولكن السفر يفقدكم درجات الترقية للمناصب الحساسة بالوزارة، من أول مدير مستشفى إلى وكيل وزارة.

فضحك الأطباء قائلين: "تركنا لك هذه المناصب يا سيادة المدير".

فاستطرد مبتسمًا:

-اللهذه الدرجة أنتم زاهدون في درجات الوزارة السنوية العليا؟

ضحك على قائلة:

-يا دكتور سليم، إن مرتبك الحكومي الشهري كنت أتقاضاه من المستوصف الخاص الذي عملت به في الرياض في يومين !

فوافقها المدير بإيماءة من رأسه:

صحيح يا دكتورة عليه. ولكن صاحب المستوصف أنهى عدك بمجرد حضورك حفلة عيد ميلاد أحد زملائك بالمستوصف!

ـذلك لأنني كان يجب أن استأذن منه -كوفيلي- قبل الحضور.

-ولكن كانت الحفلة فيها طبيبات آخريات، وممرضات، بالإضافة إلى أسرة الطبيب صاحب الحفلة.

-كل هؤلاء الطبيبات والممرضات قد استأذن قبل الحضور.

فسألها حكيم مندهشاً:

-ما هذا الاستئذان؟ هل كنتم في سجن أو معتقل؟!

-كنت أيامها غير متزوجة وليس معي محرم. أما الزميلة المتزوجة فلا تحتاج إلى استئذان.

وعلى العموم، هذه كانت أول تجربة لي. وبعد ذلك سافرت ثلاث مرات، وكانت تجارب ناجحة

والحمد لله.

نظر سليم في ساعته، وقال: "موعد العيادات قد قرب".

ثم نظر إلى حكيم: "يا حكيم، المثل يقول: (من خرج من داره قل مقداره). وحتى لو وجدنا بعض الإيجابيات في العمل بالخارج، فالسيئات أكثر".

ثم نظر إلى الدكتور مجدي النحال وتذكر تجربته المريرة الفاشلة في السعودية فضحك في سره وقال لنفسه: لو ذكر النحال تجربته لما سافر حكيم ولا غير حكيم.

ثم نظر ناحية -الدكتور صلاح الشيمي الذي كان على وشك أن ينهي الانتداب بمستشفى الزاوية ولكنه حضر اليوم ليتسلم راتبه الشهري- وقال: "صلاح الشيمي سافر منذ عدة سنوات فليخبرنا بتجربته".

تبسم صلاح ولم يتكلم.

فقالوا له: "لم تتبسم؟"

فقال وهو يكتم مشروع ضحكة كبيرة:

-أهم إيجابية في تجربتي أنه لا توجد انتدابات لمستوصفات أخرى.

فانفجرت الحجرة ضحكتا...

قال مجدي النحال ساخرا: "والله عندك حق يا صلاح. وهل وزارة الصحة عندنا فالحة في حاجة غير انتدابات؟!"

استطرد صلاح يشرح تجربته:

-عيوب القطاع الخاص -الذي عملت به- أنتا يجب أن نأتي بإيراد عال جدا من دخل العيادة، وإلا تعرضنا لضغوط كثيرة من صاحب المستوصف.

ثم واصل وهو ينظر ناحية حكيم:

-وهذه الضغوط، يا دكتور حكيم، قد تصل إلى فسخ العقد في أي وقت؛ وبالتالي نضطر إلى زيادة دخل العيادة بطرق وهمية من تحاليل وخلافه...!

قال أحمد إسماعيل: "لقد قلت لحكيم أن يتتجنب القطاع الخاص إذا أراد السفر".

وصاحت عليه بحماس: "بوجه عام السفر فيه سبعة فوائد وليس خمسة كما قال المدير".

فقالوا لها: "هات ما عندك يا دكتورة عليه".

فتحمس أكثر وهي توضح: "يكفي فائدة السفر للعمل بدول الخليج في سهولة القيام بالحج والعمرة".

تبسم حكيم ولم ينطق!

فضحك أحمد وقال: "يا حكيم، سافر للعمل بإحدى دول الخليج، ومن هناك سافر إلى القدس،

ولمّا تعود إلينا سنلقنك (بالمقدس حكيم)".

فضحوكوا جميعا.

قال المدير وهو ينظر إلى ساعته: "الساعة التاسعة. هيا إلى العيادات".

-28-

"قم من النوم يا علي... قابلني في أرض الجمل... قم من النوم يا علي... قابلني..."
استيقظ علي عبد المنعم من النوم مذهبها...

الرجل النوراني كلامي بجوار السرير أم كلامي في حلم؟ صوته كان قريبا في أذني، بأنه كان بجواري! سأذهب إليه فوراً...

في أرض الجمل، كانت الابتسامة الحنون مطبوعة على وجه الرجل النوراني وهو يسأل:

-أنت لا تأت إلى مقابلتي إلا بإيقاظك من النوم؟

-أنا في شوق إلى لقاءك.

-كيف حالك؟

-الحمد لله.

-هل الاختبارات على الأبواب؟

-اختبارات آخر السنة في شهر يوليه المقبل إن شاء الله.

ثم تسأعل:

-أخبرني منْ أنت؟

هل أنت ملائكة الكرام؟

هل أنت نبي من أنبياء الله عليهم السلام؟

هل أنت الخضر؟

رد الرجل النوراني وابتسامته الحنون لازالت تكسو وجهه وتشع منه الصفاء:

-لماذا تشغل نفسك بي؟ ألم أقل لك من قبل إني عبد من عباد الله.

-هل أنا من أولياء الله حتى أكرم بالرحلة المباركة التي صحبتنى فيها؟

تلاؤات ابتسامته على وجهه المبارك وهو يجيب:

-هذا فضل الله يؤتى به من يشاء من عباده.

فتسأعل علي في حيرة:

-ما الهدف من الرحلة المباركة في كون الله ومن مقابلتك الكريمة؟

-يا علي... أنت الآن في مرحلة إعداد لمهمة عظيمة ستتكلف بها بإذن الله.

جال الصمت بينهما وصال... تأمل علي في الوجه النوراني... تسأعل مع نفسه:

ما هذه المهمة التي أعد لها؟ وهل سأكون أهلا لها؟ الأمر لله وحده. اللهم أعني...

ثم جرح الصمت:

-هل هذه المهمة لها علاقة بالإخوان المسلمين؟ وهل أنا أهل لها؟ وهل؟ وهل؟ وهل؟ وهل

طريق الإخوان المسلمين صحيح في الوصول إلى رضا الله؟

أشرق وجه الرجل النوراني وهو يرد:

-الطريق إلى رضا الله -عز وجل- عظيم، ولا يعرفه كله إلا الله وحده، ولا يرتبط طريق الله بحركة أو جماعة فقط. قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهُوا فِينَا لَنَهْدِيَّنَّهُمْ سُبُّلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} ¹⁵ ...

-فإذا كان الإخوان المسلمين وغيرهم من الجماعات الدعوية على الطريق الحق، فلماذا لم يتصرروا حتى الآن ويكونوا الدولة الإسلامية التي تطبق شرع الله؟

-ليس المطلوب من الذين يدعون إلى الله النصر. فالنبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قال: ((يأتي النبي يوم القيمة ومعه الرجل والرجلان، ويأتي النبي وليس معه أحد)). فليس على الذين يدعون إلى الله إلا الدعوة بصدق والإخلاص لله عز وجل.

-لقد قال الله في كتابه الكريم: {وَإِنْ جُنَاحَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} ¹⁶، فأين الغلبة للإخوان أو لغيرهم إذا كانوا من جنود الله؟!

تبسم النوراني:

-يا علي، إن الإخوان وغيرهم من الحركات الإسلامية بهم دخن! اسمع إلى قوله تعالى في سورة آل عمران معقبا على هزيمة المسلمين في غزوة أحد: {وَلَقَدْ صَدَقْتُمُ اللَّهَ وَعْدَهُ إِذْ تَحْسُونُهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشَلْتُمْ وَتَنَازَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا مَأْتِيْتُمْ بِهِ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفْتُمْ عَنْهُمْ لِيَتَابُوكُمْ وَلَقَدْ عَفَ عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} ¹⁷ ...

ثم استكمل:

يا علي، منكم من يريد الدنيا! وهذا هو أسوأ الفشل في الدعوات. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَصْرُّرُوا اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ وَيُنْتَثِرُ أَفْذَامَكُمْ} ¹⁸ ... لابد للدعوات أن تمحص قبل أن يأتي النصر {وَلَيَمْحَصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ} ¹⁹ ... {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَيْثَ من الطَّيْبِ} ²⁰ ...

وبقوة:

-واعلم يا علي، بأن الأمة تحتاج إلى النهضة في كل أمر من أمور حياتها.

وبيقين:

-واعلم يا علي، بأن الفرج مع الكرب، وإن النصر مع الصبر، وإن مع العسر يسرا... ما كاد علي أن يتسائل ما هي المهمة التي أعد لها إلا وقد اختلف الرجل النوراني فجأة وهو يقول: "يا علي، يجب أن تصوم صيام داود عليه السلام" ...

¹⁵ الآية 69 من سورة العنكبوت

¹⁶ الآية 173 من سورة الصافات

¹⁷ الآية 152 من سورة آل عمران

¹⁸ الآية 7 من سورة محمد

¹⁹ الآية 141 من سورة آل عمران

²⁰ جزء من الآية 179 من سورة آل عمران

-29-

-أنت مجنون يا طارق؟! أليس عندك أدنى إحساس بالمسؤولية؟ كيف تتزوج عرفيًا من بنات الناس؟ أليس لك شقيقتان؟ أتريد أن يحدث لهما مثلك فعلًا مع زميلتك؟!

ثم رفع حسن صوته منادياً:
ـ تعالى يا سناه بسرعة.

ثم بصوت منخفض: "لتري أفعال أخيك المحترم".
ـ أقبلت سناه مسرعة، وتساءلت في لهفة: "ما الأمر؟"
ـ فقال حسن في حنق: "الشيخ، (الدنجوان)، الحبيب، تزوج من زميلته زواجاً عرفيًا بعد قصة حب وهي حامل الآن في الشهر الثالث."

ـ تبسمت سناه نصف ابتسامة وهي تقول: "نصف الدفعة في كلتنا متزوجون عرفيًا".
ـ وبنصف الآخر من الابتسامة:
ـ ووالنصف الآخر يفكرون.
ـ وقع كلام سناه بربا وسلاماً على طارق.

ـ سألها حسن وقد تبخر نصف غضبه: "ما هذا الهراء الذي تقولينه؟"
ـ فأومأت برأسها مؤكدة:
ـ يا حسن، الزواج العرفي بين طلبة الجامعات أصبح بلاء عاماً!
ـ فتشجع طارق:
ـ يا أخي، أنت كنت شباباً مثلي. وتعلم الكبت الجنسي الذي نعانيه في مرحلة الشباب.
ـ فانفعل حسن وهو يضرب كفا بكف:
ـ كبت جنسي! لماذا حدث السعار الجنسي حتى تكتبه؟ وما دور هذه اللحية التي تملأ وجهك؟ أين تدينك؟!

ـ فرد طارق: "الفتن في كل مكان، وفي الجامعة أشد".

ـ وأين غض البصر يا أبا المشايخ؟ وأين الصوم الذي نصح به الرسول -صلى الله عليه وسلم- الشباب؟

ـ فأجابه طارق وهو يخشى أن ينفجر حسن في أي لحظة:
ـ لقد صمت كثيراً. أم يكون الصوم أزلياً في رأيك الفقيهي؟
ـ فغضب حسن:
ـ لقد تركت لك المشيخة والأراء الفقهية. ولكنني أعرف الأصول، والذي صنعته أنت بعيد عن الأصول والصواب. وليس لديك ذرة إحساس بالمسؤولية.

ـ فتساءل طارق بحذر:
ـ هل صنعت حراماً يا حسن حتى تحاكمني هكذا؟

فرد حسن بغيظ:

- لا تقل إن هذا الزواج الذي يتم من وراء أهلك وأهلهما حلال!

فهمست سناء:

- أخفضوا من صوتك حتى لا تسمع أمنا. تجنبو أي انفعال لها حتى لا تأتيها النوبة الصدرية.

ثم تساءلت:

- هل أهل زوجتك يعلمون بهذا الزواج السري وخاصة بعد الحمل؟

لم يعلموا.

فأسأله حسن:

- وبطنهما التي كبرت؟

فأجابه:

- الحمل هو أكبر ورطة الآن. وربما علم أهلهما به. وهو الذي جعلني أحدثك بأمر هذا الزواج.

قال حسن ساخراً:

- الحمل هو الذي جعلك تحدثي بزواجهك. يعني لو لم يحدث الحمل ما حدثني أبداً!

فقالت سناء في يأس:

- طارق في ورطة كبيرة يا حسن...

قال حسن:

- يا طارق، أنا أخوك الكبير. وعمرني خمسة وثلاثون عاماً. وأنت تعلم أنني ضحيت بكلية الهندسة، والتحقت بالجيش حتى أستطيع أن أقوم بأعباء البيت. ولم أتزوج حتى الآن بالرغم من المغريات التي تتحدث عنها. فكان يجب عليك أن تتحمل المسؤولية، وتركز في مذاكرتك، وتتفوق، وتخرج من الجامعة، وتساعدني في تحمل أعباء الأسرة. ولكنك قد خبّئ خيبة كبرى! تساءل طارق في حيرة:

- وما هو الحل الآن للخروج من هذه الورطة؟

فرد عليه حسن في سخرية مرة:

- من أين لي بالماديات التي أزوجك بها؟ أسرق؟!

فقالت سناء:

- يجب أن نخبر أهل زوجتك بما حدث.

فانفعل طارق:

- يجب أن تتصرف يا حسن. لابد من عمل شيء. أنقذ الموقف. أخ أكبر مسؤول بلا فائدة.

فوقف حسن غاضباً، وصفع طارق على وجهه، وهو يقول:

- ألزم حدونك. تعلم الأدب في الحوار مع أخيك الكبير. تفسد الدنيا في الجامعة، وتريد أن أصلح ما أفسدته.

ثم قعد مستوياً، وتساءل في أسي: "ومن أين لي ذلك؟"

-30-

سأله أحد أفراد أسرته الإخوانية عن جهدهم في ضم أفراد جدد لدعوة الإخوان، فلم يجده أحد بالإيجاب إلا صلاح الشيمي الذي أخبره بمتابعته لطبيب جديد في مستشفى الحوض المرصود وجار في الوقت نفسه. ابتهج الغرباوي وتساءل:

-هل له أي اتجاهات لأي جماعة إسلامية؟

-ليس له أي اتجاهات.

قال الغرباوي دون أن ينظر إلى جهة سعيد وطارق:

-من الأفضل، يا أخي، أن نلحق بقاطرة الجماعة أفراداً ليس لهم أي ميل لأي جماعة إسلامية، حتى نستطيع أن نشكّلهم بسهولة.

ثم وجه حديثه لطارق:

-أهم خبر اليوم في نشرة اليوم، هو خبر دفن العدو لأسرانا أحياء في حرب 1956 و 1967، فما تعليق أخيك الأستاذ حسن عليه؟ وما تأثير هذا الخبر على الجيش؟

-رأيه أن إسرائيل تريد شيئاً ما من هذه الأخبار. أما قيادة الجيش فالزالت الصمت!

فتحمس إسماعيل:

-وزارة الخارجية أعلنت أنها لن تسكّت، وستقاضي إسرائيل في محكمة العدل الدولية.

فاحتضن صلاح:

-ولماذا لم تقاضيها من قبل؟ من المؤكد أن القيادة تعلم بهذه الأخبار من الأسرى الذين تركتهم إسرائيل أحياء ليحكوا ما رأوه رأي العين.

فأومأ طارق برأسه مؤكداً:

-أخي حسن أخبرني أن القيادة تعلم بهذه الأخبار منذ وقوعها، لكنها منعت نشرها حتى لا يُبث الوهن والذعر في صفوف الجيش والشعب للاستعداد لمعركة الثأر.

فتتساءل صلاح:

-لماذا لم تفضح القيادة إسرائيل في العالم لأنها خالفت القوانين الدولية في التعامل مع الأسرى؟

وأين ذلك الوهن الذي كان سيؤثر فينا؟!

هز سعيد رأسه مؤكداً:

ـ بل نشر هذه الأخبار في حينها سيعضد الثأر في نفوس الجيش... ولكن إسماعيل رأى:

-أن القيادة في حينها كتمت هذه الأخبار حتى لا تتحطم معنوياتنا.

فتتساءل الغرباوي:

-ولماذا لم تنشر القيادة هذه الأخبار بعد معركة الثأر لكرامتنا في حرب 1973؟ وكان الجو العام حينئذ هو جو انتصار، ومعنوياتنا كانت في السماء...

لم يرد على تساؤل الغرباوي أحد.

مررت فترة من الصمت التحليق فمزقه الغرباوي ممتعضاً:

-ربما رأيت قيادتنا أن نشر هذه الأخبار سيؤثر على السلام الذي كانت تتوبيه بعد حرب 73!

فامتعض إسماعيل:

-من الآراء المنتشرة الآن، أننا دخلنا حرب أكتوبر 73 لكي نقوم بالسلام!

فألوماً الغرباوي برأسه موافقاً:

سمعنا هذا.

ثم تسائل:

-ولكن لماذا لم تسرب المخابرات الحربية أخبار دفن الأسرى لكتاب السيناريو والأفلام لكي

نفضح إسرائيل أمام العالم؟

فوافقه صلاح قائلاً:

-وهذا بعيد عن السياسة. يعني فن في فن.

فقال طارق:

-الله أعلم بنية القيادة في التكتم على هذه الأخبار.

فتساءل علي متثيراً:

-ولكن لماذا تفضح إسرائيل نفسها الآن بنشر هذه الأخبار في تلفازها؟

فرد عليه صلاح:

-حتى تحرج قيادتنا أمام شعبها!

وقال إسماعيل:

-وحتى تهين الشعب المصري بسبب عدم التطبيع معها.

وقال الغرباوي:

لقد سمعت من قيادات الإخوان أن إسرائيل نشرت هذه الأخبار حتى تحرج القيادة السياسية التي

ستضطر إلى أن تشكو إسرائيل في المحاكم الدولية لطالع بالتعويضات المادية لأسر الشهداء

سواء المدفونين أحياء أو شهداء المعارك. وعدد هؤلاء لا يقل عن مائة ألف شهيد في حرب

1967 وحدها! وإسرائيل تريد أن تدفع تعويضات لا تقل عن خمسة آلاف دولار لكل أسرة،

وهي بذلك ستدخل إلى قلوب أغلب شعبنا، لأن المبلغ ضخم لشعب 98% منه تحت خط الفقر!

فتقحم إسماعيل قائلاً:

-إسرائيل تريد بذلك أن تسخن السلام البارد.

وقال علي:

-وبالتالي التطبيع معها.

فأكمل الغرباوي كلامهما بيقين:

-هذا فعلاً، ما تريده إسرائيل بنشر هذه الأخبار.

تساءل علي:

-ربما تريد أشياء أخرى لا نعرفها؟

فأجابه الغرباوي:

نعم يا أخي علي. فالله أعلم بمرادها.

ثم شرد برهة، وكأنه تذكر شيئاً:

-لقد عارض الإخوان معايدة السلام منذ قيامها.

فأومأ صلاح رأسه مؤكداً:

وبالتالي التطبيع.

قال الغرباوي:

-رأي الإخوان يوجه عام أن إسرائيل تنتصر علينا في السلام أكثر من انتصارها في الحرب!!...

قال صلاح بضيق:

-عندك حق يا أستاذنا. وبعد معايدة السلام، زادت حالات الفشل الكلوي ومرض السرطان

بطريقة غير مسبوقة في بلدنا!

فأردف إسماعيل بسرعة:

-السبب الواضح والذي تلوكه الأقلام منذ فترة، هو الأسمدة الصناعية المسرطنة المستخدمة

على نطاق واسع في الزراعة والتي استوردها نظامنا الحاكم من إسرائيل!....

-31-

عادت نجوى إلى الكلية بعد غيبة طويلة. فلم يقابلها طارق عمر مقابلة الحبيبة الغائبة، إنما سألها بفتور:

ـ ما هذه الغيبة الطويلة يا نجوى؟ شهر بكماله؟

ـ الأيام تثبت أن حبك كذب في كذب يا طارق!

ـ طبعاً، لو غبت الدهر كله لن تسأله عنك في الحقيقة تدعى حبي بلا أي دليل.

ـ

ـ لقد ظننت أن غيابك هو استعداد للاختبارات.

ـ على الأقل، كان يجب عليك أن تعرف أخباري من رانا. ولكنك لا يخطر على بالك أن تسأله عنني.

ـ وفي حزن:

ـ ولو كنت تحبني حقاً لامتلكت الشجاعة لتعترف بزواجهنا وتواجهه أهلي بذلك.

ـ فقال بعصبية:

ـ طوال الفترة الماضية، كنت أحاول أن أجد حلاً لمشكلتنا، حتى أخي حسن فاتحته في هذا الأمر.

ـ فضحتك ضحكة ممطولة، وتساءلت في سخرية:

ـ وهل ضربك بالنار في ميدان عام؟!

ـ فرد في يأس:

ـ هو لا يستطيع أن يفعل شيئاً بسبب الظروف المادية.

ـ قالت وقد طبعت على وجهها ابتسامة ساخرة ماكرة:

ـ "الحب يصنع الأمان. الحب يقفز فوق أسوار الواقع. الحب يقفز فوق كل أسوار المستحيلات.

ـ الحب يسبح ضد التيار. الحب يصنع المعجزات..." أليس هذا كلامك؟!

ـ ثم ترنمت ساخرة:

ـ كيف ذاك الحبُّ أمسى خبراً

ـ وحدينا من أحاديث الجوى

ـ ثم بمرارة وحنق:

ـ أي ظروف مادية؟ هل طلبت منك أن تجهز شقة للزواج؟ ألم أقل لك أن نتعلم من رانا وسمير

ـ اللذين أعلنوا الخطوبة أمام الجميع. مع العلم أن أهلهما قد علموا بزواجهما العرفي.

ـ تلعلم طارق:

ـ أهل... أهل سمير... أهل سمير يعملون في الخارج. وسمير... سمير... يستطيع أن يعلن

ـ الخطوبة أو الزواج إذا أراد.

ـ فتساءلت في غضب:

ـ هل إعلان الخطوبة يستدعي ماديات؟!

-أهل سمير ورانا على الأقل تفهموا الموقف. ولكن أهلي وأهلك؟

-وما المانع أن يتفهموا كما تفهموا غيرهما؟

لم يرد على سؤالها، ولكنه حاول أن يجد موضوعا ليتحدث فيه بعيدا عن أسئلتها الاستفزازية

والتي لا يجد لها جوابا ولا ردًا، فلم يجد موضوعا.

نظر إلى بطنها فاندهش...

لقد ضمر! أين ذهب الحمل؟! يا رب تكون قد أجهضت... يا رب... يا رب...

قال وهو يشير إلى بطنها:

ـ والحمل؟

فضحكت ضحكة عريضة:

-الحمد لله، لقد سقط من عند الله.

فتتساءل بحيرة وفرحة ولهمة:

ـ كيف ذلك؟ وهل هذا الإعفاء الذي تبدين به بسبب سقوط الحمل؟

طبعا، فرحان لسقوط الحمل!

ـ لقد سقط الحمل فجأة منذ أسبوعين. ولقد قال الطبيب: بأن سبب سقوط الحمل هو أن دمي قد

(نزف). ولا أعلم ما يعني قوله هذا.

ـ ولمذا لم تسألينه؟

ـ لم يرد أن يخبرني بأكثر من ذلك. ولكنه أخبرني بأن أكشف عند طبيب جدية وتتناسليه. ولكنك

ـ لا تحزن من فقد ثمرة زواجنا؟

ـ الحمد لله أن الحمل قد نزل وخلصنا من غمه وكربه. اطمئن يا أخي حسن لقد فرجت...

ـ فرجت... فرجت من عند الله...

ـ الحمد لله على السراء والضراء. ولكن لماذا تبدين مرهقة؟

ـ ثم أحس جبينها:

ـ يبدو أنك تعاني من سخونة.

ـ نعم يا طارق، ويوجد طفح غريب في جسمي.

ـ فقال وهو ينظر في جدول المحاضرات:

ـ يوجد طبيب صديق يعمل في مستشفى الحوض المرصود، سذهب إليه يوم الثلاثاء المقبل إن

ـ شاء الله...

-32-

تبدأ أعمال الكتبية عند الإخوان المسلمين بالتجمع قبل صلاة المغرب في سكن فسيح لأحد الإخوة ليستقبل أكبر عدد من الأفراد من الشعبة نفسها أو من عدة شعب. يتجمع الأخوة فرادى حتى لا يلفتوا الانتباه. يتم تلاوة أذكار المساء "الوظيفة الكبرى" من كتاب المؤثرات لحسن البناء. ثم يتناولون تمرات للإفطار عند آذان المغرب لأنهم غالباً يكونون صائمين. ثم يصلون المغرب جماعة، ويكون التأمين بصوت منخفض حتى لا يلفتوا انتباه الجيران. بعد الصلاة يتناولون طعام الإفطار ويتم التعارف بينهم أثنائه...

حضر أفراد أسرة أحمد الغرباوي الكتبية، وعرفوا أنفسهم مع الحاضرين. نظر إليهم أفراد الكتبية متطلعين، لأنهم جدد في الجماعة.

بعد الإفطار، يقدم أحد أخوة الشعبة المحاضر للأخوة. ويكون المحاضر عادة من كبار الدعاة في الإخوان، أو من المحاضرين في الجماعة، ويمكن أن يكون من أعضاء مكتب الإرشاد أو المرشد نفسه في أحيان نادرة. ويتعرف المحاضر على الأخوة الحاضرين، فيقدم الأخ بيانات تعريفه؛ الاسم، والعمر ، والوظيفة، وعنوان السكن، والحالة الاجتماعية. ثم يقوم المحاضر بإلقاء محاضرة طويلة يعقبها أسئلة من المستمعين. وعادة تتتنوع مواضيع المحاضرة من كتبية لأخرى طبقاً لبرنامج الكتبية. وبعد ذلك يصلون العشاء، ثم صلاة القيام، ثم النوم. ويكون أحد الأخوة مستيقظاً -كأنه في حراسة أثناء حرب- ليوقظ الثنائيين لصلاة التهجد في السحر. ويتبدل أكثر من آخر أعمال الحراسة، حتى يوقيط الأخير منهم النيام. وبعد صلاة التهجد، يصلون الفجر، ثم يتلوان أذكار الصباح، ثم ينصرفون فرادى كما أتوا...

تكلم المحاضر في السيرة النبوية، ومما قاله:

يا أيها الإخوان... يوجد لنا أخوة جدد على طريق الدعوة المبارك فمرحباً بهم. وقبل أن يبايعوا لابد أن يعرفوا بأن طريق الدعوة هو طريق الأنبياء، وطريق الأنبياء ليس بالطريق الممهد السهل، بل هو طريق وعر شاق، هو طريق كله ابتلاء ومحن، يبتلينا الله سبحانه وتعالى- فيه؛ ليمحص إيماناً، وليميز الخبيث من الطيب، وليميز الكاذب من الصادق...
يا أيها الإخوان، طريق الإخوان ليس مفروشاً بالورود، بل هو مفروشاً بالأشواك؛ ليس مفروشاً بالشهرة بدخول مجلس الشعب أو بالتحدث في وسائل الإعلام، بل هو مفروشاً بالمحاكمات وبغياب السجون والمعتقلات...

أيها الإخوان، إن لنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم- الأسوة الحسنة. لقد جاهد وناضل، وكذلك صاحبته الكرام، لكي يصل هذا الدين إلينا. لقد اضطهد الرسول -عليه الصلاة والسلام- والصحابة الكرام في مكة، وشدد الكفار العذاب على الضعفاء منهم، واستشهد منهم الكثير تحت ضربات التعذيب والتوكيل... ووصل العذاب إلى حد قتل خباب بن الأرت: "يا رسول الله، ألا تستنصر لنا، ألا تدعوا الله ليخفف عنا ما نحن فيه؟" فرد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم: (لقد كان فيمن قبلكم يُشق بالمنشار شقين فلا يزحزحه ذلك عن دينه).

واستهزءوا بالرسول وسخروا منه {وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِدُونَكَ إِلَّا هُرُواً أَهَدًا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا} ²¹... وكذبوا عليه الصلاة والسلام: {فَدَنَعْلُمْ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَبِّرُونَ} ²²
ولَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} ...

أيها الأخوة... قبل أن تبايعوا، عليكم أن تعلموا أن جماعة الإخوان المسلمين قد أذن الله أن تقوم لكي تعيد مجد الإسلام وحضارته. إن الذين يبايعون في جماعة الإخوان المسلمين إنما يبايعون الله. يد الله فوق أيديهم. ومن يبايع فيجب أن يعلم أنه يبايع على إعادة تكوين: (1) الفرد المسلم كما كان في عصور الإسلام الذهبية، (2) الأسرة المسلمة، (3) المجتمع المسلم، (4) الدولة المسلمة التي تطبق شرع الله، (5) الخلافة الإسلامية، ثم (6) أستاذية العالم... .

إننا نبايع على أن يكون الله هو غايتنا، والرسول زعيمنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا... .

أيها الإخوان، إن أركان بيعتنا عشرة وهي: الفهم، والإخلاص، والعمل، والجهاد، والتضحية، والطاعة، والثبات، والتجدد، والأخوة، والثقة... .

وظل المحاضر يشرح كل ركن من أركان البيعة العشرة، وفي بند الفهم شرح للإسلام الشامل: "الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء، وهو مادة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء..."
واستفاض المحاضر في شرح كل ركن من أركان البيعة العشرة.

ثم استطرد:

- أيها الأخوة، إن الحضارة الحديثة الآن تعاني من مادية طاغية لا تبقي ولا تذر! إن العالم اليوم في حاجة شديدة إلى الإسلام وحضارته. إن العالم اليوم في حاجة شديدة إليكم أنتم انت من عشر الإخوان... .

أيها الأخوة الجدد، يبايعوا على بركة الله... .

أيها الأخوة الجدد. أيها الأخوة الجدد... .

كونوا من رجال الله... .

كونوا من أنصار الله... .

كونوا من أنصار رسول الله... .

كونوا من أنصار دين الله... .

واعلموا أن لكم إخوان قد ضحوا في هذه الدعوة حتى وصلت إليكم. فقد اعتقل الآلاف، وأعدم العشرات... .

²¹ آية 41 من سورة الفرقان

²² آية 33 من سورة الأنعام

يا أيها الإخوان... يا أيها الإخوان...
 ألا يستحق الله الملك القدس السلام أن نضحي من أجله؟
 ألا يستحق المؤمن المهيمن الكبير أن نضحي من أجله...؟
 ألا يستحق العزيز الجبار المتكبر أن نضحي من أجله...؟
 ألا يستحق الخالق الباري المصوّر أن نضحي من أجله...؟
 ألا يستحق من له الأسماء الحسنى والصفات العلى أن نضحي من أجله...؟ سبحانه... سبحانه...
 لا نضحي ثناء عليه كما أثني هو على نفسه... سبحانه... سبحانه...
 وانفجرت الكتبة بمن فيها بكاء...
 وكان آخر ما قاله المحاضر بصوت مبحوح من البكاء قوله تعالى:
 {وَكَائِنٌ مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهُنَّا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَغْفُوا وَمَا
 اسْتَكَاثُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي
 أَمْرَنَا وَتَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَأَتَاهُمُ اللَّهُ تَوَابُ الدُّنْيَا وَحُسْنَ تَوَابُ الْآخِرَةِ
 وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ *} ²³...

²³ الآيات 146 - 148 من سورة آل عمران

-33-

ترك الدكتور أحمد إسماعيل مجلسه الصباحي وذهب مع بعض أعضاء حزبه الشجري إلى حجرة الأطباء للسلام على الدكتور صلاح الشيمي الذي أتى لحضور الكونسلتو الأسبوعي. وقبيل الوصول، كان الضجيج والعجيج ينبعان من الحجرة...
فتساءل أحمد إسماعيل:

-مال القوم اليوم؟ ما هذا الضجيج؟ أخبرنا يا مجدي يا نحال يا وكالة أخبار النمية في المستشفى.
فضحك الأطباء.

وضحك الدكتور حكيم قائلاً:
-وإياك أن تلسعنا بنحالك!

فضحك الدكتور النحال وهو يقول:

-لقد أتت سيدة منذ أسبوع إلى عيادة الاقتصادي بابنها للفحص، وأخذ منها موظف المختبر ثلاثة أضعاف ثمن التحاليل!

فمطأطأ أحمد إسماعيل شفتيه ممتعضاً:
-طبعاً، لن تمر حالة في العيادات الاقتصادي إلا بتحاليل!

ثم تساءل:

-ولكن كيف عرفت هذه السيدة أن الثمن مضاعف ثلاث مرات ولا توجد قائمة بأسعار التحاليل؟

فأجابه النحال:

-من سوء حظ الموظف، أن السيدة كانت معها صديقة تكشف على ابنها ودفعت ثمن التحاليل أقل منها ثلاث مرات، والتحاليل كانت هي هي.

فتساءل حكيم:

-وكيف عرفت هذه المرأة أن التحاليل هي نفسها تحاليل ابن صديقتها؟

-لأنها تقرأ الإنجليزية.

-وما هي هذه التحاليل؟

ردت طبيبة¹:

تحاليل CBC²⁴ ووظائف الكلي والكبد.

فتساءل حكيم ساخراً:

-ولماذا أخذ منها أكثر من صديقتها؟

فتبتسم الدكتور عماد الدسوقي وأجاب:

-لأنها كانت (متريشة)!

²⁴ صورة دم كاملة

قال أحمد إسماعيل:
أفضل أكثر.

كانت ترتدي ملابس فاخرة وحليا من الذهب ...

فضحك الدكتور صلاح الشيمي:

موظف المختبر أدرى بالثراء يا دكتور أحمد.

ثم أردف:

جويا ليته كان اشتراكيا فيخفض من ثمن التحاليل للفقراء. وما أكثرهم.

سأل حكيم النحال:

وماذا تم بعد ذلك؟

أخذت وصلي التحاليل، وفضحت المستشفى في بعض القنوات الفضائية.

قال طبيب 1:

وكانت فضيحة (بجلجل).

سألت الدكتورة علية الدكتورين حكيم وأحمد:

ألم تسمعوا عن هذه الواقعية؟

تبسم أحمد وحكيم وردا معا:

ليس عندنا إلا التلفزيون المحلي.

ثم تسائل الدكتور أحمد:

وماذا جرى مع الموظف؟

فرد عماد الدسوقي:

تحقق المديرية معه بعد استجواب وزير الصحة في مجلس الشعب.

فاندهش حكيم:

إلى هذه الدرجة. استجواب الوزير!

وهاماً:

ربما يُقال فيها الدكتور سليم!

قال صلاح الشيمي:

إذا كان رب البيت بالدف ضاربا، فشيءة أهل البيت الرقص والطرب!

فساءل الدكتور أحمد:

وماذا يصنع موظف المختبر حينما يجد أمامه قائمة من التحاليل الوهمية طوال اليوم؟

فهتفت طبيبة 1:

فلينهب مع الناهبين.

وقال عماد الدسوقي:

لقد رأيت أن الشرفاء في هذه المستشفى لا يعملون بالاقتصادي.

فاحتدت الدكتورة ابتسام عوض الله:

- لا تقل ذلك يا دكتور عماد. فكثير من الأطباء مضطرون إلى العمل بالاقتصادي ولا يطلبون أي تحاليل وهمية.

وقال صلاح الشيمي:

- البعض منا يحتاج إلى العمل بالاقتصادي لظروفه المادية، وفي الوقت نفسه، يراعي ربه في عمله. مع العلم أن راتبه من الاقتصادي لن يتعدى مائة جنيه طالما يسير على الطريق المستقيم.

فاحتدى الدكتور فوزي نجيب ساخراً بصوته الأجش الخشن:

- ومن أنت يا تاجر السيارات، حتى تقول إن الشرفاء لا يعملون بالاقتصادي؟

غضب الدكتور عماد:

- أنا أتاجر بالسيارات بشرف. وأنا لا أضحك على المرضى وأسرقهم. وما حدث من سرقة أموال تلك السيدة هي ثمار هذه المنظومة الفاسدة المفسدة.

ثم انصرف غاضباً.

فاستأنف فوزي نجيب:

- هو أيضاً يغش المشترين، فيقول في الإعلان: إن السيارة استعمال طبيب، وهو في الحقيقة يتاجر بها، ويستغل وظيفته.

فألوماً صلاح الشيمي لفوزي:

- عماد طبيب حديث التخرج. ومرتبه لا يفي بشيء. فاضطر أن يتاجر بالسيارات حتى يفي بمصاريف دراسة الماجستير.

ثم خاطب الأطباء مشيراً بيديه:

- وعلى العموم، الرجل قد ترك لكم الاقتصادي بما حمل.

قال الدكتور حكيم نخلة:

- يا فوزي، يا زعيم العيادات الاقتصادية، دعنا من الدكتور عماد. وأخبرنا ما رأيك في حادثة سرقة وابتزاز أموال هذه السيدة عليناً من موظف المختبر؟

فامتعرض فوزي:

- لقد قلت لكم من قبل إن عيادات الاقتصادي ستصبح هي الأصل. الدولة ترفع أيديها تدريجياً عن كل شيء. الدولة تتبع القطاع العام سواء كان ناجحاً أو فاشلاً. الدولة أصبحت الآن دولة

رخوة أمام الشركات عابرة القارات. انتهت عصر التأميم والاشتراكية. نحن الآن في عصر انتصار اقتصاد السوق والرأسمالية. العولمة هي إله العصر الجديد! ولكن مدى رؤيتكم لا يتعدى

أربعة أنوفكم. أفقوا يا قوم من سباتكم العميق. أفقوا...

غضب الدكتور أحمد إسماعيل:

- أنت لم تجب عن سؤال الدكتور حكيم. لسنا الآن في نقاش عولمناك. أخبرنا عن رأيك في دفع السيدة ثلاثة أضعاف ثمن التحاليل؟ هل هذه هي العولمة التي تبشرنا بها؟!

فامتعض الدكتور فوزي وهو يرد:

-لست مسؤولاً عن تصرف هذا الموظف. ولم تأمره إدارة المستشفى بسرقة المرضى.

قال أحمد إسماعيل ساخراً:

-ولكنه فعل روح العيادات الاقتصادية اجتهاداً منه.

ثم أضاف:

ولكل مجتهد نصيب!

قالت الدكتورة ابتسام عوض الله:

-هو مقتنع بأن قائمة التحاليل وهمية وغير مطلوبة، فتأثر بهذا الجو العفن.

قال فوزي في نفسه:

أتعلمين واعظة لنا الآن يا ابتسام؟ واضح أن رفضك للزواج من الكثرين الذين تقدموا لخطبتك بسبب غرورك العلمي وغرورك بشعرك الذهبي وجمالك الفاتن أدى إلى طول فترة (العنوسنة) التي أثرت كثيراً على عقلك. اذهبي ودعني عنك سيدك فوزي. وابحثي عن عروس فهو أفضل لك.

أكذ الدكتور مؤمن رأي ابتسام:

-الجو العام عفن يا دكتورة ابتسام. فمنذ خمس سنوات، وكل وزارة حريصة على زيادة مواردها بأي شكل؛ فزادت قيمة التمغات والضرائب، وزادت الضرائب على العاملين بالخارج، وزادت رسوم التقاضي بالمحاكم، بل أخترعت ضرائب جديدة كضريبة المبيعات، واخترعت القسم الاقتصادي والعائدات الاقتصادية بالمستشفيات الحكومية. بصراحة الصورة بشعة...

فتقوجه الدكتور فوزي برأسه ناحية الدكتور مؤمن:

-أخبرهم حتى يدرروا ما يدور حولهم.

فانفعل أحمد إسماعيل:

-أتعلمنا أنت ما يجري حولنا؟ لقد ضييعتم القيم والمبادئ.

قال فوزي في نفسه:

حتى أنت تريد أن تعمل واعظاً لنا؟ أنت تتسلمون راتبكم من كدي وكد غيري ممن يعملون بالاقتصادي. ولكن أنى لكم أن تدروا شيئاً؟ ويا أخي، بدلاً من أن تعمل واعظاً لنا وتدعي الطهر والاستقامة، اذهب وحل مشاكلك الزوجية الأزلية... أنت لم تستمر مع زوجة إلا عدة أشهر وسرعان ما تطلقها. لماذا؟ لأنها تطمع في أموالك التي جمعتها في الكويت. فاشل في حياته الأسرية، ويعمل فيها نبياً في قومه...

ثم تساءل بسخرية:

-هل أنت اشتراكيون أكثر من الدولة التي تدعى في دستورها بأن نظامها اشتراكي وهي الآن

تنهج كل النهج الرأسمالي؟

فتحمسست الدكتورة ابتسام قائلة بصوتها الثوري:

-بيد أن بالمستشفى الآن كثيرا من الأميركيين العرب الجدد الذين يبشرون بالليبرالية واقتصاد السوق.

فتضالق فوزي:

-يا دكتورة ابتسام، لقد ماتت الاشتراكية في مهدها في روسيا، وكل دول أوروبا الشرقية تحولت إلى الرأسمالية منذ خمس سنوات، وبالضبط منذ سقوط حائط برلين، حتى روسيا نفسها تحولت إلى اقتصاد السوق.

وبامتعاض:

-اخلي رداء الاشتراكية الكاذب الذي ترتد فيه في غير أوانه.

وفي سره:

عاملة فيها يسارية؟ غوري يا شيخة. شيخة؟! ها... ها... أقصد يا رفيقة! شيوعية كافرة!
فاندفع صلاح الشيمي بحماس:

- لا مستقبل للرأسمالية لأنها متوضحة. والرأسمالية لا تخدم إلا طبقة أصحاب المال الذين تحالفوا مع السلطة السياسية، وهو تحالف يمكن أن نقول فيه إنه "زنا سياسي"! وقد قال كارل ماركس: إن الرأسمالية بحكم طبيعتها- ستدمى نفسها. وقد تنبأ كثير من كبار الاقتصاديين بفناء الرأسمالية، لأنها تحمل بذور فشلها بسبب التناقض الكبير بين الطبقة العاملة المنتجة الكثيرة العدد وطبقة الأفراد الفلائل المستحوذين على الفائض الريع من الربح، سواء كانوا أصحاب المال أو المديرين...

تنسم فوزي ساخرا:

-الرأسمالية هي التي خرجت منتصرة بعد صراع البشرية منذ فجر التاريخ. وعجلة التاريخ لا ترحم، وستهرس كل من يقف في طريقها.

ضحك ابتسام:

-الدكتور فوزي يتكلم بأسلوب ماركسي وهو يمدح الرأسمالية!

فاستكملا فوزي:

-انظري لكل الدول الاشتراكية بدءً من بلدنا الاشتراكي العظيم، وانتهاء بمنبع الاشتراكية بالاتحاد السوفيتي المنحل اللامأسوف عليه.

ثم توجه ناحية الدكتور صلاح:

-يا دكتور صلاح، يكفي للرأسمالية أنها تحمل أهم صفة للتقىم ألا وهي العقلانية، وعقلانيتها في كل شيء يتعلق بالاقتصاد. وهذا هو سر نجاحها وتفوقها على أي نظام اقتصادي آخر.

فرد صلاح بحماس:

-الرأسمالية فشلت فيما مضى وستفشل فيما هو آت يا دكتور فوزي. وحتى الاشتراكية فشلت أيضاً لأنها ضد فطرة التملك. والاشراكية يا دكتورة ابتسام، تحمل تناقضات كبرى، وتطبيقاتها كان فاشلا.

قال مؤمن:

- الاشتراكية فكرة جميلة ولكن على الورق. وتطبيقها الصحيح يحتاج إلى حواري الأنبياء!

فهز فوزي رأسه مؤكداً:

- عندك حق يا دكتور مؤمن. فلقد كان ربع التأمين لا يذهب إلى الشعب كما تنص قوانين الاشتراكية، ولكن يذهب إلى جيوب أعضاء الحزب الشيوعي السوفياتي!

فهز مجدي النحال رأسه موافقاً لرأي فوزي:

- وكذلك الحال كان عندنا أيام الإتحاد الاشتراكي ولجنة الإقطاع.

فاندفعت ابتسام بحماس شديد:

- ولكن الرأسمالية هي التي أفرزت لنا الاستعمار المقيت الذي مص دماء شعوبنا!

فرد عليها فوزي:

- ولكن الرأسمالية هي التي انتصرت في النهاية يا دكتورة ابتسام. والرأسمالية هي التي أمرت في بلادها الحرية والديمقراطية، وهم أساس التقدم الرهيب في الحضارة الغربية...

فصاحت الدكتورة عليه بصوتها الثوري القوي:

- الحرية لهم؛ ولكن لنا الاستعمار الذي ظل أعوااما طويلاً ينهب خيراتنا ويقتل شعوبنا. وأخيراً قبل أن ينسحبوا من بلادنا، زرعوا لنا إسرائيل حتى لا تقم لنا قائمة بعد ذلك.

فهز فوزي رأسه قائلاً:

- حركة التاريخ تخبرنا أن الغلبة دائماً للقوى. فنحن الذين اختارنا دور الضعيف في كل شيء، وخرجنا خارج حركة التاريخ منذ قرون...

قال صلاح:

- عندك حق يا دكتور فوزي. فنحن الذين اختارنا دور الضعيف وتركنا ديننا وتعاليمه التي تحث على اختيار دور القوى في كل شيء؛ سياسة، اقتصاد، علم، حضارة... واستورينا مرة الرأسمالية وفشلنا، ومرة الاشتراكية وفشلنا أكثر! والاشتراكية قد فشلت في مهدها. والرأسمالية تحمل بين جنبيها بذور فشلها، وقد كانت لها أزمات قاتلة في الثلاثينات...

لم يكمل الجملة لمقاطعة الدكتور فوزي الحادة بصوته الخشن:

- اقتصاد السوق مهما حدث له من أزمات، فإنه يستطيع أن يصوب أي خطأ من داخل آليات السوق نفسه. أما الاشتراكية حينما وقعت، فقد ماتت بالسكتة القلبية!...

فرد الدكتور صلاح بحماس بالغ:

- المستقبل للنظرية الإسلامية في الاقتصاد، ويكتفي أنها تحرم الربا الذي سبب نكسات وأزمات عالمية رهيبة.

فسأله فوزي:

- ما هي النظرية الإسلامية في الاقتصاد؟

وفي نبرة سخرية:

-هل تريد أن تقول بأن "الإسلام هو الحل" كما يقول الإخوان المسلمين. ولكن هذا لا يزيد عن مجرد شعار!

فرد صلاح في قوة:

-النظرية الإسلامية تقوم على المضاربة والمشاركة في الأرباح والخسائر، وتحس على زيادة الإنتاج، وتحرم الربا والاحتكار واستغلال الشعوب... وبثقة:

ولا يوجد في الاقتصاد الإسلامي ما يُسمى بالاقتصاد الوهمي الذي تقوم به الرأسمالية! فأوّلًا فوزي برأسه نافياً:

-أنا غير مقنع بما يُسمى بالاقتصاد الإسلامي. بل لا يوجد ما يُسمى بالاقتصاد الديني على مدار التاريخ كله. والاقتصاد الإسلامي ربما يكون قريباً من اقتصاد السوق. وسألّ شخص لكم الأمر كله بالآتي:

مربيض العيادة المجانية يدفع جنيهاً واحداً. ويقف في طابور طويل حتى يأتي دوره في الكشف. وحينما يدخل العيادة، لا يجد فحصاً من الطبيب بسبب الزحام. فلا يقنع بروشته العلاج ولا بالفحص، فيذهب بالروشتة إلى طبيب آخر ليفحصه مرة ثانية، وفي النهاية لا يقنع إلا بالفحص الهادئ في عيادات الاقتصادي. فالمربيض عنده قناعة شديدة بأن يدفع أكثر ليستفيد أكثر. وهذا هو اقتصاد السوق بمنتهى البساطة. فالمربيض حريص على صحته. فليهن ماله ولا يهن نفسه وصحته. ولويذهب مرهم السلسليك والزنك اللذان تدعهما أم حنفي في طشت الغسيل للعيادة المجانية إلى الجحيم!...

قال الدكتور أحمد إسماعيل:

-يا قوم... لا يوجد منا يميّني حقيقي، ولا يساري حقيقي، ولسنا منتبسين لأي حزب. وكلنا لا نسعى إلا على لقمة العيش. فدعوا هذه السفطائية التي لا طائل ورائها.

وأعقبه حكيم مخاطباً صلاح الشيمي:

-اقرأ لنا قصيدة من جرابك الشعري لترطب قلوبنا التي جفت وفست وتشققت من حديث السياسة والاقتصاد.

فتبسم صلاح:

-والله عندك حق يا دكتور حكيم. تغور السياسة والاقتصاد.

ثم

تُبَسَّمُ أَكْثَرُ وَهُوَ يُخْرِجُ دَفْرَهُ الشَّعْرِيَّ وَقَالَ:

-سأقرأ لكم قصيدة "الحرية" للشاعر الروسي الشهير ألكسندر بوشكين. وبدأ يقرأ بصوت مؤثر:

-ألا ابتعدِي عن طريري
يا ربَّةِ الأوتارِ الخافتة
أين أنتِ، أين أنتِ أيتها العاصفةِ الرجولية

يا مغنية الحرية الفخورة؟
اقربني ومزقني إكليلي
وحطملي قيثاري الناعمة
أريد أن أغنى الحرية الإنسانية
وأوضح الرذيلة في عروشها.

دخل الدكتور سليم وهو عابس الوجه، فأشار الأطباء له أن يسكت حتى ينتهي صلاح من القصيدة.

آه لو أن لصوتي القدرة على أن يهز النفوس
لم هذا اللهب المتقد، عبئاً في صدري
ولم تمنح لي موهبة الكلمة الرهيبة؟
أتراي أرى شعبنا، يا أصدقائي، وقد تحرر
من جور العبودية بأمر من الفيصر؟
أو لم يحن لفجر الحرية الوطنية الرائع
أن يشرق على وطننا أخيراً؟

و قبل أن يعلق المدير، قال الأطباء في صوت واحد:
ـ ماذا دهائمكم اليوم؟! الساعة قد تجاوزت التاسعة. المرضى في انتظاركم...
ـ وانصرفوا ضاحكين...

-34-

أثناء نوم على عبد المنعم في الكتبة، صعدت روحه وتقابلت مع الرجل النوراني الذي استقبلها بابتسامته المضيئة:

-هيا بنا يا علي، إلى العروج في السماوات والملائكة...
فتساءلت روح علي:
-هل العروج سيكون بي فقط أم بالجسد أيضاً؟
-بك وبالجسد أيضاً!
-كيف ذلك والجسد هناك في الكتبة نائماً؟!
فسبح النوراني متربماً:
-سبحان ذي العزة والملكوت... سبحان ذي القوة والجبروت... سبحان من سبجه يونس في بطن الحوت... سبحان ذي العزة والملكوت... سبحان ذي القوة والجبروت... سبحان من سبجه يونس في بطن الحوت... سبحان ذي العزة والملكوت... سبحان ذي القوة والجبروت... سبحان من سبجه يونس في بطن الحوت...
ثم هتف:
-يا علي... سبح بحمد من أمره "كن" فيكون...
-سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم... سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم... سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم...
فقال الرجل النوراني متربماً:
-ها أنت الآن علي عبد المنعم بشحمه ودمه!
فنهض علي متراجعاً:
-سبحان الله! ما هذا؟!
ثم تسأله بحيرة شديدة:
-كيف يكون ذلك كذلك؟ كيف يكون لي جسدان في ذات الوقت؟ إن جسمي هناك في الكتبة نائماً؟!
فسر النوراني بابتسامته المضيئة:
-إن الروح تستطيع أن ترتدي عدة أجساد في الوقت نفسه...
-ووضح ذلك يا أستاذى الجليل.
فأشرق وجه الرجل بابتسامته الحنون النورانية وهو يجيب:
-ألم تعلم عن العبد الصالح الذي ذهب للحج فوجد في طريقه امرأة أرملة وعيالها يضطرون جوعاً، فتبرع لها بما معه من أموال وزاد الحج، وعاد ولم يحج. فلما عاد أهل بلدته من الحج أكدوا أن هذا العبد الصالح كان يحج معهم... والروح يا علي، تستطيع أن تخترق الحجب المكانية والزمانية بمنتهى السهولة، وتستطيع أن تذهب إلى ملايين السنين القادمة وترتدي جسداً

وتعيش في الجنة... ألم تعلم عن روح الصحابي بلال ابن رباح الذي رأه الرسول -عليه الصلاة والسلام- في الجنة في المراج و قال له: ((لقد سمعت قعر نعليك في الجنة، فيما سبقتنا إليها يا بلال؟)) فقال بلال: (كلما أحدثت توضأت وصليت ركتعين الله). فروح بلال -رضي الله عنه- اخترقت ملايين السنين من حجب الغيب، وارتدى جسدا آخر غير الجسد الأرضي المعاصر للرسول -عليه السلام- في زمن بعثته. وهناك مثل آخر للصحابي الذي رأه الرسول -عليه الصلاة والسلام- يقرأ القرآن الكريم في الجنة. فروحه اخترقت الحجب المكانية والزمانية واكتست جسدا وقرأ أصحابها القرآن الكريم...

تساءلت روح علي:

-ومن هذا الصحابي يا معلم؟

-حارثة بن النعمان.

سبحان الله...

تبسم المعلم وهو يواصل:

-وحينما ينام المؤمن، فإن روحه تتصعد إلى تحت العرش وتسجد لله... والوصول للعرش العظيم اخترق رهيب لحجب رهيبة...

سبحان الله... سبحان الله...

-واعلم يا علي، أن الروح لا تنعم ولا تُذنب إلا إذا لبست جسدا...
كيف ذلك يا أستادي الجليل؟

-اسمع حديث المصطفى -صلى الله عليه وسلم- الذي يقول فيه: ((إن أرواح الشهداء في حوصل طير خضر تسرح في الجنة)). فالشهداء أحياه عند ربهم يرزقون، كما قال الله تعالى في كتابه الكريم: {وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قُتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءَ عَنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرَحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبَشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحُقُوا بِهِمْ مِنْ حَلْفِهِمُ الْأَخْوَافُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرُثُونَ * يَسْتَبَشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ} [25]، لذلك فإن أرواحهم لابد وأن تكون في جسد حتى تنعم بنعيم الجنة. وهذا الجسد هو حوصل طير خضر تسرح في الجنة إلى قيام الساعة...
تساءل علي:

-وما أخبار المؤمن الصالح غير الشهيد في قبره؟

-هذا المؤمن يختلف عن الشهيد. فالمؤمن الصالح في حياته البرزخية يرى مقعده من الجنة فيستبشر خيراً ويقول: (يا رب أقم الساعة. يا رب أقم الساعة...)، ولكنه لا يُنعم بالجنة كالشهيد، ولا يحيا في البرزخ كحياة الشهيد.
نفسني أعرف من أنت أيها الرجل الصالح؟

فأجابه:

-دع عنك هذه الأفكار يا علي. ورکز فيما أنت فيه الآن.

فتحير على متسائل:

-ولكن جسدي النائم الآن في الكتبية، فكيف يكون حياً وروحي الآن هنا بجسمي الذي أكلمك به الآن؟!

-جسمك في الأرض الآن متصل بروحك، فهي تمده بالحياة بإذن الله. وهذا يحدث دائماً كلما نام أي إنسان أو طائر أو حتى حيوان...

مررت فترة من الوقت والرجل النوراني يسبح بحمد ربه، ثم أكمل:

-ولكن الروح من دقة خلقها وشفافيتها وسرها العظيم الذي أودعه الله فيها، تستطيع أن تكون في أكثر من جسد في ذات الوقت. فلا يعلم سر الروح إلا الذي خلقها سبحانه وتعالى.

-ولكن إذا أوقظني الأخ المسؤول عن الحراسة في الكتبية الآن، هل ستدخل روحي جسمي وأستيقظ؟

طبعاً، يا علي.

فتساءل علي والخير قد تملكته أكثر:

-ولكن ماذا يحدث في الحلم؟ هل تدخل الروح جسداً آخر غير جسد النائم؟
ربما! ولكن العلم عند الله.

-كلما اقتربت من اقتناعي بفكري عن الروح، كلما ابتعدت أنت عنِّي!

-أبداً يا علي. ولكنني تذكرت قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} ²⁶...

صدق الله العظيم.

فتحمس الرجل النوراني بقوة وهو يهتف:

-هيا بنا إلى عالم الملك والملائكة...

²⁶ الآية 85 من سورة الإسراء

-35-

في المستشفى، رحب الدكتور صلاح الشيمي بطارق عمر وزوجته من الزواج العرفي
نجوى فهمي...
سألت نجوى الدكتور صلاح:
يا دكتور، ما معنی أن دمي زفر؟
تمعرض وجه الدكتور صلاح واكتسى بسحابات ضيق وقرف.
سألها:
مم تعانين؟
فردت بحيرة:
ما معنی زفارة الدم؟

تقاطر الامتعاض والضيق والقرف من وجه الدكتور صلاح!...
ورد الفعل هذا لا ينبغي أن يكون من طبيب مهما كان المرض التناسلي الذي يعني منه المريض، ومهما كان السلوك الجنسي الذي أدى إلى ذلك المرض. فالطبيب طبيب، وليس شيخاً ولا قسيساً... وطبعاً، يعلم الدكتور صلاح معنى كلمة "دمي زفر"، وهي تعني مرض الزهري.
رد صلاح وهو يحاول أن يزكيح انفعاله جانباً:
-أُخبرك بعد الكشف السريري.

فقال طارق: -لابد من طبيبة يا دكتور صلاح.
فقال صلاح في نفسه: لماذا لم تكن حنبلية حقيقيا وتتزوج على السنة بدلا من الزواج العرفي؟ جيل غريب. غريب...
تسمى صلاح قائلة:

ـ حنبلي أكثر من اللازم. والحمد لله أن زوجتك ليست حنبليه مثالك كما يبدو.
ـ استدعي صلاح الدكتورة ابتسام. وبعد الفحص، أخبرت صلاح بالمرض باللغة الإنجليزية.
ـ فتساءل طارق:

ما نتيجة الكشف يا دكتور صلاح؟
سأخبرك بعد فحشك سريريًا.
وأثناء فحصه، سأله:
متى جامعت زوجتك؟

فأجاب طارق والقلق قد بدأ يتسرّب إلى نفسه:
منذ أسبوعين يا دكتور صلاح. ولكن أخبرني ما نتيجة الفحص؟ لقد قلقنا جداً.
توجد أعراض مرض الزهري عند نجوى للأسف.
فاصفر وجه نجوى وأسقط في يدها!

استطرد صلاح:

-والزهري هو سبب سقوط الجنين.

فتساءل طارق:

-وأنا؟

-سليم.

فتورد وجه طارق وهتف:

-الحمد لله.

لا يهمك صحتي ولا الجنين الذي فقدناه... أهم شيء هو نفسك. أناية. لا حب ولا يحزنون!

قالت نجوى بعد أن عاد إليها تمسكها:

-لم تخبرني يا دكتور عن معنى أن دمي زفر بالضبط.

فلم يرد صلاح، وإنما أجابتها ابتسام:

-يعني أن الدم قد تلوث بマイكروب الزهري.

وبصوت خفيض:

-يجب عدم الجماع حتى يتم الشفاء وفحص تحاليل الزهري للكما.

الفحوصات أثبتت خلو دم طارق من الزهري، وفي الوقت نفسه لا توجد أي أعراض جلدية للمرض عليه.

فتناقض الشيمي وابتسام...

-لقد نام معها منذ أسبوعين، يعني في مرحلة ²⁷secondary stage وهي مرحلة معدية جداً.
فكيف لم يُصب بالمرض؟!

-أكيد مناعته قوية، وربما سيظهر عليه المرض بعد فترة الحضانة.

فقوس صلاح حاجبيه اندهاشا وتساؤلاً:

-تحاليل طارق سليمة من الزهري، فمن أين أتى الزهري لنجوى؟!

جحظت عينا ابتسام، وارتسمت على وجهها علامات استفهام. وأطبق الصمت عليهما...
بعد فترة، جرحت نجوى الصمت:

-ربما عولجت بدم ملوث بعد ما سقط الجنين.

ثم نكشت ذاكرتها وقالت:

-ولكن الحمل سقط بسبب إلـ²⁸syphilis.

-ربما أخذت دما ملوثا لأي مرض آخر، وربما أصبت بـsyphilis لأي سبب!

-سوف تأتي اليوم للمتابعة وسألها.

²⁷ المرحلة الثانوية من مرض الزهري

²⁸ مرض الزهري

فهز صلاح رأسها أفقيا:

-لا داعي لإحراجها يا دكتورة ابتسام.

لم تسمع ابتسام لنصيحة صلاح الشيمي. ففي زيارة نجوى التالية، سألتها:

-هل تم الجماع مع أحد غير طارق؟

احمر وجه نجوى وتساءلت:

-ما هي المشكلة بالضبط يا دكتورة ابتسام؟

-المشكلة أن تحاليل طارق سلبية لمرض الزهري، وتحاليلك إيجابية. فمن أين أتى لك مرض الزهري؟ هل نقل دم لك في الخمسة أشهر الماضية؟

ووضح الدكتور صلاح أكثر:

-ربما نقل لك دم ملوث بمرض الزهري.

لم يُنقل لي أي دم.

فانتقلت أشعة استفهام واستغراب بين عيني صلاح وابتسام.

هزت الدكتورة ابتسام رأسها:

-إذا لم يكن السبب نقل دم ملوث، فلا بد أن يكون لقاءا جنسيا.

فنظر صلاح إلى ابتسام نظرة معارضة لتساؤلها المحرج...

ثم جال الصمت قليلاً، ولكن قطعته نجوى وهي تقول:

-حتى لا تسوئاً الظن بي، لقد تزوجت عرفيًا قبل طارق.

فسألها صلاح:

-متى كانت آخر علاقتك بزوجك قبل طارق؟

-آخر نومي مع زوجي كان قبل أسبوع من زواجي بطارق.

هز صلاح ونجوى رأسيهما أسفًا...

قالت ابتسام:

-إذن زوجك السابق هو الذي نقل لك الزهري.

عصر الشيمي ذاكرته، ثم سأله نجوى:

-هل كنت حاملاً من زوجك السابق؟

-لا.

فسألها مندهشاً:

-وكيف تتزوجين بعد أسبوع من زواجه السابق؟

فردت مندهشة أيضاً:

-وما المشكلة في ذلك؟

فانفعل صلاح:

-والعدة؟!

-فردت متسائلة باندهاش أكثر:

-وهل توجد عدة للزواج العرفي؟

ثم بيقين:

-أنا أعرف أن العدة في الزواج العادي.

نظر صلاح وابتسام إلى بعضهما نظرة اندهاش من الجهل المطبق بأحكام الدين.

فتبسمت ابتسام قائلة:

-العدة في الزواج العرفي كالزواج العادي.

وصلاح متبايناً:

-الزواج العرفي هو زواج، ولكنه لا يُوثق في المحكمة. وأحياناً يكون سرياً.

تنهدت نجوى:

-وأوضح أنني في ورطة شديدة لأنني قد تزوجت عرفيًا ثلاث مرات قبل طارق.

يا بنتـاـ... تتزوجين أربع مرات عرفيـاـ وبدون عـدـةـ. دجاجـةـ وأربـعـةـ دـيـوـكـ. الـدـكـتـورـةـ اـبـتـسـامـ
الـجـمـيـلـةـ الفـاتـنـةـ لـمـ تـتـزـوـجـ وـإـنـ كـانـتـ قـدـ رـفـضـتـ خـطـابـاـ كـثـيرـينـ. وـأـنـتـ تـتـزـوـجـتـ أـرـبـعـ مـرـاتـ بـالـرـغـمـ
مـنـ وـجـهـكـ الأـصـفـرـ وـعـيـنـيـكـ الـخـالـمـلـتـيـنـ وـجـسـدـكـ الـمـرـيـضـ الـذـيـ لـاـ يـحـمـلـ أـيـ فـتـنـةـ أوـ حـتـىـ
أـنـوـثـةـ...ـ وـلـكـنـ "ـلـكـلـ فـولـةـ كـيـالـ،ـ وـلـكـلـ فـولـةـ مـسـوـسـةـ كـيـالـ أـعـمـىـ"ـ...ـ
ـ جـالـ الـدـكـتـورـ صـلـاحـ الشـيـمـيـ النـظـرـ بـيـنـ نـجـوىـ وـابـتـسـامـ،ـ وـهـوـ يـنـدـهـشـ مـنـ الـمـقـارـنـةـ وـمـنـ سـخـرـيـةـ
ـ الـقـدـرـ...ـ

-36-

أنت مركبة نارية تجرها خيول نارية...
تنسم الرجل النوراني وهو يقول:
-هيا اصعد إلى عالم العلو والملكون...
ركب على والرجل النوراني على المركبة النارية، فانطلقت بهما وسط جلبة وعاصفة شديدة...
وأنثاء العروج، قال النوراني:

-اعلم يا علي، أن ما أنت فيه الآن هو من فضل الله ورحمته يهبها لمن يشاء من عباده. قال تعالى: {مَا يَقْتَحِمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكٌ لَّهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلٌ لَّهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} ²⁹ ...

ثم سكت برها يسبح الله عز وجل...
استطرد:

-لقد ركب على هذه المركبة غيرك الكثير من أنبياء وصالحين.
فابتھج على وتمتم:
-الحمد لله على فضل الله وكرمه.

حطت المركبة في ملك رهيب وسط جلبة من تسبیح وتمجيد وتهليل الله عز وجل...
تأمل على ما حوله من ملك وملكون، فقال مندهشاً:
-سبحان الله، ما هذا؟

ثم تساءل:

-يا معلم، أين نحن الآن؟ وما هذه الكائنات اللامتناهية العدد؟
-نحن الآن في الكوكب الأول، وهذه هي الملائكة التي تعبد الله منذ خلقها إلى قيام الساعة...
-سبحان الله. ولا حول ولا قوة إلا بالله...
نزل على والرجل النوراني -أو المعلم بتعبير علي- من المركبة النارية، وترجلا وسط جو بديع ليس له مثيل على الأرض...

ارتسمت علامات الجد والوقار على صفة وجه الرجل المعلم وهو يهتف:
-في البدء خلق الله السماوات والأرض...
ثم قال:

-انظر إلى هذه اللوحة.
فاندهش على هاتف:
-سبحان الله... ما هذا؟

²⁹ الآية 2 من سورة فاطر

- الأرض مظلمة، مقفرة، موحشة، مرعبة، ليس بها حياة ولا مخلوق.
- أشار النوراني ببيده إلى اللوحة الرهيبة التي أمامه والتي تشبه شاشة سينمائية مهولة أو خرافية الحجم، وقال:
- لقد ظلت الأرض والسماء هكذا ملايين السنين، ثم شاء الله للأرض أن تنير، وأن تعج بالحياة
- بعدما انفصلت عن أمها السماء.
- وأضاف:
- ونبضت الأرض بالحياة. وجعل الله سبحانه وتعالى- من الماء كل شيء حي. وظلت السماء على ظلامها الأول، ولكن نجومها وكواكبها منيرة.
- فتحمس علي وهو يهتف:
- سبحان من فطر وخلق، وقدر وهدى، وأحيى وأمات...
- تبسم المعلم قائلاً:
- انظر إلى هذه اللوحة.
- فاندھش على وتسائل:
- ما هذا التمثال الضخم يا معلم؟
- فازداد تبسم المعلم وهو يفسر:
- هذا أبونا آدم -عليه السلام- قيل نفح الروح فيه. انظر يا علي، إلى إبليس وهو يدخل في التمثال
- ويخرج.
- ثم غمغم:
- وهو يسیر داخل أجسادبني آدم هكذا، بل هو يجري في أجسادهم جريان الدم!
- على إبليس لعنة الله.
- أو ما المعلم رأسه قائلاً:
- انظر يا علي.
- فاندفع علي بحماس بالغ:
- لقد دبت الروح في أبينا آدم عليه السلام. ولكن يا معلم، ما هذه الكائنات اللامتناهية العدد في ظهره؟
- هذه ذرية آدم. ولقد أشهدهم الله على توحيده -عز وجل-، لذلك يولد كل مولود على فطرة التوحيد. ولنتذكر حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)). ولقد شاهد بنو آدم -وهم مرحلة الذر- كل المواقف التي تثبت التوحيد والإيمان واليقين بالله سجانه وتعالى وعز وجل...
- تسائل علي مستغرباً:
- وضح لي، يا معلم، ماذا تقصد بمشاهدتنا ونحن في مرحلة الذر كل المواقف التي تثبت التوحيد والإيمان واليقين بالله؟

- لكي يثبت التوحيد والإيمان واليقين بالله في مرحلة الذر، كان ولابد وأن يشاهد ويعايش بنو آدم الأحداث الهامة في تاريخ البشرية.

فتساءل على باندهاش أكثر وحيرة أشد:

ـ وهل البشر وهم في مرحلة الذر عندهم خلل في يقينهم حتى يحتاجوا إلى تثبيته؟

ـ لا يوجد خلل يا علي. ولكن لابد وأن يولد المولود وهو في قمة فطرة التوحيد والإيمان واليقين. ولكننا يا معلم، لا نتذكر شيئاً مما شاهدناه في مرحلة الذر.

ـ فرد المعلم بيقين تام:

ـ كل ما شاهده بنو آدم مطبوع في الفطرة، ولكن الذنوب هي التي تطمس هذه المعامالت والموافقات والأحداث.

ـ تحيير علي أكثر وأشد:

ـ ولكن لا نذكر هذه المواقف حتى ونحن أطفال أبرياء قبل مرحلة الذنوب والتکلیف.

ـ فتبسم المعلم شارحاً:

ـ عندكم في دراسة الطب توجد أجهزة طبية إذا وصلت على أجزاء معينة من رأس أي إنسان، فإنه يتذكّر أحداثاً غابرة وهو جنين أو في بداية حياته في مرحلة الرضاعة أو الطفولة، وهذه الأحداث مطموسة من الذاكرة الوعائية تماماً.

ـ أوما علي برأسه مؤكداً وقد ذهبت عنه بعض الحيرة:

ـ عندك حق يا أستاذني. فالذاكرة تخزن كل الأحداث، ولكن كثيراً من تلك الأحداث تكون في أعماق أعمق الذاكرة.

ـ فإذاً فأنت معنِي أن الأصل في الفطرة هو توحيد الله عز وجل.

ـ فهز علي رأسه أسفًا:

ـ ولكن الناس يغيرون هذه الفطرة ويحاولون أن يطمسونها بعبادة غير الله، والعياذ بالله.

ـ ولكن الفطرة هي الفطرة يا علي. فالذين يتذلون يقولون: الآب والابن والروح القدس إله واحد، وإذا سألكم هل تتذلون؟ فسيجيبونك: إن الإله واحد. وحتى عباد الأصنام كانوا يقولون: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى. والفلسفة من قديم قالوا بالعقل الأكبر... فالكل يتجه إلى الله مهما كانت طريقه معوجة عن طريق الله المستقيم. فالألسنة تتعدد لغاتها ولهجاتها ولكنها تتوجه كلها إلى الله الواحد القهار... وما أرسل الله الرسل إلا لتعود البشرية إلى الطريق المستقيم المؤدي إلى التوحيد النقي الخالص لله عز وجل... والذي ينكر الله ويلحده في اسمائه وصفاته، ما ينكره ولا يلحده إلا بلسانه... .

ـ ثم تحمس المعلم حماساً شديداً وهو يستطرد:

ـ واعلم يابني، أن التوحيد واليقين المطبوعين في الفطرة يتفجران ويتلاآن حينما تكون في الشدة، فأعنى الناس كفراً حينما يكون في شدة مخاصة في وسط البحر - ويفقد أسباب النجاة؛ فإنه لا يدع إلا الله عز وجل، وتنقشع عنه سحب الكفر والشرك بالله تماماً... اسمع إلى قوله

تعالى: {هُوَ الَّذِي يُسْبِرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلُكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةً وَفَرَحُوا بِهَا جَاءُنَّهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءُهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أَحْيَطُ بِهِمْ دَعْوَأَ اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} ³⁰ ...
 دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ...
 دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ...
 دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ...
 مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...
 مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...
 مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...

وظل المعلم يكرر هذا الجزء من الآية الكريمة، ثم قال:
 - انظر يا علي إلى قوله تعالى: "مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ"، يعني قمة الإخلاص لله في دعائهم وعدم الالتفاف إلى أي معبود آخر من دون الله، ولا إلى أي أسباب أخرى من دون الله، ولا إلى أي قوة أخرى دون قوة الله...
 أو ما المعلم رأسه أسفًا وهو يواصل:
 - ولكن للأسف:

لِقَلْمًا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَعْبُدُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنَنِتُّكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} ³¹ ...
 تمطط الزمن في الشاشة السينمائية أمام علي والمعلم، وإذا بعلي يصبح:
 - انظر يا معلم، إن آدم وحواء يأكلان من الشجرة المحرمة!
 تبسم المعلم قائلاً:
 - إن إبليس ضحك على آدم وحواء، وأوزع إليهما أنهما لو أكلتا من الشجرة المحرمة لأصبحا من الخالدين. وللأسف ابتلع آدم وحواء الطعام، وعصيا الله، ولم يخلدا... ولكن الذي خلد هو إبليس نفسه عليه لعنة الله...

أيقظ آخر أخ مسئول عن الحراسة في الكتبية الأخوة النائمين لصلاة التهجد، فعادت روح علي إلى جسده في لمح البصر...

³⁰ الآية 22 من سورة يونس

³¹ الآية 23 من سورة يونس

-37-

كان الدكتور عماد الدسوقي هو أول ثمرة من ثمار الدعوة الفردية للدكتور صلاح الشيمي. فرأى أحمد الغرباوي أن الدكتور عماد مناسب في هذه المرحلة لكي ينضم إلى أسرته الإخوانية التي تضم صلاح الشيمي وإخوانه، وكان هذا مخالفًا لنظام الجماعة الذي يقتضي أن يستمر الأخ في مرحلة "الدعوة الفردية" سنة على الأقل... رحب الغرباوي وأفراد أسرته بالدكتور عماد الدسوقي. وعرف كل أخ نفسه له. وكان الدكتور عماد معروفاً لهم لأنه جار قديم.

قدم عماد نفسه:

-أخوكم: عماد محمود الدسوقي، السن 27 سنة، طبيب جلدية وتناسلي بمستشفى الحوض المرصود، أسكن في 5 شارع محمد يوسف، أعزب ولا أعون.

فقال الغرباوي:

-من تجارب الأخوة أن من يعمل في الدعوة سنتين لابد وأن يتزوج في نهايتهما.

فتعجب الأخوة، وابتسم الدكتور صلاح الشيمي متسللاً:

-وما موقف الأخ المتزوج بعد السنتين من العمل الدعوي؟

فرد الأستاذ إسماعيل عبد الفتاح ضاحكاً: "أكيد سيتزوج الثانية طبقاً لهذه المعادلة الدعوية!" ففضحوكوا... تسائل طارق عمر ساخراً:

-هل هذا الزواج هو زواج عرفي أم زواج عادي؟ فضحك الغرباوي:

-منْ يعمل في الإخوان سنتين فسيتزوج زواجاً عادياً، أما منْ يعمل في الحزب الوطني الحاكم فسيتزوج زواجاً عرفيًا مشكوكاً فيه!

فضحوكوا ضاحكين...

قال الشيمي مبتسمًا:

-الدكتور عماد يتاجر في السيارات لكي يصرف على الماجستير، فلا أدرى في أي مجال سيتاجر لكي يصرف على الزواج؟

فكتم الغرباوي الضحك وهو يجيب: "في القطارات".

فانفجروا ضاحكين...

دخل حسن بالشاي، ورحب بالدكتور عماد والحاضرين.

أو ما سعيد عوض برأسه ناحية عماد سائلاً:

-يا دكتور عماد، هل يوجد مانع أن أعمل معك في تجارة السيارات؟

فحده الغرباوي:

-عما قريب ستتوفر فرصة عمل في شركة المقاولون الشرقيه. فلا تربط نفسك بعمل آخر.

رد عماد الدسوقي على تساؤل سعيد:

-معي طبيب شريك يا أخ سعيد. وتجارة السيارات تحتاج إلى رأس مال كبير وأكثر من شريك. ولكن للأسف، ربما سنتوقف عنها عما قريب، لأننا قد عرفنا في السوق.

فتسائل طارق عمر:

ـما معنى أنكما قد عرفتما في السوق؟ وما المشكلة في ذلك؟

ـفي الإعلان عن بيع سيارة أعلن أنها "استعمال طبيب"، ومع كثرة البيع عرفنا بأننا تاجران! فتسائل سعيد:

ـما حكم بيع السيارة بأنها استعمال طبيب وهي في الواقع غير ذلك؟

فرد عليه أحمد الغرباوي:

ـفي هذه البيعة نوع من الغرر بالمشتري، "والبيع الغرر" محرم شرعاً!

فقال الشيمي:

ـالدكتور عماد مضطر إلى هذه التجارة بسبب مرتب وزارة الصحة المهزيل.

فأكمل الغرباوي:

ـما يناسب الشرع هو عدم ذكر أنها استعمال طبيب، وهو في الواقع اشتراها ليتاجر بها وليس لاستخدامها.

فأكمل على عبد المنعم رأي الغرباوي:

ـوأنا أرى ذلك هو الصحيح. والأفضل أن يتبع الأخ عماد عن الشبهة.

فتحمس الغرباوي قائلاً:

ـهذه البيعة فيها غرر، وهي بيعة حرام، وليس مجرد شبهة حرام.

اندهش إسماعيل عبد الفتاح:

ـأنا لم أتصور أن يضطر الطبيب إلى تجارة السيارات. فالطبيب لا يعمل إلا في مهنة الطب، وهي أشرف مهنة.

فامتعض صلاح الشيمي:

ـحكومات الثورة هي السبب في كل ذلك، فهي قد دمرت الطبقة الوسطى بكل فئاتها.

فسأل الغرباوي الدكتور عماد:

ـما قيمة المرتب المهزيل يا أخ عماد؟ "150 جنيه".

فضحوكا... قال علي عبد المنعم ضاحكا: "من حقك أن تأخذ زكاة المال يا دكتور عماد".

فقال الغرباوي ضاحكا:

ـأي موظف في الدولة من حقه أن يأخذ زكاة المال حتى درجة وكيل وزارة.

تكرر صوت يقول: "كان الله في عون الموظفين".

وب قبل انصراف الأخوة، قال الغرباوي: "من الواجبات القادمة، الجولة الشهرية. وستكون سيراً على الأقدام. وستبدأ في الساعة السادسة صباحاً في أول يوم جمعة من الشهر القادم إن شاء الله، وسنعرف مسار الطريق ساعتها".

-38-

وَجَدَ الْأَسْتَاذُ أَحْمَدُ الْغَرْبَاوِي عَمْلًا لِسَعِيدٍ عَوْضَ فِي شَرْكَتِهِ. وَوَجَدَ الدَّكْتُورُ صَلَاحُ الشَّيمِي دَرْجَةً مَالِيَّةً خَالِيَّةً لِأُمِّ سَعِيدٍ فِي وزَارَةِ الصَّحَّةِ، وَكَانَ تَوْظِيفُهَا بِمَسْتَشْفِي الْحَوْضِ الْمَرْصُودِ. كَانَتْ بِهِيجَةُ فَرَحَاتٍ، أُمُّ سَعِيدٍ، سَعِيدَةً جَدًا بِعَمَلِهَا وَعَمَلِ ابْنَاهَا... وَفِي الْمَسْتَشْفِي، كَانَ تَوزِيعُهَا عَلَى الْقَسْمِ الدَّاخِلِيِّ.

وَفِي صَبَّاحِ أَحَدِ الْأَيَّامِ، وَجَدَتْ بِهِيجَةُ الدَّكْتُورَ صَلَاحَ أَمَامَهَا، فَانْفَجَرَتْ أَسَارِيرُهَا سَرُورًا وَهِيَ تَقُولُ:

ـ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا يَا دَكْتُورَ صَلَاحٍ عَمَّا صَنَعْتَهُ مَعِي.

ـ قَبْسَمْ صَلَاحٍ وَهُوَ يَرِدُ:

ـ لَا شُكْرٌ عَلَى وَاجِبٍ يَا أُمِّ سَعِيدٍ. أَتَمْنَى أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ هُنَا بِالْقَسْمِ الدَّاخِلِيِّ مُنَاسِبٌ لَكَ.

ـ مَنَاسِبٌ جَدًا. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

ـ مَا هَاتَانِ الْعَيْنَانِ السُّودَادَانِ النَّجَلَادَانِ؟ مَا هَذِهِ الرُّوحُ الَّتِي تَشَدِّنِي إِلَيْهِمَا؟ وَمَا سَرُ الْجَاذِبَيْةِ الَّتِي تَشَدِّنِي إِلَيْكَ يَا بِهِيجَة؟ مَا هَذِهِ الشَّعُورُ الَّذِي أَحْسَنَ بِهِ الْآن؟ وَمَا حَقِيقَتِهِ؟ مَا هَذِهِ يَا رَبِّي؟ بِهِيجَةٌ تَسْكُنُ فِي بَيْتِي مِنْذَ عَدَدِ سَنَوَاتٍ، وَكَانَتْ أَرَاهَا لِأَوْلَ مَرَةٍ. أَوْلَ مَرَةٍ فَعْلًا. مَا هَذِهِ؟ مَا هَذِهِ يَا رَبِّي؟!... مَا...؟...

ـ هَذِهِ مَا يَحِسُّ بِهِ صَلَاحُ الْآنِ.

ـ أَمَا بِهِيجَةَ فَقَدْ قَالَتْ فِي سَرِّهَا:

ـ لِمَذَا يَتَأْمِلُنِي الدَّكْتُورُ صَلَاحٌ هَكَذَا؟ كَانَهُ يَرَانِي لِأَوْلَ مَرَةٍ. وَأَنَا أَيْضًا كَانَيَ لَمْ أَرَهُ مِنْ قَبْلِهِ. لَقَدْ رَأَيْتُهُ مَرَاتٍ كَثِيرَةٍ وَهُوَ نَازِلٌ مِنِ السَّلْمِ أَوْ صَاعِدٌ وَكَانَ يَغْضُبُ بِصَرِّهِ. وَرَأَيْتُهُ مَرَاتٍ لَا حُصْرٌ لَهَا فِي الشَّارِعِ. وَلَكِنِي كَانَتِي أَرَاهُ الْآنَ لِأَوْلَ مَرَةٍ فِي حَيَاتِي... سَبَحَانَ اللَّهِ... أَنَا لَا أُسْتَطِعُ أَنْ أَبْعَدَ عَيْنِي عَنْهُ أَيْضًا. أَنَا مَشْدُودَةٌ إِلَيْهِ بِقُوَّةِ رَهْبَيَّةٍ. مَا هَذِهِ؟ السَّرُّ فِي عَيْنِيهِ الْخَضْرَاءِ وَالْبَرْدَاءِ الْجَاذِبَيْنِ. أَنَا مَشْدُودَةٌ إِلَيْهِمَا بِقُوَّةِ عَنْفِيَّةِ جَبَارَةٍ. مَا هَذِهِ؟!... أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ...

ـ أَفَاقَ صَلَاحٌ عَلَى صَوْتِ الدَّكْتُورِ أَحْمَدِ إِسْمَاعِيلِ:

ـ هَيَا بَنَا إِلَى الْعِيَادَاتِ يَا دَكْتُورَ صَلَاحٍ.

ـ وَكَانَ أَحْمَدُ إِسْمَاعِيلُ يَبْتَسِمُ وَيَحَاوِلُ أَنْ يَكْتُمْ ضَحْكَهِ...

ـ قَالَ صَلَاحٌ لِبِهِيجَةَ وَهُوَ يَحَاوِلُ أَنْ يَدَارِي حَرْجَهُ لِطُولِ تَأْمِلِهِ لَهَا:

ـ إِذَا احْتَجْتَ أَيِّ شَيْءٍ، فَاطْلُبِيهِ مِنِي وَلَا تَنْرَدِي.

ـ فَرَدَتْ عَلَيْهِ وَقَدْ ضُرِبَ وَجْهُهَا الْخَمْرِيَّ بِالْحَمْرَاءِ وَالْخَجْلِ:

ـ أَلْفُ شُكْرٍ يَا دَكْتُورَ صَلَاحٍ.

ـ بِالرَّغْمِ مِنْ قَصْرِ هَذِهِ الْحَوَارِ بَيْنَ الشَّيمِيِّ وَبِهِيجَةَ، إِلَّا أَنَّ الدَّكْتُورَ صَلَاحَ قَدْ أَحْسَنَ بِأَحَاسِيسِ غَرْبَيَّةِ...

شيء غريب يشدني إليها. أريد أن أعود لأتحدث إليها. حديثها عنب ممتع. ما سر الجاذبية التي وجدتها أثناء الحديث معها؟ عيناها السوداوان الحلوتان جذابتان. روحها فيها مغناطيسية تشدني إليها. مغناطيسية رهيبة... ما هذا يا ربى؟ هل هو إحساس من الشيطان؟ هل هو حب؟ أم شفقة؟ أم عطف لظروفها؟ أم هل هو حب من أول نظرة؟ أول نظرة؟ أول نظرة بعد عشرة وجيرة لمندة تزيد عن عشر سنوات؟ ولكنني أشعر كأنني أراها لأول مرة فعلاً... هل أنا أحبها من زمان دون أن أدرى؟ لا حول ولا قوة إلا بالله... رحماك يا ربى بي... رحماك بي يا ربى... يا ربى... إن قلبي لا يتحمل... إن قلبي يضرب بعنف... أكيد الدكتور أحمد يسمعه الآن. ولماذا هو ساكت ولا يتحدث؟ لماذا ابتسم وهو يقول لي: "هيا بنا إلى العيادات؟" ابتسامته كانت ماكرة. ماكرة الدكتور أحمد زكي جدا، "ويفهمها وهي طايارة" كما يُقال. ابتسامته الماكرة تشي بالكثير... هل تسربت إليه أحاسيسى؟ الممر إلى العيادات كانه سفر بعيد جداً...
 ابتسامتها حلوة. إطراقها شجي. نظرتها. أńفها، أńفها الدقيق المستقيم. شفتاها الدقيقتان المتورستان. لونها الخمري... مغناطيسية روحها... ما هذا يا ربى؟ هل هي رغبة جنسية؟ لا وألف لا. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. هل أحبها فعلا دون أن أدرى؟ أحبها؟ حب من أول نظرة؟ أم هو حب عميق في مجاهل قلبي من قديم، وتفجر الآن وخرج من مكنونه؟
 العرق يتسلط من جبهتي. العرق فقط؟ الخجل أيضا يتقططر من جبيني. أنفاسي تلهث. قلبي يزداد ضرباً ودقاً. أكيد الدكتور أحمد يسمعه الآن. المستشفى كلها تسمع هذا الدق. المستشفى كلها تشاهد خجلي الآن وهو ينزع مني ويملاً أرض المستشفى...
 - ما هذا العرق يا صلاح؟! اذهب واستريح في حجرة الطبيب النوبتجي، أو اذهب إلى المنزل.
 - وسأقدم لك على إذن انصراف.
 - شكراً يا دكتور أحمد. أشعر بإرهاق فعلاً. سأذهب إلى حجرة الطبيب النوبتجي لاستريح قليلاً.

يا بهيجة... يا بهجة قلبي... يا حبيبي...
 لقد وقعت فعلاً في شباك الحب...
 أنا بحبك يا بهيجة، وهذا هو حقيقة شعوري نحوك...
 أنا بحبك بحبك... أنا بحبك فعلاً...
 أنا بحبك قوي... قوي... قوي... قوي...
 أنا بحبك بكل ذرة في كياني...
 قلبي يعزف أحلى سيمفونية للحب الآن...
 روحي تطرب...
 روحي تهيمن في الفضاء...
 روحي تهيمن في الفضاء اللانهائي...
 الله... الله... الله...

ولكن لابد أن أكتم هذا الحب. ((من أحب، وكتم، ومات، مات شهيداً)) صدق يا رسول الله.
لابد أن أكتم هذا الحب.
زبيدة؟
ماذا سأقول لها؟
زوجك وحبيبك قد أحب!
خالد وسحر؟
ماذا سأقول لهما؟
والدكما قد أحب!
بماذا ستقولان؟
والدنا مراهق في الأربعينات!
ولكن الحب لا يعرف العمر يا ولدائي.
الحب لا يعرف التوقيت المناسب لكي يدخل القلب.
الحب كالحية التي تنتسل إلى جُحر القلب في نعومة وخفاء شديدين حتى تستولي عليه وتتمكن
منه كل تمكن...
الحب كالقضاء المستعجل لا قدرة لنا ولا قوة على صده...
الحب كالسيل الجارف المنهمر، فلا توقف أمامه أي عقبات أو فوارق سواء كانت اجتماعية أو
غيرها...
والحب، يا زبيدة، كالبركان الذي يتفجر في لحظة بدون أي مقدمات...
آه يا قلبـي، آه... آه... آه...

لقد أصابت الحمى صلاح، واصفر وجهه، وذبل، وظل مريضاً ثلاثة أسابيع في الفراش... .

-39-

في لقاء أسرة الغرباوي الإخوانية، كان أحمد الغرباوي يجلس دائمًا في كرسي الصالون الأسيوطى الكبير في منتصف الحجرة أمام الباب، ويجلس عن يساره مباشرة في ذات الكرسي الدكتور عماد الدسوقي، ويسار عماد يكون على عبد المنعم مستويًا على ذات الكرسي، بينما يجلس إسماعيل عبد الفتاح في الكرسي يمين عمودي على الغرباوي ويجلس صلاح الشيمي في الكرسي الذي يليه في ذات الجهة. وتوجد مكتبة قيمة في الحائط خلف إسماعيل وصلاح. أما سعيد عوض فيجلس في مواجهة إسماعيل وصلاح على الكرسي الوسط، ويجلس طارق عمر في ذات الكرسي يسار سعيد. وكان كل أخ يحافظ على مكان تواجده بالجلسة، فإذا غاب أحدهم ظل مكانه خاليًا...

في بداية اللقاء وأثناء احتساء الشاي، تفرس أحمد الغرباوي في وجوه الأخوة ولاحظ غياب صلاح وسعيد، فقال:

-أف克拉كم بالجولة في الجمعة الأولى من الشهر المقبل بإذن الله، فأرجو أن تفرغوا أنفسكم لها.
ثم توجه برأسه ناحية إسماعيل عبد الفتاح:

-ما أخبار الدكتور صلاح؟ ولماذا لم يحضر الجلسة؟

-مريض يا أستاذ أحمد، وهو طريح الفراش بمنزله.

ارتسمت علامات التأثر على وجه الغرباوي. قال:

-إذن يجب أن نزوره غداً إن شاء الله.

ثم تساءل عن سعيد:

لماذا تغيب هو الآخر؟

فرد عليه الدكتور عماد الدسوقي:

-أمه مريضة أيضًا، وذهب بها إلى المستوصف.

فكاد أن يتساءل الغرباوي في نفسه: ما هذا التوافق المرضي بين الاثنين؟ ولكن استطراد الدكتور عماد قطع تساءله:

-يمكن تغير الفصول هو السبب، لأنه يؤدي إلى اضطراب المناعة.

قال الغرباوي داعياً:

-عسى أن يتم الله شفاء الجميع.

ثم تبسم قليلاً:

-وأبشركم يا أخي، بأن الأستاذ إسماعيل قد أستاذن الشيخ عبد الحميد كامل لزيارته الخميس بعد القاسم بعد صلاة المغرب مباشرة إن شاء الله.

ثم سأله الدكتور عماد الدسوقي:

-وما أخبارك يا دكتور عماد في المستشفى؟

-الحمد لله، إدارة المستشفى تركت لي ثلاثة أيام لحضور محاضرات الماجستير في القصر العيني.

وسأله الأستاذ إسماعيل عبد الفتاح:

-ألا توجد انتدابات مزعجة كما يحدث مع الدكتور صلاح؟

-الانتدابات عادة تكون للأخصائيين ومساعدي الأخصائيين.
ثم سأله الغرباوي:

-لقد تناقلت بعض الجرائد والفضائيات أخباراً سيئة عن العيادات الاقتصادية بمستشفيات وزارة الصحة، فما حقيقة ذلك؟

-العيادات الاقتصادية سيئة السمعة للأسف بسبب سوء استخدامها من معذومي الضمير من الأطباء وحتى من بعض الموظفين. وهذه الظاهرة سببها وزارة الصحة نفسها.

فتهكم علي عبد المنعم:

-هذه بركات نظام اقتصاد السوق والشخصية.

ووافقه إسماعيل عبد الفتاح:

-وهذا هو الدين العالمي الجديد الذي تبشر به أمريكا العالم الآن، حتى الدول الاشتراكية نفسها خلعت عباءة النظام الموجه عن رقبتها.

قال الغرباوي وهو يرتفع رشفات من الشاي بدون صوت كعادته دائمًا:

-فوكوياما... فوكوياما هو الذي أعلنها صراحة بنهاية التاريخ بانتصار كاسح نهائي للرأسمالية والنظام الليبرالي والحضارة الغربية على كل الحضارات.

قال إسماعيل:

-ولكنه انتصار مؤقت لأن الرأسمالية لا تخدم إلا السلطة الحاكمة، وما هي في الواقع إلا أصحاب رؤوس الأموال.

تساءل علي عبد المنعم:

-ترى أن تقول: إن أصحاب رؤوس الأموال هم الذين يوجهون السياسة لخدمة مصالحهم؟

فأجابه إسماعيل:

-نعم يا أخ علي.

فامتنعض علي:

-ولكن هذا لا يؤدي إلا إلى ظلم الشعوب وتخمة أصحاب المال على حساب شعوبهم.

-ليس فقط على حساب شعوبهم، بل على حساب شعوب العالم كله. وانظر إلى أمريكا كيف تتدخل في سياسات الدول بحجج المساعدات المالية ...

فامتنعض الغرباوي قرفاً:

-حتى صندوق النقد الدولي، ما يفعل إلا ما تفعله أمريكا في التدخل في سياسات الدول والتحكم فيها.

فتساءل عmad: "والبنك الدولي كذلك؟"

فرد عليه الغرباوي ساخرا: "البنك الدولي ابن عم الصندوق الدولي؛ إن لم يكونا شقيقين".

فتضايق إسماعيل:

-هـما الـذـان يـقـدـمـان النـصـيـحة لـلـدـوـل النـامـيـة بـخـصـصـة السـوـق وـبـيـع القـطـاع العـام، وـفـي الحـقـيقـة هي نـصـيـحة لـتـدـمـير الـاقـتصـاد الوـطـنـي!

فقال عـمـادـ: "يا أـسـتـادـ إـسـمـاعـيلـ، القـطـاعـ العـامـ مـلـأـسـفـ. قدـ تـهـبـ بـالـقـائـمـينـ عـلـيـهـ فـيـ أـغـلـبـ الدـوـلـ ذاتـ النـظـامـ الـاشـتـرـاكـيـ، وـفـيـ بـلـدـنـاـ ذـكـلـ. أـمـاـ أـصـحـابـ نـظـامـ السـوـقـ فـيـقـولـونـ: إنـ أـيـ أـخـطـاءـ فـيـ نـظـامـهـ الـاـقـتصـادـيـ سـيـعـالـجـهاـ السـوـقـ نـفـسـهـ، يـعـنيـ السـوـقـ يـعـالـجـ أـخـطـائـهـ بـنـفـسـهـ بـدـوـنـ تـدـخـلـ الدـوـلـةـ".

فتبـسـمـ إـسـمـاعـيلـ قـائـلاـ: "ولـكـنـ فـيـ الأـزـمـاتـ الـكـبـرـىـ كـمـاـ حـدـثـ فـيـ التـلـاثـيـنـاتـ. تـتـدـخـلـ الدـوـلـةـ، يـعـنيـ تـطـبـقـ مـبـادـىـ النـظـامـ الـاشـتـرـاكـيـ".

فـهـتـفـ عـلـيـ سـاـخـرـاـ: "يـعـنيـ الـاشـتـرـامـالـيـةـ هـيـ الـحـلـ!"

فـضـحـكـواـ...

قال عـمـادـ: "الـاشـتـرـاكـيـةـ تـحـتـاجـ إـلـىـ المـخـلـصـينـ الشـرـفاءـ فـيـ كـلـ مـوـقـعـ حـتـىـ تـنـجـحـ، وـهـذـاـ مـنـ النـادـرـ جـداـًـ أـنـ يـتـحـقـقـ".

فـأـلـوـمـاـ إـسـمـاعـيلـ بـرـأـسـهـ مـؤـكـداـ:

-فـعـلـاـ يـاـ دـكـتـورـ عـمـادـ، فـالـاشـتـرـاكـيـةـ فـيـ مـنـبـعـهـاـ فـيـ رـوـسـيـاـ نـفـسـهـاـ فـشـلـتـ. وـلـكـنـ فـيـ ذـاتـ الـوقـتـ، الرـأـسـمـالـيـةـ مـتـوـحـشـةـ، وـتـحـمـلـ مـعـهـاـ بـذـورـ فـشـلـهـاـ الـتـيـ سـتـتـبـتـ فـيـ أـيـ وـقـتـ وـسـتـؤـدـيـ إـلـىـ أـزـمـاتـ فـاتـلـةـ مـدـمـرـةـ رـبـماـ لـلـاـقـتصـادـ الـعـالـمـيـ كـلـهـ.

ثـمـ مـبـتـسـماـ: "وـالـعـيـادـ بـالـلـهـ". ثـمـ اـرـتـشـفـ رـشـفـاتـ مـنـ الشـايـ، وـهـتـفـ بـقـوـةـ:

-فـعـصـرـ "وـوـلـ سـتـرـيتـ"ـ سـيـنـتـهـيـ لـاـ مـحـالـةـ!

كـادـ أـنـ يـتـسـاءـلـ طـارـقـ عمرـ عنـ مـعـنـىـ (ـوـوـلـ سـتـرـيتـ)، وـلـكـنـ آـثـرـ الصـمـتـ. وـيـكـفـيـهـ كـدـرـ وـجـودـهـ فـيـ جـمـاعـةـ غـيـرـ مـقـتنـعـ بـفـكـرـهـاـ...

فـانـدـفـعـ عـلـيـ مـتـحـمـساـ: إـذـنـ: "الـإـسـلـامـ هـوـ الـحـلـ".

فـهـزـ الغـربـاـوـيـ رـأـسـهـ موـافـقاـ وـهـوـ يـعـلـقـ عـلـىـ قـوـلـ عـلـيـ:

-عـلـىـ الـأـقـلـ، يـحـافظـ عـلـىـ خـصـوصـيـتـنـاـ وـمـبـادـئـنـاـ وـقـيـمـنـاـ بـدـلـاـ مـنـ الـأـفـكـارـ وـالـانـحلـالـ وـالـانـهـيـارـ عـابـريـ الـفـارـاتـ.

فـتـلـاـ عـلـيـ عـبـدـ الـمـنـعـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: {وـأـنـ هـذـاـ صـرـاطـيـ مـسـتـقـيـمـاـ فـاتـيـعـوـهـ وـلـاـ تـنـتـيـعـوـاـ السـبـلـ...}.

وـلـمـ يـكـمـلـ الـآـيـةـ لـأـنـ رـوـحـهـ صـعـدـتـ إـلـىـ الـكـوـكـبـ الـثـانـيـ مـعـ الرـجـلـ الـمـعـلـمـ...

وـتـجـمـعـ الـأـخـوـةـ وـالـدـكـتـورـ عـمـادـ لـيـسـعـفـونـهـ وـيـوـقـظـونـهـ وـلـكـنـ بـلـاـ جـدـوـيـ...

³² جـزـءـ مـنـ الـآـيـةـ 153ـ مـنـ سـوـرـةـ الـأـنـعـامـ

-40-

لم يستطع صلاح الشيمي أن يكتم حبه عن بهيجه؛ فنظراته فضحت حبه أمامها، وتعبيرات وجهه كشفت ما يمور به قلبه، وكل كيانه يعبر عما تفور به روحه...
دخلت بهيجه عليه ذات مرة في عيادته بالمستوصف الخيري، فجاش قلبها حباً وغراماً وهاماً،
وفاض، ولم يستطع أن يكبح سيل تدفق مشاعره فقال:
- يا بهيجه...
صمت برها ليجمع عزمه كلها، ثم خرج صوتها غريباً على سمعه:

أنا بحبك...
احمر وجه بهيجه، وضرب قلبها ضرباً عنيفاً، وضاقت شعبها الهوائية فلم تستطع أن تتنفس...
فخرجت مسرعة وهي تشعر أن جبال الدنيا قد جثمت على رئتيها وفتحت فمها لتأخذ هواء...
ماذا جرى لي؟! أنا أعلم بحبه من قبل، فلماذا لمنا صارحنى لم أستطع أن أتحمل؟ لقد شعرت
بحبه من أول لقاء في المستشفى، وانفعل جسمى لمعاناته فمرضت لمرضه...
أنا أحبك أيضاً يا صلاح. أحبك يا حبيبي. أحبك. أحبك. أحبك الحب كله أحبك...
هل أحبه ذاته؟ أم أحبه لحبه لي؟ أم أحبه لوقوفي بجواري ومساعدته لي؟ ولكن أنا أحبه حقيقة،
إن مشاعري تجاهه متعمقة في أعماق قلبي...
وما ذنب زوجته الطيبة زبيدة؟ ولكن ما ذنبي أنا يا ربى؟ أنا بحبك فعلاً يا صلاح يا حبيبي،
ليس بسبب وقوفك بجانبي، ولكن بحبك أنت يا صلاح يا حبيبي...
لقد كنت حين ألقاك على الدرج مصادفة لا أستطيع أن أنظر إليك. وكيف أنظر إلى الطائر
المحلق في الجوزاء وأنا على الأرض ليس لي جناحان لألحق بحبيبي؟ وأنى لي أن أرتبط بك
وأنت نجم في السماء وأنا في باطن ساقع أرض؟ ولكن كيف تدفقت مشاعرك تجاهي وأنت منْ
أنت وأنا منْ أنا؟ يا إلهي كم أنت عظيم؟ فالحب لا يعرف درجات الناس لأنه هبة منك يا ربى،
كم أنت عظيم يا رب... قلوبنا بين يديك تقلبها كيف تشاء؟ لا تحكم لنا في قلوبنا، لا يوجد زر
في القلب للحب، ولكنه يتفجر بإرادتك يا عظيم يا ربى...
أنا بحبك فعلاً يا صلاح. أنا بحبك يا حبيبي. بحب روحك. بحب عينك الخضراء الجميلة. بحب
وجهك الأبيض المشع بالحنان والحب ودفء وصدق العاطفة. بحب طولك. بحب مشينك. بحب
ظلك وهو يتبعك في فناء الحوض المرصود. بحب شهامتك. بحب رجلتك. بحب كلك...
.

أنا بحبك من زمان دون أن أدرى. لقد تفجرت ينابيع حبك في قلبي ولن تتوقف أبداً حتى ألقى
الله لأن روافدها متشعبة في أعماق قلبي، بل تمتد وتتشعب في كل ذرة من جسمى وروحى
وعقلي...
وغنى قلبها:

شـ غالي ما ينتهيـ أمل حياتي يا حـ

يا أحلى غنوة سمعها
خذ عمرى كله بس
خليني جنبك خليني
وسيني أحلم سيني
أمل حياتي عينيه

فلي ولا تنسي ش
النهاردة خليني أعي ش
خليني في حصن قبل اك
يا ريت زمانى ما يصحنيش
يا أغلى مني علي مه

لم تستطع بهيجه أن تكمل العمل، فاستأذنت من مدير المستوصف وعادت إلى بيته...

-41-

صعدت روح علي عبد المنعم إلى الكوكب الثاني مباشرة. كان المعلم في انتظاره بابتسامته
الوادعة الحنون وترحابه الدفيع...
مرحباً بك يا علي في الكوكب الثاني.
مرحباً بك يا معلم. إبني صعدت بدون المركبة النارية.
ابتسم المعلم وهو يقول:
-الروح لا تحتاج إلى المركبة النارية لأنها مخلوق شفاف وخيف ويطير حيث أراد. وأنت روح
الآن وتعرف حقيقة خفة وشفافية الروح.
-أعرف يا معلم. وروحي وجميع الأرواح المؤمنة تصعد في لمح البصر إلى تحت عرش
الرحمن وتسجد لله سبحانه وتعالى- حين نوم الجسد الذي نرتديه. ولكن الأخوة في لقاء الأسرة
تحيرون الآن، فهم يحاولون أن يواظبون ولكن بلا جدوى!
-لن يستطيعوا أن يوقفوك إلا إذا أراد الله.
سرحت الروح تتأمل في الفضاء اللانهائي أمامها ثم قالت متعجبة:
-الكوكب الأول الرهيب لا يعادل شيئاً في هذا الكوكب.
فرد المعلم بحماس:
-الكوكب الأول يعادل نقطة في هذا الكوكب...
سبحان الخالق العظيم.
-هيا بنا يا علي، لكي نطير بسرعة الضوء لتأمل آيات الله المبهرة...
فتساءلت الروح مذهلة:
-يا معلم، كيف ستطير بسرعة الضوء وأنت بجسده هذا؟
-وما المشكلة في ذلك طالما أن الطيران يتم بحول الله وقوته؟
لو طار الجسد بسرعة الضوء فسيتحول تماماً إلى فيتونات ضوئية.
فأشرق وجه المعلم بابتسامته المضيئة وهو يهتف:
-أنا رجل لي قدمان؛ إحداهما أرضية، والأخرى سماوية!
تعجبت روح علي وتساءلت:
-ما معنى أن القدم الثانية سماوية؟
يعني أنني أحمل صفات من حياة الكائنات السماوية، أما الأولى التي في الدنيا فتعني أنني أحمل
صفات من الحياة الدنيا.
تعجبت الروح من الرجل المعلم وكنهه وحقيقة، وتساءلت مع نفسها:
كيف يحمل صفات الأرض والسماء في الوقت نفسه؟
وأثناء الطيران في سماء الكوكب بالسرعات الخيالية وفي المسافات الهائلة، تعجبت الروح أكثر
من الرجل النوراني الذي لم يتحول إلى فيتونات ضوئية...

عجب أمرك يا معلم. كيف تعيش في الدنيا والآخرة في الوقت نفسه؟ وكيف تطير هكذا بسرعة الضوء؟ ولكن لم العجب؟ والذي عنده علم من الكتاب أتى بعرش بلقيس من اليمن إلى الشام في لمح البصر! أكيد طار بسرعة الضوء... فالله على كل شيء قادر...

صاحت روح علي من الفرح:

-آصف بن برخيا... آصف بن برخيا...

ولمّا وصلا بعدهما طارا على عوالم عجيبة لا يوجد على الأرض مثلها، تسأله المعلم:

-لماذا تهتف باسم الرجل الصالح آصف ابن برخيا؟

ربت روح علي ثقته:

-آصف بن برخيا هو الذي أتى بعرش بلقيس قبل أن يرتد طرف عين سليمان -عليه السلام-

إليه. أليس كذلك؟

بلى يا على.

-إذن، آصف بن برخيا طار بسرعة الضوء ليحضر العرش من اليمن إلى الشام.

تبسم الرجل المعلم:

-لأنه يعلم اسم الله الأعظم.

ثم أشرقت ابتسامته أكثر:

-أكيد ربطت بيبي وبيبيه بسبب الطيران بسرعة الضوء...

فنهفت الروح بكل ثقة:

-أنت آصف بن برخيا.

قال المعلم وهو بيتسم ضاحكاً:

يوجد عدد من الصالحين من قدم التاريخ لم يموتوا مثل: أبي العباس، وربما آصف بن برخيا، والإمام الغائب عند الشيعة الإمامية - وإن كان هذا بدعة -، ومن الأنبياء المسيح -عليه السلام-، ومن الملائكة؛ جبريل عليه السلام، وإسرافيل، وميكائيل، وكل الملائكة الكرام تتبعهم الحياة منذ أن خلقهم الله عز وجل.

ثم صمت برهة وأضاف:

-ويأجوج وmajog موجودون منذ خلقهم الله حتى يخرجوا في آخر الزمان قبل قيام الساعة بإذنه تعالى...

ثم صمت أكثر وواصل:

-وابليس -عليه لعنة الله- يعيش منذ خلقه الله إلى النفح في الصور. ولكنني لست من هؤلاء كلهم يا على.

تساءلت الروح:

-من هو أبو العباس؟

-الخضر عليه السلام.

تحيرت روح علي أكثر فتساءلت:

- طالما أنت لست من الصالحين المعمارين، فمن أنت؟

- كلما مر الوقت ستعرفي، وستتضح صورتي أكثر. فاطمئن يا علي.

ولبث المعلم يتأمل الكون اللانهائي حوله...

تأملت الروح أيضاً في الكون العظيم حولها، وسبحت بحمد ربها:

- سبحان عظمتك يا رب في خلقك... كون رهيب لم يتلوث بالذنوب والآثام كما تلوثت

الأرض... سبحان عظمتك يا رب...

ثم استمرت الروح في مناجاتها لله:

- ((يا رب لا توبخني في إبان غضبك، ولا تؤذني في احتدام سخطك، ارحمني يا رب لأنني

ضعيف... ارحمني يا رب لأنني ضعيف... ارجع يا رب وحرر نفسي، أنقذني بفضل رحمتك...

لقد أرهقني تنهدي، فأغرق سريري كل ليلة بدموعي وأبلل بها فراشي. وهنت عيناي من فرط

الغم...))³³

بعدما تأمل الرجل المعلم في الكون الرهيب حوله، وناجي ربه، قال بجدية:
يا علي، سوف نلتقي يوماً قليلاً مع أول آية من آيات الله في الكوكب الثاني...

اقرب كائن غريب، مهول الحجم، يسد الأفق، مضيء، يشع بالحرارة والضوء، وكلما اقترب؛ زادت الحرارة، وسطع الضوء... فنظرًا إليه مندهشين!

سأل الكائن المشع روح علي:

- ألا تعرفني يا علي؟

فردت الروح:

من أنت يرحمك الله؟

فبكى الكائن بكاءً خرافياً مهولاً وتجرت منه أنهاراً من دموع ساخنة ملتهبة... صرخ

صراخاً رهيباً مفزعاً مهولاً:

- كم أنا في حاجة إلى رحمة الله...

فبكى المعلم والروح لصراخه وبكائه الرهيبين.

قال المعلم بحماس:

- هذا هو الرعد يبكي من خشية الله.

فارتجفت روح علي وبكت، وفي الوقت نفسه ارتجف جسمه في جلسة أحمد الغرباوي، وسج

بالعرق الغزير...

قالت روح علي:

³³ المزمور السادس من مزامير داود عليه السلام بتصرف

-سبحان الله. الرعد يتكلم ويبكي من خشية الله.

فصاح الرعد:

-ألم تسمع إلى قوله تعالى: {وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ حِيفَتِهِ...}.³⁴

قال علي والمعلم بلسان واحد:

-كأننا نسمعها لأول مرة الآن.

-حتى السماء والأرض يبكيان. اسمعا إلى قوله تعالى: {فَمَا بَكَثَ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ} ...³⁵

قال المعلم بوجل:

-تجلت قدرة الله -عز وجل- في كل شيء... حتى العمل الصالح يتجسم للرجل الصالح في قبره في صورة رجل حسن الهيئة طيب الرائحة. فيقول له المؤمن: منْ أنت إن وجهك لا يأتي إلا بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح... وكذلك العمل السيئ يتصور في القبر في صورة رجل قبيح المنظر نتن الرائحة...
قال الرعد بقوة:

-وددت يا علي، لو أكون عذاباً لمن يخلقه الله ويعبد غيره، ويرزقه الله ويشكر سواه، ويكرمه الله ويكرم سواه... ولكن الله أرحم به في الدنيا مني...
ثم أردف:

-لقد كنت سعيداً بانتقام الله الجبار من الأقوام الغابرين المفسدين في الأرض بعد إصلاحها.
قالت الروح:

-إن رحمته -سبحانه- سبقت غضبه...

-صدقت يا علي. ولكن رواح ذنوب البشر قد صعدت إلى السماء فاشتمأزت منها جميع المخلوقات العليا...
سكت برها يسبح الله ثم استأنف:

-لقد كان الكون كله في انسجام تام كما خلقه الله -عز وجل- حتى خلق الله الجن والإنسان، فمار الكون فساداً وإفساداً وضلالاً وإضلالاً...
ظل الرعد يسبح الله بجلال حتى ارتجت أركان الكوكب لتسبيحه...
ثم نظر لروح علي وقال:

-قبل أن أتركك يا علي، أذكرك بتوحيد الله -عز وجل- فهو النجاة لك في الدنيا والآخرة، ولن يقبل أي عمل إلا بالتوحيد الخالص. وهذه هي الرسالة التي كلفت أن أبلغها لك...
عاد الرعد بشكله المخيف، وارتفع إلى السماء رويداً رويداً ليعود إلى كوكب الأرض...

³⁴ جزء من الآية 13 من سورة الرعد

³⁵ الآية 29 من سورة الدخان

كان اللقاء الثاني مع رجل مهيب مضيء بسطوع شديد...
فتساءلت روح علي في وجل وهيبة:
من هذا يا معلم؟!
-هذا هو البرق يا علي...
دار الحوار كما دار مع الرعد...
ومما قاله البرق:

نحن في سماء الأرض نحب الله مصدر كل خير، ونسبح بحمده تعالى كما تسبحون أنتم يا علي، {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مَنْ شَيْءٌ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدَهُ وَلَكُنْ لَّا تَقْهُونَ تَسْبِيحَهُمْ...}.³⁶ ونحن أيضاً نبكي من خشيته كما تكونون. والكون كله في انسجام تام، وفي خشية من الله، والخل لا يأتي إلا من الإنس والجن...
قالت روح علي:

-فعلا، كون الله في سيمفونية منتظمة بدعة، والنغمة النشاز في هذه السيمفونية هو الإنسان.
ووافقة المعلم:
- فعلا، الخل لا يأتي إلا من الثقلين الإنس والجن.
وقبل أن يغادر البرق ويعود إلى كوكب الأرض، نصح علي:
-أرجو ألا تغفل يا علي عن تسبيح الله وتمجيده فهو زادك الذي يعينك على أمور الدنيا والآخرة.... وهذه هي الرسالة التي كلفت أن أبلغك إيابها...
كان جسد علي أثناء الحوار مع البرق يضيء ويشع، ويستعجب الغرباوي والأخوة ولا يستطيعون أن يصنعوا شيئاً...
تبسم المعلم:
-أتري، يا علي، إلى مخلوقات الله كيف تجسدت وحرست على تذكيرك بتوحيد وتسبيحه وتعظيمه؟
نعم، يا معلم. إن توحيد الله وتمجيده هما النجاة في الدنيا والآخرة...

وكان اللقاء الثالث مع الصواعق التي تجسدت في صورة كائن حي مهيب كما تجسد من قبل الرعد والبرق.
وقبل اللقاء، قال المعلم:
-أنا لا أستطيع أن أحضر هذا اللقاء.
-ولماذا يا معلمي؟
-لأن الروح مخلوق نوراني يستطيع أن يتحمل مقابلة الصواعق. أما أنا، يا علي، فلن أتحمل...

³⁶ جزء من الآية 44 من سورة الإسراء

فاضطربت الروح وتساءلت:

-أتركتني في مثل هذا الموقف الرهيب؟

-أنت تستطيع أن تتقدم، وتخترق حاجز الصوت، وستتحمل... أما أنا فإني أعرف مقامي جيداً،
فلو تقدمت معك لتصدعت واحترقت... اطمئن يا علي. ستحمل الخير منها. الصواعق كلها
خير، ومنها الخير، وبها الخير...

بكـت روح علي وهي تقول:

-أفي هذا اللقاء يترك الحبيب حبيـه؟!

لم يرد المعلم. والتقت روح علي مع الصواعق. ولم أسمع عن أحد في ذلك الوقت عرف ما تم
في لقاء علي والصواعق، ولا الدروس والعظات التي تلقاها، ولا الرسالة التي كلف بها، ولا
انعكاس هذا اللقاء على إيمانه وروحـه...

وكان جسده يرتجف بقوة أشد وأعظم من الرجفة مع الرعد والبرق. وكذلك العرق أيضاً كان
أغزر. ولم يستطع أحد من زملائه أن يوْقِظه إلا بعد لقاء الصواعق، حينما عادت روحـه إلى
جسمـه بعد غياب دقائق معدودة بالنسبة لزمن الأرض...

-42-

تناثرت الأقوال والإشاعات، ولاكت الألسنة عن الحب المتبادل بين الدكتور صلاح الشيمي والممرضة بهيجه فرات... لذلك طلب الدكتور أحمد إسماعيل من الدكتور صلاح الشيمي أن يشرب معه الشاي تحت شجرة الصفصاف العتيقة بعد الكونسلتو.

نظر الدكتور أحمد إلى أوراق الشجرة المعمرة وهو يقول:

-الجو اليوم ربيعي جميل، ورياح الخمسين بعوائدها الغبي وهياجها لم تولد بعد.

-أظن أنها تهب في الغالب في شهر مايو وجاء من يونيو.

تبسم أحمد إسماعيل قائلاً:

-يعني أمامنا شهر نستمتع بالربيع ونضارته إن شاء الله.

أتنى عم محمود بالشاي.

أخذ الجد يكسو ملامح الدكتور أحمد هو يهمس:

-سأكلمك في موضوع هام يخصك وأرجو أن تقبله بحسن نية.

أكيد سنتكلم فيما أفصحت فيه عيناي بحب بهيجه. أكيد...

تقضيل يا دكتور أحمد.

قال أحمد بصوت منخفض:

-البعض هنا يرجفون بحبك للممرضة بهيجه.

فتساءل الدكتور صلاح بتوتر وقلق:

-ومن أخبرهم أتنى أحبها؟

-هم يتحدثون عن هيامك بها حين تتحدث معها.

-أنا ساعدتها في البحث عن عمل بوزارة الصحة. وهي تشعر بالامتنان لي.

لا تهرب مني يا أبا الصلح فعيناك قد أخبرتني بكل شيء...

قال أحمد بقوة:

-الست صديقاً لك؟ أخبرني بالحقيقة حتى نتناقش على بینة، ونجد حلاً لكلام المرجفين، وما أكثرهم في هذه المستشفى...

فتعصب صلاح:

-أنا فعلًاً، قد وقفت بجانبها في التعيين في الوزارة.

-كلنا نعرف أنك قد قمت بكل إجراءات التوظيف بالوزارة، ولكن وقوفك معها وقتاً طويلاً

ونظراتك لها ونظراتها لك، أدى إلى القيل والقال...!

أتريد أن أخبرك أتنى أحبها. هذا صعب يا أحمد يا إسماعيل. صعب. صعب...

تساءل صلاح بانفعال مصطنع:

-هل حديثي معها في الحب والغرام؟

تبسم الدكتور أحمد وهو يرد:

يا شيمي، حديثك عادة يكون عن instruction³⁷ حول مرضاك في القسم الداخلي، ولكنه طويل جداً عن المعتاد، ويصاحبه نظرات المحبين الولهانين... ويبعدو أنكما لا تشعران بمضي الوقت من الهيام والغرام و....

قال صلاح وهو يحاول أن يئد ابتسامة في جوفه:

-يا دكتور أحمد، أنت لا تعلمون أنها تسكن في بيتي منذ سنين عديدة، يعني هي جارة.

أخذ الدكتور أحمد رشفة كبيرة من الشاي، وأسقط أشعة فاحصة في عيني صلاح:

-يا أخي الفاضل، لا داعي لئن ننأى بعيداً عن الهدف الذي أحضرتك هنا من أجله. فهيا بنا نجد حلّاً عملياً للقيل والقال. وما أكثر التافهين الذين لا يجدون عملاً في المستشفى إلا الخوض في أعراض الناس!

استسلم صلاح قائلا:

-تفضل. أخبرني ما هو الحل الذي تراه؟

قال أحمد وهو يرشف الرشفة الأخيرة من الكوب:

-أفضل شيء أن تُنتدب فترة طويلة جداً وألا تأتي المستشفى لكون صلتو ولا حتى لتسلم الراتب.
ووكل أحدنا لاستلام الراتب بدلاً منك حتى يضيع هذا الموضوع من ذاكرة التافهين هنا.

فقال صلاح بخضوع وضعف:

لا أستطيع يا دكتور أحمد.

فتبسم الدكتور أحمد ضاحكاً مقههاً متزناً:

رجعني عينيك لأيمى اللي راحوا
اللي شفته قبل ما تشفوك عينيه
أغمض صلاح الشيمي عينيه، وحدق إلى الأرض مطرقاً صامتاً خجلاً ...

قال أحمد:

-أشرب الشاي سببرد.

بدأ صلاح يشرب الشاي. تساعل والخجل يلفه:

-ماذا تفعل لو كنت مكاني؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الانتداب هو الحل ...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وإذا كنت لا تستطيع؟

ملا الض

Page 37

وبنبرة إشراق:

-ولكن أخبرني يا صلاح، هل هي تحبك فعلاً؟

طاطاً صلاح رأسه خِلا...

-أخشى أن تكون بهيجة قد نصبت شباك الحب حول قلبك المسكين.

أو ما صلاح برأسه نفيا، فضاح الدكتور أحمد وهو يضرب كفا بكف برفق ويقول:

-**(دنچوان) و (دنچوانة) في الأربعينات!**

فقال صلاح بحیاء:

-الحب ليس بأيدينا حتى نتحكم فيه...

-حدث هنا أكثر من قصة حب بين طيب وطيبة. ولكن هذه أول قصة حب في المستشفى بين

طبيب و ممرضة

- القدر:

ولكن مَاذَا ستصنّع زوجتاك؟

ثم انفجر أحمد ضحكا و

-أَكَيْدُ سَتَضْرِبُكَ بِالنَّارِ

ضحاك الشيباني

رہنا پسٹر۔

-أصدقك النصيحة كأخ أكبر لك، أنا أرى أن تبعد فترة طويلة عن المستشفى .

مشاعرك الحقيقة تجاهها. وكما قيل في

ولكنها -كما قلت لك- تسكن في

تفرس أحمد وجه صلاح وقال

-عجيب أمرك يا شيمي. تسكن في بيتك منذ عدة سنوات ولا تحبها إلا حينما تعمل بالمستشفى.

-فعلاً، قدر عجيب.

فاحتد أحمد:

-ولكن استمراركما في العمل بالمستشفى، سيزيد من الهمز واللمز، والقيل والقال؛ فلابد من حل

سريع ناجع.

فقال الشيمي بيأس واستسلام:

-لأسف، أنا لا أجد حلًا.

يا سعادة الدكتور... إذا لم تر الانتداب هو الحل، فالزواج هو الحل...

-43-

استأنست بهيجه وعادت إلى بيتها بعدما صرحت لها صلاح بحبها في المستوصف. وفي الطريق كانت تريد أن تحضن الشجر، والناس، والسماء، والأرض، وكل شيء...
لقد ولدت مرتين يا حبيبي، المرة الأولى حينما ولدتني أمي، والثانية حين تسلل حبك إلى فؤادي
وخلل وامتزج في كل ذرة من ذرات جسمي...
لقد روى نهر حبك أرض قلبي العطشانة المتصدعة اليابسة البلقع...
يا حبيبي... لقد روى حبك نفسي الميتة الهالكة فأحياها وأحي كل ذرة من كياني...
يا حبيبي... لقد أحيا حبك روحي اليائسة الميتة...
لقد أنار حبك أغوار نفسي الكئيبة المظلمة...
لقد أشرقت شمس حبك في روحي فبعثت فيها الحياة والنضارة والسعادة والحبور...
لقد مرت كل أحزاني كأنها لمح البصر بمجرد أن نبض قلبي بحبك...

ماذا أقول يا حبيبي يا صلاح؟
أأقول إن السعادة قد رفرفت في كل أنحاء روحي؟ إن هذا لا يكفي في التعبير عن حبك...
أأقول إن السعادة قد طارت بي وحلقت عند سدرة المنتهى؟
إن هذا لا يكفي في التعبير عن حبك...
اللغة لا تساعدي في البوح بحبك...
قلبي مغمور بمعان رهيبة يعجز لسانه وتعجز بلاغة لغات العالم كلها في التعبير عنها...

ماذا أقول يا حبيبي؟
أأقول إن السعادة التي تغمرني الآن تملأ الكون كله وتفيض؟
أأقول إن السعادة التي تغمرني الآن تمصح الحزن عن كل الحزانى؟
أأقول إن السعادة التي تغمرني الآن تمصح البؤس والكرب عن الثكالي؟
أأقول إن السعادة التي تغمرني الآن تزرع البسمة في شفاه اليتامي؟
بماذا أقول وأعبر عن السعادة التي تحتويني يا حبيبي؟
بماذا أقول وأعبر عن حقيقة حبك يا صلاح؟
حب وسعادة وفرحه وبهجهه وانشراح وسرور وحبور...
أخشى على قلبي ألا يتتحمل هذه الجرارات من الحب...
أخشى على نفسي أن تذوب من فرط السعادة...
أخشى على روحي أن تحرق من وهج الفرحة...
سعادة في سعادة في سعادة...
سعادة في بهجة في فرحة في انشراح في حب في حبور في سرور...

خلطة عجيبة من المعاني النبيلة السامية التي لا أستطيع أن أعبر عنها...
لا أستطيع أن أكتبها... لا أستطيع أن أتفوه بها بلساني...

ماذا أقول يا حبيبي يا صلاح؟

لو قلت إنني أحبك، فلن أوفي المعاني الجياشة التي يفور بها قلبي وتمور بها نفسي وتشع بها روحى ويلهج بها كل كياني...
إن ربي فقط هو الذي يعلمحقيقة ما أحس به الآن من الحب والسعادة والفرحة...

ولكن قلبي مسكون يا ربى، فهو لا أستطيع أن يتحمل هذه الجرارات السعيدة...
أنا فعلاً، لا أستطيع أن أتحمل هذه السعادة...

إن قلبي تألف مع الحزن والكآبة والشقاء أعواماً طويلة...

أعواماً طويلة مملة من الهم والحزن والكرب...

في مصر وفي السعودية وفي مصر مرة أخرى...

أخشى عليه أن يتمزق...

أخشى عليه أن يتهرأ...

أخشى عليه أن يحترق...

بل أخشى عليه أن يتفحّم...

لقد خبئت لي يا ربى أعظم قدر وكل أقدارك عظيمة- في حب صلاح...

ما أعظمك يا رب... وما أعظم أفعالك... وكل أفعالك خير...

ما أعظم أفعالك في قلوب العباد التي تحركها كيماً شئت ووقتها شئت...

إن الحب يا ربى، هو أعظم شيء في الوجود...

هو الذي تفجره في قلوبنا بإرادتك الأزلية النافذة...

ولا حول ولا قوة إلا بك...

يا حبيبي، يا صلاح، أنا بحبك، وبحب ربى الذي فجر حبك في قلبي، يا حبيبي يا صلاح...

ماذا أقول يا حبيبي يا صلاح؟

أقول إنك يا حبيبي، قد ذبت في الشجر؟

أقول إنك قد ذبت بكل فرع أخضر؟

أقول إنني أراك ممتزجاً بكل ورقة خضراء؟

أقول إن كل ثمرة في كون الله قد تفجرت حلاوة بذوبانك فيها؟

أقول إن كل ذرة في كون الله قد فاحت نضاره وسعاده بذوبانك فيها؟

إن لغات العالم لا تسعفني يا حبيبي يا صلاح، في التعبير عن حبك بالرغم من البلاغة التي
 كساها حبك للسانني...
 أريد أن أحضن كل الشجر الذي أمامي...
 يا حبيبي، يا صلاح، أنا بحبك...
 يا حبيبي، يا صلاح، أنا بحبك فعلاً وحقيقة...
 فعلاً وحقيقة...
 فعلاً وحقيقة...
 فعلاً وحقيقة...
 يا حبيبي، يا صلاح، أنت ذبت في كل نسمة هواء...
 أريد أن أحضن الهواء لأحضنك يا حبيبي...
 أنت يا حبيبي، ممتنع بكل ذرة من أجساد الناس...
 أريد أن أحضن كل الناس لأحضنك يا حبيبي...
 أنت يا حبيبي، ممتنع بكل جرم من أجرام السماء...
 بل بكل ذرة من السماوات نفسها...
 أريد أن أحضن السماوات...
 أريد أن أحضن السماوات لأحضنك يا حبيبي...
 يا حبيبي أنت قد ذبت بكل ذرة في هذا الكون... أريد أن أحضن الكون... أحضن كل شيء لأنك
 ذات فيه يا حبيبي...
 أريد أن أحضن كل الناس الذين أمامي، كل السيارات، كل الفطائر، كل المنازل، كل شيء...
 كل شيء... كل شيء...
 أريد أن أضم إلى صدرني نهر النيل، وأنهار الدنيا، وبحار الدنيا ومحبّطاتها...
 بل أريد أن أحضن كل ذرات الأرض والسموات...
 إن قلبي يريد أن يكون له ذراعان ممدودان إلى مالا نهاية ليحضن الكون اللانهائي المتمدد
 أمامي...
 أريد أن أضم كل الكون إلى حضني ضمًا أبدية أزلياً...
 ضمًا أبدية أزلياً...
 ضمًا أبدية أزلياً...
 ضمًا أبدية أزلياً...
 ضمًا أبدية أزلياً لا فراق فيه أبداً... أبداً... أبداً...
 إن لغات العالم لا تسعفني في التعبير عن حبك...
 أنا فعلًا، لا أستطيع أن أعبر عما يجيش به فؤادي...
 ثم هنفت بلسانها: -الرحمة يا رب... الرحمة يا رب...

-44-

أحست زبيدة بالتغييرات التي طرأت على صلاح الشيمي، وعلمت بالحبوبة الجديدة...
المحب الولهان. ما هذا يا صلاح؟ أتحب ممرضة؟ شيء عجيب. إنها تسكن عندي منذ عشر
سنوات أو أكثر، فلماذا الحب الآن؟! بهيجه ليست أجمل مني. ومستواها الاجتماعي متدني. ما
هذا الذي يحدث يا رب؟
عاد الشيمي من المستوصف الخيري وهو مبهج...
طبعاً، منتشر بعد مقابلة الحبوبة والعمل بجوارها في المستوصف مساءاً والمستشفى صباحاً...

يا حبيبتي... لا أستطيع أن أراك كل أسبوعين كما يشترط والدك.
بابا يريد إلا تؤثر خطوبتنا على دراستي في الماجستير.
ـ أنا لا أستطيع أن أصبر طوال هذين الأسبوعين.
ـ يا حبيبتي، ستة أشهر وسأتم الماجستير وسنتزوج إن شاء الله.
ـ يا مهجة فوادي، كلمي عمي ليجعل المدة أسبوعاً بدلاً من أسبوعين.
ـ لا أستطيع يا صلاح.
ـ أرجوكِ أنا لا أستطيع صبراً...

حقيقة، أنت لا تستطيع صبراً الآن على عدم رؤية الحبوبة الجديدة يا صلاح.
ـ لماذا بك يا زبيدة؟ لا تعيشنا اليوم؟
ـ لم ترد زبيدة، وظلت ساهمة شاردة... فسألتها بصوت عال: "أين أنت يا زبده؟"
ـ أفاقت على كلمة زبده وقالت: "لم تقل لي زبده منذ فترة طويلة!"
ـ يا حبيبتي، سأقولها لك دائماً.
ـ يا حبيبتي!... القلب يحب اثنين؟! الغربال الجديد له شدة... الحب الجديد مفعم بالحياة والحيوية...
ـ الحب الجديد له توهج...
ـ تقول لي: يا حبيبتي؟
ـ أشعة شرار تتفجر من عينيك يا زبيدة... أكيد حسك الأنثوي قد أوحى إليك بشيء. ماذا أصنع يا
ـ ربى؟ أطف يا رب. أطف بعدك المسكين...
ـ تساءل صلاح في تلعثم:
ـ لماذا تقصدين يا حبيبتي؟
ـ فردد عليه متسائلة أيضاً:
ـ لماذا يا صلاح تعمل الآن في المستوصف الخيري وتقطع جزءاً كبيراً من وقت عيادتك؟

تماسك الشيمي أكثر ورد:

-ربما شفقة على أوضاعها. إنما الحب الحقيقي لك يا حبيبي.

-أتكذب يا صلاح بمنتهى البساطة؟

-يجوز الكذب في هذه الحالة يا زبدة...

-كيف أكذب عليك يا زبدة؟

استجمعت زبيدة قوتها ثم قالت:

-إذا كنت لا تحبها فعلاً، فاترك العمل بالمستوصف وركز في عيادتك واعمل بمستشفى أخرى

بعيداً عن الحوض المرصود.

-كيف أترك الحوض المرصود وأشتغل بعد ذلك كأخصائي جلدية وتتناسلية؟

فتساءلت زبيدة في غضب:

-صحيح. كيف تترك الحوض المرصود وتبعد عن الحبيبة؟!

يا زبيدة، حينما أبتعد ثلاثة أشهر عن المستشفى في الاندب، يهبط مستوى العلمي. ولست

وحدي في هذا الأمر، فكل أطباء المستشفى يحدث لهم ذلك.

ولم يا صلاح؟

-لأن الحالات الهمامة في تخصصي لا نراها إلا في الحوض المرصود.

-عجب أمرك يا صلاح. أكل أخصائي الجلدية في البلد فاشلون إلا الذين يعملون في الحوض

المرصود؟!

تساءلت زبيدة في غضب:

-كثير منهم يأتون في كونصلتو يوم الاثنين ليشاهدو الحالات الهمامة، حتى بعض أعضاء هيئة

التدريس في طب القاهرة وعين شمس يحضرون هذا الكونصلتو.

-ولماذا يحضرون عندكم؟ ألا يشاهدون الحالات الهمامة في مستشفياتهم الجامعية؟

-توجد حالات هامة كثيرة في المستشفيات الجامعية ولكن عندنا أكثر بكثير جداً، حتى الحالات

النادرة تأتي إلينا أكثر من عندهم.

قل الحقيقة يا صلاح بدلاً من هذا اللف والدوران...

تساءلت زبيدة في غضب:

-وهل هذه الحالات النادرة تأتي في المستوصف الخيري أيضاً؟!

لم يستطع الشيمي أن يرد. صرخت:

-بيتنا أهم من ألف حوض مرصود أو مستوصفات خيرية أو حالات نادرة...

-عندك درجة الغيرة زائدة يا زبيدة.

فاحتدت غاضبة:

-ليست غيره، إنما ما يحدث الآن ما هو إلا إرهادات لخراب بيتنا للأسف. ثم استسلمت لنوبة

بكاء شديدة...

-45-

جلس الدكتور صلاح الشيمي مع الدكتور أحمد إسماعيل تحت شجرة الصفصاف بعد انتهاء العيادات الصباحية وأثناء انشغال الأطباء بالكونسلتو.

تمت الشيمي:

-الحمد لله، نستطيع أن نتحدث الآن بعيداً عن الزملاء المشغولين بحالات الكونسلتو.
وبوجل:

يا دكتور أحمد، أرجوك توسط لي عند المدير ليلغي هذا الانتداب.
تبسم أحمد إسماعيل. رد:

-ولكن مستشفى المنيرة قريبة من الحوض المرصود. بسيارتك البولونيز ستأخذ ثلاثة دقائق
لتصل إلى هنا.

ثم أضاف ضاحكاً:

-وترك حبيبتك.

تساءل صلاح حائراً:

-هل سأترك العمل لكي أراها؟

أجابه الدكتور أحمد بصوت خفيض:

-في الانتداب لديك يومان بدون عمل. تعالى إلينا. واحضر الكونسلتو. وتمتع برؤية الحبيبة...
قال صلاح حزيناً:

-أرجوك توسط لي عند الدكتور سليم ليلغي هذا الانتداب.
وبمرارة:

-كفاني انتدابات. أنا أكثر واحد انتدب في هذه المستشفى.

ضحك أحمد وتساءل:

-كيف ألغى هذا الانتداب وأنا الذي رشحتك له؟

فتسأله صلاح حائراً:

-كيف ذلك يا دكتور أحمد؟

أخذ الدكتور أحمد رشفة من الشاي وقال:

-يا شيمي... لقد لاكت الأسنان قصة حبك للممرضة بهيجه حتى وصلت للمدير. فناقشتني في علاج هذا الأمر، فقلت له: أن يرشحك للانتداب فترة طويلة ولو تسعه أشهر أو حتى سنة حتى تقطع هذه الأسنان...
وضع الشيمي يديه على رأسه وتأمل في رمل فناء المستشفى تحت رجليه ثم قال:

-المشكلة هنا بالمستشفى أمرها هين. الآن تأزم كل شيء بعد معرفة زوجتي لهذا الحب، وهي لا تقبل بتاتاً أن تكون لها ضرة.
طبعاً، لن توافق أن تكون ضرتها ممرضة.

قال الشيمي بحده:

-حتى لو كانت وزيرة، فلن توافق.

ثم واصل بصيغ:

-ولو أمضيت الزواج من بهيجه فستطلب الطلاق أو حتى الخلع الذي ذاع صيته في هذه الأيام.

-ألا يوجد وسطاء في العائلة ليتدخلوا ويحلوا هذا الإشكال؟

-الموضوع حساس فلم تدخل أحدا حتى الآن.

صمت الدكتور أحمد ليفكر. كاد أن يقول اجعلني واسطة بيني وبين زوجك ولكنه أحجم. تسأله:

-كيف تقول إن الأمر هنا هين؟

-بعد دقائق من الآن سأحل مشكلة الألسن الطويلة هنا.

تعجب الدكتور أحمد وتسأله:

-كيف ذلك؟

تبسم الشيمي تبسم الواقع وهو يجيب:

ستكون معي لترى عينيك وتسمع بأذنيك.

وبإلحاح:

-ولكن أرجوك. أرجوك يا دكتور أحمد، أن تلغي هذا الانتداب.

-عجب أمرك. عجيب أمرك يا صلاح. أليست هذه الممرضة تسكن في بيتك؟ فما المانع أن

تُنتدب إلى أي جهة طالما أنك تستطيع أن تراها في أي وقت؟

صمت الدكتور أحمد ليفكر ثم قال:

-أمامك حلان؛ إما أن تننسها وتخرجها من قلبك تماماً حفاظاً على بيتك من الانهيار، وإما أن

تنزوجها زواجاً عرفيًا وهو منتشر الآن في البلد كلها.

وبهسيس:

-ولكن هذا الزواج العرفي لابد أن يكون معيناً هنا في المستشفى كأنه زواج عادي حتى تقطع

الألسن المشحونة للنهش من عرضك وعرضها.

صمت أحمد ليتأمل هذين الحلين ثم أضاف متبايسماً:

-وعليك أن تجد سكناً بعيداً عن بيتك لتقابل عروستك الجديدة.

تبسم الشيمي، وتورد وجهه بالبشر. قال:

-تقريباً أنا أوافقك على الحل الثاني ولكن أرجو أن تلغي الانتداب.

احتد أحمد إسماعيل:

-يا أخي، كرامتك أهم من أي شيء. تحمل البعد عنها فترة معينة حتى تقرر الزواج منها.

ثم هتف بقوة:

-كفى مراهقة يا رجل!

قال الشيمي:

-أنت لم تجرب الحب.

تبسم أحمد قائلًا:

-جربناه يا سيدى.

ثم غمغم:

-ربما تكون أحاسيسك هي أزمة منتصف العمر، وليس مشاعر حب حقيقي.

فغر الدكتور صلاح فاه مندهشاً...

ففسر أحمد:

-لا تتعجب. فكثرون غيرك يعانون مما تعانيه ويظنون أنهم قد وقعوا في شباك الحب. وفي الحقيقة ليس بحب ولا يحزنون، إنما هي أزمة منتصف العمر.

فاعتراض الشيمي:

-لا وألف لا يا دكتور أحمد. هو الحب بعينه.

صمت الدكتور أحمد ولم يعقب.

قال صلاح بحماس:

-هيا بنا إلى الكونسلتو لأقطع الألسن الجبانة...

دخل صلاح الشيمي ويتبعه أحمد إسماعيل إلى حجرة الكونسلتو الكبيرة. ثم انتظر حتى يفرغ الأطباء من مناقشة الحالة التي بين أيديهم. وقبل بدء نقاش الحالة التالية، أمر الشيمي المريض أن ينتظر قليلاً خارج الحجرة، ثم قال بصوت جهير:

-أيتها الزملاء. إنني أحب الممرضة بهيجية. ولقد اتفقنا على الزواج في القريب العاجل كما أمرنا الشرع، ونحن نعد الآن لإجراءات الزواج. ولا داعي للخوض في هذا الأمر أكثر من ذلك.

.consultation³⁹

³⁹ الكونسلتو

-46-

زار الأستاذ أحمد الغرياوي وأفراد أسرته الإخوانية التي تضم صلاح الشيمي وإخوانه الشيخ عبد الحميد كامل في بيته...
كان صلاح الشيمي وإسماعيل عبد الفتاح يصليان صلاة الجمعة في مسجد الشيخ عبد الحميد في السبعينات، وكانا يزورانه في بيته أحياناً.
وكان مسجد الشيخ قبلة المصريين في السبعينات حيث كان يصلی ورائه في صلاة الجمعة أكثر من مائة وخمسين ألف فرداً... وقد كان أكثر من مسجد في تلك الحقبة قبلة لجماهير غفيرة من المسلمين. وكانت الصحوة الإسلامية في أوجها. وكان الرئيس السادات قد أتى بعد الحكم الناصري الديكتاتوري الغاشم، لذلك سمح ببعض الحريات حتى يخفف عن الشعب المعاناة في الحقبة السابقة؛ فظهرت بعض الأحزاب المعارضة كحزب العمل الاشتراكي، وحزب الأحرار اليميني، وحزب التجمع اليساري، وطبعاً، ظهرت بعض صحف المعارضة، وانتشرت أيضاً، ظاهرة المساجد المعارضة لنظام السادات الحاكم، وكان مسجد الشيخ عبد كامل من تلك المساجد المعارضة...
والشيخ عبد الحميد كامل يحب الإخوان المسلمين وتحتذر منهم كثيراً وبخير حينما كان يخطب. ولقد اعتقل الشيخ في اعتقالات 4 سبتمبر 1981، وخرج بعد مقتل السادات بعده أشهر، ولم يعد إلى منبره حتى الآن بالرغم من عدم إدانته من المحكمة التي حكم أمامها!
رحب الشيخ بهم. وعرف صلاح وإسماعيل أفراد أسرتهما إلى الشيخ...
سأل الغرياوي الشيخ عن أي بارقةأمل في عودته إلى منبره، فرد الشيخ:
في عام 1985، طلبوني لمقابلة هامة في مقر مباحث أمن الدولة الرئيسي بلاظوغلي. وكان الجو شديد البرودة، ومع ذلك، ظللت ماكثاً هناك أكثر من ثلاثة ساعات حتى أذنوا لي بالدخول على الضابط المسؤول عن ملف مسجدي!
هز الغرياوي رأسه: "هذا المكث الطويل من أساليبهم في المخابرات وفي أمن الدولة حتى يحطموا الفرد نفسياً قبل التحقيق".
استطرد الشيخ: "ولما دخلت على الضابط، قال لي: "ألا تريد أن تعود إلى منبرك؟" فقلت: بلـ".
فتبرس الشيخ ساخراً: قال لي: "العودة إلى منبرك ستحققها لك بشروط ثلاثة..."
فقطاع الغرياوي الشيخ: "وما لأمن الدولة والمنابر أصلًا؟"
فرد الشيخ: "أمن الدولة أضحت الآن دولة فوق الدولة!"
فاحتدى إسماعيل عبد الفتاح حانقاً: "دولة فوق الدولة. دولة داخل الدولة. المنابر ليست من اختصاصه، وإنما هي اختصاص وزارة الأوقاف أصلًا".
وقال صلاح الشيمي: "حتى لو كان المسجد له شعبية وجماهير غفيرة"..."
وقال علي عبد المنعم: "بالإضافة أنكم يا فضيلة الشيخ، لم تُدانوا في المحكمة التي حوكتم فيها كما سمعنا".

فتبسم الشيخ صاحكا وهو يقول: "السادات حبسنا رهينة في المعتقلات حتى تخرج إسرائيل من آخر جزء من سيناء طبقاً لمعاهدة السلام".

قال الغرباوي: "ولكن الرئيس مبارك أخرج كل المعتقلين قبل الموعد النهائي لخروج الصهاينة في أبريل 1982، ومع ذلك خرجت إسرائيل من سيناء ماعدا طبا، ولم تتحجج بالمعارضين لمعاهدة السلام الذين خرجموا من المعتقلات".

فأوماً الشيخ رأسه مؤكداً: "مبارك أخرج ثلاثة من المعتقلين واستقبلهم في قصر الرئاسة بمجرد توليه الرئاسة، ولكن خرجمنا كلنا بالمحاكمات التي برأتنا من تهم نظام السادات التي لفقونا إياها" ...

فتبسم الغرباوي وهو يسأل الشيخ: "ما هي الشروط الثلاثة التي اشترطوها في أمن الدولة لكي تعود للخطابة؟"

فتبسم الشيخ ساخراً وهو يجيب: "-أول شرط أن أخطب في كل جمعة في مسجد جديد"، يعني لن أخطب في مسجدي كما كان من قبل، ولا في مسجد ثابت.

فتبسم وقلت للضابط: والشرط الثاني؟ فقال: "لن أعرف المسجد الذي سأخطب فيه إلا قبل صلاة الجمعة بوقت قليل". فضحك ساخراً وقلت: والشرط الثالث؟ فقال:

"لن تخطب إلا في مسجد فيه ضريح".

فصَمِّثْ ولم أعقب. قال الضابط: "ما لك صامت! أموافق على هذه الشروط؟" فقلت له وللضابط الحاضرين الذين كانوا يعلقون أحياناً: أنت قد فكرتموني بمسألة رياضية سألها معلم لتلاميذه. فسكت لأنّي تفكيّرهم. فقالوا: "وما هي؟" فقلت: هي مسألة ثلاثة أيضاً على وزن شروطكم الثلاثة. قال الأستاذ: إذا كان القطار به ثلاثة عشرة عربة، والعربية بها أربعون راكباً، ووزن الركاب بين ثلاثة وثمانين كيلو جراماً، فمتى يصل إلى طنطا إذا تحرك من محطة القاهرة في الثالثة بعد الظهر؟!..."

فغضب المحقق وقال "أنتقول لنا فوازير؟" فقلت له: هي مسألة ليس لها حل كشروطكم الثلاثة التي لن يوافق عليه أي أحد ...

وانقطع الاتصال معه منذ ليلتها، يعني منذ عشر سنوات. بدأوا يحتسون الشاي. فاسترسل الشيخ:

-ويا ليت الأمر وقف على عدم الخطابة، إنما كلما ذهبت لأصلِي صلاة الجمعة، مأموراً طبعاً، أجد ثلاثة سيارات ورائي تراقبني حتى تتأكد أنني لن أخطب.

قال الغرباوي:

-جهاز أمن الدولة أصبح له أذرع في كل مؤسسات الدولة.

وبامتعاض:
للأسف.

وقال إسماعيل عبد الفتاح:

- حينما كنا في الجامعة في السبعينات، كان يعين عميد الكلية بالانتخاب.

فأوما صلاح الشيمي برأسه ناحيته:

- ليس فقط في السبعينات يا إسماعيل، بل حتى بداية الثمانينات كان تعيين عمداء الكليات بالانتخاب، أما بعد ذلك فبالتعيين.

وастكم الغرباوي:

- ولا بد من الموافقة على التعيين من جهاز أمن الدولة.

وبقرف:

- وحتى تعيين أصغر موظف بالجهاز الحكومي لابد من موافقة أمن الدولة عليه أولاً. ولم يقتصروا على موظفي الحكومة، إنما الصحافة والإعلام والقضاء، والأحزاب. فلهم الآن أذرع في كل مكان كالإخطبوط!...

ثم بصوت خفيض:

- بصراحة، إن دور هذا الجهاز الهام هو مكافحة الإرهاب والحفظ على أمن البلاد من الجواسيس والعلماء والخونة.

ثم ساخراً:

- ربنا يجعل كلامنا خفيف عليهم.

فضحوكوا.

تهمك الشیخ عبد الحمید:

- بصراحة، إن دور جهاز أمن الدولة الآن هو الحفاظ بأي شكل على النظام الحاكم وكرسي الرئيس...

فاعترض الغرباوي:

- ولكن له دور كبير في مكافحة الجماعات الإسلامية الإرهابية وال المسلحة. ولقد ضحي كثير من ضباط أمن الدولة بأرواحهم وهم يحاربون تلك الجماعات الإرهابية، ولازالوا يضحون.

وبصراحة يا شیخ عبد الحمید، أنا لي عتاب عليکم وعلى كثير من المشايخ الفضلاء مثلکم.

تفضل يا أستاذ أحمد، خير؟

- حينما كنتم تخطبون، لم يتعد دوركم إلا مهاجمة النظام السابق والرئيس السادات، بينما تركتم الجهاد والجماعة الإسلامية والتکفير والهجرة يفسدون في الأرض حتى وصل فسادهم إلى قتل الرئيس السادات الله يرحمه في المنصة.

- لم يكن دوری هو مهاجمة السادات الله يرحمه، إنما دوری كان ولازال هو الدعوة إلى الله عز وجل.

وساخراً:

وبالرغم أني وكثير من مشايخ ذلك الزمان لم نكن من علماء السلطة، إلا أن هؤلاء الجماعات لا تسمع لنا، وبعضهم كانوا يكفروننا لأننا نتسلم راتبنا من وزارة الأوقاف يعني من الدولة الكافرة! فبالتالي عليك، فكيف تقنع هؤلاء بالفكر الإسلامي الصحيح؟!

قال علي:

يا فضيلة الشيخ، كان يجب ألا تيأسوا من نصحهم وإرشادهم.

ناقشت بعضهم يا بني، ولكن لا بلا جدوى.

طبعاً، امتعض طارق عمر وتغير وجهه ضيقاً من الحديث السيئ عن الجماعات الإسلامية الحقة وخاصة الجماعة الإسلامية في نظره. بينما كان سعيد عوض قد انشرح قلبه لجماعة الإخوان ونفض عنه غبار مرحلة التردد والتدبر بين الإخوان والجماعة الإسلامية، لذلك تحمس سعيد قائلاً:

-لازالت البلد تكتوي بنار إرهاب هذه الجماعات المتسلمة، وما تفجير باص الهرم بالسياح عنا بعيد.

فرد عليه الشيخ:

-عندك حق يا بني. ولكن هؤلاء لا يقتلون إلا بتفكيرهم هم.

فاندفع علي:

ولكن عبد الله ابن عباس -رضي الله عنهما- أقمع كثيراً من الخارج بالفكر الإسلامي الصحيح وعاد كثير منهم من فكرهم المنحرف إلى الإسلام الحق.

قال الغرباوي: "ولتكن يا شيخنا، لم نر منكم كتاباً يدحض تكفير المجتمعات المسلمة وإباحة تغيير المنكر باليد للأفراد للرد على هؤلاء المنحرفين عن دين الإسلام".

فرد الشيخ:

-عند حق يا أستاذ أحمد. فأنا وزملائي مقصرون بسبب اليأس من إصلاح هؤلاء. ولا ننس أن زعماء هذه الجماعات قد أعطوا ظهورهم للمشايخ الثلاثة الكبار في جامع الأزهر منذ شهور قليلة!

قال علي:

ولكن كتاباً قياماً منكم يا فضيلة الشيخ، سيساهم في دحض هذا الفكر المنحرف، وسيحمي أجيالاً من الشباب المسلم من الوقوع في براثن التكفير والتجهيل والتدمر والتغيير للمجتمعات المسلمة بحجة القيام بالدين الحق...

وواصل: أو تقوم لجنة من فضلياتكم وبعض المشايخ الغير محسوبين على السلطة بإصدار سفر عظيم يبين الدين الحق ويمحض كل مدمر ومفجر ومكفر لمجتمعه المسلم...

وفي سره هتف بقوة: أنتم مقصرون... أنتم مقصرون... وتمتن بينه وبين نفسه: الصوابع عندها الحق.

تبسم الشيخ:

-إن شاء الله...

-47-

ذهبت زبيدة رمزي زوجة صلاح الشيمي إلى بيت الأستاذ أحمد الغرباوي لتشتكي له صلاح وهي غير مصدقة ما حدث، وكأنها تقرأ رواية عبثية. كيف تستولي ممرضة تسكن عندهم قلب زوجها بهذه البساطة؟ ومتى؟ بعد عشرة سنوات من الجيرة. ومتى ثانية؟ بعدها تركت بهيجية شرخ الشباب...

وهل عملها بمستشفى الحوض المرصود هو السبب؟ ولكن صلاح يراها منذ عادت من السعودية وكانت شابة ومليحة، فلماذا الآن؟ لماذا الآن يا ربى وصلاح يغض البصر وإنسان محترم. ولكن الحب يعرف احترام وغير احترام؟ وما هو الشيء المفقود عندي ووجده صلاح عند الممرضة الحقيقة؟ فهي ليست أجمل مني، بل إن جمالها متواضع. ما هذا العبث يا ربى؟ الله يخرب بيت الحب. الله يخرب بيت الكرم. الله يخرب بيت كل شيء... الله يخرب بيت الدنيا... الله يخرب الدنيا كلها... الرحمة يا رب. الرحمة بقلبي الضعيف يا رب... الرحمة...

هزمت وداد شاهين زوجة الغرباوي رأسها نفياً بعدما سمعت شكوى زبيدة، وقالت:

ربما أوهام لا علاقة لها بالواقع.

فردت زبيدة:

يا أختي، ليست أوهاماً. لقد تغير تماماً، واضطربت أحواله. حتى عيادته أهملها وأمسى يعمل بالمستوصف الخيري ليكون بجوارها طوال اليوم...

دخل الغرباوي فسلم وجلس. فأخبرته زبيدة بما حدث لزوجها، فقال:

أنا لاحظت عليه بعض الاضطرابات وانشغال البال منذ شهر أو أكثر.

قالت زبيدة:

لقد نسجت الخبيثة خيوطها حوله حتى أوقعه في شباكها.

فامتعض الغرباوي:

اللهم اغفر لنا ولها. لا داعي لئن تسببها في غيابها.

وقالت وداد:

أم سعيد سيدة طيبة جداً، بل من أطيب الناس في الحي، وظروفها الاجتماعية سيئة للغاية.

فأشعار الغرباوي بيده:

من الأفضل أن نترى ولا نصدر أحكاماً جزافاً.

فاحتذت زبيدة:

يا أبا حسن، لقد عمل بالمستوصف الخيري لأنّه لا يستطيع أن يبعد عنها.

ربما عمل بالمستوصف ليساعد القراء.

ثم هز رأسه مؤكداً:

أكيد أنه اشتغل بالمستوصف ليساعد القراء.

لماذا لم يعمل بالمستوصف إلا الآن؟ هل القراء لم يظهروا إلا هذه الأيام فجأة؟!

يا أم خالد، نحن لا نعرف ضميره ولا نيته. فربما قد زاد إيمانه فحثه على فعل الخير.
قالت وداد وهي تشير إلى فنجان القهوة:
-القهوة بردت يا أم خالد.

لم ترتفف زبيدة أي شفطة، ولكنها استطردت:

-حتى العمل الحكومي الذي بحث لها عنه، لم يجد درجة مالية لها إلا بمستشفى الحوض المرصود. القاهرة تعج بمستشفيات ومراكز وزارة الصحة، فلماذا الحوض المرصود بالذات؟!
أكيد هو الذي وراء تعينها بجواره.

رد الغرباوي:

-هذا أمر قدرى. ولو كان الدكتور صلاح يعرف أحد المسؤولين بمديرية الشئون الصحية لمنع الانتدابات الكثيرة التي يعاني منها.

صرخت زبيدة:

-صلاح يحبها يا أستاذ أحمد. زوجي سيضيع مني يا ناس.
واستسلمت للبكاء المريض...

رق لها الغرباوي:

يا أم خالد، اطمئنى سأبحث الأمر جيدا. وسنحاول حل هذه المشكلة إن شاء الله.
وقالت وداد:

-الدكتور صلاح رجل محترم، ولا نعرف عنه إلا كل خير.
هذا البكاء قليلا ...

ثم فجأة اندفعت كالحيوان الجريح:

يجب طرد هذه السيدة من بيتنا.

فأشارت وداد بيديها لتهدا:

يا زبيدة. يا زبيدة... ما ذنب هذه السيدة الأرملة الطيبة؟ وما ذنب ابنها المسكين؟
ضم الغرباوي شفتيه آسفا:

-إن ظروفها المادية سيئة للغاية فهي تحتاج للشفقة والعطف.

خرج شعاع غضب من وجه زبيدة وهي تقول:

-هذه السيدة الطيبة هي وراء كل المصائب التي ستنزل بنا. سيخرب بيتي يا ناس. سيخرب بيتي يا ناس. يا ناس...

ثم استسلمت لنوبات من البكاء...

ربتت وداد على كفها:

يا أم خالد، استعيني بالله واصبرى. ستحل هذه المشكلة إن شاء الله.

وقال الغرباوي:

-لابد بعد الاستعانة بالله -عز وجل- أن نتعامل بعقل وبهدوء حتى نستطيع أن نهدي إلى الحل الأمثل.

فقالت زبيدة بعصبية:

-لابد من طرد هذه المرأة من بيتنا.

فسألها الغرباوي:

-كيف سُطرد؟ إن قانون الإيجار أزلٍ لا نهاية له.

فاحتذت زبيدة:

-الله ينتقم من الذي وضع هذا القانون الجائر.

ابتسم الغرباوي:

-هو الآن عند ربه يحاسبه على مثاقيل الذر.

تساءلت وداد:

-لماذا تطردون هذه المسكينة؟ وأين ستذهب؟

فرد الغرباوي عليها:

-لن يستطيع أحد أن يطردها بسبب قانون الإيجار.

فاشتاطت زبيدة:

-أنا سأطمرها شر طردة. فهي السبب في كل الشرور التي حدثت والتي لم تحدث...

حاول الغرباوي أن يهدئها:

-يا أم خالد، أرجو أن نتحدث بهدوء ولا داعي للعصبية. لنفترض أن الدكتور صلاح هو الذي

يحبها فعلاً وليس وهما ، فما ذنبها هي؟

-هي التي أوقعته في حبها.

فاندھشت وداد:

-ولماذا توقعه الآن وهي تسكن عندكم منذ سنين طويلة؟

أسقط في يدي زبيدة، فبماذا تجيب؟

قال الغرباوي بهدوء:

-وربما لا يحبها، وكل هذه أوهام في أوهام.

فقالت زبيدة في حدة:

-هو يحبها حقيقة. فعندما كان مريضاً كان يتحسس النظر من النافذة ليراها حين تعود من

المستشفى...

تنسم الغرباوي:

-ولكنها كانت مريضة في تلك الفترة.

-هي مرضت في أواخر فترة مرضه.

ضحك الغرباوي:

-الحمد لله أنك لم تقولي أنها مرضت لمرضه.

-الله أعلم بالحقيقة.

فانفرجت أسارير الغرباوي أكثر:

-أحسن كلمة فعلا هي: الله أعلم بالحقيقة.

ثم أضاف:

ولنفترض أنه مشق علىها لظروفها الاجتماعية السيئة، أو يريد أن يتزوجها عطفا وشفقة بها.
ألم يحل الشرع للزوج أن يتزوج أكثر من واحدة؟
فقالت زبيدة في نفسها بمرارة:

أتيت إليك لتحل مشكلتي فوصلتني للزواج الثاني! على العموم، هذا طبيعي منكم معاشر
المتدينين. فأنتم أكثر الناس حرصا على الزواج الثاني لتطبقوا الشريعة الإسلامية بطريقتكم
الخاصة!...

أجابته زبيدة منفعلة:

-أنا لا أطيق أن يكون لي ضرة. فهذا فيه خراب بيتي.

ثم تساءلت:

-أيرضى الشرع أن تكون ضرتي ممرضة؟

قال الغرباوي في سره:

شيء جيد أن يصل الحوار معك إلى النقاش في وظيفة الضرة...

ثم ضحك:

-أن تكون لك ضرة فهذا يعود إليكما. ولكن بوجه عام ما المشكلة أن تكون الممرضة زوجة
أولى أو ضرة؟ يا أم خالد، أنت أخت من أخوات الجماعة والأخت أم سعيد أختك ورفيقتك في
الدعوة. والعبرة في الزواج سواء كان أولا أو ثانيا بتدين وتقوى المتزوج والمتزوجة.

تسلل اليأس إلى نفس زبيدة:

-أخير صلاح بأنني لن أستطيع أن أعيش معه إلا إذا أخرج هذه المرأة من حياته. ولن أعود إلى
البيت، وسأذهب إلى بيت أهلي ولن أرجع إلا بعد طرد هذه المرأة من حياته نهائيا.

فسألها الغرباوي محتدا:

-كيف تتركين البيت بدون إذن الزوج؟

لم تجبه وأطرقـت صامتـة تـنظر إلى الأرض يـلفـحـها اليـأسـ والـضـيقـ.

قالـتـ وـدادـ:

ـياـ أـخـيـ، لاـ تـسـرـعـيـ. وـخـذـيـ بـيـدـ زـوـجـكـ حـتـىـ تـمـرـ هـذـهـ الأـرـمـةـ وـتـصـلـاـ إـلـىـ بـرـ الـأـمـانـ بـسـلـامـ...

-48-

بعدما زارت زبيدة الأستاذ أحمد الغرباوي، عزمت عزمها على زيارة بهيجه لتضع حدا لحد هذه المهزلة بتعييرها...

دخلت زبيدة، فقالت بهيجه في نفسها:

وجهك هذا لا يأتي بخير! أعود بالله... خير يا زبيدة؟ خير؟ هل علمت بالخطوبة الكاذبة التي أعلنتها صلاح في المستشفى؟ أم ماذا؟ وجهك يتقططر شررا وشرا... أعود بالله... أطف يا رب... أطف...

بعدما جلست زبيدة مباشرة، نظرت نظرات غاضبة في وجه بهيجه وهي تقول:
-أليس عندك نقطة دم في وجهك؟

احمر وجه بهيجه الخمرى. ضاق نفسها...

هذا ما كنت أتوقعه من العذر المرسوم على ملامحك. أعود بالله من شياطين الإنس والجن...
ما هذا السباب في بيتي؟

احتذت زبيدة: "أتأخذن رجال من زوجته وأولاده ولا تريدين أن تسمعي سبابا؟"

فردت بهيجه بصيق: "أنا أختك في الله في الدعوة فعيوب أن تشنمني!"

وبحرف: وعيوب أن تشنمني في بيتي.

فعلا، شتم الناس في بيوتهم عيب. ولكن ما هو رأيك في المرأة التي تريد أن تخرب بيت الناس
الآخرين الذين لم يؤدونها بشيء؟

أنا لم أخرب بيت أحد.

فاحتذت زبيدة: "ستخربين بيتي وستجعلين عاليه أسفله".

أعود بالله من الشيطان الرجيم. يبدو أنك أنت التي ستخربين بيتك بنفسك.

ماذا فعلت حتى أخرب بيتك؟

يا خبيثة... تضحكين على صلاح بالحب والهياق و تستهبلين الآن. وتقولين أختك في الدعوة؟
دعوة إيه يا خبيثة؟

-إدعائك الحب والغرام لزوجي الدكتور صلاح، أليس هذا يخرب البيوت؟

توهج وجه بهيجه. ضاقت أنفاسها. أسرعت ضربات قلبها لاهثة...

قالت بعصبية: "أنا لم أدع ما تقولينه للدكتور صلاح أو لغيره".

غضبت زبيدة: "الرجل قد اضطربت أحواله بعد عملك في الحوض المرصود".

ربنا يصلح أحواله. ولكن ما ذنبي في اضطراب أحواله أو استقرارها؟

-اضطربت أحواله بسبب حبك يا أم سعيد.

ردت بهيجه بقوة: "يا أم خالد، لقد قلت لك إنني لم أقل لزوجك ولا لغيره إنني أحبه".

وبشبه تبسم: "نحن كبار على هذه الأمور".

ـ وهل الحب يحتاج إلى البوح به؟ ألا تكفي النظارات؟ أليس هي خير رسول بين المحبين؟

تساءلت بهيجه غاضبة: "من قال لك إني أحب زوجك؟"
- هو يحبك يا هانم.

- وما ذنبي أنا؟
- أنت التي أوقعتيه في شباكك.

ردت بهيجه وهي تحاول أن تجهض دموعا قبل أن تتكون:
- أنا لا أوقع أحدا. وعيوب عليك أن تتفوه هي بهذا الكلام.

رشقتها زبيدة بنظرات نارية: "العيوب عليك أنت".

فتساءلت بهيجه وقد ضاق صدرها ولسانها: "ماذا؟ ماذا تريدين مني بالضبط؟"
- كلمة واحدة: ابتعدي عن زوجي.

- أنا بعيدة عنه.

قالت زبيدة وهي تحاول أن تكتم بكائها:
- هو يحبك منذ اشتغلت بالحوض المرصود.

فردت بهيجه:

- يا أختي... أنا أسكن في بيتك منذ أكثر من عشر سنوات، فلماذا يحبني زوجك الآن؟

اشتعل وجه زبيدة الأبيض أحمرارا... وتساءلت مع نفسها:

أختك! أي أخوة في الله حرست عليها؟ ولماذا يحبك الآن؟ أكيد قد ملئت فراغا في نفسه. ولكن
صلاح يحبني جدا، فماذا حدث يا رب؟

لم تستطع زبيدة أن تقاوم البكاء.

وبعد قليل قالت باكيه:

- اسألني نفسك يا بهيجه.

فتساءلت بهيجه بصوت مختلط بكاء:

- أسأل نفسي ماذا؟

وبصوت باك:

- إن تعاملني مع الدكتور صلاح في المستشفى في حدود العمل.

ثم انت Hibat وكاد قلبها أن يتقطع وهي تهتف:

- الأمر لك يا رب... الأمر لك يا رب...!

أحسست زبيدة بحس الأنثى- بحب وألام وحيرة بهيجه...

مررت فترة من الصمت ضمدت خلالها كل واحدة جراحها النفسية بعدما هدأت المعركة الحربية
الحرجة الأليمية بين زوجة تحب زوجها وبينها وغير مصدقة أن يحب عليها أي امرأة بعد الحب
والعشرة الزوجية الطويلة، وبين امرأة تفتحت زهرات قلبها على الحب لأول مرة في حياتها
ووظفت أن الدنيا قد ابتسمت لها أخيرا... وهي لا تعرف لماذا سينتهي هذا الحب؟ هي تحاول
جاهدة أن تكتم هذه العاطفة بقدر الإمكان للحرج الشديد من كلام الجيران، وكلام الأخوة

والأخوات في دعوة الإخوان المسلمين، وكلام الزملاء والزميلات في المستوصف الخيري...
أما في المستشفى، فقد حلها صلاح بإعلان الخطوبة.

عبدة زبیدة:

-يا أم سعيد، حتى المستوفى الخيري لم يعمل به إلا منذ أحبك حتى يكون بجوارك صباحاً ومساءً.

لم تستطع أن ترد بهيجه وظلت صامتة شاردة ظاهريا، ولكنها في الحقيقة، تستمع لقلبها وهو يلهج بحب صلاح. وهي سعيدة بالاستماع لنبيضات قلبها وروحها ونفسها وكل ذرة في جسدها وهي تهتف بحب حبيبها صلاح... وهي استمرأت هذا الهاتف الداخلي لأنه بلسم لنفسها الجريحة المحطمة منذ سنوات بعيدة...

ثم انتبهت على صوت زبيدة التي انقضت كالفريسة المجرورة:
أنا لن أستسلم أبداً لخراب بيتي. هي كلمة واحدة يا امرأة، اتركي بيتنا وابحثي لك عن بيت آخر
تسكين فيه وإنما سأدمرك إذا لم تتركي زوجي في حاله...
ثم انصرفت مباشرة ولم تعط نفسها فرصة لتسمع أي رد من بهيجه...

-49-

كانت جولة المشي تبدأ من شارع الترعة البولاقية عند محطة الجراج إلى نهاية شارع الترعة مع شارع أحمد حلمي عند الشيخ رمضان، ومن عند الشيخ رمضان حتى ترعة الشرقاوية بعد المؤسسة، ثم الانحراف يساراً مع ترعة الشرقاوية حتى طريق المؤسسة - القنطر الخيرية، ثم السير حتى حدائق القناطر، والتجمع بجوار مسجد محمد في وسط الحدائق. وهذه المسافة تقريباً في حدود عشرين كيلومتراً.

اتفق الغرباوي على أن يسير: إسماعيل مع الشيمي، وطارق مع سعيد، والغرباوي مع علي، وعماد في آخر القافلة. وأن تكون المسافة بين كل اثنين والذين بعدهما لا تقل عن ثلاثة مترات تقريباً. ومحظوظ شرب الماء أو تناول أي طعام طوال السير. وإذا قُبض على أي أحد؛ فلا يلتفت إليه أحد، وليكملوا المسيرة إلى نهايتها...

كان صلاح الشيمي وإسماعيل عبد الفتاح في أول القافلة. وكان الشيمي طوال الطريق صامتاً سارحاً حاملاً هما ثقلياً... وحين وصل إلى قرية أبو الغيط، قطع إسماعيل الصمت:

منذ مرضك، وزجاجك عكر وتميل إلى الصمت كثيراً! طوال سيرنا في الجولة سارحاً مهوماً وكأن على صدرك هموماً ثقيلة. فما الأمر يا صلاح؟

ماذا أقول لك يا إسماعيل؟ هل أقول إنني أصبحت أحب كالمرافقين؟ هل أقول لك إنني أحب والدة زميلنا في الجلوس؟ هل أقول إنني أحب مرضه؟ ولكن ما علاقة الحب بالمهنة أو المستوى الاجتماعي؟ وما علاقة الحب بأم زميل في الجلوس أو خارج الجلوس؟ بالإخوان أو بغير الإخوان؟ أنا أحبها فعلاً. أحبها حقيقة لا مرية فيها. أحبها حقيقة لا شفقة عليها ولا على ظروفها. أحبها حقيقة جلية كجلاء الشمس في يوم صفاء... وأتمنى أن تكون في الجولة معى الآن لنسير سوياً إلى آخر العالم...

"واضح أن صلاح في مشكلة عويصة فعلاً. الرجل لم يرد على تساؤلي وكأنه مُغيب! ربما لم يَسْمَعْنِي!"

يا صلاح، ماذا دهاك؟ وما هذا الهم الذي ينوء به كاهلك؟ حتى شعرات ذننك تركتها تسرح وتترعى في وجهك. هل ستلتاحي؟

لابد أن أخبرك يا إسماعيل. سأموت إذا لم أحدث أحداً. سأموت...

تتم الشيمي بصوت ضعيف وعاجز كأنه يتكلم من القبر:

ـ ما أقوله سيعتبر سراً بيننا حتى على زوجك.

ـ ثم تردد قليلاً، وبعدها اشتد عزمها وهو يكمل:

ـ أنا الآن قد غصت إلى قمة رأسي في مشكلة وليس لها حل.

ـ يا صلاح، تكلم. فضفض. سرك لن يتطلع عليه أحد.

ـ تردد صلاح ثانية ثم عزم عزمه:

بين غمرة عين وانتباها، همت حبا بمرضة في المستشفى.
هو الحب الذي قلب حالك. مسكون يا أبا الصلاح. مسكون والله...
تبسم إسماعيل وتسأله:
ـ وهل هي تحبك؟

ـ لا أدرى، ولكن الحب تفجر من أول لقاء معها بالرغم من معرفتي بها منذ سنين طويلة.
ـ تحيي إسماعيل وتسأله:

ـ ما معنى ما تقول؟ كيف تعرفها منذ سنين طويلة ولم تلتقي بها كل هذه السنوات؟!
ـ أسقط بين يدي صلاح، فبماذا سيرد؟ ولكنه وجد مهرباً:
ـ لم يكن معها احتكاك في العمل إلا منذ فترة بسيطة.

ـ كيف تكون معك في المستشفى منذ سنين ولم ت Kontakt بها في العمل؟ محتاجة عنك؟ هل كانت
منتدبة؟ ولكن ما أعرفه أن الانتداب يكون لفترة معينة فقط وليس لسنين. هذا لغز محير!
ـ استطرد صلاح:

ـ يا أخي، بعدها تألق الإيمان وشع في قلبي بعد الكتبة، إذا بطارق الحب يدخل قلبي بقوة شديدة
جداً، بل تمكن مني كل التمكين...
ـ قال إسماعيل وهو مشفق على الشيمي:

ـ يا صلاح، ربما توهم وخاصة أن مشاعر الحب تفجرت بطريقة غير طبيعية وضد المنطق.
ـ ألا يوجد حب من أول نظرة؟
ـ تسأله إسماعيل مع نفسه بحيرة شديدة:

ـ كيف يكون من أول نظرة وهي موجودة منذ سنوات بالمستشفى؟!

ـ ربما أو همك الشيطان بهذه الأحساس حتى يشوش على الإيمان المتألق في قلبك...
ـ والله إنني أحبها. حتى ظلها على الأرض أحبه. حتى ذرات التراب التي تسير عليها أحبها.
ـ وحتى نسمات الهواء الذي تنفسه أحبها... وطيفها ملأ كلَّ كيانِي... ونار الغيرة تسربت إلى
ـ فؤادي دون أن أحاس وأضحت الآن تأكل قلبي كلما رأيتها تكلم أحد الزملاء، مع أنه كلام عادي
ـ بخصوص أحد المرضى. سيصيبني الجنون يا إسماعيل. سيصيبني الجنون...
ـ ثم ذرفت عيناه بدموعات حارة واستسلم للصمت العميق...
ـ كان الله في عونك يا صلاح.

ـ ظل الصمت الشامل مطبقاً عليهم وهم يفكرون بعمق حتى وصل إلى محطة قطار شلقان حيث
ـ سارا يسارا مع الطريق القادم من طريق الإسكندرية الزراعي إلى القناطر.
ـ وفجأة، مرق الشيمي الصمت وهو يكاد أن يصرخ:
ـ سيصيبني الجنون فعلاً يا إسماعيل. سيصيبني الجنون.
ـ ثم بكى مرة ثانية...

ـ أما أحمد الغرباوي وعلى عبد المنعم، فقد كانوا في ثاني القافلة. قال الغرباوي:

لقد خفنا عليك في الجلسة التي أغمي عليك فيها. ولقد حاولنا أن نوقظك ففشلنا. فخفنا عليك أكثر. فما سبب هذا الإغماء؟
لقد أخذت عهدا على الشيخ المعلم لا أخبر أحدا بما يحدث لي معه، فبماذا أقول للأستاذ أحمد يا ربِّي؟

لست أعاني من أي مرض، ربما كنت مرهقا .
لقد كان جسمك يرتفع. والعرق الغزير يسيل على جبينك، وكنا نجفه ونحاول إيقاظك ولكن بلا جدوى. حتى عاد وعيك إليك. والعجيب أن جسمك كان يشع ضوءا!
شيء عجيب. هذه أول مرة يحدث لي ذلك.

-الدكتور عماد قال بأنك كنت تعاني من نوبة صرع.
-أنا لا أعاني من الصرع. على العموم، الحمد لله على كل حال.
أراد علي عبد المنعم أن يبعد عن هذا الموضوع، فقال:
-قوات حلف الأطلنطي أعلنت أمس أنها ستتدخل حتى تفك الحصار عن سراييفو.
-متى ستتدخل ونزيف الدم في البوسنة والهرسك لم يتوقف منذ ثلاث سنوات؟
-الغرب لا يريد أن يتدخل لأنهم لا يريدون دولة مسلمة داخل أوروبا!
-والله يا علي، أنا أظن أن هذه حرب صليبية حادة ولكن داخل أوروبا نفسها. إنها وصمة عار في جبين الحضارة الغربية...!
قال علي بأسى:

-أهم شيء عندهم جمعيات حقوق الحيوان، فلو ذبحنا خروفًا في عيد الأضحى لأقاموا الدنيا ولم يقعدها.
وبصيغة:

-أما ذبح المسلمين في البوسنة فلا يحرك لهم رمش!...

كان ترتيب طارق عمر وسعيد عوض في ثالث المسيرة.
وأثناء الجولة، تساءل طارق ساخرا:
-لا أدرى كيف سيطبق الإخوان الشريعة الإسلامية وهم لا يستطيعون تطبيق سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - في إعفاء اللحية؟
-أكيد للإخوان رأي فقهى في حلق اللحية وخاصة أن الأمان يتعقب الملتحين.
-ولكن إعفاء اللحية واجب في المذاهب الفقهية الأربع.
-الإخوان يعتقدون أنها سنة مؤكدة لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ذكر إعفاء اللحية في حديث "سنن الفطرة عشرة".

يا أخ سعيد... إن تتصروا الله ينصركم، فكيف ينصرهم الله وهم قد خالفوا رسوله في إعفاء اللحية؟ حتى لو اعتبرنا أن هذا الإعفاء سنة مؤكدة، فهل ترك سنة مؤكدة من السهل اقتراحه؟
ما المشكلة يا طارق؟ ألسْتَ ملتحياً؟ أليس الغراباوي ملتحيا؟

ولكن الملتدين قلة في الإخوان.

بعد أحداث سبتمبر 1981، ارتأى الإخوان أن يحلقوا اللحى حتى تسهل حركة الأخوة. حتى أنت يا سعيد، حلقت لحيتك وأمسكت إخوانياً حقيقة. فأين آراءك في الجماعات الإسلامية الجهادية الحقيقية؟

-الحمد لله، لقد هداني الله إلى الجماعة الحقة. ومن النفاق يا طارق، أن تكون في جماعة وقلبك مع جماعة أخرى!

عما قريب سأترك الإخوان إن شاء الله. كفة فذلكة فارغة يا رجل. لقد تغيرت كثيراً يا سعيد. وعلى العموم، انظر إلى أخوة الجماعة الإسلامية، فهم ملتحون، وحربيصون على ارتداء الثوب الأبيض. يعني يطبقون السنة بحذافيرها. ولذلك نصرهم الله؛ فها هي الخمارات في محافظات الصعيد تُغلق، والسياحة المحرمة التي بها كثير من العري قد انخفضت، والمترجرات قد تحجبن...

يا أخي الفاضل، ارتدي الثوب الأبيض القصير واترك اللحية أكثر وأكثر، فلن يكلمك الإخوان في شيء.

-أنا أتكلم على الأغلبية في الإخوان المخالفين للسنة.

المعروف عن جماعة الإخوان المسلمين، أن الأخوة بين أفرادها على أعلى درجة من الحب والصفاء والقوة... ومشهور عنهم أن من عطس في أسوان، قال له أخوه في الإسكندرية: يرحمك الله... لذلك لا نندهش من احتراق إسماعيل عبد الفتاح في جوفه لبقاء الشيمي. ولا نندهش من ذرف قلبه بدموع حار حزناً على أخيه في الله... ربت إسماعيل على كتف صلاح:

-هون عليك يا حبيبي. فالقلوب بين أصحابي من أصحاب الرحمن يقلبها كيف يشاء. وخلق الإنسان ضعيفاً. وما نحن إلا ذرات في مهب الريح تفعل بنا المقادير ما تشاء. استعن بالله يا أخي، وسيأخذ بيديك إلى بر الأمان...

قال صلاح بعدما تسربت السكينة قليلاً إلى بركان قلبه المتفجر:

-هل أنا مراهق في الأربعينات؟

-الحب لا يرتبط بعمر.

تساءل إسماعيل وقد بدأ الهدوء يدخل إلى نفسه قليلاً:

-هل أم خالد تعلم؟

نظراتها لي تدل على معرفتها بشيء. وأنا مشفق عليها من هذا الأمر.

-ولكها بطبعها الأنثى ستعرف الأمر بحذافيره.

أو ما صلاح برأسه إلى إسماعيل مؤكداً، وسألة حائراً:

-أخبرني ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟

-هل تستطيع أن تتحمل المسئولية كاملة وتخبرها وتتزوج من تحبها؟

-زوجتي لن تتوافق على هذا الزواج وخاصة من ممرضة.

فاحتد إسماعيل:

-أليست الممرضة إنسانة يا أخي؟

-زوجتي لن تقبل بالزواج الثاني حتى لو كان من وزيرة.

وصل إسماعيل والشيمي إلى حدائق القنطر بجوار المسجد المتفق عليه حينما قال إسماعيل في حدة:

-الشرع أباح الزواج من أربعة، ولا يشترط موافقة الزوجة الأولى.

وأشار صلاح بيده قائلاً:

-أخفض من صوتك. فالشيخ الغرباوي والأخ علي قد وصلا إلى بداية الحديقة.

وصل طارق وسعيد إلى قبيل محطة قطارات شلقان بقليل حينما قال سعيد وقد تبرم من حديث طارق:

-يا أخي طارق، توجد كثير من التنظيمات الحركية الآن وقد حلق أعضاءها لحافهم.
مثل من؟

-الجهاد الذي يُعاد بنائه في هذه الأيام، والأمر بالمعرفة والنهي عن المنكر المنشق من تنظيم الجهاد، والجهاد الحركي المنشق أيضاً من الجهاد، والقطبيون...

أما عماد الدسوقي فقد كان في آخر القافلة بمفرده يذكر الله ويراقب حركة الأخوة أمامه... وعند محطة شلقان، رأى رجال أمن في كمين وقد قبضوا على طارق وسعيد...

علم الغرباوي ما قد حدث لطارق وسعيد، ففضل اللقاء قائلاً:

كل أخي يجب أن يعود بمفرده إلى القاهرة. وألا يبيت أحد في بيته فربما يأتي الأمن للقبض علينا...

ثم قال في سره:
لحية طارق هي السبب!...

-50-

قبضوا على طارق عمر وسعيد عوض، ونزعوا قميص كلاً منهما، وذموا بهما -عصابة- على عيني كليهما. ومع الركلات من كل الجهات والسباب المُقدّع والدفع من الخلف، ركبا سيارة ميكروباص أجرة، أُجبر سائقها لينزل الركاب ويستخدمها لحساب الأمن القومي للدولة بالمجان!...

نزل سعيد وأتبعه طارق، وهما يرتجفان ويتممان بذكر الله. وضعوا يدي طارق على كتفي سعيد الذي يسحبه أحد أفراد الأمن إلى الزنزانة... وقفوا أمام الزنزانة طويلاً، وطال زمن الوقفة وهو ما يتوقعان صعقات الركلات. ولكن لم يمسهما أحد بسوء طوال هذه الوقفة الطويلة. وتوقع الضرب أشد ألماً وعذاباً على النفس من الضرب نفسه! وأخيراً، أدخلوهما الزنزانة بعدما رفعوا العصابة عن الأعين... تفسا الصعداء بعد رفع العصابة. شاهدا زنزاناً ليس لجدرانها لون، كثيبة، عتمة إلا من إضاءة خفيفة من نور النهار الذي يتسرّب على حياء من الشبكة الحديدية للشباك الصغير جداً والذي لا يتتسّب مع ارتفاع الحائط وحجم الزنزانة الكبيرين! كانت الزنزانة مفروشة بموكّيت متآكل ضاع لونه مع الزمن، وكانت مفروشة أيضاً بعدد من الشباب المقبوض عليهم ما بين ملتحٍ وحليقٍ، وإن كان يبدو عليهم الهدوء نسبياً، والتآلّم مع الحياة في هذه الزنزانة... علم سعيد وطارق أنّهما قابعان بهذه الزنزانة في البدرورم أسفل مبني مباحث أمن الدولة بلاطو غلي...
...

أول من تكلم معهما (مواطن1). كان شاباً في الثلاثين من عمره، وكان ملتحياً، ولا تبدو عليه أي آثار التعذيب المشهور في هذه البنية العتيقة. قابلهما بابتسامة لطيفة تكاد أن تكون دافئة. وشد من أزرّهما. وحدثهما عن وجود زنازين أخرى بجوارهم مفروشة بالماء والحرسات، أما هذه الزنزانة فهي نعمة كبرى! وتحدث معهما عن وسائل التعذيب المرعبة داخل هذا الجهاز المرعب!... وحاول أن يفتح لهما باباً للحوار ليكشفضا، ولكنّهما كانوا حذرين معه لأن الغرياوي قد فطم أسرته على الحذر من الملتحين في زنازين أمن الدولة لأنّهم قد يكونون بصاصين للأمن، أو قد يكونون من الأمن نفسه، بالإضافة إلى أنّ الزنزانة نفسها يمكن أن تكون مراقبة بكاميرات خفية وبأجهزة تصنّت...

وكان ثالث المتتحدثين (مواطن2)، شاباً في أواخر العشرينات من عمره، يعمل في شركة سياحية، ومتهم بالجاسوسية. بينما كان الثالث، (مواطن3)، شاباً في الثلاثينات من عمره، يُعتقل كل فترة لأنه متهم منذ كان في الجامعة في الثمانينات بتوزيع منشورات تتعلق بقتل إسرائيل أو عملائها لسلامان خاطر في زنزانته المصرية! وسلامان خاطر هو الجندي المصري الذي قتل عدداً من الجنود الإسرائيليين على الحدود مع دولة الاحتلال الإسرائيلي سنة 1985. أما الرابع والخامس والسادس والسابع والثامن فلم يتحدثوا معهما طوال النهار إلا قليلاً. وكانوا شباباً في الثلاثينات من عمرهم أيضاً. وكانوا متهمين بإحياء تنظيم الجهاد. وكانت آثار التعذيب واضحة

عليهم، وإن كان أحدهم، مواطن 7، يبدو عليه أنه يعذبوه في قعر جهنم نفسها، لأنه أصم، ولا علاقة له بالجهاد أو أي جماعة، والأمن مقتنع بأنه سليم من الخرس، وعضو بجماعة الجهاد!... بعد صلاة العشاء، جمع مواطن 1 ثمن العشاء من أهل الزنزانة طبقاً لظروفهم المادية، وأعطاه ل العسكري مجند من القائمين بالحراسة. كان العشاء يتكون من الفول والطعمية والبطاطس المقلية. وكان طارق وسعيد لم يذوقاً أي طعام طوال النهار. وطعام الإفطار كان المفروض أن يكون في القنطر. فأقبلوا على الطعام بنهم. تساءل مواطن 1 ضاحكاً:

ما هذا النهم على الطعام؟ أظننا أنه كباب؟

فأجابه طارق: "بمجرد أن خفت آلام الركلات التي أشبعونا بها أثناء القبض علينا، صرخت البطنون جو عا".

وأعقبه سعيد: "لم نذق طعاماً منذ عشاء أمس".

ثم ضاحكاً: "ثم الطعمية في الزنزانة معكم كباب".

قال مواطن 2 (المتهم بالجاسوسية): "الطعمية تعتبر كباب شعبي".

وقال مواطن 3 (الموزع للمنشورات):

شعينا من أكثر شعوب الأرض عبقرية لأنه اخترع عدة أكلات من الفول.

فتبتسم سعيد:

كانت بعض الشعوب العربية تعتبر الفول طعاماً للماشية. والآن تعلموا ماذا أكلات الفول المتنوعة. وأقبلوا عليها بنهم... .

قال مواطن 3 بقوه:

والله شعينا يملأ حضارة عمرها سبعة آلاف سنة، وهذه الحضارة ثورث جيناتها من جيل إلى جيل.

فامتعض مواطن 1:

ولكنه أهين مع الحكومات العسكرية التي أذاقته صنوف العذاب والذل.

وبهمس:

يا ويلنا من علي بابا والأربعين حرامي!

فطن الأخوان طارق وسعيد إلى الفخ الذي يريد الشاب الملتحي أن ينصبه لهما، فلم ينجرا إلى الاسترسلام معه.

قال طارق: "يا أخوة، لا داعي لأن تذكروننا بالتعذيب وأهواهه ولا بالسياسة وأوزارها ونحن مكبلون في هذه الزنزانة الكئيبة".

قال مواطن 3 متاجهلاً ما قاله طارق: "لقد ابتنى شعينا بعلى بابا والأربعين حرامي منذ قديم الأزل".

فأعقبه مواطن 1 بحماس كاذب: "على بابا والحرامية يقذفون كل شيء في بطونهم ولا يشعون أبداً..." .

فهز مواطن 2 رأسه موافقاً:

طول عمر الشعب يزرع ويکدح ولا يذوق إلا القليل. ولا يملك أي شيء!
وبحماس: "ولقد سال لعاب العرب للخير الوفير في مصر فلذلك احتلوها. وكانت مصر سلة
ولود لدول الخلافة كلها"...

اعتراض سعيد وأكثر من آخر، وقال سعيد: "لم يكن احتلالا، وإنما كان فتحا مبينا لمصر".
ثم تسأله طارق: "يبدو أن الأخ مسيحي؟"
فهذا مواطن 2 رأسه موافقا.

فامتعض طارق واستسلم للصمت لضيق أفقه! بينما استطرد سعيد:
كان الطلب على الدنيا عند الصحابة جريمة كبرى ضد الدين الإسلامي، فكيف يفتحون مصر
للخير الذي ترتفع فيه؟

ثم أضاف: "يا أخي، ألا تعلم أن المسلمين الأوائل قد حرروا نصارى مصر من نير وظلم
الرومان الذين كانوا يحكمون مصر في ذلك؟ والmuslimون هم الذي أعادوا بطريرك الأقباط
الهارب في الصحراء"...

هذا مواطن 2 كفيه مؤكدا، واستسلم للصمت بعدما وجد معترضين كثيرين.

أما مواطن 8 فأعتبره بحدة: لقد قال الصحابي ربعي ابن عامر لكسري حاكم الفرس: "لقد
ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل
الإسلام..."

وأندفع سعيد: "ولقد ضرب عمر ابن الخطاب -رضي الله عنه- مثلا باهرا في العدل، وبيفي أنه
اقتص من عمرو ابن العاص حاكم مصر وابنه الذي ضرب القبطي الذي سبقه بالخبل. ولقد
أعطى عمر عصاه لقبطي وقال: اضرب ابن الأكرمين وهو يشير إلى عمرو ابن العاص"...

قال مواطن 6 بفرحة:

وهذا العدل هو الذي جعل أجدادنا الأقباط تدخل في دين الإسلام أفواجا...
والإسلام قد حافظ على النصرانية ولم يبد النصارى أو أي ملة أخرى في أي بلد مثلما فعل مع
الهنود الحمر في أمريكا!

قال مواطن 2 في نفسه: لماذا فرحان هكذا؟ هل تظن أنني سأسلم بكلامكم هذا؟!
التحق مواطن 4 في طابور المعترضين، فقال متحمسا وهو ينظر جهة مواطن 2:
ـ يا أخي، في ظل الخلافة، ازدهرت في بلادنا حضارة لم يعرف التاريخ مثلها.

تحمس مواطن 2 بشدة وخرج من صمته العميق:

ـ بنور الحضارة موجودة منذ قديم الزمان في مصر.

اتجه مواطن 3 برأسه ناحية مواطن 4 ومواطن 2 وقال بيقين:

ـ الحضارة الإسلامية أشرقت في كل بلد مغروسة فيها بنور الحضارة من قبل.

هذا مواطن 5 رأسه مؤكدا:

ـ عندك حق يا أخي. فقد كانت بغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة مشاعل للحضارة الإسلامية...

"مرشد للأمن مثقف، وجاسوس مثقف، ومتهمون بإحياء تنظيم الجهاد مثقفون أيضاً، وتتحدثون عن الحضارة. أي حضارة لابد وأن تُهدم بالنفاق وبالجاسوسية وبالتصرفات الحمقاء المدمرة باسم الدين!"...
هذا ما فكر فيه سعيد.

أما طارق فقد حدث نفسه: إنسان غامض، حريص أن يسأل عن تهمنا، ولا نعرف عنه شيئاً، ولا يتحدث عن نفسه أبداً ولو بالكذب. ولا تبدو عليه أي آثار للتعذيب!
قال ضميره: ولكن يُشكّر على إحضاره للعشاء...
انتبه طارق على مواطن 1 وهو يقول:

-هذه سهرة ثقافية ممتعة في زنزانة مكتبة. ودُثُّ لو أحضرت لكم الشاي، ولكن الطغاة فوقنا لا يسمحون لنا بالشاي. ألا يكفي التعذيب الرهيب الذي يذوقونه لنا؟
"طغاة!... تعذيب!... كيف ستتحمل يا سعيد أهوال التعذيب غداً؟ مسكون يا سعيد، تحمل جسماً نحيفاً طويلاً كالنخلة لا يتحمل نفحة هواء... وهل جسمي الرياضي الفارع الطول سيتحمل يا ربِّي؟ ومنْ يطيق جلسات الكهرباء؟ بل منْ يطيق الركلات من كل الجهات الجغرافية المعروفة وغير المعروفة؟ ومنْ يطيق نزع الأظافر أو إطفاء السجائر على الأعضاء الحساسة؟!..."
عاد طارق من أفكاره على منْ يقول له: "لماذا تبكي هكذا يا أخ؟ هون عليك؟ ستتفرج إن شاء الله".

و قال آخر:

يا صاحبَ الهمِّ إِنَّ الْهَمَّ مِنْ فَرَاجٍ

أبشر بخَيْرٍ فَإِنَّ الْفَارَاجَ اللَّهُ

و قال ثالث:

مَا بَيْنَ غَمْضَةِ عَيْنٍ وَ انتباها

يَغْيِرُ اللَّهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ.

و قال رابع:

يَا عَالَمَ الْأَسْرَارِ عَلِمَ الْيَقِينِ

يَا كَاشِفَ الْضَّرِّ عَنِ الْبَائِسِينِ

و قال خامس:

وَكُمْ لَيْلَةً بَثُّ فِي كَرْبَلَةِ

يَكَادُ الرَّضِيعُ لَهَا أَنْ يُشَيِّبُ

فَمَا أَصْبَحَ الصَّبَحُ إِلَّا

أَتَى مِنَ اللَّهِ نَصْرٌ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ

و قال سادس: -{أَمَّنْ يُحِبُّ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَ يُكْشِفُ السُّوءَ وَ يَجْعَلُكُمْ حُلَفاءَ الْأَرْضِ إِلَّا مَعَ اللَّهِ}

فَلَيْلًا مَا تَذَكَّرُونَ} ⁴⁰ ...

و قال القبطي: -إن مع العسر يسراً...

40 الآية 62 من سورة النمل

-51-

في العاشرة صباحا، سُحب طارق -وعلى عينيه عصابة مربوطة بشدة- إلى غرفة التحقيق التي بها ثلاثة ضباط أمن دولة. أجلسوه أمام أحدهم الذي سأله:
-اسمك؟ وتاريخ ميلادك؟
فأجابه طارق:
-اسمي: طارق عمر فايز، تاريخ الميلاد: 1974/12/16.
-عنوانك يا أخ طارق؟
-العنوان: في 21 شارع يعقوب.
فأسأله الضابط بسخرية: "أين شارع يعقوب يا روح أمك؟ يبدو أنك ناوي تتعينا من أولها!"
فأجابه طارق بصوت مرتفع: "في شبرا مصر".
-وأين تدرس؟
ففي كلية تربية عين شمس بالفرقة الثانية.
فقال الضابط بقوه: "ندخل في الموضوع. لماذا كنت تسير ماشيا في طريق القناطر مع الأخ سعيد؟"
-وهل المشي ممنوع؟
فصرخ الضابط صراخا مفتعلا: -أنا الذي أسأل فقط.
ثم أشار بيده إلى أحد أفراد الأمن الذي انقض على طارق ضربا ولثما وركلا...
يا كفار!... يا كلاب... أنا طالب جامعي ولست مجرما. أعمل إيه يا ربى. الضرب من كل جهة...
آه... آه...
بعد أن نكوم طارق على الأرض، أشار الضابط إلى الجlad أن يكف عن الضرب، ثم تسأله بغلظة: "لا داعي للفسفة وأجبني. أجبني يا روح أمك. لماذا كنت تسير مع سعيد في طريق القناطر؟"
رد طارق والإعباء قد هدء: -كنا ذاهبين إلى القناطر الخيرية.
-سيرا على الأقدام؟
-نعم.
-ولماذا لم تركبا وترجا أنفسكم من عناء السير؟
يا طاغوت. نحن أحرار في تعب أنفسنا أو إراحتها.
لم يكن معنا فلوس.
ضحك الضابط وتساءل: "ولماذا تذهبان للفسحة وأنتما مفلسان؟"
المرة القادمة أعطنا مصاريف الفسحة!...
-وهل الفسحة ممنوعة في الدولة للمفلسين؟!

صرخ الضابط: "رجعت تتفلس ثانية يا ابن الكلب!" ثم أشار إلى فرد الأمن يأخذه وقال:
 -اذهب به إلى غرفة السلخانة حتى يتعلم الأدب!
 فصرخ طارق متسائلاً: -"ماذا يا باشا؟ أنا ماذا صنعت؟"
 لم يذهبوا بطارق إلى غرفة السلخانة، إنما تركوه في الممر جالسا على الأرض خارج غرفة التحقيق وهو معصوب العينين. وبعد ساعة، أدخلوه للضابط الثاني الذي سأله بلغة مهذبة:
 -اسمك؟ وتاريخ ميلادك؟
 لماذا تكرار الأسئلة
 طارق عمر فايز. تاريخ الميلاد: 1974/12/16.
 -أين تسكن؟
 -أسكن في 21 شارع يعقوب بشبرا.
 -شبرا مصر أم شبرا الخيمة؟
 لقد قلت هذه البيانات عند المحقق الأول!
 -في شبرا مصر.
 -في أي كلية تدرس؟
 -في كلية التربية جامعة عين شمس.
 -أكيد أنت عضو في اتحاد الطلبة؟
 تزيد أن تلبسني تهمة الإخوان المسلمين.
 لست عضوا في اتحاد الطلبة لأن أعضاءه إخوان مسلمون. وأنا لا أحبهم.
 قال الضابط بشدة:
 -ممتاز يا أخ طارق. أنت توفر علينا -إجاباتك الزكية- الوقت والجهد...
 ثم سكت برها وبعدها سأله:
 -ما هي الكتب الدينية التي تقرئها؟
 -كتاب ابن كثير في التفسير، والعقيدة الطحاوية في العقيدة، وسيرة ابن هشام.
 أتريد أن تخبرني أنك سلفي يا أبو الطوارق؟
 -ممتاز يا طارق. ولكن ألم تقرأ كتاب "الفريضة الغائبة"؟⁴¹
 -لا أعرفه.
 -ما رأيك في كتاب "حمية المواجهة"؟⁴²
 لم أسمع به.
 -ولم تسمع أيضا كتاب "حكم الطائفنة الممتنعة عن شرائع الإسلام"؟⁴³

⁴¹ ألفه محمد عبد السلام فرج في بداية نشأة تنظيم الجهاد لتأصيل معنى الجهاد

⁴² ألقه الجماعة الإسلامية وشنت فيه على كل الجماعات الأخرى والهيئات الدينية الرسمية وبيت فيه أن طريق النجاة ليس إلا من خلالها وطريقها

-لا أعرفه.

يا طارق، لا تكذب علينا. ولا داعي لئن نستعمل معك طرق شرسة!

-لا أعرفه فعلا يا باشا.

فتساءل الضابط بسخرية:

وكتب أبو الكلام عبد الوهود؟

-لا أعرفها ولا أعرف أبو الكلام نفسه.

-ولا تعرف كتابه المشهور "الحكومة الإسلامية"؟

-لا أعرفه.

تساءل الضابط وهو يبتسم نصف ابتسامة:

بنقيب أسرناك أكيد هو الذي دربك على هذه الإجابات. أليس كذلك؟

-لا أدرى ماذا تعني بنقيب الأسرة؟ هل تعني أخي حسن؟

قال الضابط بهدوء:

-لا داعي لئن أجاريك في (استهبالك)... ولكن ما هو رأيك في رئيس الجمهورية، هل هو كافر؟

هز طارق رأسه نافيا:

-أعوذ بالله من التكفير.

-أجب على سؤالي يا ولد ولا تتهرب.

-أنا لا أكفر أحدا.

ولكن الرئيس لا يطبق الشريعة الإسلامية.

-أنا لا أكفر رئيس الجمهورية ولا غيره.

طبعا، لأنكم دعاة لا قضاة!

لم يعلق طارق...

فتسأله الضابط: "وكتب عيد نجم؟"

-لا أعرفها.

كيف لا تعرف الأستاذ عيد نجم وهو عالم عندكم في الجماعة؟

فأجاب طارق بخوف: "لم أقرأ له".

قال الضابط بحدة: "يا ابن الكلب، نحن فتشنا بيتك، وأحضرنا كتبك كلها. فلا تكذب".

طالما أنكم قد أحضرتم كتبى فلم تسألونى؟!

فرد الضابط بالحدة نفسها: "أولا: نحن الذين نسأل وأنت تجيب، ثانيا: نحن نسأل حتى تخبرنا

بالكتب التي تخفيها أو تحفظ بها عند رئيسك في التنظيم".

-أنا لا علاقة لي بأي تنظيم.

⁴³ أله محمد عصام الدين دربالة وحضر فيه على قتال المنتسبين للإسلام إن لم يلتزموا بشرائعه وأحكامه، وهذا القتال أولى من قتال المشركين وأهل الكتاب إن لم يقاتلوا المسلمين

فتساءل الضابط بلين بارد: "ولا الإخوان؟"
-ولا الإخوان.

-وكتاب "الرسائل" الموجود في بيتك، ماذا تقول فيه؟
-هذا كتاب يُباع في المكتبات.

فصرخ الضابط: "أنت تجبرنا أن ننصرف معك تصرفًا غير لائق".
فضرب الضابط طارق على قفاه بقوة. فصرخ طارق:

-أنا ليس لي علاقة بالجماعات الإسلامية ولا بغيرها. ارحموني... ارحموني...
قال الضابط صارخًا: "تكلم الحقيقة وارحم نفسك"

ثم أشار إلى الجلاد وأمره أن يأخذه: "خذه إلى غرفة السلاخنة!"

ولم يذهبوا به إلى السلاخنة، إنما ترك ساعة أخرى مكوناً على نفسه في الممر، ولم يفكوا العصابة من على عينيه...

وبعد ساعة مرت على طارق كأنها الدهر، دخلوه أمام الضابط الثالث الذي سأله:
-اسمك؟ وتاريخ ميلادك؟

-طارق عمر فايز. 1974/12/16.
-عنوانك؟

21- شارع يعقوب متفرع من شارع الترعة البولاقية بشبرا مصر.
تبسم الضابط من تفصيل العنوان وقال:

-شاطر يا طارق. وكن شاطراً أكثر فأجب على أسئلتي بصراحة حتى ترجع إلى أهلك.
تفضل يا ياشا.

-أين تصلي؟
في المسجد.

فاختد الضابط بغلطة شديدة:

-طبعاً، تصلي في مسجد! وأين يصلي المسلم؟ في كنيسة أم في معبد؟ طبعاً، في مسجد. أنا أسأل عن اسم المسجد الذي تصلي فيه الصلوات الخمس يا روح أمك؟

في مسجد النصر.

-وصلاة الجمعة؟

في المسجد نفسه.

ومسجد الشهداء لا تصلي فيه؟

-لا.

ولماذا؟

-لأنه بعيد عن بيتي.

قال الضابط بحدة:

أنت تكذب يا ولد. لأن مسجد الشهداء أقرب لشارع يعقوب من مسجد النصر!

أكيد أنت شبراوي... .

-ولماذا لا تصلي في مسجد الصحابة فهو أقرب لبيتك؟

-لأن فيه بدع.

مثل؟

-تقام فيه حضرة صوفية بعد صلاة العشاء.

-أنت لا تحب الصوفية؟

طبعا.

-لأنهم مبدعة؟

أو ما طارق رأسه موافقا... .

قرأ الضابط في أوراق أمامه ثم سأله:

-ولماذا لا تصلي الجمعة مثلا في مسجد الشهداء وهو مسجد ليس به بدع؟

رد طارق بتردد:

-لأن فيه بعض الجماعات الإسلامية. وأخي الكبير حسن منعني من الصلاة في مساجد بها

جماعات إسلامية.

في أي مسجد تحضر لقاء الثلاثاء؟

ما معنى لقاء الثلاثاء؟

أستهبل يا ولد؟

لم يرد طارق.

فأسأله الضابط بفحيح:

لقاء الإخوان الأسبوعي في مسجد الكردي؟

-أنا لا أعرف مسجدا بهذا الاسم.

صرخ الضابط:

-أكذب يا ابن إل...؟ أتسكن في شبرا فعلا، ولا تعرف مسجد الكردي الشهير في روض الفرج؟

أشتم أمي يا جبان.

لم يرد طارق.

فاستطردت تساؤلات الضابط:

-أين يعمل أخوك حسن؟

متطوع في الجيش.

-وأين يعمل والدك؟

متوفى.

-وهل يوجد أحد من إخوتك غير حسن في الجيش؟

لا.

من هم إخوتك؟

-كرم في الصف الثاني الثانوي، وحسين في ثالثة إعدادي، وسناه في كلية الحقوق، وسميرة في أولى إعدادي.
وأين تعمل والدتك؟
- ربة منزل.
من هو نقيب أسرتك؟
أخي حسن.
فقال الضابط بسخرية:
- عدنا للاستهبال.
ثم تساءل بحده:
- من هم أعضاء الأسرة غير سعيد؟
- ما معنى أسرة؟
قال الضابط بهدوء:
- ستكلم بطريقتنا المفضلة في التعامل مع أمثالك.
سحب طارق إلى ممر طويل، ثم إلى غرفة كبيرة معتمة نسبياً، وترك فيها قرابة الساعة وهو لا زال معصوب العينين...
دخل الضابط الأول وفرد أمن...
فزع طارق حينما سمع الضابط يصبح فيه بفحى:
- أتكلم الآن أم نفتح عليك أبواب جهنم؟!
فتساءل طارق وهو يرتجف:
- ماذا أقول؟
تحدث عن التنظيم الذي تنتهي إليه؟ ونقيبك؟ وزملائك؟
رنت في إدن طارق قول الغرباوي: "وإذا قُبض على أحد منا فلا يخبر عنا" ...
قلت لكم أنني لا أنتسب إلى أي تنظيم.
قال الضابط بهدوء:
- يبدو أنك لن تتكلم إلا بطريقتنا المفضلة!
وأشار إلى فرد الأمن الذي معه أن يخلع ملابس طارق كلها ماعدا العصابة التي على عينيه.
وبدعوا يربطونه من يديه ورجليه، ثم ثبتوه توصيلات كهربائية على أماكن مختلفة من جسده وخاصة الأعضاء التناسلية. وبدأ أزيز الأجهزة وطارق والرعب في صرخ رهيب، ثم تصمت الأجهزة بينما طارق والرعب يستمران في الأنين، وتكرر الصراخ مع تشغيل الأجهزة!!...

-52-

لم يجد الدكتور صلاح الشيمي مكاناً آمناً ليأْمن من زبانية أمن الدولة وحذائهم الثقيل إلا بيت
الراقصة الشهيرة ناني التي استقبلته بترحاب وشوق شديدين:
مرحباً بالحبيب الأول...
لم يرد عليها. فسألته:
لماذا تبدو واجماً متوتراً يا دكتور صلاح؟
فلم يرد. استطردت:
ـ أنا أعرف السبب.
ـ فتورد وجهه...
ـ لماذا تعرفيين يا ابتهال؟
ـ تسأعل وقد جف ريقه:
ـ لماذا تعرفيين؟
ـ ففضحتك ضحكة واسعة ماجنة ثم قالت:
ـ الحب يا حبيبي.
ـ عاد لصلاح نفسه وهدوئه وتبتسم وتسأعل:
ـ أي حب؟
ـ إن أخبارك وصلتني.
ـ ثم تسأعلت:
ـ أتحب ممرضة على آخر الزمن يا دكتور؟
ـ تبتسم صلاح. سألهَا:
ـ ومن الذي نياكِ بهذا؟
ـ لقد ذهبت إلى الحوض المرصود بخدمتي منذ أسبوعين وعرفت كل شيء.
ـ ولماذا ذهبت بخدمتك إلى الحوض المرصود؟
ـ ليكشف حبيب القلب عليها.
ـ تبتسم صلاح:
ـ بإشارة خفيفة منك؛ لأنّي لك ولخدمتك كل أساتذة الجلدية في البلد.
ـ ثم تسأعل وهو ينظر حوله في البهو الفسيح:
ـ ووأين هذه الخادمة؟
ـ ففضحتك ناني ضحكة عريضة وهي ترد:
ـ كان عندها حب شباب جربنا فيه علاجات كثيرة بدون فائدة فذهبت بها لتكشف أنت عليها
ـ وللأسف لم أجده. ولما أخبرتني أمّس بمجيئك؛ رقص قلبي فرحاً، فأمرتها أن تذهب لأهلها،
ـ ليخلو الجو للحبيب الأول الذي لم يسأل عنِّي طوال هذه السنين!

-أنا بحبك جدا يا ابتهال.

-كيف تدعى الحب وعندما تزوجت لم تجد في الدنيا الواسعة إلا صديقتي وزميلتي؟ والعجيب أنني أنا التي قد عرّفتك بها.

-لقد كانت زميلتك في المدرسة. وأنت الآن قد استقلت من وزارة التعليم. وتركت شبرا وسكنت في الزمالك. وأصبحت النجمة الأولى للرقص الشرقي في البلد. فكيف يتزوج صعلوك مثلني نجمة عظيمة مثلك؟

-لو كنت تحبني فعلا، لتزوجتني بدلا من أن تخون الحب وتتزوج من صديقتي.
-أنا بحبك فعلا. وبالرغم من زبديه من زوجي من زبديه، فسائل أحبك مadam في عرق ينبع...
-هذا الكلام نقوله في السينما، يعني كلام تمثيل، فلا داعي لمن تمثل الحب يا صلاح...

"سائل أحبك مadam في عرق ينبع! فسائل أحبك مadam في عرق ينبع!"

تهدت ناني وعادت من اجترار الذكرى وتساءلت مع نفسها:

مادام في عرق ينبع! أين هذا الحب يا صلاح؟"

-أنا لم أسأل عنك طوال هذه السنين لأن أخبارك منشورة أولا بأول في جميع وسائل الإعلام.
وأنت طبعا، لم تسألي عن واحد غلban مثل طوال السنوات الماضية.

تهدق صوت ناني:

-أنا لازلت على عهدي بحبك يا دكتور صلاح.

سبحان الله. أمعقول؟ مازلت على حبك ...

ولكنك قد تزوجت عدة زيجات. ونسبيت صلاح وجده...

-كلها زيجات فاشلة وبدون حب. ولكن قلبي لم يُفتح إلا للحبيب. وللأسف، الحبيب الآن قد نسى زبديه وابتهال، وهيمان في حب الممرضة بهيجه.

قال الشيمي باسمها:

-لو كان على القلب بباب لتحكمنا في مشاعرنا...

قالت ناني بضيق:

-هنيئا للممرضة قلبك الكبير...

ما هذا الضيق؟ يبدو أنك لازلت على الحب فعلا!...

أسرعت ناني إلى حجرة النوم حتى لا تنفجر مشاعرها وت بك. جرى صلاح خلفها وهو يصبح:

-ابتهال... ابتهال...

ثم جلس بجوارها على السرير يجف دمعها. تأمل جسمها المكتنز وقد برزت منه بعض المفاتن من فستان السهرة، فقال في نفسه:

أعوذ بالله... إخوانى في المعنى وأنا بجوار راقصة فاتنة على السرير!... أعوذ بالله!...

أحس الشيمي ببداية فوران الشهوة في جنبات نفسه، فأخذ ييد ناني وذهب بها إلى قاعة الاستقبال الفسيحة المزينة بلوحات فنية جميلة وأصص نباتات وأزهار صناعية وأنثيكات بد菊花 ...

هدأت ناني قليلاً ثم قالت:

- لا تؤاخذني يا دكتور صلاح. لقد تحركت المواجه من مواجهها.

- أنا محظوظ بحبك، وحب زبيدة، وحب بهيجه. وأكيد أنا أناني.

وبلوم:

ولا أستحق هذا الحب كله.

ثم قال في نفسه مدهشاً:

ولكن أين ذلك الحب الذي كان بيننا؟ لقد كان حباً اصطناعياً لم يتخطّ عتبة اللقاء الجنسي وقضاء الوطر.

قالت:

- اعذرني يا دكتور صلاح، اعذرني. لم أقدم لك واجب الضيافة حتى الآن.

ثم ذهبت إلى المطبخ.

تأمل الشيمي في الصورة الكبيرة لнаци وهي ترقص ...

جسم فاتن. ولكن الوجه؟ إذا أزيلت المساحيق الثقيلة من عليه؛ فسيظهر وجه يحمل ملامح غليظة، وعيينين عينتين⁴⁴ إلا أنهما خاملتان ناعستان لا تشيان إلا بالجنس والشهوة، وأنف أفطس كأن صاحبها ولدت بالsyphilis⁴⁵، وشفاه غليظة. يعني وجه قردة!... أعود بالله من أن أعيّب على خلقتك يا رب... ولكن $3 \times 4 = 4 \times 3$ ، فعطاء الربوبية للناس متساوٍ مع اختلاف التنوع من فرد لأخر. فربما يكون الوجه دمياً، ولكن الجسد فاتن بالنسبة للمرأة. أو تكون درجة الإخصاب عندها عالية جداً مع جسد ذكوري الشكل. أو تكون دمية الخلقة، ولكن جميلة الروح والنفس. أو يكون الرجل ضعيف العقل، ولكن قوي البدن والمناعة. أو يكون الرجل ثرياً، ولكنه عقيماً... فـ $3 \times 4 = 4 \times 3$.

ولكن كيف كنت أمارس معها الحب؟ أكيد كنت أغمض عيني عن وجهها إلا عينيها الواسعتين، وأركز على الباقى الفاتن... أعود بالله من الشيطان الرجيم. أكيد إبليس نفسه موجود الآن و gioش من الشياطين ليزيّنوا كل حرام. كيف أبيب هنا عدة ليالٍ مع حبيبة القلب بمفردنا بدون دفع من الشياطين والنفس لممارسة الحرام وإعادة الكرة لما قد كان في الزمن الرديء؟ أعود بالله من الشيطان الرجيم. نحن بآفعلننا- نجعل الزمان جميلاً أو رديئاً! أعود بالله...

عادت ناني بالعصير المثلج، فقال صلاح بمرح:

- لقد قرأت إعلانات كثيرة في أكثر من جريدة ومجلة عن رقص الاستعراضي في ملهي النجوم السبعة. فهل تركت الرقص الشرقي؟

⁴⁴ واسعستان

⁴⁵ مرض الزهري

تبسمت ناني:

-الرقص الشرقي بلدي شوية. والفنانة الحقيقية هي التي ترقص الرقص الاستعراضي.
طبعا، ستقولين إن الرقص الاستعراضي كله فن في فن.

ثم ضحك فضحكت وقالت:

-لقد ذاب جليد الثلج من وجهك.

فتساءل ضاحكا صاحبا:

-ما هذه البلاغة يا ناني؟

فردت:

-من كثرة قراءاتي لسيناريوهات الأفلام.

قال متحمسا:

-الآن أنت تمثلين وترقصين. فلماذا لا تغنين؟

ثم أردف:

-حتى تكوني الفنانة الشاملة...

-جربت الغناء، ولكن صوتي وحش شوية...

فضحك صلاح وقال:

-الحقيقة صوتك خشن شوية، ربما من الخمر والحسبي...

فضحكت ضحكة خلية وقالت:

-سامحك الله يا دكتور صلاح. فأنا لا أشرب الخمر ولا أتعاطي الحشيش.

-ولا في الأفلام يا ناني؟

-ولا في الأفلام.

-ولكنك أكيد تمثيلين أدوارا تحتم شرب الخمر.

فتساءلت مستغربة:

-ماذا جرى لك يا دكتور؟ ما هذه السذاجة؟! الخمر في الأفلام عبارة عن عصير طبيعي.

ثم أردفت ضاحكة:

-لو سكرنا حقيقة أثناء التمثيل، فسيفشل تكملة أداء الدور.

-أكيد يوجد فنانون لا يسخرون بسهولة ويحتسون الخمر أثناء التمثيل حتى يتقنوا تمثيل الدور
جيدا.

وضاحكا:

-بصراحة، هذه أول مرة أرى فنانة ولا تشرب الخمر.

-ليس فقط امتناعي عن شرب الخمر. ألم تقل لي يا دكتور صلاح، منذ سنوات بعيدة - أيام الوداد
والحب- إنني أول راقصة تحمل شهادة جامعية.

ضحك الشيمي وهو يشرب عصير المانجو الطبيعي، وقال:

-قلت لك ذلك لأن أغلب راقصات الرقص الشرقي أميات!

بعضهن يتعلمن القراءة والكتابة الآن.

ثم استطرد ساخراً:

بعد حمو الأممية، ليس ببعيد أن يحصلن على الدكتوراه الفخرية في الرقص الشرقي!

شربت رشفة من العصير وقالت بحماس:

-عما قريب، سنطالب بنقابة للراقصات.

فسألها ساخراً:

نقابة للراقصات رقصًا شرقياً أم غربياً استعراضياً؟

لو رقصت لك الآن؛ لنسيت بهيجه والهياط بها، وأوقفت سخريتك من الرقص...

ردت وقد سعدت باشراح نفس صلاح:

نقابة لكل أنواع الرقص.

وباستكار:

ولكن لا يوجد رقص غربي في بلدنا.

تعالى يا أستاذ غرباوي لتراني وأنا أتحدث عن الرقص! أنتم الآن في نار المعتقل تصطلون،

وعليّ ستكونون بعدما أنجرف عما قليل من حافة هوة نار الشهوات السحرية... عليّ ستكونون...

ستكونون...

-الرقص المصاحب لأغاني الفيديو كليب أليس برص غربي؟

ليس كله.

-الحمد لله لقد ذاب الجليد من وجهك.

-ألا تحفظين جملة من السيناريوهات إلا هذه الجملة؟

تبسمت نانى وهي ترد:

-هذه آخر جملة حفظتها في الفيلم الأخير.

ثم قالت في نفسها:

ولكنك يا صلاح لم تخبرني حتى الآن سبب مجئك. هل وحشك حضن ابتهال حبيبك القديمة؟

-عشرة أيام بعيدة عنى!

-ظروف السفر يا حبيبي.

حبيبي، أرجوك لا تبعدي عنى مرة أخرى. لقد كان الشوق يحرقني في غيابك.

-أنا كنت في حيرة وعذاب. لم تكن عشرة أيام يا حبيبي، إنما عشرة أعوام!

ما أقدر أصبر يوم على بعده

دالصبر عايز صبر لوحده

خليني جنبك خليني

في حضن قلبك خليني

عادت ناني من نكش الذكريات على صوت صلاح:

-أرجوك يا ناني، لا تكوني غاضبة مني بسبب إساءة الأدب معك في آخر لقاء بيننا.

قالت وقد تذكرت تلك الطردة المهينة أمام باب شقته منذ عدة سنوات:

-أنت طرتي من بيتك شر طردة. ولكنني نسيت تماما يا دكتور صلاح. وهل إساءة الحبيب لها مكان في قلب المحب؟ ولقد كنت قد أتيت إليك لرأي طبي، ولكنك قد أساءت فهم مجئي. سامحيني. فقد خفت أن تسوء زبيدة الظن بي وخاصة أنك في ذلك الوقت كنت ترقصين في ملهي بالزمالك ومشهورة.

ابتسمت وهي تقول:

-سامحوك الله. فقد قطعت علاقتنا منذ ذلك الوقت. ولكن الحمد لله فقد عدت ثانية لحبيبك الأولى.

ضغطت على كلمة الأولى وهي تقولها، ثم ضحكت ساخرة:

-أقول الأولى، لأن قلبك أمسى الآن قطاعا عاما...

فتساءل صلاح مبتسمًا:

-ماذا تقصددين بقلبي أمسى قطاعا عاما؟

-لأنه متسعًا لحب ابتهال، وحب زبيدة، وحب بيهجة...

فضحك صلاح قائلًا:

-أكيد قلبي... فلم يكمل لأنها قالت:

-كبير جدا. ثم مالت عليه لقبله؛ فانزعج صلاح ورجع فليلا إلى آخر كرسي الفوتيل الفاخر.

قال وقد أسرعت دقات قلبه:

-أنا لم آت لهذا!

فاحمر وجهها خجلا ...

ـ قدِيمَا أحرجتني في بيتك، والآن تحرجنِي في بيتي!

قال وقد سح العرق من جبينه:

ـ سامحيني يا ابتهال.

واضح أنني غبية ولم أفهم قصد مجئك جيدا ...

قالت بود:

-إن قلبي يتفجر دائمًا بسكوك الغفران لحبيبه...

قام وربت على كتفها.

-سامحني يا دكتور صلاح. فقد ماج قلبي بحبك، وتقافت آلام وآهات أكثر من عشر سنوات من

مخادعها...

رد بأسى وهو ينظر إلى قدميه خجلا:

-أنا لا أستحق كل هذا الحب الكبير، بل لا أستحق قلبك الكبير...

رن جرس القلة. دخل البواب بالعشاء الفاخر الذي أحضره مندوب من فندق ماريوت...

-53-

سُحب سعيد عوض للتحقيق وعلى عينيه عصابة محكمة الربط. ظل يصرخ بطريقة هستيرية:
أنا ضعيف... أتقتلوني؟!... حرام عليكم... جسمي ضعيف... ليس لأمي أحد في الدنيا إلا أنا...
حرام عليكم... ولما وصل إلى وسط غرفة التحقيق، صرخ فيه أحد الضباط: اخرس يا ولد. ما هذه الهستيريا؟
ثم أشار إلى فرد الأمن أن يأخذه إلى أحد الضباط للتحقيق الذي قال: أهدا يا سعيد. أهدا.
قال سعيد بهستيريا: "لقد ضربتموني قرب القاطر وكدت أن أموت. وأخشى أن تضربي مرة أخرى".

قال الضابط بهدوء: "اسمك؟ وتاريخ ميلادك؟"

رد سعيد بشبه بكاء: "سعيد عوض الزامل، السن: 20 سنة".

ـ تاريخ ميلادك بالضبط؟

ـ ظل سعيد برهة يتذكر...

ـ فتبسم الضابط، وتسائل: "أنسيت تاريخ ميلادك؟"

ـ رد سعيد: 1975/10/1 ميلادية.

ـ ثم تتمم وقد عاد إليه هدوئه نسبياً:

ـ ما صنعتموه معي ينسيني أي شيء!

ـ قال الضابط: "عنوانك بالضبط؟ إياك أن تكون نسيته أيضاً".

ـ 7 شارع عطا الله هنا بشبرا.

ـ بشبرا البلد؟

ـ بشبرا مصر.

ـ أين تدرس؟

ـ حصلت على دبلوم صنایع.

ـ أين تعمل؟

ـ في شركة المقاولات الشرقية.

ـ المقاولات أم المقاولون؟

ـ المقاولات.

ـ أنكذب؟

ـ أنا اشتغلت منذ وقت قريب بها ولا أدرني المقاولات أم المقاولون الشرقية.

ـ مع الغراباوي؟

ـ لم يرد.

ـ لماذا نقرأ من الكتب الدينية؟

-أنا لا أقرأ إلا القرآن الكريم والجرائد.
وكتب عيد نجم، ما رأيك فيها؟
-أنا لا أعرف نجم عيد.

تساءل الضابط بحده: "أستعبط وتعكس الاسم؟ ألم تقرأ تفسيره في القرآن الكريم؟"
-أنا لا أعرف.

ما رأيك في الحاكم الذي لا يطبق الشريعة الإسلامية؟
ليس لي رأي فيه.

تساءل الضابط بسخرية: "أليست مسلماً؟ أليست جماعتك تنادي بتطبيق الشريعة الإسلامية؟"
ما هي جماعتي التي تنادي بالشريعة الإسلامية؟

-أنسيتها هي الأخرى؟
-أنا لا أفهم ما تقول.

صرخ الضابط: "أنتueblo يا كلب؟ أنتueblo يا ابن الكلب؟ يا ابن القحبة!"
فصرخ سعيد: "أنا لست ابن قحبة يا كلاب".

وظل يكرر صارخاً: يا كلاب... يا كفرة... يا أولاد الكلب...

فإنكب الضابط ومن في الحجرة ضرباً ولثما على وجه سعيد وعلى وكل جزء من جسمه...
فصرخ وبكى بهستريا شديدة وظل يردد: "حسي الله ونعم الوكيل". حسي الله ونعم الوكيل.
"ولقد كرمنا بني آدم" ...

سُحب سعيد إلى خارج غرفة التحقيق والضابط المحقق من خلفه لا يتوقف عن ضربه وركله
حتى وصل الضابط إلى حالة من الإعياء!...

ترك سعيد موكماً على أرض الممر، لم يستطع أن يقول "حسي الله ونعم الوكيل" إلا في سره
من الإجهاد والإعياء الشديدين...

وبعد ساعة، سُحب إلى غرفة التحقيق ليسأله ضابط آخر:
-اسمك؟ وتاريخ ميلادك؟

فرد بصوت عالٍ: "لا حول ولا قوة إلا بالله... ألم أسأل عن اسمي وعنواني من قبل؟ لماذا هذا
التعذيب البدني والنفسي لخلق الله؟ ألسنا مصربيين مثلكم؟!"

-أجب على السؤال يا ولد. وأغضض من صوتك وإلا سنريك جهنم الحمراء هنا.
سعيد عوض الزامل، السن: 20 سنة.

-تاريخ ميلادك بالضبط؟ وعنوانك؟

1975/10/1 ميلادية.

صرخ الضابط: "يبو أنك ناوي على خراب بيتك. عنوانك يا كلب؟"
أجاب سعيد مرتجاً: "7 شارع عطا الله هنا بشيرا مصر بالقاهرة الكبرى بجمهورية مصر
العربية الكبرى بقاربة أفريقيا الكبرى" ...
تبسم الضابط، وسأل: "أين تصلي الجمعة؟"

في المسجد.

قال الضابط بحدة شديدة: "نعم يا روح أمك! المسجد، أليس له اسم؟"

ارتعب سعيد من حدة الضابط وقال برجفة:

مسجد النصر.

فتساءل الضابط بقوه:

مع الغرباوي؟

تدفق الدم في وجه سعيد. تسأله:

من الغرباوي هذا؟

سكت الضابط برهاة يتأمل أوراق أمامه ثم قال بهدوء:

-طارق تحدث عن كل شيء فلا داعي لئن تذكر.

تسأله سعيد برجفة:

ماذا أنكر؟

-ألم تكن في جولة للفناطير؟

-فعلا، كنت ذاهبا إلى الفناطير مع طارق.

مع طارق فقط؟

تسأله سعيد:

ماذا تعني؟

بقية الأسرة؟

-أنا والدي سعودي ومات في السعودية. وإخوتي من أبي يعيشون في السعودية، وقد حجوا عنا

الميراث. وليس لي في هذه الدنيا إلا أمي.

ضحك الضابط ساخرا وقال:

-أتحكي لي فيما هندية لتوهني.

أقسم سعيد أنه يقول الحقيقة.

قال الضابط:

-يا ولد، لا تستعبط. أنا أتحدث عن أسرتك الإخوانية.

ما معنى أسرة إخوانية؟

قال الضابط لرجل الأمن:

-اذهب به إلى غرفة السلخانة حتى لا يستعبط علينا مرة أخرى...

سحب سعيد إلى غرفة السلخانة وهو يصرخ صرacha هستيريا...

وقبل إجراء عمليات التعذيب، قال الضابط:

-أنتكلم الحقيقة؟ أم نبدأ في سلاسل عذاب جهنم؟

চৰচৰ সুেদ ও জৰাখা ওহে যেমন বখুল মলিষে...

صرخ فيه الضابط:

بدلاً من هذا الصراخ الصبياني، قل الحقيقة.

فرد باكيًا:

-ماذا أقول؟ أنا ليس لي علاقة بالإخوان المسلمين ولا بغيرهم.

قال الضابط:

-الإخوان علموك أن تكذب هكذا بسهولة.

لم يرد سعيد.

فتساءل الضابط:

-والغرباوي؟ ألا تعرفه؟

منْ هذا الغرباوي؟

فانقض الضابط ضرba ولکما على جميع أجزاء جسمه وهو يقول:

يا ابن الكلب، أليس أحمد الغرباوي ساكن في 10 عطا الله هنا؟ يعني بجوارك.

ثم صراخًا:

-أليس أحمد الغرباوي هو الذي سهل لك العمل في شركة المقاولون الشرقية التي يعمل بها؟

قال سعيد وهو يصرخ:

-أنا لست ابن كلب... أنا لا أعرفه... أنا لا أعرفه...

قال الضابط لفرد الأمن:

-لا فائدة منه أبداً. أبدأ بعصير الليمون!

وكان الشاب الملتحي قد حدث أمام سعيد وطارق عن بعض مصطلحات أمن الدولة التي تعني

شيئاً آخر. فكوب ليمون بارد مثلاً، معناه التعذيب بالكهرباء!...

صرخ سعيد صراخاً هستيريا شديداً، ثم سقط مغشياً عليه...

قال الضابط:

-خذه. الله يخرب بيته أمه. يبدو عليه ناوي على الموت...

حاول فرد الأمن أن يوقظه عدة مرات فلم يفلح. فلما يئس، رفعه من الأرض وحمله وسار به

إلى الزنزانة...

فلما شاهده طارق محمولاً، صرخ.

أفاق سعيد على الصراخ وتساءل بإعياء:

-أين أنا؟

فانكب عليه طارق يقبله وهو يبكي...

-54-

أخرجوا طارق وسعيد من جهاز مباحث أمن الدولة إلى المعتقل بمزرعة طرة. وبالرغم من تنبيه أحمد الغرباوي على أفراد أسرته الإخوانية بأن يأخذوا الحذر وألا يبيتوا في بيوتهم إلا أن الأمن قد قبض عليهم فردا فردا ماعدا صلاح الشيمي. وحتى الغرباوي نفسه قبضوا عليه. وقد حبس الغرباوي وإخوانه في الزنزانة نفسها التي كان بها طارق وسعيد...
ولم يصلوا إلى الزنزانة في سلام، إنما فعل معهم كما فعل بطارق وسعيد من تعمية العين والضرب والركل والسب حتى وصلوا إلى الزنزانة فجرا غير سالمين!...
وكان عادته في مقابلة كل زائر لهذه الزنزانة، قبلهم الأخ الملتحي القابع في الزنزانة والذي لا تبدو عليه آثار التعذيب. طبعا، قبلهم بالبشر والترحاب كما فعل مع سعيد وطارق وربما مع الكثرين حتى يعرف فيستبدل بغیره من الطابور الخامس!... جمع هذا الملتحي من أهل الزنزانة المال الخاص بالوجبات...
حضر الغرباوي إخوانه من هذا الأخ الملتحي فربما يكون عينا للأمن.

جلسوا ليتناقشوا بماذا سيقولون في التحقيق...
قال الغرباوي بهمس وهو يشير إلى سقف الزنزانة وبينهم إلى أماكن أجهزة التصنت:
ـلابد أن ننكر أي علاقة لنا بالإخوان ولا بأي تيار سلامي مهما ضغطوا علينا.
فقال إسماعيل: "علاقتنا لا تتعدي الصدقة".

وقال الدسوقي: "ونحن أصدقاء فعلا".
وقال علي: "وغيران".

وبنفأول: "الحمد لله أن الدكتور صلاح قد نجا من الاعتقال".
 وأشار الغرباوي أن يصمتوا لأن الأخ الملتحي قد اقترب منهم.

سألهما الملتحي: "ماذا ستأكلون؟"
فقال الغرباوي: "الذي تأكلونه أنتم".
نحن لا نأكل إلا الثلاثي المرح.

فضحك آل الغرباوي وتساءلوا: "وما هي الثلاثي المرح؟"
فتقبسم الملتحي مجيبا: "الفول والطعمية والبطاطس المقلية".
فقال الغرباوي: "ما أحلى هذه الثلاثي المرح".

وقال الدكتور عماد مرحا: "ثلاثي المرح. ثلثي نعم. ثلثي طروب. أهم شيء أن نأكل جيدا".
وقال علي ضاحكا: "حتى نستطيع أن نتحمل عذاب السخانة الذي نسمع عنه".

فتساءل الأخ الملتحي مبتسمـا: "الأخوة الكرام، جماعة إسلامية أم جهاد؟"
تيرم الغرباوي: "لا جهاد ولا جماعة إسلامية".
فقال الملتحي بسماجة: "إذن أنتم إخوان".

ومبتسمـا ببرودـ: "أو زعيمكم وهو يشير إلى الغرباويـ جهاد، والباقي إخوان؟"

ضحك الغرباوي قائلاً: "توليفة بين الجماعات؟!"
ثم قال في نفسه: الله يخرب بيتك. ما هذا التطفل السمج؟!
ضحك الدكتور عماد الدسوقي:
نحن (بتوع) القناطر!
فتبسمل الملتحي قائلاً:
-(بتوع القناطر)! تنظيم جديد؟!
فضحك آل الغرباوي. قال الغرباوي من خلال ضحكته:
لقد قُبض علينا بالخطأ.
وببرقة قوية:
لقد جُعنا يا قوم. أين الثلاثي المرح؟
تأمل على عبد المنعم في زنزانة وقال:
-أول مرة أرى زنزانة مفروشة بالموكيت بدلاً من (البرش) الذي نسمع عنه أو الإسفلت...
ثم ساخرًا:
-وإن كان موكيت متاكل وليس له لون!
فتسأله إسماعيل عبد الفتاح:
-وهل رأيت أي زنزانة من قبل يا أخ علي؟
-الحمد لله. لا.
فدعى الغرباوي:
-ربنا يجعلها آخر مرة لنا جميعا.
فردوا:
-آمين...
قال إسماعيل هامساً:
-أكيد طارق وسعيد هما اللذان أخبرا عنا.
فأومأ الغرباوي:
-ربما من التعذيب.
فتساءل إسماعيل:
-ولكن أين هما الآن؟
فرد عليه الغرباوي بصوت خفيض:
-ربما في زنزانة أخرى هنا أو في أحد المعقلات.
قال علي رافعا يديه إلى السماء:
-ربنا يفرج كربنا جميعا.
-آمين...

ذهب الأخ الملتحي ليحضر الطعام. المفروض أن يعطي ثمن الطعام لجندى من الحراسة، ولكنه ذهب خارج الزنزانة بنفسه حتى عاد بالطعام...
قال الغرباوي:
واوضح أن ذلك الأخ الملتحي عين للأمن، والدليل أنه خرج من الزنزانة بنفسه بحجة شراء الطعام.
وتمتن:
-أكيد ذهب ليخبرهم عن انطباعه عنا.
فتسائل علي عبد المنعم:
-ولماذا لا يكون قد ذهب لقضاء الحاجة؟
فأجاب الغرباوي بهمس:
-الله أعلم بالحقيقة. ولكن يجب الحذر منه ومن غيره من الملتحين هنا بالزنزانة.
ثم بصوت أقل من الهمس:
-إذا سألوكم عن ذهابكم مشياً للفناظر، فقولوا: ذهبنا لننشط الدورة الدموية.
قال الدسوقي بصوت أعلى من الهمس:
-وهذا بناء على تعليماتي كطبيب وصديق وجار.
فقددخل الغرباوي محذراً من أجهزة التصنت التي في الزنزانة:
-أخفضوا من أصواتكم أكثر. أرجوكم ألا تتعدي أصواتنا الهمس.
واقترب من آذانهم:
-إذا سئلتم عن كتب معينة وجدوها أثناء تفتيش بيونتنا، فأجيبوا أنها تباع في المكتبات. وكذلك إذا سُئلنا عن الصلاة في مسجد الكردي، فلنجد لا نعرفه...
قال علي بصوت خفيض:
-بوجه عام يجب ألا نكذب، وفي التورية خي_____.
ولم يكمل الكلمة لأن روحه قد صعدت إلى الكوكب الثالث...
حاول الدكتور عماد الدسوقي أن يوقفه فلم يفلح.
بدأ جسمه يرتجف ويصح بالعرق مثلما حدث في المرة السابقة...
قال الدسوقي:
-إنها نوبة صرع جديدة لابد من إخبار المسؤولين هنا.
نادى الغرباوي على السجان بصوت جهير:
-توجد حالة صرع شديدة داخل الزنزانة.
وصاح الدسوقي بصوت مرتفع:
-لابد من استدعاء الطبيب فورا.
رد السجان ببرود شديد:
-لا تقل "فورا"، لأن هذه الكلمة ليست في قاموس أمن الدولة!...

تبسم الغرباوي ساخرا، وقال:
-إن "فوراً" هنا خاصة بالقبض على الناس فقط!...
قال عماد:
-الرجاء إحضار الطبيب.
قال السجان:
-أسلوبك الآن جيد.
قال إسماعيل في سره:
اذهب يا (بجم) بسرعة فالحالة خطيرة.
بدأ الدكتور عماد في عمل الإسعافات الأولية...
قال إسماعيل متاثرا:
-الضغوط النفسية هي التي فجرت الصرع.
ازدادت التشنجات وأتبعها زيادة العرق...
فصرخ الغرباوي:
-أين الطبيب؟
صرخ أكثر من صوت من آل الغرباوي وأغلب المقبوض عليهم بالزنزانة:
-الطبيب؟ الطبيب؟
قال عماد الدسوقي بقوة:
يجب أن يعرض على أستاذ أعصاب بعد خروجه من هنا.
تشنج جسم علي بشدة. عاد الأخ الملتحي بالطعام فصرخ معهم:
-أين الطبيب؟ أين الطبيب؟
عاد السجان بعد ربع ساعة يسبقه كرشه وبروده والطبيب...!
قال السجان زاجرا:
-ممنوع الصراخ هنا. ممنوع. أتفهمون؟
جهر الغرباوي بصوته:
-لا تردوا عليه.
تمنى كل واحد من أهل الزنزانة أن يصدق عليه...
فتح الزنزانة بمفاتيحها الثقيلة بهدوء، ودلف الطبيب، ولمّا بدأ يفتح حقيبة الطبية إذا بروح على
ترد إليه ويستيقظ...
.

-55-

في الصباح، طرقت ناني باب حجرته وتبسمت وهي تقول:
-عندى مهمة قومبة اليوم. فسامحني يا دكتور صلاح، لأنني سأتركك ساعات قليلة.
شيعها صلاح بابتسامة عريضة:
مع السلامة يا ابتهال.

راقصة... ولكنها إنسانة محترمة بمعنى الكلمة... لم تسألني حتى الآن عن سبب زيارتي الثقيلة.
لازال قلبها ينبض بحبه بالرغم من إهانتي وطردي لها في بيتي... لقد ظننت أن حبها لي لا
يتعدى ممارسة الجنس. ولكن اتضحت أن حبي لها هو الذي لم يتعدَّ قضاء الوطر! حب أنانى،
حب شهوانى، بل ليس بحب على الإطلاق... شهوة لا أكثر ولا أقل... شهوة محرمة في وقت لا
أجد فيه الطريق الحال لتصريفها... وحينما وجدت الحال، لم أجد إلا صديقتها وزميلتها في
مدرسة الترعة... أناقية ما بعدها أناقية... عرفتني بزميلتها، فتعلقت بها وتزوجتها... لقد حطمـت
صداقـهما بأنـانيـتيـ الحـقـيرـة... إنـ قـلـبـهاـ كـبـيرـ... نـحنـ الأـطـبـاءـ لـاـ نـفـهـمـ أـكـثـرـ مـنـ قـشـورـ سـطـحـيةـ منـ
نـفـوسـ النـاسـ،ـ حتـىـ أـطـبـاءـ الـ psychia~tryـ 46ـ لـاـ يـفـهـمـونـ أـكـثـرـ مـنـ قـشـورـ عـنـ النـفـسـ الـ بـشـرـيـةـ...ـ
وـأـمـراضـهاـ النـفـسـيـةـ...

ولكن ماذا أفعل الآن أمام هذا الحب الكبير؟ هل سأتزوجها؟ من المستحيل. من المستحيل.
ستفرض الأنانية نفسها من جديد. وسيقول لي ضميري المخفي منذ دخولي هذه القلة والمتنقل
دائماً في جلسة الغرابوي لتأيبي:

"أنتزوج راقصة شهيرة؟ حتى لو لم تكن شهيرة، أنتزوج راقصة يا رجل؟ أين تدينك؟ أين أنا
منك؟ أين دعوتك الإخوانية؟ أين الغرابوي؟ أين أخوة الدعوة؟ أين الصاحبة الصالحة الطيبة؟ أين
جهادك في الدعوة؟ لا يكفي أن إخوانك الآن في المعتقل وأنت تنام هنئاً آمناً مطمئناً تأكل
أطابق الطعام من أفخم الفنادق؟ لا يكفي أنك تتمنغ في دعوة وسعة وراحة وطمأنينة، وإخوانك
يتقلبون على نار تحقيق وتعذيب وضنك وضيق وكرب وضغط نفسية رهيبة؟ ومن المؤكد أنهن
يعانون الآن من تعذيب وحشى همجي رهيب..."

اللهم فرج كربهم... اللهم اربط على قلوبهم... اللهم أعدهم سالمين... اللهم ارحمهم مما
هم فيه... اللهم ارزقهم الصبر... وارزق أهلهم الصبر... اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة... وفي
الآخرة حسنة... وقنا عذاب النار...
ضغط صلاح على رأسه وقال:

وبهيجـةـ؟ـ

بهيجـةـ،ـ ياـ ربـيـ،ـ ماـذاـ أـصـنـعـ معـهـ؟ـ الـأـمـورـ كـلـهـاـ مـعـقـدـةـ.ـ الـلـطـفـ يـاـ ربـ.ـ الـلـطـفـ بـنـاـ يـاـ ربـ.ـ وـلـكـ
هـلـ فـعـلاـ أـحـبـهـ؟ـ هـلـ فـعـلاـ أـحـبـكـ يـاـ بـهـيـجـةـ؟ـ أـمـ هـيـ أـرـمـةـ مـنـتـصـفـ الـعـمـرـ كـمـاـ قـالـ الـدـكـتـورـ أـحـمدـ
إـسـمـاعـيـلـ وـكـمـاـ قـالـتـ زـبـيـدـةـ أـيـضـاـ؟ـ أـنـاـ فـيـ حـيـرـةـ.ـ لـاـ أـدـرـيـ مـاـذاـ أـصـنـعـ؟ـ هـلـ سـأـتـزـوـجـهـ؟ـ أـمـ سـأـضـحـيـ

46 الطب النفسي

بحبها لي وأحطم قلبها تحطيم ساحقاً؟ ألا يكفي مصيبتها في زواجها من السعودي الظالم؟ ألا يكفي الشروخ الرهيبة في جدران نفسها من ظلم أبناء زوجها الفجرة الظلمة؟! الأمور كلها تعقيد، تعقيد في تعقيد، عقد من داخل عقد، بل عقد من داخل عقد من داخل عقد إلى ما لا يعلمه إلا الله. لا حول ولا قوة إلا بالله...

وزبيدة؟

وبيني الذي سيُخرب بسبب حبي لبهيجة، وسيُدمِّر إذا تزوجتها... المرأة لا تستطيع أن تكون لها ضرة. ربما تتحمل أن يكون لزوجها علاقات محرمة قبل أو بعد زواجهما منه، ولكن تنهار تماماً إذا تزوج عليها. ما هذا؟ أين الشرع؟ وأين مطالبنا بتطبيقه؟ أم هي شعارات رنانة نردد لها بدون جذور لها في إيماننا وقلوبنا؟ مجرد شعارات!...

الإخلاص؟

أين الإخلاص لزوجتك؟ لماذا يا شيمي، تفتح قلبك لحب امرأة أخرى بعد زواجك؟ أين الإخلاص يا رجل؟ أين العشرة؟ أين الحب الذي كان يملأ قلبك أثناء خطبة زبيدة؟ وحتى بعد الزواج؟ لماذا هذه الأنانية؟ هل ترضى أن تحب زبيدة رجلاً آخر بعد زواجهما؟ الشرع قد أباح للرجل الزواج بأربعة، وبالتالي هل للزوج أن يفتح قلبه لثلاث نساء بعد زواجه من الأولى؟ وعلى الزوجة أن تخلص لزوجها ولبنائهما ولبيتها لأن الشرع لم يبع لها إلا زوجها فقط! طالما أن الزوجة تخلص لزوجها ولبيتها وأبنائهما، إذن يجب على الزوج أن يخلص لزوجته ولبيتها وأبنائهما هو الآخر. ما أعظم أنانية الرجال الذين يطبقون الشرع على أهوائهم ورغباتهم وشهواتهم...

الشرع؟!

أتتكلم عن الشرع وأنت مختبئ في بيت راقصة؟!... ها ها ها!...

بهيجة... يا حبيبي...

يا رب... هل لنا سلطان على قلوبنا؟ هل نستطيع أن نغلق قلوبنا بعد الزواج على زوجاتنا فقط؟ أليست القلوب بين أصابعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء؟ أليس حبي لبهيجة ربما يكون رحمة من الله لها ولظروفها السيئة وأحوالها الاجتماعية المضطربة منذ عودتها من السعودية وإن كنت لم أعرف بأحوالها إلا منذ فترة بسيطة. وحبها لي، ماذا أصنع له؟

خالد؟ سحر؟

ما ذنبهما لهذا الاضطراب العائلي؟ لن تقبل أحدهما ضرة ولو على جثتها...

الجماعة؟

الجماعة؟ وهل جماعة الإخوان تمنع الزواج الثاني؟ الشرع أباح. خلاص. انتهى الأمر. أهم شيء ألا يؤثر الزواج الثاني أو الثالث على جهد الدعوة إلى الله وأنشطة الجماعة...

الزواج الثالث؟

ها ها ها... الزواج الثالث من ابتهال والثاني من بهجة. (عفاص) عليك يا رجل يا مزواج!...

ناني؟

لقد ذهبت في مهمة قومية. فما طبيعة هذه المهمة القومية؟ فهل سترقص في هذه المهمة القومية؟ ولكن طبيعة عملها لا تكون إلا بالليل. ربما سترقص في وداع وفد من بلد آخر. أو خرجمت لأي أمر آخر الله أعلم به. ترقص أو لا ترقص هي شأنها...

الحمد لله، لقد عدت الليلة الفائنة على خير. وإن كانت حصيلتها لمس يديها، والجلوس على السرير بجانبها، والربت على كتفها، وطبعا، النظر إلى جسمها الفاتن المثير...
لقد عصمني الله من الانزلاق في هوة الشهوات. الحمد لله...

-56-

في الكوكب الثالث، استقبل المعلم روح علي عبد المنعم بالبشر والترحاب والابتسامة الحنون:

مرحبا بك يا علي، في الكوكب الثالث.

مرحبا بك يا معلم.

ارتسمت سيماء الجد على وجهه النصر وهو يهتف: "هنا كوكب التمحيق. هنا لوحة الابتلاء يا علي" ...

ثم تلا قوله تعالى في خشوع: -{الْمُ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ *}...⁴⁷

قالت روح علي بحزن: "نحن الآن معاقلون في أمن الدولة".

قال المعلم بيقين: "(وَكَانُوا مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رَبِيعُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَلُوا وَاللَّهُ يُحِبُ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرَنَا وَتَنَّتْ أَفْدَامَنَا وَانصَرَنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَاتَّاهُمُ اللَّهُ تَوَابُ الدُّنْيَا وَحُسْنَ تَوَابُ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُ الْمُحْسِنِينَ *}...⁴⁸

برزت أحداث فيلم سينمائي ضخم كسينما سكوب أمام المعلم وعلي، وازداد العرض السينمائي اتساعاً رويداً حتى أصبح اتساعاً رهيباً لدرجة أنه ملأ صفحة الكوكب كله ...

وبالتدرج دخل المعلم ويتبعه على إلى خضم الأحداث نفسها داخل العرض السينمائي.

تساءلت روح علي باستغراب: -"ما هذا يا معلم؟ لقد دخلنا في الأحداث نفسها".

لقد كانت الملائكة والجن والبشر شاهدين لهذه الأفعال وقت حدوثها.

تعجبت روح علي وتساءلت: "كيف ذلك يا معلم؟"

بالنسبة للبشرية، فقد كانت كلها داخل هذا الحدث الرهيب وهي في مرحلة الذر.

فزعـت الروح وتساءلت بهلع: "ما هذا الصهد المشع؟ ما هذه النيران الرهيبة التي تضطرم من بعيد؟!"

-هذه نيران أصحاب الأخدود يا علي.

هـفت الروح: "سبـانـك يا ربـ. سـبـانـ تـبـيـتكـ لـلـمـؤـمـنـينـ".

تعـجبـتـ: "إـنـيـ لـأـجـدـ مـنـ الـمـوـحـدـينـ أحـدـاـ يـتـرـدـدـ أوـ يـرـهـبـ هـذـهـ النـارـ العـظـيمـةـ"...

فرد المعلم بيقين: "أـلـمـ تـسـمـعـ إـلـىـ قولـهـ تـعـالـىـ: {يـتـبـتـ اللـهـ الـذـينـ آمـنـواـ بـالـقـوـلـ الثـابـتـ فـيـ الـحـيـاةـ الـذـيـاـ وـفـيـ الـآـخـرـةـ وـيـضـلـ اللـهـ الطـالـمـيـنـ وـيـقـعـ اللـهـ مـاـ يـشـاءـ}؟⁴⁹"

⁴⁷ الآية 3-1 من سورة العنكبوت

⁴⁸ الآيات 146-148 من سورة آل عمران

⁴⁹ الآية 27 من سورة إبراهيم

نظرت روح علي في حشد أصحاب الأخدود، فرأت امرأة مؤمنة ومعها أبنائهما تتردد حينما أوقفوها على شفا الأخدود. تنظر بربع إلى الأخدود وألسنة النار تكاد أن تبلغها، ثم تنظر إلى أطفالها وطفلها الرضيع وتقول:

- لا حول ولا قوة إلا بالله. ما ذنب هؤلاء الأبرياء؟ وما ذنب هذا الرضيع حتى يُطرح في النار؟
وظلت تبكي بمرارة بينما كان الجلادون يقفون متظرين أن تنطق بالكفر بالله ربها ورب الغلام
وتسبح بحمد الإله ملك البلاد...

همست المرأة وهي تناجي الله عز وجل:

"ماذا أفعل يا رب؟ ألاج في النار أم أنجو بأبنائي؟ ولكن أنجو من نار الدنيا لألاج في نار الآخرة؟
ماذا أفعل يا رب؟ يا رب؟ يا رب؟

أنجو من نار ضعيفة لألاج في نار عظيمة لا نهاية لها؟
ماذا أفعل يا رب؟ يا رب؟

طريق السلام هو نفسه طريق الندامة،
ماذا أفعل يا رب؟ يا رب؟ يا رب؟"

كان الجلادون يزعقون فيها بأعلى أصواتهم لكي تعبر عن إيمانها بالملك الإله رب البلاد،
وتكرر بالله الواحد رب العالمين.

ولكن ضميرها يزرع هو الآخر:

"أتعودين إلى الصلاة بعد الهدى؟ أتكفري بالله رب العالمين؟ أتكفري بالذي خلقك وخلق الناس
وخلق السماوات والأرض؟ أتكفري بالذي له الأسماء الحسنى والصفات العلية؟
أتكفري بالله عندما عرفته؟ أتكفري بالله عندما ولجت بشاشة الإيمان به إلى سويدة قلبك؟
أتكفري بالله عندما ذقت طعم وحلوة الإيمان به؟ أتكفري بالله عندما أشرق الإيمان وسطع في ربوغ نفسك وجنبات روحك؟
كيف يكون هذا؟ كيف؟!"

- هي يا امرأة، أعلنني الكفر برب الغلام. أعلنني الكفر برب الغلام.

وبصياح شديد:

- أعلنني الكفر برب الغلام وإلا ستذفين مع أبنائك حالاً إلى جهنم. هي يا امرأة...
فلم ترد عليهم.

بدأ الجلادون يلقون بأطفالها طفلاً بعد طفل. وكلما أُلقي طفل، إذا بقلبه يهوي في الأخدود معه... ولم يتبق إلا طفلها الرضيع وهي...

"ما هذا يا رب؟ لقد خفت صوت ضميري؟ أين ضميري الذي كان يحدثني منذ قليل؟
أين صوت قلبي؟ أين إيماني بالله الواحد الأحد الفرد الصمد؟ أين؟ أين؟
ماذا أفعل يا رب؟ يا رب يا رب..."

ولما بدعوا يأخذون الرضيع منها عنوة، إذا بالتردد يجوس ويصرخ خلال نفسها صراخاً مرعباً،
وينتاج عن صدى صراخه الرهيب الخوف، والفزع، والهلع، والرعب...

ولما بدأ التردد والخوف والفزع والهلع والرعب يتعمدون في جنبات نفسها ونواحي روحها
ويتمكنون منها كل تمكن، إذا بطفليها الرضيع ينطق ويهتف:

"لا تتردي يا أمي، إنك على الحق..."

فتوهج إيمانها وأشع في الكون كله، وهبطت بطفلها الرضيع في النار في غمضة عين!!...
بكـت روح علي وبـكـ المعلم وبـكـ الأرواح الشاهدة لهذا الموقف الرهيب...
هـفت روح علي باكـية:

-إـنا الله وـإـنا إـلـيـه رـاجـعـون... ما أـعـظـمـ الإـيمـانـ فـي قـلـبـ هـذـهـ الـمرـأـةـ اللهـ اللهـ اللهـ... لـقـدـ اـفـدـتـ بـنـفـسـهـاـ...
وـأـبـنـائـهـ وـابـنـهـاـ الرـضـيـعـ فـي سـبـيلـ الـكـفـرـ بـالـإـلـهـ الـمـزـيفـ وـالـإـيمـانـ بـالـلـهـ الـواـحـدـ الـأـحـدـ... لـاـ إـلـهـ إـلـاـ
الـلـهـ... لـاـ حـوـلـ وـلـاـ قـوـةـ إـلـاـ بـالـلـهـ...

قال المعلم بصوت باكـيـ:

-لـقـدـ أـنـطـقـ اللهـ هـذـاـ الرـضـيـعـ؛ فـثـبـتـ إـيمـانـ أـمـهـ، وـكـلـ مـؤـمـنـيـ أـصـحـابـ الـأـخـدـودـ، وـكـلـ الـمـؤـمـنـينـ -
وـهـمـ فـيـ مـرـحـلـةـ الـذـرـ - الشـاهـدـيـنـ لـهـذـاـ المـوـقـفـ الـجـلـ...

ثم تلا بخشوع:

-[وَمَا نَقْمُدُ مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ *] ⁵⁰ ...

تساءلت الروح والبكاء الحار مازال مسيطرـاـ علىـ كلـ الأـرـوـاحـ وهيـ تستـمعـ إـلـىـ هـسـيسـ النـارـ
وـهـيـ تـأـكـلـ أـجـسـادـ الـمـؤـمـنـينـ:

-كـيـفـ يـتـحـمـلـ هـؤـلـاءـ الـمـؤـمـنـينـ هـذـهـ النـارـ الـمـتـأـجـةـ الـمـسـتـعـرـةـ الـتـيـ تـكـادـ أـنـ يـأـكـلـ بـعـضـهـاـ بـعـضـاـ مـنـ
شـدـةـ الـاحـتـرـاقـ؟ـ وـكـيـفـ يـطـيـقـ الرـضـيـعـ وـإـخـوـتـهـ الصـغـارـ هـذـهـ النـارـ؟ـ

فـأـجـابـهـ المـعـلـمـ بـبـرـدـ الـيـقـيـنـ:

-أـلـاـ تـذـكـرـ يـاـ عـلـيـ،ـ حـدـيـثـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمــ:ـ ((إـنـ الشـهـيـدـ يـشـعـرـ بـضـربـاتـ السـيـفـ
كـوـخـزـ الـإـبـرـ))ـ...

تبـسـمـتـ رـوحـ عـلـيـ:

صـدـقـ رـسـوـلـ اللـهـ.

أـكـمـلـ الـمـعـلـمـ:

-فـهـؤـلـاءـ الشـهـداءـ لـاـ يـشـعـرونـ إـلـاـ بـلـسـعـةـ خـفـيـفـةـ جـداـ،ـ ثـمـ تـصـدـعـ أـرـوـاحـهـمـ الطـاهـرـةـ إـلـىـ جـنـاتـ ربـ
الـعـالـمـينـ...

تضـايـقـتـ الـرـوـحـ وـامـتـعـضـتـ وـحزـنـتـ بشـدـةـ وـهـيـ تـقـولـ:

-انـظـرـ يـاـ مـعـلـمـ،ـ إـلـىـ الـمـالـكـ وـزـبـانـيـتـهـ يـضـحـكـوـنـ مـنـ أـعـماـقـهـمـ وـهـمـ يـشـاهـدـوـنـ الـمـؤـمـنـينـ وـهـمـ يـذـوبـوـنـ
فـيـ النـارـ!!~...

-هـذـاـ دـأـبـ الـطـغـاةـ عـلـىـ مـرـ العـصـورـ.

وبـسـخـرـيـةـ مـرـيـرـةـ:ـ ((فـإـنـهـمـ يـقـتـلـوـنـ ضـحـيـاـهـمـ بـدـمـ بـارـدـ!ـ))

هـفتـ رـوحـ وـرـدـدـتـ:

ـنـعـوذـ بـالـلـهـ مـنـهـمـ...ـ نـعـوذـ بـالـلـهـ مـنـهـمـ...

ـ50ـ الآيةـ 8ـ 9ـ منـ سـوـرـةـ الـبـرـوجـ

ثم تأملت في الملائكة أمامها، وتساءلت:

يا معلم، أين مكاننا حينما كنا في مرحلة الذر ونشاهد هذه الأحداث؟

فتبسم المعلم وهو يجيب: "انظر إلى خلفك في جهة اليمين فسترى العجب العجاب!"

نظرت روح علي إلى تلك الجهة، فتعجبت وهتفت وتساءلت:

يا سبحان الله... يا عظمة الله... يا جلال الله... ما هذا العدد اللانهائي من الأرواح؟!

فأجاب المعلم بيقين:

-هذه أرواح المؤمنين في مرحلة الذر تشاهد إيمان أصحاب الأخدود، حتى يتثبت الإيمان في قلوب أصحابها في عالم الشهادة...

فتساءلت الروح: "أين مكانني بين هذه الأمواج المتلاطمة من الأرواح؟"

-مكانك الآن هو نفسه المكان الذي كنت فيه وأنت تشاهد هذه الأحداث الفظيعة.

قالت الروح بدهشة: "ولكننا الآن قد أتينا من عالم الشهادة إلى هذا الكوكب."

فرد المعلم بيقين:

لقد تداخل الزمان معا يا علي..

ثم سكت هنئها بتأمل ويسمع هسيس النار وهي تذيب أجساد المؤمنين، وبعدها قال باكيًا:

-لقد ضرب مؤمنو أصحاب الأخدود مثلاً عظيماً في الفداء بالروح في سبيل الإيمان بالله الواحد القهار... ما أعظم إيمانهم... ما أعظم ثباتهم... ما أعظم صبرهم... ما أعظم تضحياتهم...

فبكى روح علي وقالت بيقين:

-إن ما نلاقيه في التعذيب بأيدي جلادي أمن الدولة، لا يقارن أبداً بهذه النار الفظيعة التي يصطلي فيها أصحاب الأخدود...

قال المعلم بزفرات باكية:

-إن منْ يعرف الله وأسمائه الحسنى وصفاته العظمى، يعظمه. ومنْ يعظمه يحبه. ومنْ يحبه، فهو على التضحيات بالنفس والمال وكل شيء...

ثم بكى بنحيب وهو يهتف:

يا حبيبي يا رب... يا حبيبي يا رب...

فانتصب روح علي، وانتفض جسده في الزنزانة في الوقت نفسه...

وقبل أن ينصرفًا من الكوكب، قال المعلم:

-عندي لك مفاجأة عظيمة...

فتساءلت الروح بشوق:

-وما هي يا أستاذ؟

فرد المعلم بحب ورقة:

ستكون لنا زيارة للكوكب السابع لمقابل غلام أصحاب الأخدود العظيم إن شاء الله...

-57-

عادت ناني من المهمة القومية. وأنثاء تناول طعام الغداء الفاخر، قالت بابتسامة مشرقة:
صلاح... سأرفع الألقاب بيننا.
ليس بين المحبين ألقاب.

المحبين؟! أتضحك على يا شيمي؟ إن قلبك قد امتلأ بحب الممرضة.
عسى ألا تكون قد تصايرت من غيابي صباحا.

يا ناني، لا تعطلي مصالحك بسبب زيارتك الثقيلة.

ألا تقول "يا حبيبي" كما كنت تقول في الماضي الجميل؟
قالت ناني وهي تضغط على الحروف: "زيارةك الثقيلة!"

ثم وهي تبسم: "يا حبيبي، على راحتك. أنا كنت أتمنى زيارتكم الثقيلة هذه منذ سنين طويلة. ولا داعي لئن تقلق. فقد أخذت أجزاء من جميع أعمالي لمدة طويلة."

والله أنت إنسانة عظيمة... أتعطلكن أمورك بسبب وجودي التفيفي؟ ما أعظم شخصياتك؟
ولكن ما ذنبك في هذا التعطيل لأعمالك؟ لابد أن أخبرها بحقيقة الأمر...
يا ناني. أرجوك عودي إلى ممارسة أعمالك كما كانت. فربما يطول مقامي هنا لظروف شديدة
أمر بها.

تردد الشيمي قليلا ثم واصل: "إن مباحث أمن الدولة تقضى قبضا عشوائيا في الحي. ولقد
قبضوا على بعض أصحابي، فأخشى أن يأتي دور على".

فتساءلت ناني منفعلة: "ولماذا؟ هل توجد جمادات إسلامية بشيرا؟ أنا أعلم أن الجمادات
الإسلامية موجودة في عين الشمس وإمبابة والصعيد".

الجماعات المتسلمة طفليات رهيبة غزت كل شبر من أرض مصر.

ترددت ناني قليلا ثم سألته: "هل أصحابك من الجمادات الإسلامية؟"

ـأمن الدولة تقضى بأسلوب عشوائي لتجمع أكبر عدد ممكن، ثم تغربل وتصنف هذه الأعداد.
ابتسمت: "طبعا، بعدما تريهم النجوم في عز الظهر".

وبجدية: "عندهم حق يا صلاح. فالبلد قد اكتوت من نار الجمادات الإسلامية؛ فهم لا يفجرون
قنايلهم إلا في الأماكن المزدحمة بالناس سواء كانت مزارات سياحية، أو حتى موقع حفر متزو
الأنفاق!".

ـهم حريصون على ضرب اقتصاد البلد في أي شكل. ولا يطرف لهم جفن إذا مات أفراد من
الشعب. ولكن ذلك كله من اليأس الذي ملك نفوسهم...
أنت بهذا الشكل تدافع عنهم! هل أنت منهم يا شيمي؟ ولكن شكلك لا علاقة له بالجماعات
الإسلامية؟ أنت يكفيك انشغالك بحب بهيجة...
عيست ناني: أفراد من الشعب أو من الأجانب، أليست نفوسا لا يحق قتلها بتفكير غبي جاهل؟!

رد صلاح بضيق:

-كثير من هذه الجماعات يكفرون الناس أصلاً، بل يكفرون من ينشق عنهم. وبالتالي فلا حرمة لكافر في شريعتهم الشيطانية!...
 Ubث الضيق بوجه صلاح. قالت:
 دعنا من هذا الموضوع الرذل. وحدثي عن أحوالك بالمستشفى. لقد سمعت أنك تتدبر كثيرا إلى مستشفيات مختلفة، وهذا يسبب لك كثيرا من الضيق والمعاناة...
 أمعقول يا ابتهال؟ تسألين عني وتعرين أحوالى بهذا الشكل...
 تهدج صوت متهدج:
 -ماذا أقول لك؟ صدقيني. أنا لا أستحق سؤالك عني ولا حبك لي.
 تورد وجه ابتهال خجلا ولم ترد...
 وبعد قليل، ترنمت شعرا لشكسبير بصوت مؤثر، وكان صلاح يقوله لها كثيرا فيما مضى...
 -ألا تشبهين صفاء المصيف

بل أنت أحلى وأصفى سماء
ففي الصيف تعصف ريح الذبول
وتعبث في برعمات الربيع
ولا يلبث الصيف حتى يزول
وفى الصيف تستطع عين السماء
ويحتمد القطيط مثل الأتون
وفى الصيف يحجب عنا السحاب
وما من جميل يظل جميلا
فشيمة كل البرايا الفناء
فمادام فى الأرض ناس تعيش
ومadam فيها عيون ترى
فسوف يردد شعرى الزمان
وفيه تعيشين بين الورى⁵¹...

صفق صلاح مرحبا، فقالت ناني:
-أين هذا الشعر الجميل الآن يا صلاح؟ لازالت أحفظ أجزاء من هذا الشعر للشاعر الانجليزي الشهير. أكيد تقوله الآن ليهيجه الملعونة. الله يخرب بيتها...
 فقال في سره:
 لماذا تقولين عليها "ملعونه"؟!
 ثم تعجب من تذكرها لهذه الأبيات من السونيت
 قال بحب:

⁵¹ بعض الأبيات من السونيت رقم 18 لشكسبير ترجمة محمد عناني
 188

-أنا سعيد جدا من تذكرك لهذه الأبيات يا ابتهال.

وبوجل:

بصراحة، المرأة أكثر إخلاصا في حبها من الرجل...

شعر صلاح برج شديد. نز العرق من على جبهته، فأخذ منديل ورقي من على السفرة وجفف

وجهه...

قالت ناني في سرها:

يا حبيبي يا صلاح. يا حبيبي أنا بحبك... بحبك...

وصاحبة:

دعك من إخلاص المرأة في الحب. وحدثني عن انتدابك الكثير.

-يوجد بعض أطباء المستشفى (ملطše) للانتدابات الكثيرة إلى جهات صحية متنوعة؛ من

مستشفيات، ومرافق صحية، ومبني مديرية الشؤون الصحية نفسها، وحتى وحدة إسعاف

القاهرة... وما علاقة أخصائي الجلدية والتناسلية بالعمل في وحدة الإسعاف؟!

-أليست هذه سياسة وزارة الصحة؟

تبسم صلاح ساخرا:

سياسة تُطبق على قليل من أطباء المستشفى فقط.

ضحك ناني وتساءلت:

-أليست تعيش في الدنيا يا شيمي؟ ألا تعرف الخيار والفاقوس؟!

ضحك صلاح:

-عريفهما لي يا ناني.

ثم اتسعت ضحكته أكثر: "أو أجعليني من خيار المستشفى!"

قالت ناني بجدية: "إنس حكاية الانتداب هذه. ولك عندي هدية خاصة بالمستشفى عما قريب

ستعلمها. ولكن أرجوك يا صلاح، لا تسألني عنها الآن فهي هدية بسيطة لحبيب القلب".

وضاحكة: "يبدو أنك منزعج من الانتداب حتى لا تبتعد عن حبيبة القلب ذات العيون السود..."

أنت يا ناني، فحصتها فحصا...

لم يرد صلاح. قالت: "ولكن لو عرفت زبيدة بهذا الحب، فستضر بك بالنار".

هز صلاح رأسه متأسفا: "للأسف، قد علمت به. وربما سينخرب البيت لا قدر الله".

فقالت بقوة: "قاوم هذا الحب حتى تحافظ على سفينية البيت من الغرق".

تبسم صلاح: "واضح أن السيناريوات قد أثرت على تعبيراتك الجميلة".

-أنا أتكلم بجدية. قاوم هذا الحب. بيتك أهم.

لا أستطيع يا ناني.

تبسمت: "صدقني يا صلاح، حب الرجل للمرأة لا يتعدى الجزء السفلي من المرأة!"

ضحك صلاح ضحكة طويلة ممطولة. تسأله: "والحب الأفلاطوني؟"

فأجابته بضحكة ماجنة صاحبة: "انتهى من أيام قيس ابن الملوح"...

-58-

سُحب على عبد المنعم - وعلى عينيه عصابة سوداء- إلى غرفة التحقيق، ترك حوالي ثلات ساعات في الممر أمامها... فلما أدخلوه مسحوبا من يديه.

قال أحد الضباط:

- انظر إلى سمعته، طويل القامة...

فقطاعه ضابط آخر:

- الأسرة كلها طوال من أول أحمد الغرباوي وحتى سعيد الزامل.
قال الضابط الأول ضاحكا:

- يبدو أنها أسرة الطوال. ثم استكمل وصفه لعلي:

- أبيض الوجه بحمرة خفيفة، عليه سيماء الوقار والحياة.

توقف الضابط برده ثم قال:

- هذا سمعت الإخوان المسلمين...

حرب نفسية من الأول. لا حول ولا قوة إلا بالله... استعنا بك يا رب... نجنا من هؤلاء الظلمة...
{وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} ⁵² ...

قال الضابط:

بماذا تتمتم؟ إياك أن تدعوا علينا.

ضحك الضابط الثاني:

سيدخلك النار بدعاته.

قال الضابط الثالث:

نحن مسلمون وموحدون بالله. والحمد لله.

هز الضابط الثاني رأسه موافقا:

- الإخوان يعتقدون أنهم فقط المسلمون، وسيدخلون الجنة. وبباقي الناس سيدخلون النار.

قال الضابط الأول وهو يغمز بعينيه للضابط الثاني:

- الإخوان غير التكفير والهجرة - ومن على شاكلتهم - من التنظيمات المغفراتية.

قال الضابط الثالث:

- الإخوان لا يكفرون غيرهم ولكن من المؤكد أنهم يعتقدون أن غيرهم من المسلمين (أي كلام)!

فتسائل الضابط الأول:

- أصحح هذا الكلام يا أخ علي؟

لم يرد علي وإنما يظل يردد قوله تعالى: {فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} ⁵³ ...

⁵² الآية 9 من سورة يس

⁵³ جزء من الآية 9 من سورة يس

أجلسوه على كرسي أمم الضابط الأول الذي سأله:
- اسمك؟ وتاريخ ميلادك؟ وعنوانك؟
لم يجبه على، فقال الضابط بغلظة:
- أطرش لا تسمع؟
رد علي بهدوء:
- لا أجيبك حتى أعرف التهمة التي حبست بها هنا.
قال الضابط بعنف:
- سترد على أسئلتي شئت أم لم تشا.
وبغلظة:
- ورأنت مقبوض عليك طبقا لقانون الطوارئ.
ثم أضاف:
يعني لا داعي للتفاسف. ولا داعي لئن تقول: أين إذن النيابة لكي تقبضوا علي؟
أعاد الضابط سؤاله:
- اسمك؟ وتاريخ ميلادك؟ وعنوانك؟
لم يرد. فقام الضابط وضربه على وجهه.
قال علي بصوت مرتفع:
- حسبي الله ونعم الوكيل.
وظل يكررها...
صرخ الضابط:
- "حسبي الله ونعم الوكيل" فيك وفي جماعتك الصالحة.
ثم أردف بفحيخ وببرود شديدين:
- لا داعي لئن نفعل معك ما فعلناه مع طارق وسعيد.
وقال الضابط الثاني:
- أنت طالب في كلية الطب، وعما قليل سيُقال لك يا دكتور. فأجب البيه.
أعاد الضابط أسئلته:
- اسمك؟ وتاريخ ميلادك؟ وعنوانك؟
فرد علي متسائلا:
- أخبروني عن التهمة التي جاءت بي إلى هنا حتى أجيبكم؟
فقرأ الضابط من أوراق أمامه بصوت عال:
علي عبد المنعم السيد صابر، تاريخ الميلاد: 15/9/1975، السكن في 7 شارع عشرة شبرا
مصر، طالب بكلية طب عين شمس بالفرقة الثانية. سكت الضابط قليلا ثم واصل:
ذهب في جولة من جوالات جماعة الإخوان المسلمين إلى القنطرة الخيرية يوم الجمعة 31
مارس 1995 مع أسرته الإخوانية.

- سكت قليلاً ليتأمل أوراقاً أمامه ثم استرسل:

- أبوه: عبد المنعم السيد صابر، كان عضواً في جماعة الإخوان المسلمين، ومات أثناء التعذيب في المعتقل في نوفمبر 1981.

فقال الضابط الثالث بسخرية:

- وسيلوجه ابنه علي عما قليل حتى ينعموا سوياً بالجنة. ها ها ها...

تبسم علي وقال:

- ربنا يدخلنا الجنة جميعاً.

فتساءل الضابط الثالث:

- أتريد أن تحرجنا بدعوك هذه؟

فرد علي:

- إنني أدعو بصدق...

فقال الضابط الأول بهدوء:

- طارق وسعيد تكلما في كل شيء فلا داعي للإنكار.

فتساءل علي:

- أريد أن أعرف تهمتي بالضبط؟

- نحن نتهمك بانضمامك إلى جماعة الإخوان المسلمين. وجماعة الإخوان جماعة سرية، غير شرعية، تعمل على إثارة الفتن والخلاف وتدمير السلام الاجتماعي وقلب نظام الحكم...

ضحك علي وقال:

- الحكم مقلوب أصلاً ويحتاج إلى من يعدل!

فقال الضابط الثاني:

- أجب الباشا ولا داعي للتفاهمة. ولا تجربنا أن نضغط عليك فتعرض لنوبة الصرع.

فسخر علي:

- "جماعة سرية، تعمل على إثارة الفتن والخلاف وتدمير السلام الاجتماعي وقلب نظام الحكم"، هذه أسطوانة مشروخة طالما رددتموها...

ثم أضاف وهو يتبعمه:

- طالما أنكم تتهمنوني بأنني عضو في جماعة الإخوان، فلماذا الأسئلة؟ هل تعتقدون أنني سأقول لكم: إنني فعلًا عضو في جماعة الإخوان؟ وهل يوجد من الإخوان المسلمين من سيقول لكم في يوم ما أنه عضو بالإخوان؟

فقال الضابط بصوت عالي متباهاً ما قاله علي:

- نريد أن تخبرنا عن رئيس أسرتك الإخوانية؟ وأسماء الأخوة في الشعبة؟

وتخبرنا أيضاً عن أعضاء مكتب الشعبة؟ وتخبرنا كذلك عن لقاء الكتبية؟ وأين يتم انعقاده؟ وعن

أعمال الشعبة العامة.

وبهدوء:

-أخبرنا بوجه عام عن كل شيء في الشعبة...

تبسم علي وهو يرد:

وإذا لم أخبرك بأي شيء، فماذا أنت فاعلون؟
رد الضابط:

لن ترك أمك مرة أخرى ولن تراها أنت كذلك وخاصة أنها ليس لها أحد في هذه الدنيا إلا أنت.

قال علي بيقين تام:

-إذن سيكون لفامي مع أمي وأبي عند رب العالمين.

وبقورة:

-و عندئذ سنأخذ حقنا منكم كاملا في يوم يحاسب الله فيه على مثاقيل الذر! {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} ⁵⁴ ...

ثم رتل قوله تعالى بصوته العميق:

{وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْتَجِعِينَ مُفْتَعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرَنُّ إِلَيْهِمْ طَرْفَهُمْ وَأَفِندُهُمْ هَوَاءُ} ⁵⁵ ...

أعجب الضابط بترتيل علي. قال:

صوتك جميل في ترتيل القرآن الكريم.

ثم تسائل بهدوء:

-هل تظن أن الله سيحاسبنا نحن فقط ويترككم؟

نحن ضحاياكم. فحاشا الله أن يسوي بين الجلد والضحية.

فانفعل الضابط:

-الظالمون هم أنت! ألم تسمع، يا أيها الواعظ، أن الرسول محمد -عليه الصلاة والسلام- قال: ((عليكم بالسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي في رأسه زبيبة))؟ ألم تعلم أن الرسول محمد -عليه الصلاة والسلام- قال: ((عليكم بالسمع والطاعة للحاكم المسلم وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك))؟

ألم تعلم أن الانقلاب -بالتنظيمات السرية أو بالمظاهرات أو بأي شكل- على الحاكم المسلم لا يجوز إلا إذا عطل الصلاة ومنعها وجهر بالكفر البواح؟ ألم تعلم أن العمل السري يخالف تعاليم الإسلام؟ والفقهاء والصحابة قد حذروا منه منذ زمن بعيد، وخاصة أن العمل السري هو الذي قد زرع الفتنة في صفوف الصحابة. ولنا في مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه- العلة والعبرة في ترك العمل السري وضلالة وظلمه وفساده...
وبنبرة هادئة:

⁵⁴ الآياتان 7 و 8 من سورة الزمر

⁵⁵ الآياتان 42 و 43 من سورة Ibrahim

-وجمهور الفقهاء قد اجتمعوا منذ قديم الزمن على الطاعة للأمير الذي قد غالب حتى لا تكون فتنة...

كاد علي أن يقول: أتريد أن تعمل لي غسيل مخ كما عملت مخك؟
ثم تذكر بعضا من تعاليم العواصف في الكوكب الثاني التي ركزت على مخالفة العمل السري
لدين الإسلام في الدولة المسلمة...
قال في نفسه:

الضابط عنده حق فيما يقول. ولكن الدولة هي التي منعت العمل العام وأجبرتنا على العمل السري. وقد كان الإخوان قبل الثورة يعملون في النور الباهر...
طبعا، الضابط لم ينتظر ردأ، قام وضرب على بعضا مكهربة...
وقد كان يجب عليه أن يتم نقاشه الجيد مع علي، ولكن العقلية الأمنية الضيقة والجبروت والعنف هم الذين يتحكمون في هؤلاء الضابط...
لم يتأوه على من تقلصات جسده التي أحدثتها العصا المكهربة. وهذا قد أغاظ الضابط كثيرا...

أخرجوا علي لينتظر كثيرا من الوقت خارج حجرة التحقيق ثم دخلوه فسألوه الضابط الثاني:
-هل أنت عضو في اتحاد الطلبة بكلية طب عين شمس؟
فأجابه علي:

-أكيد أسماء أعضاء اتحاد الطلبة في كل جامعات البلد تعرفونها جيدا. وربما عندكم معرفة بماذا يأكلون ويفكرنون...!

قال الضابط بعنف:

-أجب على الأسئلة وإلا سترى ما لم تره في حياتك من قبل...

فرد علي بهدوء:

-لا داعي لأن تلقني في قلبي الخوف...

ثم هتف بيقين وهو يشير بيديه ناحية صوت الضابط:

-بصراحة، أنا لا أخاف منكم ولا من سياطكم...

قال الضابط بغيظ:

-أجب على السؤال.

رد علي بالهدوء نفسه:

-نعم، أنا عضو باتحاد الطلبة باللجنة الثقافية.

-من رئيس اللجنة الثقافية؟ من رئيس إتحاد الطلبة؟ من..؟ من..؟ من..؟

أجابه علي بصدق لأنه يعلم أن أسماء زملائه أعضاء اتحاد الطلبة معروفة جدا في جهاز أمن الدولة، فضلا عن أن موافقة أمن الدولة أساسى لترشيح الطالب لانتخابات اتحاد الطلبة.

سحبوا علي إلى زنزانته ليأخذوه في اليوم التالي إلى الضابط الثالث المسؤول مع الضابطين الآخرين عن هذا الملف. أسمعوا علي شريط كاسيت وفيه يتحدث طارق عن أسرة الغرباوي الإخوانية.

قال الضابط الثالث فرحا:

-ها قد سمعت بأذنيك ما يعني عن الوصف. فتحت بصراحة ولا داعي لئن تلف وتدور.
امتعض على:

-أنتم أجبرتموه تحت التعذيب- على أن يتحدث بما يروق لكم. وهذا دأبكم منذ زمن طويل.
ثم أردف بهدوء شديد أغاظ الضباط الثلاثة غيطا شديدا:
-أما أنا فلا أقول لكم إلا ما قاله سيدنا هود -عليه السلام- إلى قومه: {فَكَيْلُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ} ...⁵⁶

سألوه أسئلة كثيرة عن الكتب التي يقرأها، والمساجد التي يصلى فيها، ولقاء الاثنين الأسبوعي عند جامع الهرجين، ولقاء الثلاثاء الأسبوعي في مسجد الكردي... وعلى صامت لا يجيب... ضربوه بالعصا المكهربة. ونشبووا أظافرهم في وجهه. وضربوه بالأرجل والأيدي. وأطفئوا أعقاب سجائرهم في جسده وخاصة في الأعضاء التناسلية!... وعلى صامت يكتم توجعه وألامه. وصموده العظيم قد أغاظهم كثيرا...

ولما يئسوا منه، سحبوه إلى غرفة جهنم الكهربائية ليمارسوها هوايتهن المفضلة في تعذيب ضحاياهم بجلسات الكهرباء...
وصلوا الكهرباء بأجزاء مختلفة من جسده وخاصة الأعضاء التناسلية المحترقة أصلا من السجائر؛ فانتقض وارتجمج الجسد رجفا شديدا وكادت عظامه ومفاصله أن تنخلع من أماكنها، وفي الوقت نفسه، لم يسمع أي تأوه منه لأن روحه قد صعدت إلى الكوكب الرابع...

⁵⁶ جزء من الآية 55 من سورة هود

عدت الليلة الثانية على خير. الحمد لله. فلا لمس لليد، ولا جلوس على السرير، ولا لمس للكتف... الحمد لله... الحمد لله...

ولكن كيف أكمل بقية الأيام؟ بل ما هي نهاية وجودي الثقيل هنا؟ وكيف أعرف أخبار الأخوة؟
لقد قُبض على طارق وسعيد. هل قُبض على الباقيين؟ وهل أُفرج عنهم أو عنهم؟ تليفونات بيotta كلها مراقبة. من المؤكد أنها مراقبة من الجبابرة الظالمين.
كيف حالك يا زبيدة الآن؟

وكيف حال خالد وسحر؟ وكيف أتصل بكم؟

وكيف حالك يا بهيجة؟ كيف حالك يا حبيبتي؟ قلبي ينقطع من فراقك يا روحي...
لا حول ولا قوة إلا بالله. لقد انقطعت عن الدنيا تماماً. ولا أحد يعرف مكاني الآن، لا بهيجة، ولا زبيدة، ولا جماعة الإخوان، ولا إدارة المستشفى ولا المستوصف الخيري...
على العموم، يكفي أن جهاز أمن الدولة لا يعرف مكاني الآن. أمن الدولة فقط؟ الحمد لله. فلا
أمن الدولة ولا فرع الدولة ولا الجن الأزرق ولا الأحمر يعرفون مكاني الآن... الحمد لله...
أكيد بهيجة يتمزق نيات قلبها عليّ وعلى سعيد. أنا بحبك يا بهيجة. بحبك. بحبك.
بـ جـ بـ حـ أـ كـ

ـ خـ يـ صـ لـ اـ حـ ؟ سـ رـ حـ اـ عـ لـىـ الـ آـ خـ . حـ تـىـ الطـعـامـ سـ رـ حـ اـ عـ هـ .

رد صلاح متلثما:

ـ قـ لـ قـ اـ نـ اـ يـ ، عـ لـىـ زـ بـ يـ دـ . قـ لـ قـ اـ نـ جـ دـ ...

تبسمت ناني وقالت وهي تصوب سهام عينيها العسليتين الواسعتين في عيني صلاح:

ـ زـ بـ يـ دـ فـ قـ ئـ ؟!

تلعثم صلاح أكثر وهو يرد:

ـ وـ خـ الـ دـ وـ سـ حـ .

فرشقت سهام عينيها أكثر، فتبسم قائلاً:

ـ أـ نـ ا~ فـ اـ هـ مـ نـ تـ قـ صـ دـ يـ .

ثم استسلموا للصمت. وبعد تناول طعام الإفطار وأثناء شرب النسكافيه، قالت ناني:

ـ أـ خـ بـ رـ نـ يـ عـ نـ ...

قطط الشيمي كلامها:

ـ قـ بـ أـ نـ أـ خـ بـ رـ كـ ، أـ رـ يـ دـ أـ نـ تـ خـ بـ رـ يـ نـ يـ أـ نـ تـ عـ نـ صـ لـ اـ تـ كـ ؟ لـ قـ رـ أـ يـ تـ كـ تـ صـ لـ لـ يـنـ قـ بـ إـ فـ طـ اـرـ .

فردت ناني ببساطة:

ـ إـ نـ يـ حـ رـ يـ صـ ةـ عـ لـىـ الصـ لـ اـ تـ مـ اـ مـ اـ فـ يـ أـ وـ قـ اـ تـ هـ مـ اـ عـ دـ اـ الفـ جـ رـ إـ نـ يـ أـ صـ لـ يـهـ غالـ بـاـ قـ ضـ اـءـ بـ سـ بـ بـ نـومـ يـ .

ـ مـ تـ أـ خـ رـ .

فتتساءل صلاح مندهشاً:

-ولكن ألا تتعارض صلاتك مع الرقص وما يصاحبه من عري وخلاعة؟
 أخذت ناني شرفة كبيرة من النسكافية. أجاب:
 -الصلاة فرض يا صلاح. الصلاة فرض. أما الرقص وما يصاحبه فضررية ندفعها للشهرة.
 قال صلاح متوجباً من منطقها:
 -ولكن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر!
 وباندهاش أكثر:
 -والبعي!

قالت ناني في نفسها باستغراب:
 سبحان مغير الأحوال. أتعظ الآن يا صلاح؟ أين ليالينا الملاح؟!
 ثم تسأعلت بقوه:
 -ومن ذلك الذي تنهى صلاته عن الفحشاء والمنكر في عصرنا يا صلاح؟
 والله عندك حق يا ناني. فلو كانت الصلاة تنهانا عن المنكر، لكان حال الأمة في أحسن حال،
 وما تحكم فيها أعداء الله والصهاينة...
 ثم تسأعل وهو مقوس لحاجبيه:
 -ولكن أليس الجمع بين الصلاة والرقص فيه تناقض؟!
 فردت بيقين عميق متشعب في قلبها منذ زمن بعيد:
 -الصلاه فرض. وإذا لم نصللي في الدنيا فسنصللي -والعياذ بالله- في جهنم.
 فتسأعل صلاح وهو يوسع من حدقه عينيه:
 -والرقص يا ناني؟ الرقص؟
 فردت بفلسفه:
 معصية أضطررنا إليها لكي نعيش.
 لماذا الإضطرار وقد كنت مدرسة مواد اجتماعية في مدرسة حكومية محترمة؟
 أخذت ناني نفسها عميقاً ثم ردت بصوت متهدج:
 -ألم تكن معنا يا صلاح، ونحن نلف (كعب داير) بأبى بين المستشفىات التعليمية والجامعية
 ومعهد السرطان بدون فائدة؟ فمن أين لنا المال الذي كنا سنصرف به على سرطان البنكرياس -
 الغول المتتوحش- الذي أكل حياة بابا ومزق ما نملكه من حطام الدنيا؟
 لمعت عيناهما بدموع رقة، فتأثر صلاح وقال لنفسه:
 الحمد لله. لقد دخلنا في تراجيديا مأساوية بدلًا من كوميديا وخلاعة تؤديان إلى ما لا يُحمد
 عقباه... إن شاء الله ستعمي هذه الليلة أيضًا على خير... التباشير بدأت من الصباح...
 ولكن والدك رحمة الله من عذاب السرطان وتوفاه بعد عدة شهور من اكتشاف المرض.
 جفت دموعها وهي تقول:

-لقد كنا في عجلة لعمل عملية جراحية لتسلیک القناة المرارية التي انسدت من توحش السرطان
وطغيانه ومبروهه على الأعضاء التي حوله. لا تذكر يا صلاح اصرار عيني أبي وجسمه
وهزاله الشديد؟

-فعلا، كانت العملية عاجلة، والأبواب مغلقة أمامنا إلا المستشفيات الخاصة الكبيرة.

-لم نستطع أن ندبر أكثر من خمسة جنيه، وتكلفة العملية كانت لا تقل عن عشرين ألف جنيه.
وغلقت الأبواب أمامنا تماما إلا باب الرقص.

سكتت ناني ولم تكمل.

قال صلاح بحزن:

-ولكن الحرة تجوع ولا تأكل بثديها!

فردت بسرعة في حدة وانفعال:

-كنا مضطرين يا صلاح. قس هذا الأمر على من ° يأكل الميتة عند الضرورة...

وبضيق:

-وليس الرقص أكلا بالثدي كما تظن.

فقال صلاح ملطفا من التوتر:

-كان الاضطرار هو الذي يسوق الكل إلى عمل أي شيء لإنقاذ والدك من العذاب. ولكن الله كان
بأبيك لطيفا رحيمـا فتوفاه مبكرا قبل أن ينهش فيه السرطان أكثر. وتوفـت أمكـ بعدـ بشـهـورـ كـمـاـ
وـحزـنـاـ عـلـيـهـ. فـأـيـ ضـرـورـةـ لـرـقـصـ بـعـدـ ذـلـكـ؟

-طريق دخلناه ومن الصعب العودة منه. من الصعب يا شيمي، العودة من الشهرة والمجد
والمال...

قال صلاح ببساطة شديدة:

-ولكنه طريق للحرام يا ناني.

أتكلـمـ عنـ الحـرامـ الآـنـ؟ـ أـصـبـحـتـ شـيـخـاـ وـاعـظـاـ عـلـىـ آخرـ الزـمـنـ؟ـ وـلـمـاـ لـمـ يـكـنـ الحـرامـ لـهـ وـجـودـ
أـيـامـ الـلـيـالـيـ التـيـ كـنـتـ تـعـبـدـنـيـ فـيـهـاـ وـتـلـهـتـ وـرـأـيـ وـوـ؟ـ!!ـ

ردت ناني بقوـةـ:

-الفن ليس بحرام. الحرام هو عمل الذنوب والآثـامـ.

فتـسـأـلـ صـلـاحـ باـسـتـغـرـابـ مـنـفـعـلـ:

-إـذـاـ لـمـ يـكـنـ العـرـيـ فـيـ الرـقـصـ لـيـسـ بـحرـامـ،ـ فـمـاـ هـوـ الحـرامـ يـاـ نـانـيـ؟ـ

وبـنـفـاؤـلـ:

-أـلـمـ تـسـمـعـيـ عـنـ الـفـنـانـاتـ التـائـبـاتـ فـيـ الـفـرـةـ الـأـخـيـرـةـ؟ـ

انزـوـتـ اـبـتسـامـةـ سـاحـرـةـ عـلـىـ جـانـبـ فـمـ نـانـيـ وـأـجـابـتـ:

-الـفـنـانـةـ أـمـيـنـةـ رـزـقـ قـالـتـ إـنـ هـوـلـاءـ الـفـنـانـاتـ التـائـبـاتـ لـابـدـ أـنـهـنـ تـائـبـاتـ مـنـ ذـنـوبـ وـفـوـاحـشـ.ـ أـمـاـ
الـفـنـ فـلـيـسـ بـحرـامـ حـتـىـ تـنـوـبـ مـنـهـ.

فـسـأـلـهـاـ صـلـاحـ فـاغـرـاـ فـاهـ:

-وتعرية الجسد في الفن أليس بحرام؟ والرقص أليس بحرام؟ الأحضان أثناء التمثيل أليست بحرام؟ والقبلات أليست بحرام؟ والنوم في السرير مع رجل أجنبي وتمثيل اللقاء الجنسي أليس بحرام يا ناني؟

سمع صلاح صوت ضميره أو قلبه وهو يقول له:
وجودك تحت سقف واحد في خلوة مع امرأة أجنبية فاتنة بدون حرام لها، حلال؟!!...
كتم صلاح الصوت وسد منافذه بكل قوة... .

أجبت ناني بحزم:
- لا أقول لك إنه حلال، ولكن اعتبره من صغائر الذنوب.
ثم قالت في نفسها:
حتى العمل القومي ليس بذنب كامل، ولكنه شبه معصية. وهو ضرورة لاستمرار الشهرة والمال والمجد... .

وبعد احتسأء النسكافية، قالت:
- أنا عملت سونار وأظهر توسع في الشريان الأورطي في الجزء المار بالبطن.
واردفت:

- مع أنني لاأشعر بأي أعراض.
وتنهدت:

فهل توجد مشكلة أو خطورة على؟
تبسم صلاح مجيبا:
يحتاج إلى متابعة وإعادة السونار كل فترة وتجنب الرياضة العنيفة.
وضاحكا ساخرا:

- وبصراحة الرقص الشرقي والغربي عبارة عن رياضة عنيفة.
- ربنا يستر.

ثم استأننت صلاح للذهاب إلى عمل قومي جديد...
فسألها صلاح باستغراب بصوت مرتفع:

- إيه حكاية العمل القومي هذا؟!
فأجبته وهي تهم بالذهاب:
- هو عمل نعتبره ضريبة للشهرة أيضا... .

-60-

صعدت روح علي عبد المنعم إلى الكوكب الرابع فوجدت أعدادا لا نهائية من أرواح المؤمنين الشاهدين لمعركة حربية حامية الوطيس تدور رحاها بين معسكر الإيمان ومعسكر الكفر ويتصاعد غبارها ليسد أفق الكوكب...

قالت الروح في ضيق:

-إن قوة جيش الكافرين أقوى وحصونهم أكثر تحصينا.

فهز المعلم رأسه مؤكدا:

-فعلا، جيش الكافرين أشد تحصينا، ومع ذلك فمن الممكن أن ينهزوا بسبب الروح المعنوية العالية لجيش المؤمنين.

ثم هتف: يا علي، إن المؤمنين مطالبون بإعداد القوة. أما النصر فهو من عند الله. ابتهجت روح علي وهي تنظر إلى ترنيح معسكر الكفر تحت ضربات ورميات سواعد المؤمنين الفتية...

فر الأعداء مهرولين واكتفى معسكر الإيمان بذلك.

هتفت الأرواح الشاهدة للمعركة في صوت هادر رهيب: -الله أكبر... الله أكبر...

قال المعلم: -هذه الأرواح الشاهدة للمعركة، لا يراها ولا يسمع أصواتها أحد إلا بإذن الله. وبجدية شديدة:

- يا علي... إن هذا القائد العظيم بنا أمة موحدة من عدم، لقد قضى على الوحش الذي كان ينهش في روحها... لقد بنا قوة عسكرية خرج بها من نصر إلى نصر، حتى أسس دولة مرهوبة الجانب في زمن قصير جدا... إن تأسيس هذه الدولة في زمان قصير جدا حير الباب العالم كله. ولقد تساءلت الأمم منذ قرون وتستظل تتساءل إلى نهاية الدنيا: كيف تقوم أمة -كانت متناحرة متفرقة- لا وزن لها في حساب الأمم- بالقضاء على أعظم أمم الأرض في ذلك الوقت؟!... تأمل المعلم القائد العظيم وهو في عريشه ثم استكمل: -لقد امتد سلطان هذه الأمة حتى دانت لهم الأمم جميعا ...

ثم واصل بحماس: -لقد تكونت لهذه الأمة دولة عظيمة لا تغيب عنها الشمس في فترة زمنية لا تزيد عن ثمانين سنة... .

قالت روح علي: "إن الروم والفرس أسسوا إمبراطوريتهما في قرون".

ثم نظرت في ساحة المعركة وتساءلت:

-لماذا لم يطارد المؤمنون الكافرين ويقضوا عليهم أو يأسروهم؟

فأجابه المعلم بامتعاض: "لقد شغل المؤمنون أنفسهم بجمع غنائم المعركة!"

وبحزن: "وطالما قد اشغل أي جيش بجمع حطام الدنيا؛ فطبقاً لسفن الله، ستربح كفة الأقوى".

نظر المعلم وروح علي وأرواح المؤمنين المهولة العدد في حسرة وهم يشاهدون الجنود يتزاحمون ويتصايحون ويختلفون في جمع الغنائم...

قال المعلم بأسى:

-طالما أن الجيشين تساويا في الحرص على الدنيا، فلا بد أن ترجح كفة الأقوى للأسف.

فتساءلت الروح في فلق:

-هل سيهزم جيش المؤمنين في هذه المعركة بعد انتصارهم؟

رد المعلم بصوت اليقين التام:

سنة الله لا تتبدل ولا تتغير.

فقالت الروح في اضطراب:

-حتى أفراد الوحدات التحصينية قد تركوا مواقعهم وانكبوا يلهثون في جمع غنائم المعركة مع بقية الجيش...

ثم صاحت في ضيق:

-انظر يا معلم، لقد حدثت ثغرة في جيش المؤمنين وهم مازالوا مشغولين في صراعهم على الغنائم.

فتضاعيق المعلم:

-هذا الهوان قد تكرر كثيراً منذ فجر التاريخ. وللأسف، وسيتكرر كثيراً إلى أن تقوم الساعة...

انكب الأعداء خلال الثغرة يقتلون ويسفكون دماء المؤمنين مدراراً ويمثلون بجثثهم...

بكى المعلم، وبكت روح علي، وبكت أرواح المؤمنين، وهم يشاهدون آلة القتل وهي تحصد أرواح المؤمنين حصداً...

قالت روح علي:

-لقد رجحت كفة الكافرين فعلاً، وانهزم المؤمنون. وحسرتاه على جيش المؤمنين.

ثم تسأّلت:

-يا معلم، هل سنظل ننفرج بلا عمل إيجابي؟ ألا نتدخل مع هذه الأرواح الlanهائية العدد لنغير من نتيجة المعركة؟؟

-إن دور هذه الأرواح في هذه المعركة لا يتعدى دروس العزيمة والاعتبار حتى لا يتكرر ما يحدث أمامنا حين ترتدي الأرواح أجسادها في عالم الشهادة.

وبمرارة:

-وللأسف سيتكرر...

فقالت الروح بحرارة:

-إن الدماء سالت أنهاراً يا معلمي. لابد أن نفعل شيئاً. لابد أن نفعل شيئاً ...

ثم صرخت:

-لابد أن نفعل شيئاً ... لابد أن نفعل شيئاً يا معلم...

وتسأّلت:

-أليست الأرواح تملك حرية الحركة؟ أليست لدى الأرواح قوة أشد من الأجساد؟ أليست الأرواح مخلوقة من النور مثل الملائكة؟ أليست للملائكة قوة بخش رهيبة؟ إذن للأرواح قوة الملائكة نفسها. فلماذا نظر هكذا عاجزين ونحن نرى أرجل الكافرين تغوص في دماء المؤمنين؟

رد المعلم في هدوء:

-هذه الأرواح لا تُكلِّف إلا في عالم الشهادة حين تنزل إلى الدنيا في أجسادها. يا معلم، ألسْت أنا على عبد المنعم السيد صابر مكلف الآن في عالم الشهادة؟ أليس جسدي الآن معتقد في مبنى أمن الدولة؟

-أنت الآن في عالم الغيب. وهذه الأحداث التي نراها الآن قد حدثت منذ مئات السنين قبل أن تُولد يا علي. ولقد تداخل الزمان كما قلت لك من قبل. الماضي هو الحاضر، والحاضر هو الماضي...

نظرت الروح إلى القائد في خوف شديد...

ثم قالت بفزع وهلع وهي تنظر إلى القائد: -من المؤكد أنهم سيتجهون إلى القائد ليقتلوه ليعلنوا انتصارهم...

قال المعلم بحزن: -هذا القائد هو أعظم قائد في التاريخ البشري كله. فهو لم يكتف بالتخفيط مع كبار الضباط للمعركة، بل نزل إلى ميدان المعركة ليكون قدوة للجيش كله. وستأتي معارك على مدار التاريخ لا يتعدى دور القائد فيها إلا أن يكون ظاهرة صوتية أو بطلاً من ورق!...

صرخت الروح: -انظر يا معلم، إن جيش العدو يعمل آلة قتله المروعة في وجه وجسد القائد...! لقد انكبت أسمهم أعداء الله على القائد من كل جهة؛ قريبة وبعيدة، منخفضة ومرتفعة، من خلفه ومن أمامه، من فوقه ومن تحته... أسمهم حادة مسمومة... أسمهم حادة مسمومة متعددة... لقد انكبوا على القائد ليقتلوه... ومصيّبته... ومصيّباته...

ثم هتفت بنحيب:

-إن هذا القائد هو الرمز. هو الرمز. وإذا قُتل فستفهم الأمة كلها...

فهتف المعلم في يقين:

لن يُقتل القائد مهما كثُرت الأسماء المسمومة المصوبة عليه لأن الله يؤيده. لن يُقتل أبداً...

وفي حماس شديد:

-إن فمه يخرج منه سيف حاد يضرب به الأمم. ويحكمهم بعاصاً من حديد. ويدوسهم في معصرة سورة غضب الله العظيم على كل شيء...

ثم بكى وهو يقول: "ولكن يجب علينا أن نشارك في شرف الدفاع عنه".

بكـتـ الأـرـوـاحـ جـمـيـعـهاـ بـنـحـيـبـ رـهـيـبـ وـهـيـ تـرـىـ الـأـعـدـاءـ تـعـمـلـ آـلـهـ قـتـلـهـاـ فـيـ القـائـدـ هـنـفـتـ فـيـ صـوـتـ وـاحـدـ رـهـيـبـ: -إـلـاـ القـائـدـ إـلـاـ القـائـدـ إـلـاـ القـائـدـ...

وانكبت تدافع عن القائد بكل ما أوتيت من قوة...

واندفع المعلم وروح علي ليذودا عن القائد بكل قوة وهمما يبيكان...

-61-

الحمد لله. عدت الليلة الثالثة على خير. أخشى أن أحسد نفسي. أخشى أن يغلب الطبع. رجل وامرأة فاتنة -ماعدا جزء بسيط من الوجه- بمفردهما في قبلاً فاخرة أو في الحقيقة في قصر فاخر، بماذا تتوقع؟! والخادمة قد صرفتها قبل مجئي، ولن تعود إلا بعد مغادرتي المبهمة والغامضة التوفيق. ولا يوجد إلا البواب وفرد الأمن، وهما يعيشان في الحجرة الخارجية بجوار البوابة ولا يدخلان. والبواب رجل مسن، وهو الذي يحضر الطعام ويقدمه وهو على الباب ولا يدخل إلى الداخل أبداً. وفرد الأمن، (البودي جارد)، الرجل البغل، أو البغل الرجل، شيء عجيب في هذا القصر... أظن أن وزن جسمي كله لا يزيد عن وزن ذراعه. بماذا يُعلق هذا البغل كل يوم؟ الحمد لله أن هذا البغل موجود. فلو حدث لناني أي رغبات أو نزوات في فترة وجودي هنا، فالبغل يكفي ناني وكل نساء البلد! ثور بشري أو فعل بشري، ليس له دور في الحياة إلا التلقيح بعد أن يُعلق العلف الدسم. وهو أيضاً لا يدخل إلى هنا ويظل قابعاً في غرفته على البوابة الكبيرة مع البواب. وإن كنت قد رأيته من قبل، ولكن لا أدرى أين؟ رأيته أين يا شيمى؟ لا أدرى. ولكنى رأيته منذ سنوات بعيدة. أين رأيته يا شيمى؟ في حفلة الزفاف؟ العلم عند الله... .

أنت ناني إلى الصالة الكبيرة بتتورة طويلة بها فتحات تبرز مفاتن ساقيها المكتنزين واللذين يكادان أن يصرحاً ويتمدداً ويفتقاً التتورة الكاتمة على أنفاسهما... .

صرخ صلاح في نفسه:

يا للهول! ما هذا؟! ما هذه التتورة؟! طويلة ولكن؟ آه... آه!... هذا اليوم وليلته أظن أنها لن يمرأ بسلام. تباشير الليلة تبدأ من الصباح. ويبدو عليها أنها لن تذهب اليوم إلى أي مشوار ولا إلى أي مهمة قومية... .

صباح الخير يا صلاح.

صباح الخير؟! أي خير سيأتي اليوم؟! هي بداية النهاية قد حلت بمجئك بهذه التتورة الخليعة... أين الملابس المحتشمة بالنسبة إلى هذه التتورة- التي كانت في اليومين الفائتين؟ هو حيوان الشهوات الهاجع في دياجير نقوسنا لابد وأن يستيقظ اليوم. حيوان ابن كلب! حيوان إذا أثير لن يوقفه أحد... .

امرأة + رجل + تتورة تكشف أكثر ما تستر + خلوة في قصر فاخر + أطعيب أطعيب الطعام + ماضي مشترك غير مشرف = ???... معادلة من الدرجة السادسة!... ها. ها... .

صباح الخير يا ابتهال.

بصراحة لا يليق هذا الاسم الوقور مع هذه التتورة! الأفضل صباح الخير يا ناني. يا

ناني الننيون... ها ها ها... .

-اليوم تبدو أكثر انتشاراً.

ولماذا لا أكون منشراً ونحن سائران إلى نهاية الطريق المرسوم بكل دقة؟ سيخرج الحيوان المارد من قمقمه عما قليل. سيخرج ابن الكلب. سيخرج الثور الهاجع ولن يستطيع أحد في هذه الدنيا أن يُوقف تمرده وإثارته وهياجاته... .

وأشار صلاح إلى التنورة بيديه وتساءل صاحباً:

-ألا تدعوا هذه التنورة إلى الانشراح؟!

ضحك ناني قائلة:

-اليوم حار نسبياً.

قال صلاح فاغراً فاه:

-أي حر هنا مع التكيف المركزي للقلة كلها؟ على العموم، هذه التنورة هي التي تناسب الحر وخاصة أن بها فتحات تهوية كثيرة (رادياتير تنوري)!

ضحك ناني وقالت:

-أنت كبرت، يا صلاح، على التأثر بهذه الفتحات. لقد ولى زمن المراهقة يا رجل. فيما مضى كنت لا تستطيع أن تصبر دقيقة واحدة على فتحة واحدة من هذه الفتحات...

أتريدين أن أثبت لك أنني لست كبيراً وأستطيع أن أقوم بالواجب الآن؟!

-ولكن هذه الفتحات كثيرة جداً، فكيف أستطيع أن أصبر الآن؟

تبسمت ناني قائلة:

يا شيمي، أنت مشغول بحبيبة القلب الجديدة. فلن تتأثر بأي إغراء.

ضحك صلاح:

-ولكن عيار اليوم ثقيل جداً. سيؤدي -حتماً- إلى كهرباء ذات ضغط عالي!

وبصرارخ:

-وصاعقة!!...

ثم استرسل صاحكاً:

-أنسيتي أننا كنا حبيبين لسنين طويلة.

ثم أصلح من خطأه، فقال بسرعة:

ومازلنا!

أتضحك على يا شيمي؟!

-أين ذلك الحب يا صلاح؟

في القلب يا حبيبتي.

دق قلب ابتهال وتهدج صوتها، وقالت:

-أول مرة تقول "يا حبيبتي" منذ أكثر من عشر سنوات.

تغير صوتك واضطرابك يدلان على استمرارية حبك بعد كل هذه الأعوام من القطيعة...

قال صلاح بلسانه دون قلبه:

-الحب لا يموت يا حبيبتي. الحب كالشجرة جذورها في أعماق القلب وفروعها في السماء.
ولكن؟

زم شفتنيه أسفًا، ثم قال بلهجة حزن اصطناعية:

-ولكن لم يكن لنا نصيب لنتزوج...

تساءلت ناني في نفسها بمرارة:

كيف سنتزوجني يا شيمي، وقد أخذت مني كل شيء؟ المرأة التي تعطي كل شيء لحبيها بدون زواج، كيف تتزوج من ذلك الحبيب؟!...

يا حبيبتي، أليس من الأفضل لنا أن نتزوج؟

كيف سنتزوج يا حبيبتي، وأنت تعرفين ظروفي المادية؟

-عملني في الملحق الليلي يكفي الزواج ويزيد.

من الذي سينتزوج الثاني يا حبيبتي؟ مئونة الزواج على من؟

-ألم نقل لي إنك على وشك السفر للعمل بالسعودية وبالتالي ستتحسن أحوالك المادية؟

-أكيد بعد السفر سنتزوج يا حبيبتي.

يا صلاح، نتزوج الآن بدون (دخلة) على الأقل.

كلها فترة بسيطة وسأرسل لك تأشيرة استقدام.

بأي صفة ساتي لك؟

بعد أول ستة أشهر من العمل سأرسل لأبي ليعد الزواج كوكيل عنِّي...

وعدتُ الستة أشهر الأولى والستة أشهر الثانية، وعدتُ يا صلاح في أول أجازة لك، ووُجِدَتْ

معي زبيدة التي كانت صديقة وزميلة في مدرسة الترعة فيما مضى، وعرفتك بها صدفة.

وتزوجتها في الأجازة نفسها قبل أن تعود للسعودية. وتأشيرة الاستقدام كانت لزبيدة!...

استسلمت ناني للصمت واجترار الذكريات...

بينما قال صلاح لنفسه:

واضح أن حب المرأة أكثر إخلاصاً من حب الرجل... بمجرد قولي "يا حبيبتي"؛ تهدج صوتك،

واضطربت، وغرقت في صمت عميق...

تساءل صلاح ليبدد الصمت الذي لا يريد أن يتوقف:

-أين أنت يا ناني؟

ثم أردف صاحباً مرحًا ليخرجها من اضطرابها:

-أخبريني عن زيجاتك الكثيرة.

عادت ناني من اجترار الذكريات ورددت بحزن:

قلت لك إنها زيجات فاشلة تماماً.

ولم يا ناني؟

- لأنها زيجات براجماتية.
تبسم صلاح قائلاً:
يعني زواج صالح.
خرجت ناني من ضيقها واضطرابها وحزنها وقالت بسخرية:
وبعض تلك الزيجات كانت عن حب.
حب متبادل؟

أجبت بجدية وبقين عميق: -قلت لك إن قلبي لم يفتح إلا لصلاح...
شعر صلاح بالحرج الشديد ولم يجد كلاماً.
استطردت: "ألم يقل الشاعر: إنما الحب للحبيب الأول".
وعبست:

-وقلت لك من قبل: إن حب الرجل لا يتعدى اللقاء الجنسي، وهذا ينطبق تماماً على منْ أدعى
أنه تزوجني عن حب.
ثم قالت في سرها:
وينطبق عليك أيضاً ملأسفـ يا شيمي! ولكنك الآن زاهد في حتى في اللقاء الجنسي!!...
قال الشيمي ضاحكاً:
لقد سرت إشاعة أن أحد الزعماء العرب المدعوم الصحة تزوجك سرا وأعطاك طنا من الذهب
كمهر. فما صحة ذلك؟
تبسمت ناني وهي تجيب:
ـ فعلـاـ، لقد تزوجته سراـ.
وضاحكة:

ـ لقد كانت تأتي لي طائرة خاصة يوم الخميس من كل أسبوع.
ـ ثم اتسعت ضحكتها وقهقهتها وهي تواصل:
ـ بعد الطائرة الخاصة والسفرـ، لم يكن يزيد عن تحسس أماكن معينة في جسمي.
ـ فانفجر صلاح ضاحكاً وقال:
ـ كفـاهـ ذـلـكـ!
ـ ثم أردـفـ:
ـ معـ الـعـلـمـ، أنهـ لوـ أـكـمـلـ جـمـاعـاـ وـاحـدـاـ معـكـ لـذـهـبـ إـلـىـ مـثـواـهـ الـأـخـيرـ!

ـ فـقـالـ صـلاحـ ضـاحـكاـ:ـ "ـكـانـ اللـهـ فـيـ عـونـهـ".ـ
ـ فـقـسـاءـلـتـ ضـاحـكاـ:ـ "ـلـاـ أـدـرـيـ كـيـفـ كـانـ يـدـيرـ مـلـكـتـهـ؟ـ"ـ
ـ فـرـدـ صـلاحـ مـقـهـقاـ:
ـ أـكـيدـ مـنـ غـرـفـةـ الـإـنـعاـشـ...ـ

-62-

لقد طال اللغط والجدال في مستشفى الحوض المرصود حول الغياب المفاجئ للدكتور صلاح الشيمي والدكتور عماد الدسوقي...
يا دكتور أحمد، لقد طالت غيبة صلاح الشيمي وعماد الدسوقي. فما الأمر؟

رد الدكتور أحمد حزيناً:

-لقد سمعت أن المدير يقول إنهم معتقلان في جهاز أمن الدولة!...
فغر الدكتور حكيم فاه. قال: "أمن الدووو...!".

ثم تتمم: "إذن اللغط الذي سمعناه صحيح".
وهامساً: "ولماذا؟"

-الشيمي والدسوقي من الإخوان المسلمين.
قال حكيم متدهشاً: ولكن لا يبدو عليهما أي شيء.
استغرب الدكتور أحمد وتساءل:

-وهل الإخوان المسلمون مكتوب على جيابهم إخوان؟!
ولكن كيف عرف المدير بذلك؟

رد أحمد بصوت خفيض:

-أنسيت يا حكيم، أن المستشفى بها طبيب عميل لجهاز أمن الدولة!...
ثم وهو يخفض من صوته أكثر:

-وكل المستشفيات في المحروسة، وكل المصالح الحكومية والجامعات، بها عملاء لأمن الدولة.
ثم أضاف وهو يخفض من صوته أكثر وأكثر:

-والاحزاب، والهيئات، والمؤسسات، والجمعيات، والصحف القومية وغير القومية، والصحف
الحزبية وغير الحزبية، والإذاعة والتلفزيون.

ثم واصل:

-ربما أيضاً في الجمعيات التعاونية الاستهلاكية وغير الاستهلاكية!...

وأخفض من صوته تماماً وقال هاماً:
-ربنا يجعل كلامنا خيفاً عليهم.

فتبس حكيم قائلاً:

-آمين... آمين...

وزم شفتيه ضيقاً:

-لقد أصبحوا دولة داخل الدولة...

-هم مراكز القوى الجدد...

-ومن هو عميلهم هنا بالمستشفى؟ وهل هو طبيب فقط؟ أم هو موجود بين كل فتة من فتات
المستشفى؟!

وواصل:

-أو يكون من شلة الدكتور سليم؟ أم يكون الدكتور سليم نفسه؟!...

تيسم الدكتور أحمد، وأجاب:

-الله أعلم. وربما يكون أكثر من واحد. فالأطباء عليهم طبيب رقيب عتيد. والفنيون عليهم فني.

والمرضات عليهم ممرضة. والموظفو عليهم موظف!...

ثم ضاحكا:

-وربما يكون أحد العملاء مرصودا على عم محمود ومقصفه.

ثم ضحك صاحبا:

-وربما يكون عم محمود نفسه عميلا لهم.

قال حكيم ضاحكا:

-لا نستبعد أي أحد حتى أم حنفي نفسها.

ثم هامسا:

-الله يخرب بيتهم.

يخرّب أو يعمر بيتهم، نحن لا يهمنا. ولكن علينا الحذر في كلامنا.

نظر حكيم إلى أعلى حيث غصون شجرة الصفصاف العتيقة ثم قال:

-أخشى أن يكون فوقنا جهاز تنصت!

تيسم أحمد ساخرا وقال:

-أكيد. أليس المنتدى السياسي للمستشفى هنا تحت الشجرة العملاقة؟ وأظن أن أجهزة التصنّت

موجودة كذلك في حجرة النمية، أقصد حجرة الأطباء.

وبمرارة:

-على العموم، النظام الحاكم لا يهمه كلام المعارضين.وها هي صحف المعارضة تصرخ بلا فائدة.

فتتساءل حكيم:

-وماذا يهمهم إذن؟

-ألا تكون عضوا في أحد الأحزاب المعارضة إلا الأحزاب المستأنسة: كحزب قراءة الكف والفنجان، وحزب الدعوة إلى عودة الطربوش، ولا تكون عضوا في تنظيم سري كالإخوان المسلمين.

ضحك حكيم.

فقهه أحمد:

-أقصد الإخوان المسيحيين!

ركن الدكتور سليم سيارته. ولم يذهب كعادته صباحا إلى مكتبه، ولكنه سلم على أحمد وحكيم ثم سحب كرسيها وجلس قائلا:

-ألا تقضا اجتماع حزب الشجرة الصباغي بعد الأحداث الأخيرة؟

تبسم أحمد وحكيم. قال حكيم:

تسمية خضراء جميلة لحزبنا. ولكن ما هي الأحداث الأخيرة؟

فأجاب الدكتور سليم:

-لم تسمعوا عن سبب اختفاء صلاح الشيمي وعماد الدسوقي منذ عدة أيام بدون تقديم أجازة؟

ثم أشار بيديه إلى أحمد فائل:

-أكيد الدكتور أحمد أخبرك.

فرد حكيم: "الخبر اليقين عندك يا سيادة المدير".

قال سليم: "الدكتور عماد محبوس في أمن الدولة على ذمة انضمامه لجماعة الإخوان المسلمين". أما الدكتور صلاح فقد هرب والأمن يبحث عنه. وربما تستدعي المباحث أطباء المستشفى الذين لهم علاقة بهما أو بأحدهما للتحقيق.

ثم أشار إليهما بيده: "وأخشى أن يتحقق معكم لأنهما يجلسان هنا في حزبكم الشجري".

تضاريق أحمد:

-يتحققوا أو لا يتحققوا، لا يهمنا. فلا علاقة لنا بهما سوى الزملاء في المستشفى.

وتساءل حكيم مندهشاً: "وما علاقتي بالإخوان!؟"

تبسم سليم وأجاب:

-ربما يسألونك عن مكان اختفاء الدكتور صلاح.

ارتسمت علامات الدهشة على وجهي حكيم وأحمد ولم يعلقا. حلق الصمت العميق حولهما...

بعد قليل، بدد سليم الصمت:

- علينا أن ننتبه في هذه الأيام.

قال حكيم:

-أنا غير مقنع بعلاقة الدكتورين بالإخوان، ولم يظهر عليهما أي سيماء لجماعة الإخوان.

والدكتور صلاح لا علاقة له بالسياسة أصلاً.

هز أحمد رأسه موافقاً:

-صلاح فعلاً، لا علاقة له بالسياسة. فهو -أحياناً- يحدثنا عن الاقتصاد الإسلامي. أما عماد

فمشغول في تجارة السيارات حتى يستطيع أن يتحمل مصاريف دراسة الماجستير.

فقال سليم:

-ربما يكون الأمن عنده معلومات أكيدة.

فتسأله حكيم في مكر: - ومن الذي أخبرك بهذه الأخبار؟

أجابه سليم متبايناً:

-ألم أقل لكما ولكل أطباء المستشفى حينما تغوصون في أحاديث السياسة: إن الحيطان لها آذان!

وهاماًساً:

-المستشفى الآن تحت المجهر...

-63-

في مساء اليوم الثالث، جلس صلاح الشيمي في حجرته يحمد الله أنه لم يقع في المحظور حتى الآن...
أحمدك يا رب... الشكر لك والفضل لك... خرجنا من مرحلة التتورة الخليعة على خير...
انكمش حيوان الشهوات الثائر ولم يخرج من مكمنه... الحمد لله... ما أحلى طعم الانتصار على
هذا الحيوان الغبي... الحمد لله...
الحمد لله...

وبعد قليل، سمع صوت موسيقى راقصة صاحبة، ففتح باب حجرته فوجد ناني ترقص في
الصالات الفسيحة وعلى رأسها شمعدان.
قال في نفسه:

أعوذ بالله. أنا قلت في الصباح إن هذه الليلة لن تمر على خير! التبشير بدأت من الصباح.
التبشير بدأت من خلاعة التنوره. وصلنا للمحطة الأخيرة. لا حول ولا قوة إلا بالله...
تساءل مازحا:

ـما هذه العظمة؟ هل هذه الرقصة من أصول الضيافة؟
ثم صاحبا:

-ألم تتوقف عن الرقص الشرقي؟

أجابته نانى وهي تتمايل وتنثنى وتضحك:

-هذه بروفة لرقصة "موج البحر" مع الشمعدان في الفيلم الأخير.

شعر صلاح بإثارة جنسية وهو يشاهد التمايل والعربي والفتنة، فقال في نفسه:

أوج المتفقون أدمغتنا بأرائهم في الرقص الشرقي الذي يعتبرونه فن ولغة الجسد العظيمة. فليأتوا الآن ليروا الفن على أصوله. هو فعلاً فن، ولكنه فن موقظ لكل شيء هاجع!...

ألفت ناني عصاة العجوز إلى صلاح فتلقاها بيديه، وأشارت إليه أن يتبعها راقصاً هو

بشعور الفراشات التي تطير حول النار لتأقى حتفها بداخلها؛ فأسرع إلى المطبخ، وأشعل عود التقابل، وغرس أصبعه في شعلة نار الموقد وسمع شقشقة إصبعه وهو يحترق، فقال في نفسه وهو يتآلم ألمار هبيا:

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: نار الدنيا أخف من نار الآخرة بسبعين مرّة

ثم عاد إلى حجرته وجمع أغراضه واندفع خارجا من القيلا بلا رجعة ...

-64-

ترك صلاح الشيمي قلة ناني وذهب إلى أهله بالريف حتى استقرت الأوضاع وتوقف السؤال والبحث عنه وخرج إخوانه من المعتقل. وفي أول لقاء لأسرة الغرباوي الإخوانية بعد الخروج من المعتقل، رحب آل الغرباوي بصلاح بعد عودته من غيابه مجهولة المكان... أشع الغرباوي ابتسامته المشرقة في وجوه الأخوة:

-هذا أول اختبار لنا ليمحص الله إيماننا ويستخرج مما أعلى درجات الصبر.

فرد عليه أكثر من أخ:

نسأل الله الثبات دائمًا.

اتجه عماد الدسوقي برأسه يميناً ناحية صلاح الشيمي وقال:

-لقد كنا خائفين عليك يا دكتور صلاح، وخاصة أننا عدنا من المعتقل وأنت ما زالت غائبة ولا أحد يعرف مكان اختفائك.

فرد صلاح:

-أنا أمري سهل. المشكلة في اعتقالكم أنتم.

قال الغرباوي:

-لقد كان أهلك يأتون إلى أهلي دائمًا لمعرفة أي أخبار جديدة عنك، وكانوا خائفين عليك جدا.

وتساءل سعيد:

ولماذا لم تتصل بأهلك لتطمئنهم عليك؟

فرد صلاح:

كنت أخشى أن يكون تليفون البيت مراقبا.

هز الغرباوي رأسه موافقاً:

-عند حق يا أخي صلاح، فتليفوناتنا من المتوقع أنها كانت مراقبة وستظل مراقبة فترة.

ومحذراً:

-وانتبهوا يا أخوة، فالهواتف يكون مراقبا حتى بدون اتصال!

فتسأله سعيد:

بماذا تعني يا شيخ أحمد؟

-أعني أن التليفون طالما به الحرارة، فإن الأمن يستطيع سماع الحديث الدائر بجواره والسماعة مغلقة.

فدعوا علي:

-ربنا ينجينا منهم.

-آمين...

قال إسماعيل متھلاً:

-حمد الله على سلامتنا جميعاً يا أخوة.

أو ما سعيد برأسه يمينا قليلا ناحية علي عبد المنعم قائلا:
لقد خشينا على الأخ علي حينما أصيب بتشنجات عدة مرات في الزنزانة.

قال عماد الدسوقي متهمسا:

-لابد وأن نعمل تخطيط مخ لك يا علي. لابد.

قال الغرباوي:

-إن شاء الله.

قال علي عبد المنعم في نفسه:

ماذا أقول لكم يا أخوة؟ الحقيقة التي لا تعرفونها أنني ليس عندي صرع.

قال صلاح الشيمي:

-السبت القادم إن شاء الله، نعرض الأخ علي على الدكتور كامل إسماعيل أستاذ الأعصاب بطب عين شمس.

فصرخ علي في سره:

صدقوني لست في حاجة إلى أي فحص...

طال الوقت ولم يأتي طارق عمر، فسأل الغرباوي وأكثر من فرد الأخ سعيد عوض عن سبب غياب طارق؟

فأجابهم:

للأسف بعد خروجه من الحبس، أخبرني أنه قد قطع صلته بجماعة الإخوان بصفة نهائية.

فضدم الأخوة وبهتوا...

قال إسماعيل عبد الفتاح حزينا:

نسأل الله الثبات. الفتنة تزلزل الإنسان زلزاً شديدا...

وقال الغرباوي بقوه:

-والفتنة تجعل الحليم حيرانا. ولكن لابد من تقوية مناعة إيماننا بالطاعة والعمل الصالح والدعوة إلى الله -عز وجل- حتى نعبر المحن بسلام.

وقال علي بيقين:

-من سنة الله الابتلاء في الدعوات. وربما يكون طارق واقعا الآن تحت مطارق صدمة وفاة والدته.

فدعوا جميا:

-الله يرحمها رحمة واسعة.

قال إسماعيل:

-الرسول عليه الصلاة والسلام قال: ((كان الرجل فيمن قبلكم كان يؤتى فيشقا بالمنشار نصفين فلا يتزعزع عن دينه)).

ودعا عماد:

نسأله الثبات.

فرددوا:

-آمين... آمين... آمين...

كان سعيد هو أكثرهم حزنا على ترك طارق عمر لجماعة الإخوان المسلمين، لذلك قال

لغرباوي في حزن:

-ولكن لابد، يا أستاذ أحمد، أن تزوره وتناقشه حتى يعود مرة أخرى إلى صفوف الجماعة.

فرد الغرباوي:

-إن شاء الله سأزوره غدا بعد صلاة العصر. وأرجو منكم، يا أخوتي، ألا تتركوه لشيطانه يفعل به الأفاعيل. فيجب أن تشندوا من أزره في محنته.

ثم نظر إليهم بابتسمة مضيئة وقال:

-والآن يخبرنا كل أخ ما لاقاه في جهاز أمن الدولة ولنبدأ بالأخ سعيد.

حكا سعيد ما حدث له وقال في آخر حديثه:

-لقد قال لي أحد الضباط المحققين بأن أجعل له منصبا مهما في وزارة الداخلية حينما يتولى الإخوان الحكم.

فتساءل الغرباوي:

-ربما يسخر منك ومن الإخوان؟

-لا أدرى جيدا: هل قال ذلك سخرية أم جادا لأنى لم أرى وجهه.

بدأ علي يحكى، ففاطعه الغرباوي قائلاً:

يجب يا أخوة، أن يكتب كل واحد منا تجربته في هذه المحنـة حتى أرفعها إلى مكتب الإرشاد.

حـكا على تجربته قائلاً:

-أبداً من النهاية، فقبل خروجي مباشرة، أعطاني أحد الضابطـين حققوا معي جلبابـا أبيض ومصحفـا جديدا، وقبل رأسـي، وقال لي بأن أدعـوا الله له دعـوة صالحـة وأن أسامـحـهم...

فتـأثرـ الأخـوة، وـقال إـسماعـيل عبد الفتـاحـ:

-الـخـيرـ فيـ هـذـهـ الـأـمـةـ إـلـىـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ...

فتسـأـلـ سـعـيدـ عـوـضـ:

-وـهـلـ سـامـحـتـهـ يـاـ أـخـ عـلـيـ؟

فـأـجـابـ بـسـرـعـةـ:

ـطـبـعاـ، سـامـحـتـهـ. وـكـلـ الإـخـوانـ الـكـبـارـ الـذـينـ خـرـجـواـ مـنـ الـمعـتـقلـاتـ سـامـحـواـ مـعـذـبـيـهـمـ وـجـلـادـيـهـمـ.

وبـمـرارـةـ:

ـوـلـكـنـيـ لـنـ أـسـامـحـهـ أـبـداـ فـعـلـوهـ مـعـيـ فـيـ الزـنـزـانـةـ الـانـفـراـديـةـ... اللـهـ يـنـتـقـمـ مـنـهـ وـمـنـ كـلـ ظـالـمـ.

فـقـالـ الغـربـاويـ:

يجب أن يكون من سمتنا الصفح والعفو بوجه عام.

فاختد سعيد:

-أنا لا أسامحهم أبداً بعد التعذيب الرهيب الذي تعرضت له وتعرض له طارق وجميع الأخوة. ثم أكمل علي يحكى تجربته. وأخيراً، سأله عن تجربته في الزنزانة الانفرادية، فلم يجدهم وقال جعلتها بيني وبين الله... .

ثم تحدث عماد الدسوقي عن تجربته:

-أنا والحمد لله- لم أتعذب. هم حريصون كل الحرص على معرفة أسماء أكبر عدد ممكن من الإخوان. ولكنني والحمد لله، توهتهم ولم يأخذوا مني اسمًا واحدًا. وسمعت أحد المحققين يقول لزميله وهو يتحدث عنني بأنني (غلث) وكذاب.

تيسم الغرابوي:

-كذاب. كذاب... (غلث). (غلث)... المهم ألا يتجمع لديهم أسماء الإخوة. وأرجو يا أخي، إذا اضطربنا تحت التعذيب أن نخبرهم عن بعض الأسماء، فلنخبرهم عن أسماء أخوة الشعبة القدامى جداً والمعروفين بأنهم إخوان مسلمون لدى الأمن وحتى لدى سكان الحي.

وضاحكاً:

-ويا حبذا، لو أخبرناهم عن أسماء الإخوان المولى.

لم يتحدث الغراباوي ما حدث له ولكنه حدث نفسه:

هم أرادوا شيئاً وأراد الله شيئاً آخر، والخير فيما أراده الله...

ثم قال:

-لقد تعرضت لتعذيب شديد، ولكنني جعلته بيني وبين الله كما قال الأخ علي.

أما إسماعيل فقال في آخر كلامه وهو بيتسن:

-والحمد لله، إن الصدمة النفسية العنيفة التي تعرضت لها زوجتي أثناء اعتقاله فكت العقد التي تحول بيننا وبين الإنجاب منذ سنوات بعيدة جداً... فتهلل وجه الأخوة وتساءلوا بصوت واحد:

حامل؟!

قال:

-نعم، والحمد لله.

وقال في سره:

حامل من أول لقاء بعد المحنـة.

قالوا في صوت واحد:

-الله أكبر والله الحمد... الله أكبر والله الحمد...

قال الغرباوي بيقين: "إن المحنّة يتبعها منحة. وهذا من فضل الله وكرمه".
صلاح متيسماً: "إن الاضطراب النفسي يؤثر على المرأة أحياناً باضطراب الدورة الشهرية
وبالتالي انقطاع الإنجاب، وأحياناً أخرى يحدث العكس".

وأخيراً، عندما جاء الدور على صلاح الشيمي، تبسم الغرباوي قائلاً:
ـ أخبرنا يا دكتور صلاح أين كنت مختبئاً في فترة اعتقالنا؟
ـ تورد وجه صلاح واضطراب داخلياً...
ـ قال في سره:

ـ ماذا أقول لكم؟ لا حول ولا قوة إلا بالله...

ـ ثم استجمع عزمه وقال ونفسه مكتوم:

ـ بصراحة، كنت في مكان لا يعلم به الجن الأزرق نفسه.

ـ فسأل إسماعيل متحمساً: "أين؟"

ـ فرد صلاح متربداً:

ـ بصراحة، أنا في حرج لأخبركم المكان.

ـ قال الغرباوي: "لا حرج بين الأخوة يا أخي صلاح".

ـ تشجع صلاح وقال: "أنا خفت أن أفتني في ديني، فلم أجد مكاناً آمناً إلا عند جارتنا القديمة
ـ ابتهال، الفنانة الشهيرة الآن، والتي تركت الحي منذ أكثر من عشر سنوات".

ـ دارت كلمة ابتهال من رأس إلى رأس حتى تعلقت عند رأسي إسماعيل والغرباوي اللذين صدما

ـ فقالا معاً:

ـ نناني الراقصة!!...

ـ فانفجر العرق من جبهة صلاح وهو يقول:

ـ لا تظنوا بي السوء. فأنا لم أفعل ما يغضب الله.

ـ وردد هامساً:

ـ أنا لم أفعل ما يغضب الله. أنا لم أفعل ما يغضب الله...

ـ أصاب الوجوم الأخوة، واستسلموا لصمت وضيق عميقين...

ـ نظر صلاح إلى إصبعه المحروق وتهدج صوته وهو يقول:

ـ حينما كاد أن يغلبني الطبع البشري والنفس الأمارة بالسوء، وضعفت أصبعي في نار البوتاجاز
ـ حتى احترق. وقلت لنفسي: نار الدنيا أهون من نار الآخرة. وغادرت بيتها إلى أهلي بالصعيد...

ـ نظر الأخوة إلى إصبع صلاح المحترق وهم معجبون...

ـ قام علي عبد المنعم يقبل رأس صلاح وإصبعه المحترق ويقول بصوت باكٍ:

ـ إن فتنتك أشد من فتنتنا. ولقد عصمتك الله. فهنيئا لك...

ـ ققام الإخوان يقبلون رأسه وإصبعه...

-65-

في المستشفى فقط، أعلن الدكتور صلاح الشيمي خطوبته للمرضة بهيجة فرات. ركبا معاً بعد انتهاء الدوام- سيارة الشيمي البولونيز.

قال الشيمي لنفسه:

لا يوجد حرم معنا. ولكنني فعلت أخف الضررين كما تقول كتب الفقه! قطع الألسنة الفاجرة في المستشفى أهم من وجود سعيد معنا الآن كمحرم.

ثم أقنع نفسه أكثر:

ونحن في طريقنا للزواج ولو زواج عرفي...

تهادت السيارة في شارع قدرى -حيث تقع مستشفى الحوض المرصود- وكأنها تزف عروسين، ثم انحرفت يساراً عند تقاطع شارع قدرى مع شارع الخليج المصري. وعند ميدان السيدة زينب، قال الشيمي: "هيا بنا لنن guberni سوياً يا بهيجة".

قالت بهيجة لنفسها: أنا لا أصدق ما أنا فيه الآن. هل أنا في حلم؟ أم ماذا؟

ثم انسلت دموع شفافة رقراقة من عينيها. لمحها الشيمي فقال: "ما هذه الدموع يا حبيبي؟" -أنا لا أصدق السعادة التي تحضني الآن. أخشى ألا تستمر. وأظن ذلك.

ولم هذا التشاوم يا حبيبي؟

أجبت بهيجة بمرارة: "أنا لم أدق طعم السعادة في حياتي كلها إلا في هذه اللحظات التي أنا معك فيها الآن. وحين كنت أظن أنني في سعادة أشعر أنها لن تستمر ولن تدوم أبداً..."

وبيأس: "وفعلاً، لا تكتمل!"

-السعادة موجودة في الأصل داخل الإنسان، وعليه أن يبحث عنها في داخله...

-هذا كلام إنساني أو كلام مأثور بعيد عن الحقيقة.

ولم يا حبيبي؟

حبيبي. الله على هذه الكلمة يا حبيبي...

تدفقت الدموع ساخنة وانهمرت على وجهها وانعكست عليها أشعة شمس الظهيرة؛ فزادتها لمعاناً، وزادت وجه بهيجة الخمري ضياءً وبريقاً...

قال الشيمي لنفسه: الله! الله! ما هذا البهاء على وجهك الخمري الجميل؟ حتى خمارك الأبيض انعكس على صفحة وجهك ضياءً وبهاءً وجمالاً...

ثم قال: "كأن وجهك الآن هو الشمس ذاتها..."

تنسمت بهيجة وجففت دموعها، وقالت: "يا صلاح يا حبيبي".

فقطاعها الشيمي: "جميلة من فنك العذب الشهد كلمة "يا صلاح يا حبيبي"، أعيديها مرة أخرى يا بهيجة.

يا صلاح يا حبيبي...

فقطاعها: "الله الله الله..."

استطردت: "لا تكتمل السعادة لدى فهي دائماً مذبوحة".
الحب يصنع العجائب... منْ يصدق يا بهيجة أنك تتكلمين بهذه البلاغة إلا إذا علم عجائب
صنائع الحب؟
ولم يا حبيبي؟

أخذت بهيجة نفسها عميقاً ثم استأنفت:

كان أبواي عقيمين. ولما أراد الله أن آتي إلى الدنيا بعد علاج دام خمسة عشر عاماً، مات أبي يوم ولادتي من الفرحة أو ربما من الصدمة فقد كان يتوق إلى ولد بعد عمر طويل من علاج العقم.

-هذه أقدار الله يا بهيجة.

-ونعم بالله.

وأصلت: "وفي بداية اختبار الإعدادية أصابتني حمى التيفود، فنجحت بالكاد، والتحقت بمدرسة التمريض بالعافية. وبعد نجاحي في نهاية شهادة ثانوي التمريض، ماتت أمي...".
تأثير صلاح. قال: "كلها أقدار الله، وعلينا أن نؤمن بها بدون اعتراض منا على الله وأفعاله".

بعد ميدان التحرير بقليل، دارت السيارة يميناً إلى شارع رمسيس، فقال الشيمي:
سننبعذى الآن في أعلى نقطة في وسط البلد.

-أين يا حبيبي؟

فرد الشيمي متباًساً:

-فوق عمارة رمسيس مباشرة في مطعم إفيرست.

وبعد قليل، قال:

-أكملي يا حبيبي.

ولما سافرت إلى السعودية، كنت سعيدة بالعمل الجديد والراتب الكبير.

سكتت بهيجة. فقال صلاح:

-ستقولين لم تكتمل السعادة أيضاً.

فردت:

-بعد شهر من العمل، صعد إلى سكني الكفيل في منتصف الليل!

فتورد وجه صلاح وضاق نفسه. صرخ:

-أوغاد!... كلاب!...

-أراد أن يراودني عن نفسي، فامتنعت. فقال: أنت هنا "ملك يمين" بدرجة ممرضة!! وغيرك من ممرضات المستوصف يُتمنى ذلك!...
ثم قال ضاحكاً:

-حتى الطبيبات لا يستطيعن أن يتمنعن!

فقلت له في حدة وغضب:

سأصرخ وأعمل لك فضيحة الآن.

تساءل صلاح:

-ألا توجد ممرضات أو طبيبات معك في السكن؟

-كنت بمفردي في الحجرة، وبقية الممرضات كن متزوجات ويسكن خارج المستوصف.
والطبيبات؟

كل طبيبة غير متزوجة كانت لها حجرة منفصلة.

فتبسم الشيمي ساخرا وقال بقرف:

طبعا، حجرة منفصلة حتى يستطيع أن يزورها لبلا براحته...
وبمرارة:

ولكنه تزوجك، وسعيد ثمرة هذا الزواج.

بعدما هددته بالصراخ وفضحه في السكن وفي المستوصف أسفل السكن وعند زوجته؛ تركني.
وظل بعد ذلك يطلبني للزواج كثيرا. ولما رفضت؛ أوقفني عن العمل، ومنعني من العودة،

وطبعا، منع عن الراتب!!...

غضب الشيمي قائلا:

يعني لا عمل ولا راتب ولا عودة إلى بلدك، فلماذا لم تشتكى لمكتب العمل؟

ردت بهيجه بحزن:

-منعني من الخروج من سكن المستوصف، وهددني بأنه سيشتكيني إلى الشرطة وهيئة الأمر
المعروف بخروجي بدون إذنه...

وبصيق:

-ونفس التهديد هو ما فعله أبنائه معي بعد موته حينما منعوني من الخروج لكي أشتكى للمحكمة
حتى أخذ نصيبي ونصيب سعيد من الميراث حيث كنت حاملا به في ذلك الوقت. ولما استطعت
تقديم الشكوى للمحكمة عن طريق مكتب محاماة، هددوني بشكوى كيدية إلى البوليس بأنني قد
سرقت أموال أبيهم من خزانة المستوصف بعد موته...

-الله يخرب بيتهم. ولكن من الذي يحتفظ بأموال مستوصفه في بيته؟ إنهم يرسلون أموالهم أولا
بأول إلى البنوك.

استأنفت:

-أقنعني المصريون العاملون في المستوصف بالزواج منه حلا لمشكلاتي. وقال لي طبيب
الباطنية: إن بين الكفيل وبين القبر خطوة، وسترثين مال قارون. فتزوجته للأسف!...

كان المرور في شارع رمسيس يسير بطينا وثيدا ويقاد أن يخنق الأنفاس. لم يستطع صلاح
الشمسي ولا بهيجه أن يكملا الحديث من اكتئابهما من اجترار الذكريات الأليمة ومن اختناق
الشارع بالبحر المتلاطم من السيارات...

-66-

بعد خروج طارق عمر من الاعتقال، شعر بالانطلاق والحرية...
طلق نجوى، وطلق الإخوان المسلمين طلقة بائنة؛ فتقاعس عن حضور الجلسات، ولقاء الاثنين
في مسجد الهجين، ولقاء الثلاثاء في مسجد الكردي، وجميع لقاءات أسرته...
وبدأ يواكب على الصلاة في مسجد الشهداء، وهو مسجد يصلّي فيه كثير من أعضاء الجماعات
المتطرفة بعدهما ضيقوا فيه على الإخوان الذين أضطروا أن يتركوه لهم.
بعد صلاة العشاء في مسجد الشهداء، أتى عامر عزت الكردي ليسلم على طارق. وعامر
الكردي شاب ذو واحد وعشرين عاماً، أسمر، صاحب جسم رياضي كجسم طارق عمر،
وملامح بارزة قوية، ولحية كثة، ورأس أصلع...
قال عامر بابتسمة مصطنعة:

مرحبا يا أخي طارق.

فقال طارق في حيرة:

مرحبا بك يا أخي.

ثم نسأله مستغرباً:

ولكن كيف عرفت اسمي؟

فرد عامر بابتسمة حقيقة:

-ألا تذكرني؟ لقد كنا معاً في مدرسة رمسيس الإعدادية؟

نكش طارق ذاكرته فلم يتذكره. وإن كانت صورته بدأت تظهر في عقله من خلال شبورة
وضباب... قال:

ذكرني باسمك.

-عامر الكردي.

فقال طارق بقوه:

تذكري يا عامر. ولكن لحيتك الكثيفة غيرت شكلك كثيراً.

ولكن لحيتك لم تغير من شكلك.

-أين تدرس الآن؟

حصلت على دبلوم الثانوي الصناعي من مدرسة عبود منذ ثلاث سنوات.

-أين تعمل؟

كنت أساعد والدي في بقالة يملكها بجوار سكننا في عزبة بلال.

فتسأله طارق:

وأين تعمل الآن؟

-لا يوجد عمل لأن مصلحة الضرائب أغلقت البقالة بعدما عجز أبي عن دفع الضرائب الجزافية
الجائرة!!...

-وأين يعمل والدكم الآن بعد غلق البقالة؟

-كان عند والدي خياران؛ أحدهما أن يدفع رشوة وموكوسا لموظفي الضرائب ويحرق ملفه الضريبي من المصلحة، والثاني أن يغلق البقالة، فأثر الثاني وأغلقها. وهو الآن يمارس البطالة مثلـي!...

وبامتعاض شديد:

-حكومة كافرة وحاكم كافر!...

لم يعلق طارق على التكfir، ولكنه تسأله:

-ولماذا لم تتظلموا؟

فأجابه عامر منفلاً:

-تظلمنا ولكن بلا فائدة.

وساخراً بمرارة:

-يا أخي، موظف الضرائب كان يأتي إلينا وهو راكباً سيارة مرسيدس بنز شبح لا يركبها إلا بعض الوزراء وفيفي عبده!...

تسأله طارق:

-ومن أين تقتاتون؟

تيسـمـ عامـرـ:

ـمن تبرعات أهلـ الخـيرـ منـ أخـوةـ الجـمـاعـةـ الإـسـلامـيةـ.

ـالـجـمـاعـةـ الإـسـلامـيةـ أـكـلـ الـجـمـاعـاتـ الإـسـلامـيةـ تـتـبرـعـ لـهـذـاـ الشـعـبـ الـمـسـكـينـ؟ـ كـنـتـ أـظـنـ أـنـ جـمـاعـةـ

ـالـإـخـوانـ الـمـسـلـمـينـ هـيـ قـطـقـيـ تـتـبرـعـ لـلـفـقـراءـ.

ـاستـذـنـ طـارـقـ لـيـنـصـرـفـ،ـ فـقـالـ عـامـرـ:

ـيـاـ أـخـ طـارـقـ،ـ لـاـ تـتـرـكـنـيـ إـنـيـ أـرـيدـ أـنـ تـعـرـفـ عـلـىـ أـحـوالـكـ.ـ فـهـيـ بـنـاـ إـلـىـ مـنـزـلـنـاـ لـتـزـورـنـيـ فـيـ اللهـ.

ـوـالـمـنـزـلـ لـيـسـ بـبـعـيدـ.

عبرـاـ شـارـعـ أـحـمدـ حـلـميـ،ـ ثـمـ دـخـلـاـ مـنـ فـتـحـةـ فـيـ سـوـرـ السـكـةـ الـحـدـيدـ تـسـمـيـ "ـشـرـمـ طـيـةـ"ـ،ـ وـنـزـلـاـ

ـمـنـ السـكـةـ الـحـدـيدـ فـيـ شـارـعـ درـبـ السـكـةـ الـحـدـيدـ بـعـزـبةـ بـلـالـ.ـ وـهـذـهـ العـزـبةـ عـبـارـةـ عنـ حـيـ شـعـبـيـ

ـيـعـ بـالـجـمـاعـاتـ الإـسـلامـيةـ الـمـتـطـرـفةـ وـالـمـعـتـدـلـةـ...

ـبـعـدـ دـقـائقـ قـلـيلـةـ،ـ وـصـلـاـ إـلـىـ مـنـزـلـ عـامـرـ.ـ وـالـمـنـزـلـ قـدـيمـ مـنـ الثـلـاثـيـنـاتـ،ـ وـيـتـكـونـ مـنـ دـورـيـنـ؛ـ الـأـوـلـ

ـأـوـ الـأـرـضـيـ يـتـكـونـ مـنـ أـرـبـعـ حـجـرـاتـ فـسـيـحةـ لـأـرـبـعـةـ سـكـانـ،ـ وـصـالـةـ فـسـيـحةـ وـحـمـامـ صـغـيرـ لـلـسـكـانـ

ـالـأـرـبـعـةـ،ـ وـسـقـفـ الـحـجـرـاتـ مـنـ الـخـشـبـ.ـ وـالـدـورـ التـالـيـ مـثـلـ الـأـوـلـ،ـ وـلـكـنـ سـكـانـهـ ثـلـاثـةـ،ـ حـيـثـ أـنـ

ـأـسـرـةـ عـامـرـ تـمـلـكـ حـجـرـتـيـنـ؛ـ إـحـدـاهـماـ لـعـامـرـ وـأـخـوـيـهـ،ـ وـالـثـانـيـةـ لـوـالـدـيـهـ وـأـخـوـاتـهـ الـبـنـاتـ الـثـلـاثـ!

ـوـحـجـرـةـ عـامـرـ بـهـ ثـلـاثـ كـنـبـاتـ تـسـتـعـمـلـ لـلـضـيـوفـ وـلـلنـوـمـ،ـ وـطـبـلـيـةـ خـشـبـ لـتـنـاـوـلـ الـطـعـامـ،ـ وـمـكـتبـ

ـقـدـيمـ مـنـ حـدـيدـ الصـاجـ عـلـيـهـ جـهـازـ كـاسـيـتـ صـغـيرـ وـبـجـوارـهـ أـشـرـطـةـ لـخـطـبـ دـينـيـةـ لـمـشـاهـيرـ الدـعـاءـ،ـ

ـوـثـلـاثـةـ كـرـاسـيـ مـنـ الـخـشـبـ،ـ وـحـصـيرـةـ بـلـاسـتـيـكـ...

هش عامر وبش بطارق وقال:
مرحبا بأخي طارق في بيتنا.

ثم خرج ليحضر الشاي. فلما عاد تساءل:
أين تدرس يا طارق؟

في السنة الثانية بكلية تربية عين شمس.
طبعا، الإخوان هم الذين يملكون اتحاد الطلاب.

نعم، فمنذ السبعينيات وهم يتوازون الإتحاد.
ألا توجد تيارات تنافسهم في الانتخابات؟

الإخوان يكتسحون بشعاراتهم ونشاطهم- من أمامهم مهما يكن.
فقال عامر وهو يعلم الإجابة:

ولكن ألا يوجد تيار الجماعة الإسلامية في كلية؟
موجودون، ولكن عددهم قليل، ولم يدخلوا أي انتخابات لاتحاد الطلاب.

ولكن كيف عرفت أنهم من الجماعة الإسلامية؟
هم معروفون بأنهم من الجماعة الإسلامية، وهم يعترضون على أي حفلة غنائية في الكلية تقوم بها إحدى الأسر.

ولكن لماذا لم يعترض الإخوان وهم يمثلون اتحاد الطلاب الإسلامي؟
هم يعترضون، ولكن اعتراض أخوة الجماعة الإسلامية أشد.

قال عامر وقد انفرجت أساريره:
طبعا، اعتراضهم أشد لأنه اعتراض أصحاب الدعوة الحق، فهم أغير على الدين من الإخوان
الذين لو ثems السياسة، والظهور في الفضائيات، ودخول مجلس الشعب، وارتكانهم إلى الدنيا،
وسعيهم الحسيس إلى الحكم بأي شكل...
يا أخي عامر، أخبرني بصدق: ألا تسعى الجماعة الإسلامية إلى الحكم مثل الإخوان؟

الجماعة الإسلامية انشقت من تنظيم الجهاد الذي يسعى إلى الانقلاب على الحكم، والاستيلاء
على السلطة، وكانت أولى خطواته هو قتل السادات. والجماعة الإسلامية تسعى إلى إعادة
الخلافة الإسلامية، ونشر القيم الإسلامية، والأمر بالمعروف، ومحاربة المنكر وتغييره ولو
بالقوة، وتغيير حكم الطاغوت بالقوة، وننطلق من مرحلة الجهاد في المدينة المنورة...
عكس الإخوان وغيرهم من الجماعات التي تحجرت - أو بتعبيركم العلمي في الجامعة تكلست-
عند مرحلة الاستضعفاف في مكة المكرمة.

الإخوان قد تركوا الجهاد من زمان بعدها حلو التنظيم الخاص.
قال عامر ساخرا وبقوه:

هم قد تركوا تمسكهم بالدين نفسه للأسف...
وبنبرة حذرة: لقد سمعت أنك تمشي مع الغرباوي. فهل هذا صحيح؟

-أحياناً.

-لا تخدع فيه فهو من الإخوان المسلمين.

فرد طارق وكأنه لا يعرف حقيقة الغرباوي:

-ولكن الإخوان يحلقون لحاظهم، وهو كث اللحية؟

-هذا خداع منه لكي يجذب الشباب الملتحي.

مع أول رشفة رشفها عامر من الشاي، تسأله:

-ما هي الجماعة الإسلامية التي تنتهي إليها؟

هكذا يا عامر! وبدون أي مقدمات!

لم يجبه طارق إنما سأله:

-أخبرني أنت يا أخي عامر، ما هو التيار الإسلامي الذي تنتهي إليه؟

تيسّم عامر ابتسامة عريضة وأجاب:

-طبعاً، الجماعة الإسلامية، فهي أفضل جماعة إسلامية على الساحة...

هكذا تخبرني بمنتهى البساطة! الإخوان أكثر حرضاً من هذه السذاجة، ولكنهم قد ابتعدوا عن

طريق الإسلام الحق.

-أنا لست منتمياً لأي جماعة إسلامية.

انفجرت أسارير عامر لأنه وكل الجماعات الإسلامية المعتدلة والمتطورة يفضلون غير المنتهي

لأي تنظيم حتى يسهل تشكيله...

-67-

في فترة النشرة الأسبوعية، قرأ سعيد عوض هذا الخبر: "في يوم الأربعاء 19 أبريل وقع انفجار أمام مبنى المكاتب الفيدرالية في مدينة أوكلاند مما الأمريكية يدمر المبنى ويوقع 168 قتيلا وأكثر من 680 جريحا. وقد تدمرت وتضررت أكثر المباني المجاورة وأحرقت 86 سيارة. وتشير التقديرات إلى أن ما لا يقل عن 652 مليون دولار قيمة الأضرار بمدينتنا!"

علق الغرابوي:

لقد سمعنا أن أصابع الاتهام تشير إلى بعض المسلمين المهاجرين هناك.

فاعترض سعيد:

لقد أكتشف الجاني الحقيقي ويدعى "تيموثي مكفاي"، وهو مجند سابق، وعضو في جماعة يمينية متطرفة مناهضة للحكم الاتحادي، وجاري البحث عن بقية الجناء.

فتهلل علي عبد المنعم:

الحمد لله أن المسلمين بريئون من هذا الحادث الإرهابي الرهيب.

فقال عماد الدسوقي:

أمريكا نفسها تربة خصبة للجماعات المتطرفة!

وقال صلاح الشيمي:

عندك حق يا دكتور عماد.

وبحماس:

تصوروا يا أخوة، أن عدد الجماعات الدينية الأصولية المتطرفة الأمريكية يتراوح ما بين ألفين وخمسة آلاف جماعة، ويقدر العدد الإجمالي لأعضائها أنه يتراوح بين عشرة إلى عشرين مليون شخص!...

فغر أكثر من أخ فاه من الدهشة...

تساءل إسماعيل عبد الفتاح:

أنتدھشون من هذا الرقم؟ فالجماعات الأمريكية الإرهابية لها أيديولوجيتها السياسة الخاصة بها، فهي تعتبر أن الحكومة الأمريكية فاسدة وت تكون من مجموعة لصوص فجرة باعت نفسها ولبلدها للصهيونية العالمية. وكثير من هذه الجماعات تعتقد أن الحكومات الأمريكية المتعاقبة خانت أهداف الثورة الأمريكية والدستور الأمريكي ورهنت أمريكا ذاتها للبنوك العالمية. فلذلك لا نندهش من هذا الحادث الفظيع في أوكلاند وما فيه هذه الجماعات تعتقد أنهم يدافعون عن اليد العاملة الوطنية ضد مجيء الأجانب للعمل عند أصحاب رؤوس الأموال اليهودية، وكثير منهم يعتقدون أنهم يدافعون عن العنصر الأبيض الأصيل صاحب البلد ضد السود والملونين والأجانب...

ابتسم سعيد. فقالوا له:

أضحك الله سنك. ما سر الابتسامة؟

فرد:

-هذا الحادث في صالح النظام عندنا فمن الغد سنسمعهم يقولون إن الإرهاب ليس بضاعة إسلامية فقط.

وقال علي عبد المنعم:

-وسيقولون إن الإرهاب ليس له وطن.

"الإرهاب ليس له وطن، هذه حقيقة، وإرهابهم أشد خطرا من إرهابنا الذي يجري على يد الجهلة من المنتسبين للدين الإسلامي..." هذا ما فكر فيه الغرباوي، لذلك قال متھما:

-الإرهاب ليس له وطن فعلا يا أخي على. لا نذكر يا أخوة- جماعة "أوم شيروكو" التي نشرت الرعب بين الجماهير عندما استخدمت غازات سامة في محطات مترو الإنفاق منذ أسبوع في اليابان نفسها أم الحضارة والتقدم!...

هز علي رأسه مؤكدا:

-عندك حق يا أستاذنا. حتى في أوروبا -قارة الحضارة- ظهرت جماعات متطرفة مثل "النازيون الجدد" في ألمانيا التي تضطهد الأجانب وتنقلهم!

عصر إسماعيل ذاكرته ليستخرج منها أسماء بعض المنظمات الأمريكية المتطرفة فقال:

-ولكن في الولايات المتحدة الأمريكية الجماعات المتطرفة أشد خطرا وأكثر عددا من أي مكان آخر بالمعنوية ففي تقرير USA To Day⁵⁷ ادعى أن في العام الماضي 1994 ظهرت ميليشيات في أكثر من 24 ولاية اجتذبت حوالي خمسين ألف عضو. ويحذر التقرير من أن هذه الميليشيات مسلحة، بل هي ميليشيات عسكرية باحتراف، وتمارس الحقد ضد الحكومة الفيدرالية وتحض عليه، وهي تعتبر نفسها في حالة حرب ضد الحكومة الفيدرالية.

ابتسم إسماعيل وهو يردف:

-وطبعا، لا يدفعون الضرائب.

وأصل:

-أما المتطرفون منهم فيؤمنون بوجود مؤامرة تشارك فيها الحكومة الاتحادية والمصارف اليهودية العالمية والأمم المتحدة وغيرها من القوى المعادية للمسيحية، تهدف لإقامة حكومة عالمية أو ما يسمى بالنظام العالمي الجديد!... وأنذر بعض أسماء هذه المنظمات مثل: منظمة "بلورووس"، و"كريبيس"، و"الهوية المسيحية"، و"المدافعون عن تفوق العرق الأبيض"، ومنظمة "فروة الرأس"...

ضحك سعيد عوض وقال:

-منظمة "فروة الرأس" هذه، أكيد تتحرر فروة رؤوس الأجانب في أمريكا.

فضجوا ضحكا ...

استأنف إسماعيل ضاحكا:

⁵⁷ أمريكا اليوم

-ويوجد بين أعضاء هذه المليشيات مثقفون، وأطباء، ومحامون، وحتى بعض أساتذة الجامعات، بالإضافة إلى بعض الضباط المتقاعدين من ذوي الأوسمة الرفيعة في القوات المسلحة الأمريكية... .

قال الشيمي:

يا لطيف يا رب.

وبنيرة اندهاش:

يقال إن مخازنهم تحتوي على أسلحة دمار شامل!

قال إسماعيل:

-نعم، يا دكتور صلاح. بل يقال إن أسلحة الدمار الشامل التي لديهم أكثر تطوراً وتدميراً من الأسلحة البيولوجية والكيمائية المعروفة...

قال عماد الدسوقي بقوة:

وتدمير أوكلاهوما خير دليل.

تنسم علي قائلًا:

-لا يقارن الإرهابيون عندنا بالفظاعة التي عندهم.

فضحك الغرباوي:

كل إرهابي يعكس الجو العلمي الذي يعيش فيه: فالإرهابي الذي يعيش في الشرابية أو في إمبابة هل يقارن بالذى يعيش فى أوكلاهوما أو في لوس أنجلوس؟! ثم أكمل ساخراً:

-وهل تقارن (ال يومية) بالقبلة؟ أو النملة بالفيل؟

انتقل الضحك من فم آخر حتى وصل إلى عماد فقال ضاحكاً:

حتى تلاميذ المدارس عندهم يمارسون الإرهاب. بل معهم مسدسات في المدارس، ويمارسون القتل العشوائي للأسف!

قال الغرباوي:

أمريكا يُحسب لها أنها كانت الواحة التي يلجأ إليها المضطهدون سياسياً في الدول الديكتاتورية، وكان الإخوان يفرون من نير الناصرية في الخمسينات والستينات إلى أمريكا حيث الأمان والحرية التامّين... ولكن؟

ولكن المجتمع الذي تنشر فيه ثقافة الجريمة وثقافة المخدرات وثقافة المتطرفين دينياً وثقافية الشوادز وحتى عبدة الشيطان؛ لابد وأن ينهار يوماً ما...

-68-

في موعد غداء آخر مع بهيجه فرحت، تساءل الشيمي:
ولكنك تزوجتِ من كفلك في نهاية الأمر. فلماذا يا بهيجه؟
وبامتعاض:

و خاصة أنك كنت تكرهينه وتبغضينه بعد النذالة التي تجرعتها منه.
أجابت بهيجه بحرقة منقوعة في عصير المرارة:
ليست نذالة فقط، بل خسأة، وحقاره، وانعدام الرجولة والمرءة والخواة والشهامة...!
ثم زرفت رفرفة حارة، واستكملت:

أوغز الكفيل الجبان لللسنة أن تنهش في عرضي لكي يضغط عليّ وأوافق على الزواج منه!
ولذلك أقتنعني الأطباء المصريون العاملون في المستوصف بالزواج منه، وأحدهم أقتنعني أكثر
وحتى على الزواج منه وقال بأن قدم الكفيل في الدنيا والثانية في القبر، وستريدين مال قارون...
أنت وراءك وراءك الألسن يا بهيجه! مسكونة...

-هل كان مسنًا؟

-كان في السنيات. وكان مريضاً بالسكر وبفشل في الكبد.
تساءل صلاح في نفسه:

سكر وفشل كبدي؟! أي رغبة جنسية زائدة لدى هذا الوغد حتى يصعد لسكن الممرضات
والطبيبات؟!...

لقد تزوجته طمعاً في ميراثه؟!

-حينما تزوجته شعرت بأن سعادة المال الكاذبة التي جريت ورائها لن تدوم أو لن أصل إليها.
يا حبيبتي، لقد لهشت وراء السراب.

ثم وهو يهز رأسه آسفاً:
للأسف.

الله الله على "يا حبيبتي" ... قلها دائمًا يا حبيبـي ...

قالت بهيجه بأسى:

-مشكلتي أن مواعدي مع السعادة لا يأتي أبداً. وحينما تتسلل السعادة إلى نفسي وأذوقها، أشعر
أنها سُجْهَض... سُبُّـت... سُـمـوت!...

ثم لمعت عينها بدموع حاولت أن تكبحها ولكنها تكورت وتدحرجت على وجهها وهي تقول
بصوت باكي:

ـحظـيـ هـكـذا...ـ حـظـيـ هـكـذا...

ـ ثمـ وـ هيـ تـجهـضـ اـنـفـجـارـ الـبكـاءـ:

ـ الـحمدـ للـلهـ...ـ الـحمدـ للـلهـ...

ـ وـ انـفـجـرتـ بـكـاءـ ...

تأثير الشيمي. تسأله:

لماذا هذا البكاء يا بهيجة؟ الناس ينظروننا...
لم ترد. أعطاها منديلاً ورقياً لتجف دموعها وقال:

يا حبيبتي، ما تشعرينه من عدم اكتمال السعادة تشاوم. والتشاؤم يضاد الإيمان بالله عز وجل.
ثم ردّه:

-التشاؤم ضد الإيمان... التشاوم ضد الإيمان...

قالت بهيجة بصوت متهدج من البكاء:

-نفس الإحساس أحسه الآن. عندي شعور داخلي أو يقين عميق بأن السعادة التي أحياها الآن لن تكتمل...

اعتراض صلاح بقوه:

-ستكتمل إن شاء الله وسنتزوج.

ردت بحزن عميق مترسب منذ أزمنة بعيدة في جنبات نفسها:

ـلن توافق زوجتك يا حبيبي.

ـثم غمغمت وكأنها تكلم نفسها:

ـومن تلك الزوجة التي توافق على ضرورة لها؟

ـقال صلاح مبتسمًا وبثقة:

ـأنا عندي أمل أنها ستتوافق. وإذا لم توافق فسنتزوج بدون إرادتها، والشرع أباح ذلك.

ـقالت بهيجة بقلق واضطراب:

ـأنا لا أستطيع أن أبني سعادتي على شقاء غيري. لا. لا...

ـدعيعها الله يا بهيجة. سأخبر زبيدة اليوم بموضوع زواجنا. سيدبرها سبحانه وتعالى بإرادته.

ـونعم بالله يا حبيبي...

-69-

في مستشفى الحوض المرصود، انتظر علي عبد المنعم حتى تخلو عيادة رقم 2 - والخاصة بالأمراض التناسلية. من المرضى، ثم دخل وهو محطم النفس. على الدكتورين أحمد إسماعيل وحكيم نخلة، وكانا يجلسان بجوار بعضهما وأمامهما ترابيزه صغيرة كأنها شبه مكتب! حاول أن يتكلم فلم يستطع و هتف لنفسه:

الحمد لله. الحمد لله. الدكتور صلاح غير موجود في هذه الحجرة حتى لا أخرج أكثر.

تساءل الدكتور حكيم: "ما بك يابني؟ كأنك فقدت عزيزًا؟!"

قال علي في سره بمرارة ملئت جوفه: فعلاً، لقد فقدت أعز ما لدى وهي نفسى التي بين جنبي... كادت أن تتهاوى الدموع فكباح جماحها. قال بتردد وتلعثم:

-لقد أعطوني حقنة مخدرة. حقنة. حقنة مخدرة. حقنة مخدرة فعلاً. ولكنني لم أغب عن الوعي تمامًا. آه. لم أدخل في غيبوبة. شبه غيبوبة. كنت في حالة ⁵⁸!subconscious

تساءل الدكتور أحمد:

ـ ما لك تتحدث كأنك قد خرجم من القبر؟ ومن الدين أعطوك الحقيقة؟

رد علي والأسى يلفه: "لقد كنت محبوسا في أمن الدولة. وهم الذين أعطوني هذه الحقنة.

نظر حكيم إلى أحمد ثم قال ساخراً: "ربنا يجعل كلامنا خفيما عليهم".

تيسم أحمد قائلًا: "ربما أعطوك حقنة لتخفف عنك آلام التعذيب".

لم يرد على.

تساءل الدكتور حكيم: " هنا عيادة تناسلية، فما الشكوى التي تشتكى منها؟"

أجمع علي عزمه ثم أجاب:

ـ بعد قليل من سريان المادة المخدرة في دمي؛ شعرت بدوخة فأغلقت عيني، واستلقيت على أرض الزنزانة. وكنت في زنزانة انفرادية. وبعد قليل من الدوخة، شعرت بجسد إنسان متتصقا بي، ففتحت عيني فوجدت امرأة ساقطة في حضني! حاولت أن أقاوم فلم أستطع لأنني كنت - تقريبا - مسلوب الإرادة!

نكس علي رأسه، وغطى وجهه بيديه، ثم ذرفت عيناه دموعا حارة وهو يبكي بنحيب.

تأثر الدكتوران حكيم وأحمد وبقية أطباء العيادة لدموع وبكاء علي.

قال الدكتور أحمد بغيظ: "هذه طريقة جديدة لتعذيب المعتقلين! الله يخرب بيتهم".

ـ ثم قال في سره: أكيد أنت من الجماعات الإسلامية. ولم يجدوا طريقة لإذلالك إلا هذه الطريقة القذرة!

ـ وقال حكيم لأحمد: "هذه ليست أول مرة، ألم تذكر ما قرأت عن التعذيب في المعتقلات في حقبة السبعينيات، فقد كانوا يعتدون جنسيا على المرأة أمام زوجها المعتقل، ويعتدون على الرجل جنسيا أمام زوجته".

⁵⁸ لا شعور

ربت الدكتور حكيم على كتف علي ليهدا، ثم قال:
ـ يا بني، لا تحزن. فإن هؤلاء الظلمة أرادوا أن يمرغوا أنفك في التراب بهذه الحيلة الجبانة.
ـ ولكن هيئات.

وقال الدكتور أحمد: "هم أرادوا أن يقولوا بأنك تعذب بصرك طوال عمرك عن الحرام، ونحن قد جعلناك تنام في حضن بغي".

وقال أحد الأطباء: "لم يجد هؤلاء الجناء وسيلة لكسر نفسك إلا أن يوهموك بذلك قد زنيت".
قال علي بحزن: "أخشى أن أكون قد زنيت فعلاً وخاصة أنتي لم أكن في مرحلة وعي جيدة".

فتسأله حكيم: "هل حدث لك قذف للسائل المنوي؟"

ـ لا أذكر جيداً بسبب الوعي غير التام.

ثم سأله عدة أسئلة خاصة بالأمراض التناسلية، وكانت الإجابة بالنفي. فقام الدكتور أحمد بفحصه سريرياً، فتبسم: "الحمد لله، ليست عندك أي علامات تدل على إصابتك بأمراض تناسلية.
ـ وسنفحص عينة من دمك في المختبر".

كتب الدكتور حكيم قائمة بالتحاليل اللازمة.

تساءل علي: "متى سأعرف نتيجة التحاليل؟"

فأجابه الدكتور أحمد: "بعد أسبوع إن شاء الله".

ثم أردف: "إذا أردت أن توفر وقتاً، فاعمل تحليل فيروس مرض الإيدز في معامل وزارة الصحة المركزية".

تبسم الدكتور حكيم وقال:

ـ نحن نفحص الأمراض التناسلية لنستبعد أن تكون قد أصبت بها. وعلى العموم، كل ما حدث ربما يكون هو احتكاك هذه المرأة بك خارجياً فقط بدون اتصال جنسي.

تبسم علي لأول مرة منذ دخوله العيادة وقال: "بعدما عاد وعيي كاملاً، لم أجده هذه المرأة. وبعد قليل، عصرت ذاكرتي لأنني لاذكر ما حدث، فتذكرت ملامح تلك المرأة، وأظنها -والله أعلم- تشبه الراقصة ناني!".

كانت العيادة خالية من المرضى، فاستمع باقي الأطباء الموجودين إلى شكوى علي وانتبهوا لغرابتها. فلما قال علي: "أظنها الراقصة ناني"، ضحك كل أطباء الحجرة. قال أحدهم:
ـ يا بختك يا سيدتي.

وقال الثاني: ـ يا حظك يا عم.

وقال الثالث:

ـ لو كنت مكانك لقلت لهم لا تعطوني الأموال المخدر حتى أكون بوعيي كاملاً!
ـ فضلت الحجرة ضحكاً ...

-70-

اشتعلت نيران الغيرة والحدق في قلب زبيدة زوجة صلاح الشيمي بعدما أخبرها صلاح بعزمها على الزواج من بهيجه...
الكلبة تأخذ زوجي على آخر الزمن؟! المجرمة تغزل مغزل الحب لتوقع صلاح في شراكها؟
السهيانة التي تدعى الطيبة والصلاح والتقوى... الخبيثة. الله ينتقم منها. بنت الكلب القدرة!...

بعدما جلست زبيدة مباشرة في حجرة الصالون بشقة بهيجه، قالت:
وصلنا لالفصل الأخير من قصة الحب المشتعلة بينك وبين الدكتور صلاح.

ثم وهي ساخرة وشبه ابتسامة رسمتها على جانب فمها:
قصة حب رائعة بين كهلين في نهاية القرن العشرين.

توهج وجه بهيجه الخمرى ...

قالت في نفسها:

عيناك كلها غدر... وكلامك كله سُم!...

ثم تساءلت:

ماذا تقصدين يا أم خالد؟

فأجابتها زبيدة في حدة:

-أنا "أستاذة زبيدة" يا نقيبة الممرضات!

وبصياح:

-أم خالد تقوليها لواحدة مثلك.

قالت بهيجه في نفسها:

ما هذه الوقاحة؟!...

زادت ضربات قلب بهيجه وهى ترى الحدة والغاظة في حديث زبيدة.

قالت متعلنة:

-أنا لا أقصد يا مدام.

فصرخت فيها زبيدة:

-أنا وكيلة مدرسة الترعة الإعدادية للبنات. تخطببني بالأستاذة زبيدة. أتفهمين؟

ما هذا التغير الذي أصابك؟ طول عمري أخاطبك "يا مدام" و"يا أم خالد"، فماذا جرى؟ وما هذا

الشر الذي يتقاذف من عينيك؟ أين الأخوة في الله التي تجمع بيننا في جماعة الإخوان

المسلمين؟!....

قالت بهيجه في ضيق:

-أنا لا أقصد مضائقتك يا أستاذة زبيدة. ولكن أرجوكي خططيني بهدوء، أنت في بيتي... .

فاحتدت زبيدة غاضبة:

-أنتِ التي في بيتنا.

أومأت بهيجة رأسها موافقة:

حاضر. أنا في بيتكم. ولكن أرجو أن تتكلمي بهدوء أكثر.

ثم ذهبت لتحضير الشاي وتركت زبيدة مستسلمة لنيران الغل والحق والغيط والانتقام...

بعدما عادت بهيجة، قالت زبيدة والغيط يأكل في جنبات نفسها ويمور في قلبها وعينيها:

لقد وصلنا لالفصل الأخير من قصة الحب المشتعلة بينك وبين الدكتور صلاح.

ردت بهيجة:

لقد قلت هذا الكلام الغريب منذ قليل، وتكررينه الآن. فماذا تقصدين؟

تبسمت زبيدة ابتسامة صفراء خبيثة ونظرت نظرة باردة في عيني بهيجة ثم تساءلت:

-كلام غريب؟ أتأخذين يا نقيبة الممرضات. دكتورا من زوجته وأبنائه، وتبخين سُمك في

روحه، وتنشبين مخالفك حول قلبه، وتقولين كلام غريب؟

تساءلت بهيجة في غضب:

-ما هذا الكلام الفارغ الذي تقولينه؟

هزت زبيدة رأسها وتساءلت في فحيخ بارد خبيث:

كلام فارغ؟ كلام غريب؟

ثم صرخت قائلة والشرر يفور من عينيها ويتطاير:

-ألا يكفيك أنك تغديت معه أمس؟

ردت بهيجة في هدوء:

-لا داعي لهذا الغضب. ولنتفاهم أفضل.

ثم وهي تشير إلى الخارج:

-الجيران سيصلهم صراخك.

لم تسمع زبيدة لنصيحة بهيجة، إنما صرخت:

-أي تقاهم معك يا مجرمة؟ اتركي بيتنا يا مجرمة. اتركي بيتنا يا مجر...

ردت بهيجة غاضبة:

-عيوب يا مدام. عيب أنت في بيتي. أنا لست مجرمة. المجرمة هي التي تسب الناس في بيوتهم...

فصرخت زبيدة أكثر وهي تقول:

قلت لك أنتِ التي في بيتنا. والمجرمة هي التي تأخذ الرجال من زوجاتهم وأبنائهم.

فصاحت بهيجة:

-أنا معى عقد إيجار قديم، يعني أنتِ وكل منْ معك على ظهر الأرض لا تستطعون أن

تزحزحوني شبرا من شقتي. وعيوب عليك يا مدام. احترمي نفسك شوية...

ضررت زبيدة صينية الشاي بقدميها وصرخت:

-الله ينتقم من الذي قلن قانون الإيجار هذا. ثم أنا محترمة نفسي طول عمري. وانظري إلى نفسك يا عديمة الاحترام. وأنا لن أترك بيتي يتهدم بسبب مرضه حقيرة مثلك. يا كلبه يا سافلة يا منحطة يا

ثم انقضت على شعر بهيجة تشهد وتقطعه ببديها!...

هتفت بهيجة في نفسها:

هي السعادة المذبوحة ...

ثم صرخت ودفعت زبيدة ببديها وهي تقول:

-آخرجي من هنا يا جبانة. اخرجي يا جبانة...

فلم تخرج. وحمي الوطيس بينهما، حتى قالت بهيجة بغيط:

-فعلا، أنا بحب صلاح. وهو يموت في. ولقد اتفقنا على الزواج...

من سوء حظهما، أن سعيد عوض وصلاح الشيمي كانوا في لقاء الأسرة في بيت إسماعيل، فلم تتوقا عن العراق إلا بعد وصول الجيران ليفصلوا بينهما...

للأسف، كانت أرض الغرفة مليئة بشعر متقطع ودماء متاثرة، وكانت ملابسهما ممزقة متهرئة،

وأمست روحاهما يائسين محطمتين...

-71-

تعددت لقاءات عامر الكردي مع طارق عمر...

أخبر طارق في إحدى لقاءاتهما عن انضمامه السابق لجماعة الإخوان المسلمين. وأخبره في مرة أخرى عن القبض عليه أثناء السير إلى القنطرة من مباحث أمن الدولة. وتحدث عن إفشاءه لتنظيم الإخوان تحت التعذيب المهول...

وأثناء احتجازه فتشوا منزلنا. وماتت أمي بسبب صدمة اعتقاله. وظللت في الاعتقال أسبوعين. ولما خرجت، وجدت أخي حسن يحققون معه في المجموعة 75 مخبرات حربية، ثم أصدر الظالمون قرارا بفصله من الجيش!...

فتتساءل عامر بحزن مصطنع: "وما أخباره الآن؟ وهل وجد عملا؟"

نفسيته محطمة. ولا يطيق أي أخ ملتح يأتي إلينا. وليس عنده أي عزم للبحث عن عمل...

أخوك الآن أنساب فرد ينضم إلينا لكي ينتقم من الدولة ونظامها الظالم الفاسد الكافر...

ـ نرضي بقضاء الله يا أخ طارق، ونحتسب عنده ما يصيبنا. ولكن ما ذنب أخيك؟ وما ذنب إخوتك حتى ينقطع مصدر رزقهم؟ لابد من الانتقام من الطواغيت الذين عتوا في الأرض فساداً وطغياناً وكفراً!...

ـ وأنثاء احتساء الشاي، قال عامر: يا طارق...

ـ ثم صمت برها ليشد انتباه طارق ثم تسأله: ألا تتابع على الجهاد في سبيل الله؟

ـ أباع الآن على بركة الله.

ـ سندھب غدا إن شاء الله إلى أمير المنطقة للمبايعة. وأرجو السرية ولا تخبر عن التنظيم حتى لو حاول طواغيت الأرض قتلنا لا قدر الله.

ـ هتف طارق بحماس بالغ: "إن شاء الله يا أخي".

ـ وفي الغد، بaidu طارق أمير الجماعة الإسلامية في الشرابية...

ـ وقبل المبايعة، تحدث أمير الجماعة لطارق عن سبب انضمامه لجماعة الإسلامية فقال:

ـ تصور يا أخ طارق، أن معاون قسم الشرابية هجم على بيتنا بقوة شرطة كبيرة وكاد أن يفتح باب الحمام على شقيقتي وهي تستحم لكي يفتح ويضبط والدي الذي جاء اسمه عابراً كشاهد على خناقة حدثت بين الجيران!

ـ فقال طارق: "كان يكفي أن يخبره شيخ الحرارة بحضوره لقسم الشرطة".

ـ فقال الأمير منفلاً: "هم يريدون أن يفردوا عضلاتهم على الشعب بأي شكل حتى يقهرونا ويحطمونا!".

ـ والشعب المحطم المقهور سهل وسلس القيادة...

ـ طواغيت كفرة، فماذا تتوقع منهم؟

ـ تقاطرت دموع حارة صادقة من عيني الأمير وهو يقول:

لم يكتف الضابط الطاغوت، الكافر ابن الكلب، بالهجوم على بيتنا، إنما صفح والدي على وجهه أمامنا وأمام الجيران وهو يصرخ فيه: "أنت فين يا ابن الكلب؟" وكان أبي وقت التفتيش يصلني العشاء في المسجد المجاور، ولم يصدقنا الضابط الكلب ظنا منه أننا نكذب عليه. ولما عاد والدي استقبله أمام بيتنا بالضرب والسب والإهانة!...

قال طارق غاضباً: "حتى لو كان والدك متهم، ما كان ينبغي على الضابط أن يقبض عليه بهذا الشكل".

-على العموم، ستنتم جماعتنا من هؤلاء الضباط الكفارة، وسننتم من ضباط أمن الدولة الذين يعذبون الموحدين...

حاول الأمير أن يبيث الحماسة في نفس طارق وينشر البغضاء والكراء في أرجاء نفسه- للنظام الحاكم حتى يتৎمس أكثر لتغيير المنكر باليد لأنشطة الجماعة الإسلامية ولجهادها ضد الطواغيت الطغاة الكفارة...

وبعدما شُحنت نفس طارق وامتلأت بكل الحقد والكراء والبغضاء للنظام الحاكم وعلى رأسه رئيس الجمهورية ذاته، قال رئيس التنظيم: "يا أخ طارق، ستكون بإذن الله في خلية الأخ عامر".

فهتف طارق بحماس:

-على بركة الله..

-أنت جسمك رياضي والحمد لله. ولكن ينقصك التدريب على ضرب النار.

فتساءل طارق: "وأين يمكن أن أتدرب على ضرب النار؟"

فأجابه أمير التنظيم بابتسامة عريضة:

-في مزارع كبيرة منعزلة في صحراء الخطابة بمحافظة البحيرة.

وبلهجة مطمئنة:

ـ واطمئن، فالمكان آمن من الطواغيت وعملائهم.

ـ فرد طارق وهو منشرح الصدر: "توكلنا على الله".

ـ ربت أمير التنظيم على كتف طارق وهو يهتف:

-احتبس جهادك عند الله. ولا تنس أبداً جهاد خالد بن الوليد والقعقاع بن عمرو وشراحيل بن حسنة، والذي سنعيده في جماعتنا -جماعة المسلمين- إن شاء الله. وسيكون اسمك الحركي "القعقاع".

ـ مد طارق يده اليمنى لبایع أمیر التنظیم، فمد الأمیر يده اليمى وسلم على يد طارق بقوة وهو يقول:

- {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ أَفْوَقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَّثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} ⁵⁹...

⁵⁹ الآية 10 من سورة الفتح

-72-

لما عاد سعيد من لقاء الأسرة، صدم بعدها عرف من الجيران ما حدث مع أمها. وأخبروه بنقلها إلى مستشفى شبرا العام...
فكر سعيد في اللغط الذي سمعه من الجيران وهو ذاهب إلى المستشفى...
زوجة الدكتور صلاح تقاتل أمي؟ زوجة الدكتور صلاح كادت أن تقتل أمي!... أعود بالله. الجيران أتفوا حياة أمي. أمي الحية التي لم يسمع أحد من الجيران صوتها لمدة تزيد عن عشر سنوات، تصرخ بأعلى صوتها، وتعارك كأنها تلميذة في الابتدائية!...
زوجة الدكتور صلاح التي لا يسمع لها صوت أيضاً، المحترمة، تصرخ وتضرب أمي!!... لا حول ولا قوة إلا بالله. أمي تعرفت في المعركة. أمي تعرفت في المعركة! ليه يا رب؟ ليه؟ ليه؟ لا إله إلا الله. لا إله إلا الله محمد رسول الله... إنا الله وإننا إليه راجعون...
أمي تحب الدكتور صلاح؟ الدكتور صلاح يحب أمي؟ ما هذا غير المعقول بالمرة؟ حب؟ حب في عمرهما؟ حب؟ أمي استولت على قلب الدكتور صلاح؟ أخذته من بيته وزوجته وأولاده... ما هذا الهراء؟!...
الرجل محترم. وأمي محترمة. وزوجة الدكتور صلاح محترمة... ولكن لماذا نزلت زوجة الدكتور صلاح إلى أمي وكادت أن تقتلها؟ أعود بالله. لا يمكن أن يكون ما حدث هو ما سمعت. ولكن لا يوجد دخان بدون نار. من المؤكد أن الجيران قد دهنو الموقف بكلامهم السام عن أمي والدكتور صلاح وزوجته... الناس تحب المصائب والفضائح والبلاوي لتخوض فيها... أعود بالله...
ولكن أين الأخوة في الله التي تجمع بين أمي وزوجة الدكتور صلاح؟ ألم يجمع بينهما لقاء الأسرة الإخوانية كل أسبوعين على الأقل؟ فأين تلك الأخوة؟ سبحان الله... القلوب بين أصحابين من أصحاب الرحمن يقلبهما كيف يشاء... لا حول ولا قوة إلا بالله... إنا الله وإننا إليه راجعون... ما حدث لا يأتي على بال أحد على الإطلاق.
حب؟ صراع؟ خناقة؟ جيران؟ فضيحة... غير المعقول على الإطلاق!... أعود بالله...
حب؟ صراع؟ خناقة؟ جيران؟
حب؟ صراع؟ خناقة؟
جيران؟
فضيحة بجلجل!!!

دماغي سينفجر! الرحمة يا رب...
وفي المستشفى، أخبره طبيب الطوارئ بنقلها إلى قسم الأمراض العصبية والنفسية بمستشفى الساحل التعليمي بسبب إصابتها بانهيار عصبي حاد...

-73-

في مستشفى الحوض المرصود، كثُر اللُّغط حول زيارة علي عبد المنعم للمستشفى وحديثه الغريب حول ناني الراقصة...
ففي حجرة الأطباء أو حجرة النمية بتعبير الدكتور أحمد إسماعيل، طلب الدكتور عبد الوهاب محمود من الدكتور مجدي النحال أن يخبرهم عن آخر أخبار المستشفى ليحدثهم عن هذا الموضوع.

تبسم الدكتور مجدي النحال، ثم تساءل:

- ألم تسمعوا عن الراقصة ناني التي نامت في حضن أحد المعتقلين في أمن الدولة؟!
فضحك بعض الأطباء، وقالوا: "نريد أن تحدثنا أنت لتأكدنا لنا".

فرد عليهم الدكتور أحمد إسماعيل: "خبر بait يا دكاترة. خبر بait يا نحال".
قال أكثر من طبيب: "ولكننا لم نسمع عنه".

فتحمس النحال وهو يقول: "القد أتى مريض يوم السبت الماضي إلى عيادة التراسلية 2، وذكر أنه حين كان معتقلاً في أمن الدولة، أُعطي حقنة ربما تكون فالليوم أو أي مادة منومة".

كتم النحال مشروع ضحكة في صدره وهو يكمل:

- وبعد قليل، فوجئ بأمرأة تشبه الراقصة ناني في حضنه!

بمجرد أن سمع الدكتور صلاح الشيمي هذا الخبر، ازدر ريقه الذي جف بسرعة... قال لنفسه:
ما هذا؟!...

تساءل الدكتور حمدي علي: "أصحيح هذا الخبر أم إشاعة يا نحال؟"

وسأله طبيب آخر: "أصحيح أم كذبة إبريل؟"

تبسم النحال وهو يجيب: "صحيح. صحيح".

قال الدكتور مؤمن: "من حسن حظك ألا تذهباليوم يا حمدي إلى أعمالك الصباحية وتستمع لهذا الخبر الشيق من وكالة أنباء المستشفى".

فرد حمدي: "ربما يكون من سوء حظي".

قال الدكتور فوزي نجيب ساخراً: "اطمئن. من حسن حظك. فالكلام عن ناني (وشخعتها) ونومها في حضن أي واحد، أكيد من حسن الحظ".

وبجدية: "وكفى ادعاء الفضيلة الكاذب!"

قال الدكتور عماد الدسوقي: "يا جماعة، راعوا وجود طبيبات معنا في الحجرة".

قال فوزي في نفسه:

حتى أنت تدعى الفضيلة! وعامل فيها من الإخوان المسلمين. يا شيخ غور...

رد النحال مبتسمًا: "سنزاعي يا عماد. سنزاعي".

وسأله صلاح الشيمي: "وماذا كان التوجه السياسي لهذا المعتقل؟"

- لا أظن أنه من الجماعات الإسلامية. هو طالب جامعي في العشرين من عمره.

فأعرضت أحمد إسماعيل: "أظن أنه من الجمادات الإسلامية".
قالت الدكتورة سميرة سعيد محتدة: "جماعات أو غير جمادات، المصيبة في الحدث نفسه!"
وقالت الدكتورة علية غاضبة: "الحدث بشع ويدل على فساد النظام الحاكم".
فأشار لها أكثر من طبيب وطبيبة لتسكت وهمسوا: "الحيطان لها آذان".
فردت منفعة: "الله يطرشها ويطرشهم".
قال الدكتور حكيم نخلة:

-يا جماعة، أنا غير مقتنع بأنها كانت ناني الراقصة. فلو كنا في أيام الستينات، لقلت إن ناني ومنْ على شاكلتها من الراقصات الدرجة الأولى تعمل مع المخابرات وليس مع أمن الدولة.
قال الشيمي في سره:

أمعقول؟! ابتهال تعمل prostitute⁶⁰ في أمن الدولة؟!!... مهمة قومية؟! أعوذ بالله. أعوذ بالله... أمعقول يا ابتهال؟ مهمة قومية؟ أي مهمة قومية؟ الرقص لوفد عربي أم أجنبى؟ أم النوم في أحضان المعتقلين السياسيين؟ ضريبة الشهرة؟ أعوذ بالله... أعوذ بالله... أعوذ بالله...

-عندى مهمة قومية اليوم! فسامحني يا دكتور صلاح لأنى سأتركك ساعات قليلة.
مع السلامة يا ابتهال.

مهمة قومية؟! النوم في حضن معتقل! أمعقول؟ ولماذا لم يأتوا بأي عاهرة؟ معتقل مهم؟ شاب في العشرين من عمره...
قال أحمد إسماعيل:

-ربما توهم هذا المريض أنها ناني. وما هي إلا امرأة prostitute.
قال الدكتور سامي حليم ضاحكا:

يا ليتني كنت مكانه.
فان فعل حكيم:

-أعوذ بالله. لماذا تتمنى هذا؟
فرد عليه سامي متسائلًا:

-هل يوجد أحد يصل بسهولة إلى حضن ناني؟
فأجابه أحمد إسماعيل:

-اذهب إلى أمن الدولة واجعلهم يعتقلوناك وسوف يأتون بناني وأم ناني إليك...
فضحوكوا.

اشتعلت التعليقات الساخرة...

قال حمدي علي: "نا أشك أن تكون الفنانة ناني هي التي كانت في زنزانته".

⁶⁰ الموس

فاحتدت الدكتورة عليه بثوريتها: "كفى سفسطائية يا قوم".

ثم تساءلت بانفعال: "ألا تلاحظون أن المرأة تستغل بأشع صور منذ فجر التاريخ؟!"

تحمست الدكتورة ابتسام عوض الله وقالت:

- كان يجب على وزارة الداخلية أن تبحث عن فرصة عمل شريف لهذه *prostitute*, بدلاً من استخدامها بمنتهى الإهانة والحقارة والذلة في أعمال الرزيلة!!...

فاعترضت الدكتورة عبد الوهاب محمود قائلاً:

- المريض لم يفعل معها الرزيلة لأنه كان ⁶¹*subconscious*.

فسألته عليه بحده: "وما الفرق بين أن تكون في حضن رجل تمارس الفاحشة أم لا تمارس؟ هل نوم امرأة في حضن رجل غريب لا غبار عليه؟!"

قال فوزي في نفسه:

حتى أنت تدعى الفضيلة، وفي داخل أعماقك تتمين أن تت ami في حضن كل هؤلاء الأطباء - وخاصة الفحول منهم- إن كان فيهم فحول- وربما كل رجال الدنيا وخاصة بعد موت زوجك من ذرة طويلة وعطشك الشديد الآن للجنس!...

وتساءلت ابتسام عوض الله بسخرية:

ـ وهل الرجل المحترم يتمنى أن يكون في الزنزانة في حضن هذه العاهرة؟!

قال فوزي في نفسه:

ـ حتى أنت يا ابتسام يا عوض الله يا محرومة من الزواج والجنس. أكيد (شرفانة) على الجنس! ولكن أين هو؟!...

ـ ثم أطلقت ابتسام نظرات نارية محاصرة في عيني سامي وقالت:

ـ عيب يا دكتور سامي التلفظ بهذا الكلام!

ـ أحمر وجه سامي حليم. قال في نفسه:

ـ هو أنا فقط الذي أتمنى أن أكون في حضن ناني؟

ـ ثم تجرأ:

ـ كل الأطباء الذين أمامك يا دكتورة ابتسام يتمنون ذلك!

ـ ثم أشار بيديه:

ـ حتى الدكتوران حكيم نخلة وأحمد إسماعيل العجوزان يتمنيان ذلك...

ـ فضجت الحجرة ضحكا ...

⁶¹ اللاشعور

-74-

بعد أسبوعين من التدريب على ضرب النار، قال رئيس الخلية لطارق عمر بوجه صارم:
بعد إتقانك لضرب النار، أنت مكلف الآن بأول عملية جهادية في سبيل الله...
فتساءل طارق وقد اشتدت ضربات قلبه دقا:
ما هي هذه العملية؟

-أنت مكلف بحرق محل لبيع أفلام الفيديو الخليعة. ويجب أن تكتم فلا تحدث أحدا حتى أفراد خليتك. وستبلغ بالموقع غدا بعد صلاة العشاء. والموقع عادة يكون في حي بعيد جدا عن حي الأخ أو الأخوة الذين سينفذون العملية حتى يكونوا غير معروفين. فمثلا، نحن ننفذ عمليات في الجيزة. وأخوة الجيزة ينفذون هنا في الشرايبة. وفي أحياناً قليلة ينفذ أخوه الحي عمليات في الحي نفسه...
قال طارق:

-ولكن لابد من دراسة الموقع جيداً ومداخله ومخارجه حتى يستطيع منفذ العملية الهرب بسرعة وبأمان.
طبعاً، يا أخ طارق. هذا شيء بدبيهي تقوم به قبل تنفيذ أي عملية.
ولكن هذه العملية ليس فيها ضرب نار الذي تدربيت عليه.
ربما تحتاج إلى استخدام سلاح ناري في هذه العملية.

بعد صلاة العشاء في مسجد الهدي الإسلامي، خرج رئيس خلية طارق من المسجد، وسار بجوار المسجد من ناحية سوق الخضار المظلم الموحش والمهجور ليلاً، وأعطى طارق خريطة بالموقع، وزمن تنفيذ العملية، واسم الأخ الذي سينفذ معه العملية...

-75-

هربت بهيجة فرحة من مستشفى الساحل وعادت إلى بيتها. وصدم سعيد بعدها قد أصيبت في عقلها... اتصل بالدكتور عماد الدسوقي لكي يذهبها بها إلى المستشفى. ولكنها رفضت العودة إلى المستشفى، وصرخت فيهما، وصررت بهما بكل ما تجده أمامها، ولم تهأ قليلاً إلا بعد أن فر الدكتور الدسوقي من الشقة لكي يتصل بمستشفى الأمراض العقلية... هتفت بهيجة بعد انصراف عماد:

صلاح يا حبيبي... أنا بحبك يابني. يا أحلى ابن في الدنيا. يا أحلى صلاح في الدنيا... يا سعيد. اترك المخدة لصلاح. إياك أن تدوسه برجلك فصلاح ضعيف... إياك أن تنسى أن تعطيه (الرضعة) وأنا في التشغيل.

إياك يا سعيد أن يبكي. أو أن يتالم. أو أن يصيبه أي أذى. إياك أن تطرف عينك عنه ثانية. فصلاح ضعيف يا سعيد.

انظر يا سعيد، إلى صلاح وبراءته وجماله... انظر. لقد برزت له ثلاثة أسنان جميلة بيضاء...

سيكبر صلاح، وسيدخل المدرسة، وسيكون أشطر تلميذ... ضرب سعيد كفا بكف وقال:

يا أمي، هذا ليس إلا لعبة من القماش!

أنا أحسن أم في الدنيا. أنا ولدت صلاح حبيبي. أخرجت بهيجة رأسها من الشباك وصرخت في الجيران: يا جيران... إياكم أن توقظوا صلاح من النوم... إياكم أن تزعجوه يا كلاب.

يا جيران. حافظوا على صلاح وأنا في التشغيل. صلاح ضعيف يا كلاب. إياكم أن تزعجوه. إياكم يا جiran. صلاح يا جiran. صلاح يا جiran.

صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف... سأخرج بيتكم لو صلاح انزعج بسبكم. سأقتلكم لو صلاح تضيق بسبكم.

ابني صلاح مثل نسمة الهواء. لا تجرحوه. لا تؤذوه. صلاح ضعيف يا مجرمون... إني أحب صلاح يا جiran. أحبوه. أحبوه يا أولاد الكلب.

صلاح يحبه كل شيء في هذه الدنيا... فطوب الأرض يحب صلاح. ونهر النيل يحب صلاح. والأهرامات تحب صلاح. والسد العالي يحب صلاح. والتراب يحب صلاح. والمتحف المصري يحب صلاح. والهواء يحب صلاح. والسماء تحب صلاح. والأرض تحب صلاح. والنخل يحب صلاح. والأهرامات تحب صلاح. والسد العالي يحب صلاح. والماء يحب صلاح.

المتحف المصري يحب صلاح. صلاح يحبه كل شيء في هذه الدنيا... فطوب الأرض يحب صلاح. ونهر النيل يحب صلاح. والأهرامات تحب صلاح. والسد العالي يحب صلاح. والترباب يحب صلاح...

أَحْبُوا صَلَاحَ حَبِيبِيْ پَا جِيرَان.

صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...

ثم صرخت:

-زبيدة المجرمة ترید قتل صلاح. زبيدة المجرمة ...

ثم بصوت أهداً:

صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...

أحبوا صلاح حبّيبي يا جيران.

احمي صلاح من المجرمة زبيدة يا سعيد.

احمي صلاح من المجرمة زبيدة يا سعيد.

أحبوا صلاح حبيبي يا جيران. يا جيران يا كلاب.

وبصران:

-زبيدة المجرمة ترید قتل صلاح.

احمي صلاح يا سعيد.

احمي صلاح يا سعيد.

احمي صلاح يا سعيد.

احمي صلاح

وَبِنُغْمَةِ اهْدَا:

صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...

صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...

صلاح جمیع

صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح صعيف...

صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح صعييف...

صراح جمیں۔ صراح بڑیے۔ صراح ضعیف...
دغنات نہ رجھا۔ ایک دنستہ مظلالت تھا۔ آئا۔ جس کو تمہارا نتھا۔

لخت بهیجه ای ترج ابیت و مقت نصر اعی صوہا و متوں.
دانندگه زان او کو شن دان او هنکار دان او حام ساختا، ساتکاره این عجیمه لاج

باقلا، انکومائے از، اصلاح

صلاح حمنا، صلاح بنا، صلاح ضعف

صلاح جمنا، صلاح بـ٤٦، صلاح ضعيف

صلاح حمل صلاح برعه صلاح ضعف

يا مجرمة يا زبيدة... يا كلبة يا زبيدة... إياك أن تمسي صلاح بأذى.
 إياك يا مجرمة. إياك يا كلبة. إياك يا مجرمة يا بنت الكلب... يا بنت الكلب يا وسخة...
 صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...
 صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...
 صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...
 أحبوا صلاح حبيبي يا جيران...
 صلاح... صلاح... صلاح...
 صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...
 صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...
 صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...

يسمع سعيد ضحكات واستهزاءات الجيران والأطفال فيجري مسرعاً ليدخل أمه ويقول وهو
 يبكي بمرارة:
 -ألا تتعفين من كثرة الكلام يا أمي؟ الله يعرض لك عقلك يا أمي. لا حول ولا قوة إلا بالله. لا
 حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم...
 فتصرخ فيه:
 -أيقظت صلاح يا سعيد.
 ما ذنب صلاح البريء؟
 ما ذنب صلاح الجميل؟
 ما ذنبك يا صلاح يا حبيبي؟
 أحبوا صلاح حبيبي يا جيران.
 ما ذنبك يا صلاح؟
 ما ذنب صلاح؟
 ما ذنب صلاح؟.
 صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...
 صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...
 صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...
 ثم تأخذ اللعبة في حجرها وتنهدها وتقول:
 -صلاح يحبه كل شيء في هذه الدنيا... فطوب الأرض يحب صلاح. ونهر النيل يحب صلاح.
 والأهرامات تحب صلاح. والسد العالي يحب صلاح. والتراب يحب صلاح...
 صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...

صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...
صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...
ثم تهز اللعبة أكثر وتقول في نغمة غناء تعديد:
نم يا حبيبي نم.
أنت من عالم الأعلى.
تغرد في السماء العليا.
زبيدة تريدك من القتل.
زبيدة مجنونة سافلة.
نم يا حبيبي نم.
أنت من عالم الأعلى...
تغرد في السماء العليا...
زبيدة تريدك من القتل...
ثم تصرخ بأعلى صوتها وتنتحب قائلة:
- زبيدة مجنونة سافلة... زبيدة مجنونة سافلة... زبيدة مجنونة سافلة...
ثم تخفض من صوتها وتهدده:
صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...
صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...
صلاح جميل. صلاح بريء. صلاح ضعيف...
صلاح يحبه كل شيء في هذه الدنيا... فطوب الأرض يحب صلاح. ونهر النيل يحب صلاح.
والأهرامات تحب صلاح. والسد العالي يحب صلاح. والتراب يحب صلاح...

-76-

علم صلاح الشيمي بالخناقة التي دارت بين زبيدة وبهيجه، وما تلاها من انهيار بهيجه العصبي، وإيداعها بمستشفى العباسية للأمراض العقلية. قال لزوجته عاتباً ممتعضاً متضايقاً:
-أتفضحينا بين الناس على آخر الزمان؟ أتفضحينا يا زبيدة؟ هل الأمور تُسوى بهذا الشكل؟
بكِّرْتَ زبيدة وهي ترد:
-إنها مجرمة!

تذكر صلاح لقاء الشعبة الشهري والنقاش حول بناء تنظيم الأخوات المسلمات في الشعبة، وكانت زبيدة وبهيجه وزوجة الأستاذ الغرباوي وزوجة إسماعيل والحاجة أم علي عبد المنعم في أسرة واحدة.
قال في نفسه:

أكيد أن هذه الأسرة (الأخواتية) سيطرادها الفشل طالما أن زبيدة وبهيجه عضواثان بها. أي أخوات في زماننا هذا؟! في الحقيقة، لا توجد أخت حقيقة في عصرنا إلا الحاجة أم علي.
 مجرمة! مجرمة. كيف تتلفظين بهذا اللفظ على إنسانة محترمة كأم سعيد؟ عيب يا زبده يا حبيبي عيب...

حبيبي! أخيراً قلت لي هذه الكلمة التي غابت عن قاموس كلماتك في بيتنا، إنما أكيد نقولها لحبيبة القلب الجديدة.

تبسم صلاح وربت على كتفها:

طبعاً، أنت حبيبي. ولكن أرجوك يا زبده، لا تجعلني حمם الغضب تشنط بك بعيداً عن الصواب.
والمسكينة بهيجه تعاني بسببك من انهيار عصبي حاد وهي محجوزة الآن في مستشفى العباسية للأمراض العقلية بقسم الحالات الحرجة. دعينا يا حبيبي، نعالج أمورنا بتعقل.
تساءلت زبيدة وهي تجهش بالبكاء:

أي تعقل تتحدث عنه؟ هل من العقل أن أتركها تخرب بيتي؟
هي لم تخرب بيتنا. ولن تخربه بإذن الله. الضراب يأتي من الفضيحة التي جعلتنا أضحوكة بين الجيران...
ردت زبيدة غاضبة:

-أنا لم أكن أتصور أن يهيج الموقف ويتطور معها بهذا الشكل.
ثم تسأليت:

-أخبرني يا صلاح، عن التعقل الذي تراه لعلاج هذا الموقف؟
بالاتفاق يا زبيدة.

فصرحت:
-أي اتفاق تريده؟ هل تريد أن تكون أم سعيد ضرة لي؟ هذا لن يكون أبداً.
تساءل صلاح بهدوء:

-ألم يحل الشرع للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة؟
فأجابته زبيدة غاضبة:

-الشرع؟ الشرع؟ نحن نأخذ الشرع على هوانا. هل أحل الشرع النظر إلى المرأة الأجنبية ثم النظر والنظر حتى الوصول إلى مرحلة توهם الحب والهيا...؟!
ثم تسائلت:

-ألم يقل الرسول عليه الصلاة والسلام: ((إن النظرة سهم مسموم من سهام إيليس))؟
تبسم صلاح:

-أم سعيد وأنا كبران على هذه النظارات التي تفكرين فيها.
تبسمت زبيدة ساخرة:

-يا حبيبي... كل ما تشعر به تجاه هذه المرأة ما هو إلا أزمة منتصف العمر، وهي أزمة جلها جنسية. ألم تقرأ عنها وأنت أخصائي تناسلي؟ ألم تقرأ أن الرجل بعد سن الأربعين يريد أن يثبت لنفسه أنه مازال شاباً قوياً، ويستطيع أن يحب ويتزوج، في الوقت ذاته بدأ منحني هرمون الذكورة لديه في الهبوط. صدقني يا صلاح، بعد أول لقاء جنسي معها ستتسى الحب وآهاته! توهج وجه صلاح الأبيض أحمراراً. اندھش من التفسير الغريب لأزمة منتصف العمر. وأطرق ولم يعلق.

فاستطردت:

-أنا لن أحطم سعادتك. فالكرة -كما يقولون- في ملعبك. إما أنا أو بهيجه. والشرع الذي تتحدث عنه قد أحل الطلاق. والحمد لله.

خرج صلاح من إطراقه وعبس قائلاً:

-الكرة في ملعي؟ في ملعي؟ اسمعي يا زبيدة، يجب أن نترك هذا الحي لفترة حتى ينسى الجiran الفضيحة التي نشرتها بتصرفاتك الحمقاء...!

نذ طارق عمر وبدرى عمران عملية حرق محل الفيديو ببراءة، فهناه رئيسه:
لقد ثبت قدميك اليوم في طريق الجهاد فهنيئا لك يا أخ طارق.
قال طارق: "الحمد لله على توفيقه".
هل طبقت الخطة بحذافيرها؟
نعم، والحمد لله.

فأسأله رئيس الخلية منشرا: "وما شعورك أثناء أداء الهمة؟"
فأجاب طارق بحماس: "لقد كنت كأني أطير في روضة من رياض الجنة!!"
فابتھج رئيس الخلية، وتسائل: "الم تبرز لكما أي معوقات؟"
فتقبس طارق ورد: "أثناء سكنا للبنزين على أشرطة الفيديو، جاء صاحب محل البقالة المجاور
بسبب الرائحة فكاد أن يفسد علينا خطتنا".
فأسأله رئيس الخلية بتنهف: "وماذا صنعتما معه؟"
فأجاب بدرى:

-قبل سكنا للبنزين هدنا صاحب المحل بالمسدسين، فأمرناه أن يقف ووجهه للحائط. فدخل
صاحب البقالة بسبب الرائحة، فأمرته أن يرفع يديه فورا، ويستقبل الحائط بوجهه بجوار
صاحب المحل، فعل. وفي الوقت نفسه، استمر طارق يسكن البنزين، ثم أشعلنا المحل،
وانطلقنا فارين بالسيارة الفولكس.
انتشرح صدر رئيس الخلية وابتھج وسألهما: "وهل السيارة كانت منزوعة (لوحة النمر) فعلا؟"
فأجابه بدرى: "تأكدنا من ذلك قبل استخدامها".
فتساءل طارق في براءة: "ولكن أليس سرقة هذه السيارة حرام؟!"
إخوانك قد ركبوا لوحة النمر، وتركنا السيارة قريبا من المكان الذي سُرقت منه. وصاحبها قد
أخذ الثواب بدون إرادته!...
فضحك بدرى وقال: "صدق من قال: يُثاب المرء رغم أنفه!".
فأسألهما رئيس الخلية:

-وهل نصحتما صاحب المحل أن يغيره إلى مكان نافع للمسلمين بدلا من نشر المعاصي؟
فرد طارق: "أثناء وقوفه نصحه الأخ بدرى".
-وهل أصيّب صاحب المحل والبقال بحرائق؟
فأجابه بدرى: "أظن أنهم فرا مسرعين بعدما انطلقنا من المحل".
فتساءل طارق: "ولكن أليس من الأفضل أن تتم هذه العملية في جوف الليل بعيدا عن الأعين؟"
فأجابه رئيس الخلية:
-فتح المحل عنوة ليلا؛ سيصدر أصواتا، وسيستغرق وقتا طويلا، وربما نتعثر في فتحه، أو
يظن بنا الظنو. ولكن أداء العملية نهارا لم يكلنا إلا ثلث دقائق.

وأضاف بدرى:

بالإضافة إلى أن غرض العملية قد وصل إلى صاحب المحل، وأظن أنه قد فهم الرسالة جيدا! فتساءل رئيس الخلية:

تصورا لو الإخوان المسلمين أو غيرهم من الجماعات المتخاللة نصحوا هذا الرجل ليغير من طبيعة عمل المحل إلى ما هو شرعا فكم من السنين سيستغرقونه لكي يتعظ بنصيحتهم؟ فأجاب بدرى ضاحكا:

ربما أحقابا...

فضحك طارق قائلًا:

-وربما لا يتعظ أبدا حتى لو ظلوا معه أحقابا.

مرت ثوان من الصمت المتبادل، ثم سأله طارق رئيس الخلية:

يا أخانا، أليس من الأفضل أن من يقوم بمثل هذه العمليات أن يكون حليق اللحية حتى لا يلفت الأنظار إليه؟

فتعجب رئيس الخلية:

-أول طريق الفشل أن نخالف، ولو سنة واحدة من سنن المصطفى -صلى الله عليه وسلم- والعياذ بالله.

وهتف بدرى عمران بقوة:

فعلا، من هنا نفشل...

قال طارق:

-أنا أقصد حلق اللحية ييسر ويسهل الحركة والاختفاء بسرعة بين الناس بعد العملية.

فرد رئيس الخلية:

يا أخ طارق، إن تنصروا الله ينصركم. ألم تذكر أن الصحابة حينما فتحوا مصر ظلوا محاصرين الرومان فترة طويلة فاستبطئوا النصر. فقال أحدهم: لابد أننا قد قصرنا في سنة من سنن النبي عليه الصلاة والسلام، فبحثوا في الأمر فاتضح أنهم قد نسوا سنة السواك، فلما استنكروا؛ فتحت حصون الرومان، ونصرهم الله على عدوهم...

و قبل أن ينتهي اللقاء هتف رئيس الخلية بطارق:

يا بطل... أمامك مهمة أثقل بكثير من حرق الفيديو فاستعد لها...

-78-

علم الأستاذ أحمد الغرباوي وبقية أفراد أسرته الإخوانية ما حدث بين زوجة الدكتور صلاح الشيمي وأم سعيد فحزنوا حزناً شديداً...
تساءل الغرباوي: "ما أخبار أم سعيد يا دكتور عماد؟"
فأجابه عماد بأسى: "إنها لازالت تحت العلاج في مستشفى الأمراض العقلية".
فسأل الغرباوي: "ألم تتحسن حالتها نسبياً؟"
للأسف، إنها تعاني من مرض عقلي عنيف.
فتتساءل إسماعيل عبد الفتاح: "مرض عقلي؟ أم انهيار عصبي كما سمعنا؟"
ـ الانهيار العصبي أدى إلى مرض عقلي احتار الأطباء فيه.
ـ عصبي؟ عقلي؟ مصيبة قد حدثت. الحمد لله على كل حال. إنا لله وإنا إليه راجعون...
فتتساءل الغرباوي عن سعيد وما أخباره؟ ولماذا لم يأت اللقاء؟
فرد عليه عماد حزيناً: "سعيد مصدوم بما حدث. وهو لن يستطيع حضور أي لقاء حتى تمر هذه الأزمة".
فأولما الغرباوي رأسه يميناً ناحية إسماعيل وسأله: "وما أخبار الدكتور صلاح يا أستاذ إسماعيل؟ وهل هذه الأزمة هي السبب أيضاً في غيابه عن اللقاء؟"
فرد إسماعيل في رثاء بأن زوجته تركت البيت. وهو في بيته حالة يُرثى لها...
ووضح عماد الدسوقي أكثر: "حتى المستشفى تغيب عنها منذ الأزمة. وعيادته الخاصة تركها لي لأحضر بدلاً منه".
فقال الغرباوي بضيق: "لا حول ولا قوة إلا بالله. فتنقطع الليل المظلم. نعوذ بالله منها. يا أخوه، لو كان إيماننا قوياً لتغلبنا على كل مشاكلنا. وحضور لقاء الأسرة فرض عين بالنسبة لأفراد الدعوة، فلا ينبغي أن نختلف عنه مهما حدث من معوقات.
سكت هنية ثم قال: "إلا المعوقات الصحيحة".
ظل علي عبد المنعم صامتاً متألماً مما حدث... وظل يردد بينه وبينه نفسه بعضاً من تعاليم العواصف في الكوكب الثالث في الأخذ بيد الأمة إلى بر النجاة والأمان...
وأخيراً قال:
ـ لا ينبغي لنا أن نقف متفرجين ولكن
ولم يكمل الجملة لأن جسمه بدأ ينقبض وينتفض، وبدأ يغيب عن وعيه حينما بدأت روحه تصعد إلى الكوكب الخامس...

-79-

لم يجد صلاح الشيمي مكاناً يذهب إليه لكي يفرج عن معاناته ويبعد عن الحي فترة إلا بيت الراقصة ناني...

جلس صلاح على الكرسي الفوتيل الأنثيق في قاعة الاستقبال الفسيحة غارقاً في أفكاره، وكان رأسه حاضناً ليديه... أتت ناني من حجرتها بدون أي زينة وترتدي فستانها أسود طويلاً يغطي جسدها تماماً.

تساءلت في نفسها: ما بك يا صلاح؟ أكيد الحبيبة الجديدة هي السبب. أسألني أنا عن كيد النساء. ولكن كيدي لا ينفع معك أبداً. الممرضة الملعونة هي السبب، أكيد سحرتك لتجها كل هذا الحب. الملعونة الجبانة...
مرحباً بك يا صلاح.

لم يشعر صلاح بمحيء ناني ولا بترحابها. لمحت ناني الحقيقة الكبيرة بجوار صلاح؛ فتبسمت...

الزيارة ستطول هذه المرة يا صلاح... ولكن ما فائدة طول أو قصر الزيارة ولم أصرف الخادمة؟ ولم أصرفها؟ ليخلو لنا الجو! يكفي الصدمة في المرة السابقة... كفى صدمات... والحلال أحسن وأطهر... خلاص، زهقتا من الحرام وأوحاله... وكيف يأتي على بال الحبيب أو على قلبه الحال وقد تعلقت روحه بل وكيانه كله عند الحاجة أم سعيد؟ خلاص، راحت عليك يا ابتهال... قلب الحبيب هناك داخل قلب اللعينة... ممرضة تأخذ دكتوراً من زوجته وأبنائه؟ أكيد سحرتك يا حبيبي. ومحببة؟ أي حجاب هذا الذي يجعل صاحبته تلعب على قلب رجل متزوج؟ أي حجاب يا بهيجه؟ أي حجاب يا بهيجه يا عديمة الدين والأخلاق؟!

ربت ناني على كتف صلاح وهي تتساءل: "ما بك يا صلاح؟ خير يا حبيبي؟"
ولكن صلاح ظل مطروقاً غارقاً في أفكاره ووضعه...

همت ناني أن تحضنه ولكنها خشيت من صده ومن ضميرها المتنيظ...

استرسلت مع نفسها: أكيد الممرضة الحقيرة هي السبب. خطفت قلبك يا حبيبي. خطفته المجرمة. والعجيب، يا صلاح، أنك لم تلتفت إليها وهي صغيرة، ولما قرب عمرها إلى الخمسين تسقط في وحل الهيام بها!... شيء عجيب...! الدنيا كلها عجائب... ولكنك يا حبيبي، كيف كنت ستلتفت إليها في ذلك الوقت وقلبك كان هائماً في حب ابتهال؟ أين حب زمان؟ وأين أيام زمان؟ زمان يا حب...

-أنا بحبك قوي قوي يا ابتهال...

-أنا أكثر يا حبيبي يا صلاح، أنا بحبك قوي قوي قوي قوي...

-المرأة أقل إخلاصاً من الرجل في الحب.

-كيف ذلك يا حبيبي؟ المرأة هي الأكثر إخلاصا وأكثر حبا وأصدق عاطفة و...
-لا يا حبيبي. فليلي العامرة لم تصمد أمام أول خاطب، أما قيس فُجِن!
-ربما تعرضت للضغط من أهله وقبيلتها.
-لا يا ابتهال. لا يا حبيبي. لا. لا...

-خلاص يا حبيبي، الرجل أكثر إخلاصا في مشاعر. فمتى سنتزوج يا قيس؟
-بمجرد سفري للعمل في دولة خليجية، سأرسل توكيلا لأبي لیزوجك لي يا نور عيني.
-ولماذا لا نتزوج الآن بدون تكاليف زائدة؟
-أنت أعلم بظروفي المادية يا ابتهال. لا يمكن... واطمئني أنا أملٍ في هذه الحياة
أن أتزوج من مهجة روحٍ ابتهال...

مهجة روحٍ!... مهجة روحٍ!... لقد تزوجت من صديقة مهجة روحك يا صلاح! وبهيجه
الآن هي التي مهجة روحك يا حبيبي...

صاحت نانٍ بصوت مرتفع: "أفق يا صلاح. أفق يا حبيبي".

رفع صلاح رأسه. فوجئت نانٍ بالدموع تسح من عينيه، فتساءلت باستغراب:
-أتبك يا حبيبي؟ منْ تلك التي تستحق دمعة تذرف من عينك يا صلاح؟

رد صلاح بصوت مقيور: "زبيدة سببت لنا فضيحة في الشارع إن لم يكن الحي كله...!"
اتسعت عيناً نانٍ وتساءلت: "خير يا صلاح؟!"

نزلت بهيجه وضررتها في شقتها، وفصل الجيران بينهما. والكل قد علم ما بيني وبين بهيجه...
تستحق هذه الملعونة هذا الضرب وأكثر... الله يخرب بيته...

-غضب عنها يا صلاح. أي زوجة مكانها تفعل ما فعلته.

-لا يا نانٍ. لا. لا يمكن أن يكون تصرفها تصرف عقلاً.

ضحك نانٍ ضحكة واسعة. قالت: "زبيدة مجنونة بحبك. وخائفة عليك وعلى بيتهما ولديها".
وبتلال:

-هاتنان العينان الخضراء ان يخطفان قلب أي امرأة، بل ويجننان أي امرأة بحبك...

لم يهتم صلاح بغازل نانٍ. قال: "كان ينبغي أن نتفاهم بدلاً من هذه الفضيحة".

-الملعونة بهيجه ستخطفك من بيتك. فكيف ستتفاهم زبيدة أو حتى تتعقل وهي ترى بيتهما سيتهدم؟
غضب صلاح:

-لا تقولي عليها ملعونة. ونحن قد انفقنا على الزواج والشرع أحل للرجل الزواج من أربعة.
الشرع؟! ولماذا لم تتزوجني على زوجتك يا حبيبي طبقاً للشرع؟ أو ليس لناني مكان في قلبك
أبداً!...

-الضرر لا تطاق يا صلاح.
تطاقي أو لا تطاك. علينا أن نلتزم بالشرع.
يا حبيبي، نحن نأخذ الشرع على هوانا!

قال صلاح مندهشاً: "لقد قالت زبيدة كلامك هذا!"

ثم أكمل: "لا يا حبيبي. علينا أن نلتزم بالشرع مهما كان ثقيلاً على نفوسنا".

أخيراً قلتها: "حبيبي"! تذكرت حبيبتك ابتهالاً أخيراً يا صلاح...

يعني الشرع له وجود فقط في الزواج من الملعونة بهيج... .

لم يفهم صلاح ما تقصده نانى بقولها ولكنها قاطعها غاضباً وهو يقول:

قلت لك لا تقولي عليها ملعونة.

وحزيناً:

-المسكينة تعاني من انهيار عصبي بعد خناقة زبيدة. وهي محجوزة الآن في مستشفى العباسية للأمراض النفسية. وحتى الأطباء محترمون في تشخيص حالتها.

أنت الخادمة بالشاي. فتساءل صلاح وقد رفع صوته ومعنوياته افتعالاً:

ـ ما هذا؟ شاي في بيت أكبر راقصة وفنانة في المحرورة؟ أين الخمر؟ أين الكونياك؟!...

فضحكت نانى، وتساءلت:

ـ ألم تقل لي من قبل إنني الراقصة الوحيدة الجامعية والوحيدة التي لا تشرب الخمر؟

فرد متسائلاً صاخباً: "ألا يوجد نبيذ؟ النبيذ حلال عند أبي حنيفة؟!"

فردت عليه متحيرة: "ولكنك يا صلاح لا تشرب الخمر!"

ثم تسأعلت: "أتريد أن تنسى؟"

ـ أريد فعلاً أن أنسى. لو واحد غيري لجئ. لجن. لجن...

ثم تأمل ملابسها فتساءل:

ـ ما هذا الذي ترتدينه؟ ولماذا هذه الكآبة التي بك؟ أين (شخلعتك) يا نانى؟!

مسكين صلاح. الصدمة شديدة عليه!

ـ لماذا تصمتين؟ أين شخلعتك يا نانى؟ ألا توجد بروفة للرقص؟!

كادت نانى أن تضرب كفا بكف، ولكنها لم تستطع لأن صلاح سحبها من يدها وذهب بها إلى

حجرتها؛ فصاحت:

ـ لماذا ستصنع يا مجنون؟!

ـ ثم صرخت: -"نا توقفت عن هذه الأمور. الحلال أحسن. والضررة ليست دائمًا شر".

ـ فلم يفهم ما تقصده، فصرخت أكثر: "أنا عندي الدورة الشهرية يا مجنون. عندي الدورة يا

ـ مجنون!"

ـ فلم يجبها ولكنه رفس الباب بقدمه ليغلقه، وقال صاخباً: "حتى لو عندك⁶² ...abortion ...

ـ فصرخت في سرها: ومن الإخوان المسلمين؟! كيف هذا؟!! ...

⁶² الإجهاض

-80-

امتعض طارق عمر وتضايق بزيارة الأستاذ أحمد الغرباوي...
تساءل الغرباوي في نفسه:

ما هذه المقابلة البعيدة عن اللياقة والأدب؟! لماذا هذا التجهم؟ الجماعة الإسلامية علمتك قلة الذوق والأدب؟ أعوذ بالله... أمتضايق بسبب زيارتي؟ أين الأخوة التي كانت بيننا يوما ما؟!...

وأين أخوة الإسلام؟ وأين أدب الإسلام؟ أعوذ بالله... حاول طارق أن يبعد التجهم عن وجهه فلم يستطع، فطبعه أصلا التجهم وضيق الأفق... حاول أن يرحب بالغرباوي أو أن يتكلم فلم يستطع واستسلم للصمت البارد...
قطع الغرباوي الصمت متسائلا:

-كيف حالك يا أخ طارق بعد وفاة والدك الله يرحمها؟ ولماذا لا تحضر لقاءات الأسرة؟
فقال طارق في نفسه:

ما الذي أتى بك إلى بيتنا؟ الله يخرب بيتك وبيت الإخوان المسلمين في يوم واحد!...
رد باقتضاب وبتجهم: "لأنني مشغول بالبحث عن عمل في الأجازة الصيفية لأساعد أخي حسن".

-ولكن الدعوة لا تُعطيك عن أي عمل في الأجازة أو في الدراسة.
للأسف، لا أستطيع أن أوفق بين العمل الدعوي والبحث عن عمل يناسبني.

صرخ طارق في سره: يا أخي، اتركوني في حالتي...

يا أخ طارق، الدعوة لا تعطل ولا تعرقل أي عمل شريف.
ماذا تقصد يا غرباوي بالعمل الشريف؟ هل أنا أبحث عن عمل غير شريف. الله أعلم بنيتك في هذا الكلام الخبيث!...

يا شيخنا، حاولت أن أوفق بين عمل الجماعة والبحث عن عمل فلم أفلح.
قال الغرباوي في نفسه: أنت تكذب! تكلم الحقيقة يا طارق. قل: إنك تعمل تحت راية الجماعة الإسلامية ولا داعي لهذا (ال濂 و الدوران)!...
وبثقة: "ولكني أعرف أن أعضاء من الجماعة الإسلامية يبذلون كل جهد لكي تنضم إلى تنظيمهم".

توهج وجه طارق. تلعم. تسأله: "من قال هذا الكلام الفارغ؟"
قل الحقيقة بحرية يا طارق...
ـ أنا متأكد من مصادرني أنك فعلا تعمل مع الجماعة الإسلامية.

أتعلم أنت مع أمن الدولة أو المخابرات العامة يا غرباوي حتى تكون متأكدا! ولكن من أين علمت؟

ـ أي مصادر تلك التي أخبرتك بما تقول؟
تنسم الغرباوي مجيبا:

-جماعة الإخوان عندها مصادرها الخاصة، وكذلك عندي مصادرني الخاصة التي أخبرتني منذ بدأت تصلي الصلوات وخاصة صلاة العشاء في مسجد الشهداء...
أسقط في يدي طارق!

الرجل فعلاً عنده مصادر خاصة. ولكن لم الجبن؟! أخبره بموقفك بصرامة وتوكل على الله.
ولكن لو أخبرته فسيعلم أنني كذبت عليه. إني في حيرة...
يا أستاذ أحمد...

سكت طارق هنئه ثم قال بتrepid: "أنا -فعلاً- قد انضمتُ إلى تنظيم الجماعة الإسلامية. وهم أمروني ألا أخبر عن ذلك حتى لو أعتقلتُ".

قال الغرباوي في سره ساخراً: يا رجل، أنت أخبرتني بمنتهي السهولة وبدون اعتقال!
يا طارق، لماذا لم تناقشنا وأنت في جماعتنا في ذلك الأمر؟
كيف أنا نقشك يا رجل؟ وهل يوجد في جماعتكم من يُناقِش أو يُنَاقِش؟!
أنا من زمان أميل إلى الجماعة الإسلامية. وكنت أطناك يا شيخنا منهم.
اظهر على حقيقتك يا أبو الطوارق. لا يوجد أحسن من الصراحة.
ولتكن قد بايعت في الكتبية، فكيف تتكتص في بيتك؟!

-أنا لم أنكص في البيعة لأنني قد بايعت في الجماعة الإسلامية. وبصرامة، الجماعة الإسلامية هي التي على الصواب، وهي التي تعمل في سبيل الله حقاً وصادقاً. وأي جماعة أخرى غيرها على ضلال...

تساءل الغرباوي محتجاً: "الجماعة الإسلامية تعمل في سبيل الله؟ هل الجماعة التي تقتل الأبرياء تقتلهم في سبيل الله؟!"

-الجماعة الإسلامية لا تقتل إلا من يستحق القتل: مثل ضباط أمن الدولة الذين يُعذبون ويُقتلون عباد الله، وكذلك الكتاب العلمانيون الذين يُسخرون من الإسلام وأهله، بل يحاربون بأفلامهم المسمومة الإسلام وأهله...

-ألم نتحدث مراراً في هذه القضايا؟ كيف تجعل من نفسك قاضياً وجلاساً على خلق الله حتى لو كانوا ظالمين؟!...

فرد طارق بقوه: "نحن لا نؤذي إلا الظالمين حتى يرتدوا عن غيهم وظلمهم".
قال الغرباوي في عنف: "ليس من حقك ذلك".

يا أخي، نحن أحرار في آرائنا. وهل الاستمرار في الإخوان فرض عين؟!
-هذا حقنا طالما لم نعتد على المسالمين!

تضاعيق الغرباوي: "يا أخ طارق، لو ترك الناس تقتل بعضها ببعض لتتحول المجتمع إلى غابة!"
ومنسائلاً: "وما هو تأويلكم في الاعتداء على النصارى وسرقة محلات الذهب؟"

-هؤلاء كفار أعداء الله، ونحن نستفيد من أموالهم في أعمال الجماعة!...
-وما رأيك في قوله تعالى في سورة المتحنة: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُفَاتُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُحْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ

الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَرْلُوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ {⁶³

-مشايخ الجماعة هم الذين أفتونا في ذلك، وفي الوقت نفسه يعلمون تأويل هذه الآيات.

فمسألة الغرباوي في مرارة:

-وما رأى مشايخ جماعتك في قول الرسول عليه الصلاة والسلام: ((إن الله سيفتح عليكم مصر فاستوصوا بقطها خيرا فإن لكم منهم صهرا وذمة))؟

-أكيد هم يعرفون تأويل هذا الحديث. والفتوى لا يقروها إلا بعد تمحيص...

فتساءل الغرباوي في غيظه:

وأنت أليس لك عقل؟!

-أنا لست فقيها.

-كان يجب عليك أن تعرف تأويل هؤلاء المشايخ إن كان فيه مشايخ.
نحن عندنا الطاعة عمياً، فلا نقاش!

وساخرا:

ومثلكم تماماً!...

ضرب الغرباوي كفا بكf و قال: "الحمد لله. الطاعة في الإخوان ليست عمياً".

يا رجل، هل يوجد عندكم أي نقاش في أي أمر؟ الحمد لله الذي خلصنا منكم.

-الطاعة في أي جماعة لابد أن تكون عمياً، وإلا لن تقم لها قائمة.

-حتى لو كانت الطاعة في الإخوان فرض، إلا إننا لا نسرق أحداً بتأويل باطل. ولا نكفر. ولا
قتل أحداً أبداً

تساءل طارق بسخرية: "وماذا تقول في الدماء التي خضبت أيديكم بها في الأربعينات؟"

-يا طارق، هذا زمان قد ولن يعود. وقلت لك من قبل إن الإخوان قد تعلموا من أخطاء التنظيم الخاص، ولن يعود هذا التنظيم أبداً إن شاء الله. مع العلم أن التنظيم الخاص كان يحارب الإنجلizer في معسكرات القنان، وكان تنظيم شريفاً؛ لم يسرق محلات الذهب من الأقباط أو من غيرهم، ولم يقتل سائحاً، ولم يعتد على محلات فيديو. وما تفعلوه مع المسلمين أو غيرهم من سرقة واعتداء وقتل لهو إساءة كبرى للإسلام...

ضحك طارق:

-ولكن لم يكن في ذلك التوقيت محلات فيديو.

يا أخي، افهم المضمون. يعني لم يعتد على ما شابه ذلك مثل الخمارات مثلاً. ثم يا أخي طارق، الرسول -صلى الله عليه وسلم- مات ودرعه مرهون عند يهودي... ولم نسمع أو نقرأ في السيرة أن الرسول اعتدى على النصارى أو اليهود أو حتى المجروس ويسرقهم -والعياذ بالله-. لكي يستغل هذه الأموال في الجهاد في سبيل الله. والنصارى يا أخي، أقرب الناس للمسلمين، اسمع

إلى قوله تعالى: ﴿تَجِدُنَ أَشَدَ النَّاسِ عَذَّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدُنَ أَفْرَبَهُمْ مَوَدَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْرِرُونَ﴾⁶⁴ ...

- هذا الخطاب موجها إلى النصارى أيام النبي صلى الله عليه وسلم.

من قال لك ذلك؟

هذا ما أفهمه!

ثم متحمسا: "ألم ينفح بابا روما من روحه الخبيثة في نار الحروب الصليبية وكانت دماء المسلمين أنهارا في القدس والشام؟!"

- هنا ترد عليك الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِحْرَاجِكُمْ أَنْ تَقُولُوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الطَّالِمُونَ﴾⁶⁵ ... وهذه الآية فيها إعجاز! فقد علم الله سبحانه وتعالى- أنه سيأتي نصارى يقاتلوننا في الدين ويخرجوننا من ديارنا كما فعل الصليبيون الحاقدون...

وبنبرة إشفاق:

- ولكن أخبرني يا طارق، هل توجد آية في القرآن الكريم تدعوا إلى سرقتهم أو الاعتداء عليهم بنية الجهاد في سبيل الله؟ وهل يوجد حديث شريف يدعو إلى ذلك والعياذ بالله؟

أجاب طارق بمنتهى البساطة:

- أنا قلت لك بأنني لست فقيها حتى أخبرك.

- إن أسئلتي بديهية لا تحتاج إلى فقيه. فain عقلك وأنت طالب جامعي وعما قريب ستصبح معلما للطلاب؟!

تساءل طارق في سره ساخرا: وأي عقل يستعمل عندكم في الإخوان أو في الجماعة الإسلامية أو أي في جماعة طالما أن الطاعة عمياء؟!

يا شيخ أحمد، حتى لو حدثت أخطاء- مع العلم هي ليست بأخطاء إنما يوجد تأويل من مشايخنا الفقهاء- فنحن نجاهد في سبيل الله. وأنتم قد تقاعستم عن الجهاد وارتکنتم إلى الدنيا ومجلس الشعب وأبهة المظاهر الكاذبة...

فتساءل الغرباوي بحده: "من قال لك ذلك؟ والجهاد ألا يحتاج إلى عقل؟ ألا يحتاج إلى أن يكون على بصيرة؟ ألا يحتاج إلى ما يسمى بفقه الجهاد؟"

تيرم طارق وتميز غيطا وقال غاضبا:

- أرجو أن تخفض من صوتك لأن أخي حسن بالداخل. وأرجو ألا تزورني مرة أخرى لأن أخي حسن لا يحب أن يزورني الملتوون...

⁶⁴ الآية 82 من سورة المائدة

⁶⁵ الآية 9 من سورة الممتحنة

-81-

جلست ناني في قاعة الاستقبال الفسيحة وهي لا تصدق ما حدث بالأمس...
ما هذا الذي صنعته بالأمس يا صلاح؟ أنا كنتُ منتظرة هذا اللقاء من زمان لنجد حبنا
الموعود... ويوم أن يحدث، يحدث في يوم غير مناسب على الإطلاق، ويحدث بالحرام!...
سبحان الله... كنتَ زاهداً في وأنا أريد الغواية والحرام، ولما أردتُ الطهر والحلال أجدك تريد
الحرام... ما هذا؟! ما هذا الذي فعلته يا صلاح؟ العبث؟ اللامعقول؟ أم الجنون ذاته؟ حتى لو كنا
متزوجين لكان اللقاء حراماً...

أنتِ صلاح من الحمام، قالت ناني بسخرية:
صباحية مباركة يا عريس!

فترثغره عن ابتسامة باهتة ثم قال: "كانت ليلة حمراء بلون الدم!"
فردت ناني بضيق: "كانت ليلة دموية فعلاً."

ثم لعنت بهيجـة في سـرها: الله يلعنـك ألف لعنة يا بهيجـة. الرجل ينام معـي في الحرام لـينـساـك... ما
هـذا؟ الله يخرب بيـتك يا بهيجـة يا جـبانـة!

وبـقـرف:

لـقد اخـترـت توـقـيتـنا غـير منـاسـبـ على الإـطـلاقـ!

ـأـنـا آـسـفـ يا حـبـيـتـيـ...

ـلـا تـتـأسـفـ.

ـأـنـا وـاثـقـةـ أـنـ الـوقـتـ حـينـ يـصـبـحـ منـاسـبـ سـتـغـادـرـ! حتى لو لم تـغـادـرـ، فـأـنـا لـنـ أـلـقـيـ معـكـ فيـ الـحرـامـ
ـمـرـةـ أـخـرىـ. كـفـاـيـةـ حـرـامـ. كـفـاـيـةـ.

ـضـحـكـتـ نـانـيـ فـجـأـةـ، فـسـأـلـهـاـ صـلاـحـ: "ـمـا يـضـحـكـكـ يا حـبـيـتـيـ؟"

ـفـرـدـتـ نـانـيـ وـقـدـ اـتـسـعـتـ ضـحـكـتـهاـ حـتـىـ مـلـئـتـ فـمـهـاـ: "ـتـذـكـرـتـ خـرـوجـكـ المـفـاجـئـ فيـ الـزيـارـةـ السـابـقـةـ
ـبـلـأـيـ مـقـدـمـاتـ!"

ـفـنـظـرـ صـلاـحـ إـلـىـ آـثـارـ إـصـبـعـهـ الـمحـترـقـ فـضـحـكـ وـقـالـ: "ـكـنـتـ غـشـيمـاـ".

ـوـمـعـازـلـاـ:

ـهـلـ يـوـجـدـ مـنـ يـتـرـكـ هـذـاـ الجـمـالـ الـفـاتـنـ السـاحـرـ؟ـ لـقـدـ كـنـتـ مـغـفـلاـ يـاـ نـانـيـ.ـ فـسـامـحـيـنـيـ...

ـإـزـادـادـ ضـحـكـ نـانـيـ وـقـالـتـ: "ـأـنـاـ وـاثـقـةـ أـنـكـ سـتـترـكـنـيـ حـينـ يـكـونـ الـوقـتـ منـاسـبـاـ!"

ـفـضـحـكـ صـلاـحـ وـهـزـ كـتـفـيهـ وـرـدـ: "ـالـواـحـدـ يـكـونـ مـغـفـلاـ مـرـةـ وـاحـدةـ".

ـفـاحـدـتـ: "ـوـلـنـ نـلـقـيـ مـرـةـ أـخـرىـ فـيـ الـحرـامـ يـاـ صـلاـحـ".

ـبـهـتـ صـلاـحـ...

ـأـشـارـتـ الخـادـمـةـ بـإـشـارـةـ مـعـيـنـةـ،ـ قـالـتـ نـانـيـ: "ـطـعـامـ الـإـفـطـارـ جـاهـزـ يـاـ حـبـيـيـ".

ـأـنـتـاءـ الـإـفـطـارـ فـكـرـ صـلاـحـ فـيـ كـلـامـ نـانـيـ فـيـ الـلـيـلـةـ السـابـقـةـ...ـ "ـأـنـاـ تـوـقـفـتـ عنـ هـذـهـ الـأـمـورـ..."
ـ"ـالـحـلـالـ أـحـسـنـ..."ـ وـالـضـرـرـ لـيـسـ دـائـمـاـ شـرـ..."ـ هـذـهـ إـشـارـةـ مـنـ نـانـيـ لـنـتـرـوـجـ...ـ إـنـهـاـ مـازـالـتـ

على حبها لي... وهي ترید طهر الزواج وتأنف من وحل الحرام... أنا وغد... أنا وغد فعلا...
لقد أجبرتها على شيء فظيع! أعوذ بالله مما اقترفت. أعوذ بالله. أعوذ بالله...
قالت ناني : "ليس عهدي بك الصمت على الطعام".
فرد صلاح: "كنت أفك في العمل المختلف الذي أجبرتك عليه بالأمس".
-ألم تسمع عن توبتي الآن من العري والرقص...؟
لقد سمعنا فعلا، أنك تتوين أن تتبوي من التمثيل والرقص وتلحقين بقطار الفنانات النابيات
والمعتزلات للفن. ولكن الشائع بين الناس أن هذه كذبة إبريل هذا العام.
تبسمت ناني وأجابت:
-ليست كذبة.
-ولم؟
شيء عجيب! كيف تسأل هذا السؤال يا صلاح؟ ومن الإخوان؟!...
-ألا تحب لي التوبة؟
لقد كانت آرائك في الفنانات النابيات أنهن تبن من ذنوب، والفن لا يحتاج إلى توبة منه.
ضحك ناني:
-هذا رأي الفنانة القديرة أمينة رزق.
فسألها متعجبًا:
-وما الذي دعاك إلى التفكير في اعتزال الفن؟
فأجابته بروحانية:
-رؤيا رأيتها.
-أخبريني.
ولكنها لا تناسب وقت الطعام.
فقال صلاح ضاحكا:
-حتى لو حكت عن النار سأكمل الطعام.
لن تتناسب مع الطعام.
فألا صلاح أن تحكي.
قالت ناني وقد توقفت عن الطعام:
-رأيت نفسي واقفة بمفردي يوم القيمة...
فتساءل صلاح مشدودا:
-يعني القيمة قامت عليك بمفردك؟!
نعم، يا صلاح.
سكت صلاح يفكر فيما سمعه، ثم قال:
-رؤيا عظيمة تدعو فعلا إلى التوبة.

سبحان الله في الوقت الذي أُسقط في وحل الذنوب تتوّب ناني وتعود إلى الله... ما هذا؟! فتنقطع الليل المظلم. أعود بالله. صدق يا رسول الله. ((يصبح الرجل مؤمناً ويسمى كافراً، ويصبح كافراً ويسمى مؤمناً يبيع دينه بعرض من الدنيا...)) وأنا بعث ديني intercourse⁶⁶ لا طعم له ولا لون ولا رائحة...

قالت ناني:

-عدت إلى الصمت.

-أفكر في روياك.

قالت بحزن:

-لقد سألت الشيخ محمد الصوفي في هذه الروايا...

سكتت ناني فجأة لأنها كانت على وشك النشيج. فقال صلاح:

-خير يا حبيبي؟! ماذا قال لك الشيخ؟

تماسكت ناني وقالت:

لما سألته انقبض وتصبغ وجهه ألواناً... قلت له: خير ياشيخ؟ فقال بعد تردد: يا ابنتي، إن من يرى أن القيامة قامت عليه وحده، فقد اقترب أجله. وهذه إشارة كريمة من الله لكي تتوب إلىه... ولم تتحمل ناني أكثر، فارتفع صدرها وانخفض ومار وفار ثم انفجر وانفجرت معه بكاء رهيباً...

قام صلاح يربت على كتفها ويخفف من روعها فلم يتحمل هو الآخر؛ فانفجر نحيباً، وظل يلطم وجهه بعنف ويقول:

يا ليتني لم أجبرك على الفعلة الشنعاء... يا ليتني لم آت... يا ليتني لم آت... يا ليتني...
قالت ناني وسط بكائها:

-كفى يا صلاح يا حبيبي. كفى كفى يا حبيبي. لا تضرب وجهك هكذا.

بعد مضي وقت طويل، هدأ صلاح وقال:

-ربنا يمد وبيارك في حيانك يا ابتهال.

تركا المائدة ولم يكمل الطعام وذهبنا إلى الصالون وناني تقول:

-آلم أقل لك إن الرؤيا لا تتناسب مع الطعام.

ثم دخل في صمت وحزن رهيبين... حاولا كل منهما أن يقطعه فلم يفلح. أتت الخادمة بالشاي.

أراد صلاح أن يقطع الصمت فتساءل بحماس مصطنع ليخرج من الصمت الحزين:

-ما هذا الحزن يا ناني؟ فلما هندي حزين؟

ثم تسأله ليبعدها عن جو الرؤيا الحزين:

-أين وعدك لي بهدية تخص عملي في المستشفى؟

أجابته ابتهال وهي تجفف دموعها:

-هل مازلت تُنتدب؟

-أنا عدت من الانتداب منذ فترة بسيطة.

وبسخرية مُرّة:

-وقد رشحوني للانتداب المُقبل.

ففُغرت فاها ثم قالت:

-لقد وعدوني بألا تُنتدب أبداً.

ثم بعنف وضيق:

-كانبون!

فأسأّلها:

-وهذه هي الهدية؟

هزت ابتهال رأسها نفياً وهي تقول:

-لا يا حبيبي. الهدية هي منصب مدير المستشفى...

فغر صلاح فاه مندهشاً هتف:

-مدير المستشفى. مدير المستشفى!...

وصاحباً:

لو عُيّنت مديرًا للمستشفى لكان أول عمل لي هو انٌتداب الدكتور سليم مدير المستشفى لوحدة

الإسعاف.

ثم تسائل:

-وما العائق يا حبيبي لهذه الهدية؟

أطلقت ناني نظرات نارية في وجه صلاح:

-أخبروني بأنك من الإخوان المسلمين!...

رُزّلت الأرض تحت قدمي صلاح... وجثم سقف الحجرة على صدره... وعصرت جدران
الحجرة قلبه... ونهش ضميره في أحشائه... وكوته نار الحقيقة في أضلاعه... وأحرقه لظى
الذنب في كيانه كله... فلم يستطع أن يجلس، فقام وهو ينزف عرقاً وحسرة وندامة وذهب إلى
حقيقة ليجمع أغراضه فيها، ثم خرج بلا استئذان وابتھال تصرخ فيه وتمسّك بتلايبيه لكي لا
يخرج، ولكنه خرج شارداً لا يألو على شيء...

-82-

في الكوكب الخامس الفسيح الممتد مد البصر، وجد المعلم وروح علي عبد المنعم معركة بين جيش المؤمنين وأعدائهم. فجيش المؤمنين يحاول أن يصعد سور الأعداء ولا يفلح. وكلما صعد جزءا من السور، أمطره جيش الأعداء بوابل من قذائف المنجنيق الحارقة...

تساءلت روح علي بصيغ: "متى سيحاول جيش المؤمنين صعود سور الأعداء؟ إن جنودنا استشهد منها الكثير والكثير. لا توجد خطة مكتملة لصعود هذا السور؟ لا حول ولا قوة إلا بالله.

إن ضربات المنجنيق تحصد جنودنا حسدا!"

فرد المعلم متسائلا بحزن: "كيف ينتصر أي جيش بدون إعداد خطة جيدة للمعركة؟! أين أسباب النصر؟ قبل هذه المعركة كان يجب أن تُعد خطة لعمل ثغرة في هذا السور الضعيف، ومن خلالها ينفذ جنودنا إلى قلب جيش الأعداء".

بكى ملايين الأرواح الحاضرة وهي ترى آلاف الجنود المؤمنة وهي تسقط إثر كل محاولة لصعود السور، وقالت بهدير رهيب:

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله... لا حول ولا قوة إلا بالله...

تساءل المعلم: "كيف ينتصر جيش قائد لم يتبع إلا أن يكون ظاهرة صوتية؟! إن هذا القائد -

للأسف- حريص على مجده الشخصي ولو على حساب أمته!"

فسألته الروح: "يا معلم، ما معنى أن هذا القائد ظاهرة صوتية؟"

تبسم المعلم بمرارة: "شر البرية ما يضحك!"

ثم بمرارة سوداء: "إن هذا القائد لم يحارب عدوه ولم يعد للمعركة أي شيء سوى الخطاب الناري والذى يقول فيها بأنه سيسيف العدو رمال الكوكب، وسيسحقه سحقا، وسيمرغ أنفه في التراب، وسيهرسه تحت أرجله!"

قالت الروح بمرارة: "إن العدو هو الذي يفعل ذلك بجيش هذا القائد للأسف!"

ـ لقد أهلك هذا القائد جيشه قبل أن يهلكه العدو!

ـ هتفت الروح والأسى يلفها بردائه:

ـ لقد انهزم جيش المؤمنين هزيمة ساحقة!

بكى المعلم وروح علي والأرواح وهم يشاهدون الآلاف من خيرة جيش المؤمنين والعدو يتصدّهم حسدا ...

ـ هتفوا! "وآسفاه. وكرbah. وحزناه على جيش المؤمنين...!"

ـ تسأله روح علي: "يا معلم، ألا تتدخل لنساند المؤمنين في محنتهم الأليمة؟"

ـ يا علي، إنك لم تولد حين حدثت هذه المعركة. ودورنا هو العظة ممًّ يحدث أمامنا...

ـ ألا نخفف من آلام وجراح المؤمنين؟

ـ ليس لنا ذلك يا علي.

ـ قالت الروح بفزع:

-انظر يا معلم، إن جنود المؤمنين تنسحب بظهرها وضربات المنجنيق تسحقهم أكثر مما سُحقوا...
قالت الأرواح بصوت هادر: "لا حول ولا قوة إلا بالله".

ثم تساءلت صارخة: "كيف يتراجع الجيش بظهره؟!"
قال المعلم: "هذه أول مرة في التاريخ يحدث هذا التراجع المهين!"
تساءلت الروح بمرارة: "أي عسكرية يحملها هذا القائد في عقله؟!"
فأجابه المعلم وهو حزين: "ألم أقل لك إن هذا القائد لا يهمه إلا مجده الشخصي ولو على حساب أمته" ...

قالت الروح بفزع: -انظر يا معلم. انظر. إن القائد يخدش الآن أظافر العدو في الوقت الذي يمزق ذلك العدو الجبان أحشاء الأمة كلها...
قال المعلم:
-إنها محاولة هزيلة منه ليداري سوءاته وفضحيته في المهزيمة النكراء...
هتفت الأرواح: "لقد مات القائد... إنا لله وإنا إليه راجعون" ...

قال المعلم: "لقد انتزع ذلك القائد السلطة".
سكت برقة ليجتر الأحزان ثم أردف:
-وقد فعل ذلك الكثير على مدار التاريخ ..
واسترسل:
-وشهوة الحكم طاغية يا علي... وشهوة الحكم المستبد أشد طغيانا...
وواصل:
-لقد طغت شهوة السلطة المستبدة على نفس هذا القائد؛ ففرخت ظلم واستعباد العباد، والفشل والهزيمة النكراء... وبصراحة، هو لم يكن مؤهلاً لتحمل المسؤولية...
تساءلت الروح:
-ولم يا معلم؟
فأجابه المعلم وثوب الأسى يدثره:
-لقد انتزع السلطة وكانت أرض الكوكب الخامس حرة، ثم مات وقد ترك أرض الكوكب ثئن تحت أرجل المحتلين الجبناء!...

-83-

بعد المرور على القسم الداخلي، ذهب الدكتور أحمد إسماعيل وصديقه الأثير الدكتور حكيم نخلة إلى حجرة الأطباء قبل بدء العيادات بعدها سمعاً ضجيجاً وعجيجاً وضحاكاً ...

تساءل أحمد إسماعيل متزعجاً:
ما هذه الضجة؟ أنسىتم أنكم في مستشفى؟!

وتساءل حكيم:
أم تظنون أنكم داخل مقهى؟!

رد الدكتور عبد الوهاب وهو يحاول أن يكتم ضحكته:
لم نستطع أن نكتم ضحكتنا بعدما سمعنا آخر أخبار المستشفى من الدكتور مجدي النحال.
قال أحمد:

-أخبرنا آخر الأخبار يا مجدي يا نحال يا وكالة أنباء النمية في المستشفى؟
فضحك النحال من اللقب المميز الذي لا يناديه الدكتور أحمد إسماعيل إلا به.

قال النحال وقد بدأ مشروع ابتسامة ينتقل من فم إلى آخر:
طلبتُ الدكتورة نجية عبد السنار...

فقطأه أحمد إسماعيل:
-أليس هي الدكتورة الجديدة التي تعمل منذ أسبوعين؟
أجاب النحال:
نعم.
ثم أكمل ضاحكاً:
طلبتُ نجية قائمة من التحاليل...
فقطأه حكيم ساخراً:
-علمتموها بسرعة أصول حلب المريض في العيادات الاقتصادية!...
واردف:
-أكمل يا نحال.
كانت القائمة من التحاليل لأحدى المريضات في عيادة الاقتصادي المسائية. فكتبت كل التحاليل التي توصلت إليها البشرية. ثم عصرت دماغها، فلم تجد فيها أي تحاليل يمكن إضافتها. ثم عصرت ما تبقى من ذاكرتها، فابتهرت، وتهلل وجهها بشراً، وأضافت تحليل بول ومزرعة قبل وبعد تدليك البروستاتا!!...
فانفجرت الحجرة ضحاكاً ...

-84-

خرج صلاح الشيمي من عند الرافضة ناني وهو فاقد لاتزانه النفسي والجسدي وخاصة
بعدما صدم بمعرفة ناني لانتقامه لجماعة الإخوان المسلمين...
لقد ظلمت نفسى وظلمت ابتهال معي. ما هذا الوحل الذى سقطت فيه؟ وحل. وحل في وحل.
وحل دنس روحي وجسدي... أنا الذى أسقطت نفسى بنفسي. وأين نفسى الآن؟ لقد فقدتها فدرا
رهيبا... أسوء شيء أن يفقد المرأة نفسه التي بين جنبيه؟ أسوء شيء أن يعيش المرأة بلا نفس...
بلا قلب... بلا روح... أن يعيش كالموتى!...
وترنم بهذا البيت:

وليس من مات فاستراح بمويت
ولإنما الموت ميت الأحياء
وظل يردده حتى بكى...

على سرير الخطيئة أسقطت نفسى... على سرير الخطيئة فلدت نفسى بنفسي... على سرير
الخطيئة صليت صلاة الجنائز على نفسى بنفسي... أين أنت يا نفسى الآن؟!... إنا الله وإننا إليه
راجعون... أستغفر الله... أستغفر الله... أستغفر الله... أستغفر الله...
شتان وهيات بين المرة السابقة حينما كانت شعلة الإيمان منيرة، وبين هذه المرة التي لم خبت
فيها تلك الشعلة التي غرسها الله -عز وجل- في قلوبنا وهي متوجهة، ولكننا نطفئها بشهواتنا
وأهواانا وننزوانتنا...
أستغفر الله... أستغفر الله... أستغفر الله...

يا ليتك يا ابتهال، لم تلجمي انتسابي للإخوان المسلمين. أنا عار على الإخوان! فهم قوم أطهار لا
يعرفون الدنس الذي تلوثت به. أعود بالله مما اقترفت يداي. أعود بالله. أستغفر الله... أستغفر
الله... أستغفر الله... أستغفر الله...

طلت قدمي صلاح تقدانه من قيلا ناني بشارع مظهر بالزمالة حتى شارع 26 يوليو إلى
كويري أبو العلا الحديدي إلى الإسعاف وشوارع نصف البلد حيث طلت قدماه تسيران سيرا
عشوانينا، وظل يتخطى بلا هدف حتى قادته قدماه إلى بيت الشيخ عبد الحميد كامل الذي رح به
وسأله بانز عاج:

ـ ما لك يا دكتور صلاح؟ ما الذي حطم نفسك بهذا الشكل؟! هل فقدت عزيزا لك؟!
ـ فبكى صلاح وأجاب:

ـ فعلا، لقد فقدت عزيزا يا سيدنا الشيخ. لقد فقد نفسى التي بين جنبي...
ـ ثم حضن الشيخ وصدره يهتز وقلبه يغلي كالمرجل وقال:

ـ ذنوب يا مولانا. ذنوب أفقدتني نفسى...

ـ بكى الشيخ عبد الحميد لبكاء صلاح المر، ووضع يده اليمنى على قلب صلاح، وربت بيده
الأخرى على كتفه وقال:

يا بني... إن النفوس والقلوب بين أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

ثم رتل بصوت مؤثر:

-[فَلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَعْفُرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] ⁶⁷ ... {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ أَنَّهُ كَانَ غَفَاراً} ⁶⁸ ... {وَسَارُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أَعِدَّتْ لِلْمُنْتَقَبِينَ} ⁶⁹ ...

سكت الشيخ قليلا ليترك القرآن الكريم يتخلل في قلب صلاح، ثم استأنف:

-والإيمان يزيد وينقص كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام. والله فتح لنا باب التوبة حتى لا يتسرّب اليأس إلى نفوسنا حينما نحيد عن طريق التوابل ونقرف الذنوب. ألم يقل الرسول عليه الصلاة والسلام: ((إِنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- يَبْسِطُ يَدَهُ بِاللَّيلِ لِيَتُوبَ عَلَىٰ مَسِيءِ النَّهَارِ وَيَبْسِطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مَسِيءِ اللَّيلِ))؟ والله قد كتب على آدم وذراته الذنوب حتى يتحقق اسمه تعالى "الغفور" ...

-إنّي أستغفر الله يا سيدنا الشيخ. ولكنني أشعر بعدم اتزان، كالذي هبط من السماء فتختطفه الطير أو تهوي به الريح في واد سحيق كما تعبّر آية في سورة الحج عن هذا المعنى ...

-الإيمان يا بني، هو نفس شيء في قلوبنا. فإذا فقدناه فقدنا كل شيء ... وكيف يعود كما كان يا مولانا؟

يعود بالتوبة إلى الله والعمل الصالح. ألم تسمع إلى قوله تعالى في سورة مريم: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً} ⁷⁰ ...
قال صلاح واليأس يتملّكه:

-أشعر أن إيماني لن أشعر به كما كان من قبل. يا سيدنا، الشوب الأبيض الذي تدنس لا يعود كما كان مهما غسلناه! ...

تبسم الشيخ عبد الحميد كامل:

-هذا مدخل من مداخل الشيطان للمؤمن حتى يستولي عليه اليأس من رحمة الله...
صمت الشيخ قليلا ثم واصل:

-ومن يدري يا دكتور صلاح. فربما يبلغ العبد منزلة كبيرة عند الله بالمعصية، لأنها تجعله ينكسر أمام الله -عز وجل-. يل ينزل أمامه سبحانه وتعالى... وربما الطاعة تجعل العبد قليل الانكسار أمامه سبحانه وتعالى. والله يحب أن ننكسر أمامه وننزل بين يديه... فإليس لم يترك بقعة من الأرض إلا سجد فيها الله عز وجل، وهذه العبادة العظيمة جعلت إليس يتکبر ولا يأتمر بأمر الله؛ فطرده الله من رحمته ولعنه وغضبه عليه. أما معصية آدم جعلته ينكسر أمام الله؛ فنّاب الله عليه وغفر له.

⁶⁷ الآية 53 من سورة الزمر

⁶⁸ الآية 10 من سورة نوح

⁶⁹ الآية 133 من سورة آل عمران

⁷⁰ الآية 60 من سورة مريم

ثم هتف بيقين:

يا دكتور صلاح، رب طاعة أورثت كيرا وطغيانا... ورب معصية أورثت ذلا وانكسارا الله...
لو كان ذلك كذلك يا مولانا، فلماذا عصم الله أنبيائه -عليهم السلام- وأوليائه من الذنوب؟

وبحزن كبير:

لو كنت من أولياء الله لعصمني الله من الزلل.

ربت الشيخ على صدر صلاح:

-الشاي سيريد يا دكتور صلاح.

وببشر:

ما علمت عنك إلا كل خير منذ كنت تحضر معنا صلاة الجمعة قبل أن اعتقل ويوقفوني عن الخطابة. وأولياء الله درجات. ومن الممكن أن يقترب ولی الله الذنوب. وحتى آدم -عليه السلام- وهو أول الأنبياء عصى الله وأكل من الشجرة المحرمة.

قال صلاح في سره:

بعدما اعتقل الطالمون؛ انطفأ المصباح الذي كان ينير لي قلوبنا، وسقط في حما الذنوب. وبلا العجب، لقد كنت أمارس الزنا وكل الحماقات مع ناني بلا أي شعور بأي جريرة كما أشعر الآن!!...

قال الشيخ وكأنه قرأ ما بسريرة صلاح:

من عالمة صحة القلب أن يشعر المؤمن بعظم الذنب، أما الذين ران على قلوبهم فلا يحسون بعظم وجريمة وبشاشة المعصية في حق الله...

و قبل أن ينصرف صلاح، قال الشيخ:

-قل ورأي يا دكتور صلاح:

"اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت. خلقتني وأنا عبدك. وأنا على عهدي ووعدك ما استطعت. أعوذ بالله من شر ما صنعت. أبوء لك بنعمتك علي. وأبوء بذنبي. فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت" ... بتوره

واسترسل:

-ولابد أن تكون موقد بمغفرة الله عز وجل، ولا تتسرب أي ذرة شوك إلى قلبك لأن الرسول - عليه الصلاة والسلام- عقب على هذا الدعاء قائلاً: ((من قالها من النهار موقد بها فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقد بها فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة)).

-85-

بعد تناول العشاء في بيت رئيس الخلية، سأله طارق بحماس:
ما هي المهمة التالية الثقلة التي ستتكلمني بها؟
فرد رئيس الخلية ممتعضاً:

لقد ابتنينا في مصر بكتاب علمانيين يحدون الله ورسوله، ومنهم الكاتب فهمي عودة الذي يقول: إن الإسلام قد فشل طوال تاريخه حتى في مرحلة الخلافة الراشدة، ويضرب أمثلة على ذلك ويقول: لقد قُتل الخليفة الراشد الثاني، وقتل الخليفة الراشد الثالث، وقتل الخليفة الراشد الرابع... فأي شريعة تلك التي تبدأ في طفولتها المبكرة بمقتل خلفائها الراشدين؟! وفي الطفولة أيضاً، قامت حروب طاحنة داخلية بين الصحابة الذين هم خير القرون، وكانت الدماء للركب!... أما في الصبا والشباب والكهولة والشيخوخة، فآلة القتل كانت تحصد أرواح الخلفاء حصداً، فضلاً عن حصد الخلفاء الرهيب لأرواح المناوئين للحكم!...

قال طارق بضيق:

لقد حقد الفرس على هزيمتهم من عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-. فسلطوا عليه أبي لؤلؤة المجوسي فقتله غدراً أثناء صلاة الفجر. أما عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب -رضي الله عنهما-. فقتلتهما الفتنة التي زرعتها الجماعة السنية.

قال رئيس التنظيم حزيناً:

لقد شيد الإيرانيون ضريحاً للكلاب المحوسي قاتل سيدنا عمر ابن الخطاب، ولايزالون يحتفلون بموالده ذلك الكلب كل عام! بل كفروا سيدنا عمر بن الخطاب وادعوا إيمان أبي لؤلؤة المحوسي!... وعلى المنابر، يسبون السيدة عائشة زوج النبي عليه الصلاة والسلام!... ثم أضاف:

تصوروا يا أخوة، أن الإيرانيين يصفون الشيفيين الجليلين أبي بكر الصديق والفاروق عمر ابن الخطاب بصنمي قريش!...

عبس طارق: "ويدعون أنهم مسلمون!"

تساءل عامر: "نعود إلى الكافر فهمي عودة، فما العلاقة بين قتل الخلفاء الراشدين الثلاثة وفشل دين الإسلام ذاته؟"

فأجابه رئيس الخلية: "العبرة بأعمالهم وليس بقتلهم. ولقد أسس الخلفاء الراشدين دولة مدنية توحيدية كبيرة قوية مُهاباة في وقت قصير جداً لا يتعذر تلقيها سنتين..."

وقال طارق متحمساً: "وهذا لم يتكرر في التاريخ البشري بهذه السرعة".

وقال آخر: "لقد أنهى الخلفاء الراشدون إمبراطوريتين قويتين عالميتين في ذلك الوقت السريع".

قال رئيس الخلية: "بالنسبة للإمبراطورية الرومانية فقد سقطت نهائياً ولم تقم لها قائمة بعد ذلك في عصر الدولة الأموية".

تساءل طارق: "ألم يُقتل بعض الأنبياء مثل زكريا وابنه يحيى عليهما السلام؟"

وتساءل أخ2 باستغراب: "فهل قتلهم يعني فشلهم في دعوتهما إلى الله؟"

هز أخ3 رأسه غاضبا: "هؤلاء الكتاب العلمانيون حاقدون على الإسلام وأهله".

عبس رئيس الخلية:

-إن أقلامهم لا تكتب إلا السم الناقع ضد دين الله؛ ففهمي عودة قال: إن الإسلام قد فشل في زرع الإيمان في قلوب أهل الجزيرة العربية، والدليل على ذلك هو ارتدادهم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وامتناعهم عن أداء الزكاة.

قال أكثر من واحد من الحاضرين في حماس شديد:

-قاتل الله فهمي عودة وأمثاله. قاتله الله. قاتلهم الله جميعاً وأدخلهم أشد عذاب السعير...

تساءل أخ1: "ألم تسمعوا عن الكاتب الفاجر الذي كتب في قصصه الفاجرة أن الأنبياء يشربون النارجيلة بالحشيش؟!"

وقال عامر: "بل سمعت أنه كتب أنهم يسكونون والعياذ بالله!"

وقال أخ3: "بل كتب أنهم يعربدون! أنا متأكد!"

وقال أخ1: "قاتل الله ولعنه!"

قال طارق غاضبا: "هؤلاء الكتاب هم المنافقون في عصرنا!"

فهتف رئيس الخلية بيقين: "بل إن كفرهم هو كفر صريح بواح وليس كفر نفاق!"

قال أخ1: "إن من سب الأنبياء وسب دين الله وشرعيته فهو من الكفار، وليس من المنافقين.

وإن كان كفر النفاق أشد جرماً من الكفر العادي".

مرت فترة من الصمت تأمل خلالها رئيس الخلية في أوراق أمامه ثم قال:

-يا إخواني، لا يوجد أي تعامل مع هؤلاء الكتاب الكافرين إلا قتلهم. وعندنا قائمة بأسمائهم

وسنطهر الأرض منهم والبداية ستكون بفهمي عودة.

قال الحاضرون في صوت واحد غاضب: "لعنة الله عليه وعلى أمثاله".

وقال الذي وقع عليه الاختيار مع طارق للقتل بحماس شديد: "الكافر ابن الكافر!"

وفي اليوم الموعود ركب طارق وعمار دراجة بخارية، وانتظرا خروج فهمي عودة من منزله صباحاً ليذهب إلى الجامعة، ولما هم بفتح باب سيارته انقض طارق عليه بتغريب رصاصات

مسدسه في رأسه المسكين من الخلف، وفر هارباً مع زميله المجاهد!!...

في المساء شاهد طارق نشرة الأخبار بتلهف وفرح شديدين. ولما أذيع الخبر المشئوم، بُهت،

وصدم، واكتسى وجهه بلافقة من الحزن الشديد...

فسأل رئيس خليته مندهشاً:

-أتكتب يوم النصر؟!

فرد عليه طارق بتعasse شديدة:

للأسف الشديد، إن فهمي عودة كان والد زوجتي السابقة!

ثم تساءل بتعاسة أكثر:

-كيف لم أنتبه إلى اسم والد نجوى وهو موجود في ورقة العقد العرفي؟

تساءل آخر 1 مندهشاً:

-وكيف كنت سترتبط بين اسمه وبين الكاتب فهمي عودة؟

وتساءل آخر 2 غاضباً:

-وحتى لو تأكّدت أن والد زوجتك هو فهمي عودة نفسه، فهل هذا يمنع قتل ذلك الكافر؟

وتساءل آخر 3 بحماس وغضب شديدين:

يا بطل، أين الولاء والبراء؟

ظل طارق يغضّ على يديه ندماً ويقول:

-لقد فجعْتُ نجوى في والدها. يا ليته لم يُقتل بيدي. يا ليتني لم أقتله. يا ليتني لم أقتله...

قال رئيس الخلية بامتعاض:

-لقد كان الصحابة في غزوة بدر يقتلون ذويهم الكفار؛ فقد قتل عبيدة بن الجراح -رضي الله

عنه-. والده في هذه الغزوة، وكثير من الصحابة قد فعلوا ذلك...

وتفرس في وجه طارق قائلاً:

-وهذان هما الولاء والبراء الحقيقيان.

تأثر طارق بصرخات ودموع نجوى ونحيبها فقال:

-أضافت الدنيا يا ربِ حتى يكون مقتل والدتها بيدي الآثمة... آه... آه...

يا أخي طارق، يكفي أنك خلصتنا من بوق شرير معاد الله ورسوله...

هتف عمار متھمساً: "لم يكن ينفع مع القتيل إلا القتل".

ثم متسائلاً: "ألم يحاوره الشيخ حامد غزال والشيخ محمد الصوفي وغيرهما؟ فهل رجع عن

آرائه الهدامة الكافرة؟"

هز رئيس الخلية رأسه: "لو ظل الملعون فترة طويلة في الحياة؛ لامتلأت صحفة سيئاته بكثير

من الآراء والأفكار الكافرة الهدامة... فهذا القتل في صالحه هو!"

رنت في أذن طارق صرخات نجوى في نشرة الأخبار وهي تطالب بالقصاص من القتلة

المجرمين، فبكى بمرارة...

قال عمار: "لا تحزن".

هتف رئيسهما مبتسمًا:

-لقد سطرت بما صفتة خالدة في تاريخ الإسلام. وسوف تُكلفاً بمهمة أُنقُل وأُخْطَر خارج البلاد

فاستعدا لها وجدوا النية والعزم للشهادة في سبيل الله!!...

-86-

بعد مقتل الكاتب فهمي عودة، قُبض على كثير من أعضاء الجماعات الإسلامية والأخوة الملتحين بطريقة عشوائية، وكان من بينهم عامر عزت الكردي عضو الجماعة الإسلامية والذي دفعه أحد الجنود فوق أرض الردهة المعتمدة انتظارا للتحقيق في مبنى مباحث أمن الدولة بالساحل.. تکوم عامر على نفسه من شدة الدفع وكأنه قطع من اللحم والعظم!... وانتظر ساعات طوال حتى يأتي دوره. عقد العزم على لا يخبر عن زميليه القاتلین مهما حدث له من تعذيب...

لن أخبر عن الأخ طارق والأخ عمار مهما عذبتونني أيها الطواغيت الكفرة... الحمد لله أننا قد تخلصنا من طاغوت عنيد ملحد يدعى الثقافة والتنوير... بماذا نفعك التنوير يا أبو التنوير؟!... الآن أنت محبوس عند الله ليعدبك على ما كتبت بيديك الآثمين. القتل أحسن رسالة موجهة لكل الكتاب العلمانيين الملحدين. الكل الآن يخاف على حياته... الروح غالبية يا كفراً يا كلاب! الروح غالية يا كفراً يا أولاد الكلاب! ألم تستغلوا ثقافتكم المزعومة إلا في سب الإسلام؟! أطئنتم أن الإسلام دروشة؟ لا، يا كفراً!... الإسلام الآن له ذراع قوية يضرب به في كل مكان؛ في أفغانستان، في باكستان، في كشمير، في فلسطين، في مصر، في الجزائر، في ليبيا، في السودان، وفي المغرب... الحمد لله، الجماعة الإسلامية أوجدها الله في كل مكان لتصرب بذراعها القوية أعداء الله وأعداء الإسلام. إنها سنة الله في الكون... الجماعة الإسلامية إراده الله لتعز الإسلام والمسلمين. حتى في البوسنة، للإسلام قوة أمام الصليبيين الكفراً المجرمين... الحمد لله...

لقد أصابهم الذعر والهلع بعد قتل فهمي عودة، فقبضوا على أكبر عدد من الأخوة. لن تصلوا إلى القاتل أبداً أيها الطواغيت الكفرة. لن تصلوا أبداً إليهما لأنهما الآن خارج البلد. ها. ها... الدور على الرأس الكبير!... ها. ها... لابد من إزاحة أعداء الله عن طريق الإسلام. وسيزاحون إن شاء الله بأيدينا، بأيدي الجماعة الإسلامية المجاهدة في سبيل الله... الجماعة الإسلامية الحقة...

سنطهر البلد منهم... سنحكم شرع الله... سنعيد وجه الإسلام النقي مرة ثانية... سنعيد الخلافة الإسلامية مرة أخرى... سيعلو صوت الله وصوت رسوله عليه الصلاة والسلام... سيخدم صوت أعداء الله الكافرين والملحدين إلى أبد الدهر... سيخدم صوت الطواغيت إلى الأبد... سنعود يا إسلام ثانية... سنعود إن شاء الله... سنضحي في سبيلك... سنبذل كل جهودنا لتعود رأيك ترفرف عالية... سنبذل الأرواح رخيصة في سبيلك... سيعود مجدك مرة أخرى... فليقبض علينا الطواغيت، فلن نتردّد عن طريق الجماعة الإسلامية شبراً واحداً... لن نترك دعوتنا وجهادنا أبداً مهما فعلوا بنا... لن ننزل راية الإسلام أبداً...

توقف عامر عن خواطره حينما بدأ اللعنة الذي ينبعث من الحجرة التي أمامه سالتي كان بابها مواربا - يتتشابك رويدا ليكون حديثا مفهوما؛ فأصاخ السمع...
يا فندم، لا يوجد تنظيم للجماعة الإسلامية في شبرا ولكن في الشرايبة.
-أنت نائم. صح الجماعة الإسلامية موجودة شبرا وهي التي قامت بالمظاهرة في الأسبوع..... في..... شارع شبرا.
-..... المظاهرة... سمعت ...
-قلت لك إنك نائم..... نائم...
-المظاهرة كان فيها عدد كبير..... أنحاء القاهرة...
يا فندم، الجماعة الإسلامية بشبرا هي التي نظمت هذه المظاهرة...
.....
-مسئول.....
-على العموم أنا مسئول عن ملف الإخوان المسلمين..
-فعلا، أنت مسئول عن ملف الإخوان، ولكن أين لحيتك التي تستطيع أن تدخل بها المساجد التي يتواجد بها الجماعات الإسلامية. لقد كنا نعتقد أن الجماعة الإسلامية ليست موجودة..... شبرا والساحل، ولكن المظاهرة الأخيرة كشفت لنا عن وجود تنظيم كبير والعجيب..... الجماعة الإسلامية خرجت للمطالبة بتخفيض أسعار السلع، وهذه أول مرة يخرجون في سبيل ليتعاطف معهم الشعب...
.....
-أرجو يا فندم، ألا تكون المقابلة... كما ... مسجد نصر الإسلام... لا تسببوا ... حرجا...

تعجب عامر من قول الضابط لزميله: "ولكن أين لحيتك التي تستطيع أن تدخل بها المساجد"!!!... ومن قوله: "أنت مسئول عن ملف الإخوان!" ضابط ملتحي ومسئول عن ملف الإخوان؟!... رفع عامر جزءا بسيطا من العصابة المحكمة الرابط من على إحدى عينيه بحجة حكها ثم أغلقها بسرعة، وما بين فتح عينه وغلقها انداحت به الدهشة في الطرفة!!!... ما هذا الذي رأيته عيني؟!
الغرباوي؟!! الغرباوي؟!! الغرباوي؟!!
الإخوان!... الغرباوي ضابط أمن دولة!!...
الإخوان المسلمين المنظمون! المخترقون! ها ها... مضحوك عليهم من أمن الدولة!...
الغرباوي؟! يا خبيثة الإخوان! ما أخيبهم وأعبطهم!... آه لو أخبرت الشيخ سراج الدين أميري. آه ياشيخ سراج لو رأيت ما رأيته الآن. آه لو سمعت ما سمعته الآن. آه آه ياشيخ سراج. هيفي خبر الموسم...
أصاخ السمع مرة ثانية ليتسمع ما يدور، ولكن الصوت اختفى تماما بسبب غلق الباب.

-87-

تساءل الدكتور مجدي النحال، وكالة أنباء المستشفى:
-أرأيتم ما حدث للممرضة بهيجه فرات؟
وبسخرية وحماس:
شهيدة الحب والغرام!
ضحك الدكتور فوزي نجيب قائلًا:
الست الممرضة لم يستطع عقلها أن يتحمل جرعة الحب من طبيب؛ فضررت (فيوزه)،
ووجنت...
وقالت الدكتورة سمير سعيد ساخرة:
بهيجه لم تصدق ما حدث، فهي قد تتوقع أن يحبها ممرض أو عامل أو حتى عم محمود عامل
الكتين، أما أن يحبها طبيب.
وقال الدكتور عبد الوهاب محمود:
مسكينة.
قال مجدي النحال:
الدكتور صلاح ضحك عليها بكلمتين حب ووعدها بالزواج؛ فعاشت تحلق في السماء... فلما
أخلف وعده ربما بسبب رفض زوجته أن تكون لها صرة، هوت إلى الأرض مجونة...
وقال الدكتور سامي حليم ضاحكا:
والschizophrenia⁷¹ عندها جعلتها تعتقد أنها أم الحبيب.
وقال طبيب 1 ساخراً:
يا عيني!
وقال طبيب 2 ضاحكا ساخراً:
يا عيني على الحب!
فضحك بعض الأطباء...
قال فوزي ساخرا بصوته الخشن:
والحبيب (الدنچوان) عامل فيها من الإخوان المسلمين.
وبسخرية أكثر:
والعجب أنه يقرأ علينا شعراً أجنبياً.
ثم وهو يكتم ضحكه:
المفروض أن الإخوانجي يتلو شعراً للمنتبي أو لزهير ابن أبي سلمى...
فانفجروا ضاحكين...
فخرج الدكتور عماد الدسوقي متضايقاً غاضباً وهو يقول:

⁷¹ مرض الفصام (انفصام الشخصية)

ما أكثر السخافات في هذه المستشفى....

فغلق فوزي وهو يضحك ساخرا:

-خرج تاجر السيارات.

ثم وزع نظراته على أطباء الحجرة وهو يقول:

-عامل فيها هو الآخر من الإخوان. هل هذا شكل إخوان؟ بصراحة لا يمكن أن يكون إخوان ولا حتى طيب... .

فخرج الدكتور أحمد إسماعيل غاضبا وهو يقول:

-الدكتور عماد ترك تجارة السيارات.

ثم نظر إلى فوزي بنظرات حادة ثاقبة وصاح وهو يشير بيديه إليه:

-لا يمكن أن يكون هذا مستوى أطباء أبدا! ما هذا الانحطاط الخلقي؟! ليأتِ نقيب الأطباء ليرى مستوى الأطباء الذين يمثلهم في النقابة... .

قال عبد الوهاب بصوت منخفض:

-لا تنسوا أن الدكتور أحمد صاحب الشيمي والدسوقي، ويجلسان معه في حزب الشجرة صباحا. قال فوزي:

-وأنت يا عبد الوهاب تجلس معهم في الحزب الشجري.

ثم نظر ناحية مجدي النحال:

-والدكتور وكالة أبناء المستشفى كذلك.

ثم نظر ناحية الدكتور حكيم وصمت.

قال حكيم لفوزي:

-عقبى لك.

قال طبيب³:

-الدكتور أحمد متضايق من الحديث عن صاحبه وحبيبه مجنونة الحب والغرام. مسكون هو الآخر فهو قد فشل في كل زيجاته، ولم يعمر مع أي زوجة... .

فقالت الدكتورة ابتسام عوض الله في ضيق:

-عيوب عليكم أن تتحدثوا عن زميل وزميلة بهذا الشكل. وبهيجية إنسانية محترمة ابتليت بمرض عنيف يمكن أن يُصاب به أي أحد منا في أي وقت ولا توجد مناعة ضده.

وقال الدكتور حكيم نخلة:

-صدق الدكتور أحمد إسماعيل حينما سمي هذه الحجرة بحجرة التمية!

امتعض الدكتور مؤمن:

-هي بصرامة حجرة نمية.

قال فوزي زاعقا وهو يوزع نظراته ناحية حكيم وابتسام ومؤمن:

-الذي لا يعجبه الحديث لا يجلس هنا. أتفهمون؟

فردت ابتسام غاضبة:

-هذه حجرة الأطباء يا دكتور فوزي، وليس حجرة شلة معينة. والشلالية هي أقذر فساد في هذه المستشفى! ويجب أن يكون الطبيب على مستوى راق من الأخلاق...
فتساءل الدكتور سامي حليم ساخراً:
-أتؤدين دور الوعظة لنا؟!

ضاق نفس الدكتورة ابتسام، وزفرت زفارة حارة وهي ترد على سامي:
-ألا توجد نقطة دم في وجهك؟! أليس بهيجه جارة لك في شبرا؟ جارة وزميلة. سبحان الله...
قال فوزي لسامي:

-ابعد عن الدكتورة ابتسام فهي يسارية وثورية...
قال حكيم بهدوئه المعهود:

-الدكتورة تتصحّم ويجب أن تأخذوا بنصيحتها. وهي معها الحق. فكثير منا قد فقد صفات الطبيب المحترم...
فاحتذت الدكتورة عليه:

-المفروض أيها الزملاء، أن نزور بهيجه في المستشفى، ونقدم لها العون بدلًا من أن نسخر منها ومن مرضها. وما أقبح أن يسخر الطبيب من مرض أي إنسان! وما أكثر قبحه لو سخر من مرض زميله أو زميلته في العمل! ما أقبحه وأحقره!!!
شعر كثير من الساخرين بالحرج، فتركوا الحجرة وخرجوا.

قال حكيم باشراف:
-أحرجتنيهم وأخرجتنيهم يا دكتورة عليه. الله ينور عليك.
ثم خرج ليستدعى أحمد إسماعيل وعماد الدسوقي.
قالت ابتسام بهدوء:
يجب أن نعمل بنصيحة الدكتورة عليه وننذورها في المستشفى في أسرع وقت إن شاء الله...

-88-

الأستاذ أحمد الغرباوي ممتعض ومتضايق من وجود سعيد عوض وصلاح الشيمي في أسرة واحدة بعد الخناقة التي حدثت بين زوجة صلاح وأم سعيد، وإيداع أم سعيد في مستشفى الأمراض العقلية، ولغط الناس والجيران وخوضهم وغمزهم ولمزهم في هذا الموضوع... وفي أول لقاء لأسرة الإخوان العاملين بعد هذه الأحداث، قال الغرباوي لنقيبه محمد الوكيل: يا أستاذ محمد، الجمع بين الأخ سعيد عوض والدكتور صلاح الشيمي في أسرة واحدة بعد الأحداث الأخيرة فيه حرج شديد لكل منهما.

ثم تساءل:

-فهل من الأفضل أن نفصل بينهما؟

فأجابه:

بالرغم من أبيجديات الأسرة في دعوة الإخوان أن يكون أفرادها متقاربين في العمر، إلا أن أسرتك أثبتت عكس هذا الكلام... فأعمار أفراد أسرتك متباعدة، ولكنها من الأسر الناجحة. أما بالنسبة لموضوع الحرج بين الدكتور صلاح والأخ سعيد، فظن أن الحرج ليس فقط في لقاء الأسرة ولكن في السكن. وأظن أن الحرج في السكن أشد من حرج لقاء الأسرة. فسعيد ووالدته يسكنان في منزل الدكتور صلاح. والخوف حين تستعيد أم سعيد حالتها الصحية وتعود إلى شقتها أن ينشب القتال مرة أخرى بينها وبين زوجة الدكتور صلاح...

هذا الغرباوي رأسه موافقاً:

-أوافقك يا أستاذنا. ولكن الحرج بينهما في لقاء الأسرة يعرقل تقدمها، ويصيّب الأخوة بينهما بخدوش...

قال أخي 1:

-المفروض أن الحب في الله يذيب أي شوائب تتعلق بالأخوة.

وقال أخي 2:

-عسى أن يتعمق الحب في الله بينهما.

وقال أخي 3:

-الزمن خير علاج.

تساءل الوكيل:

يا أخي أحمد، حدثنا عن الموقف الأخير لكل فرد في مشكلة الدكتور صلاح وأم سعيد؟ -أم سعيد، مازالت في مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية وبيدو أن إقامتها في المستشفى ستطول. أما الدكتور صلاح، فيبدو عليه أنه أفاق من المشاعر الكاذبة تجاه أم سعيد والله أعلم. وهو الآن مقبل على زوجته وأبنائه وعمله. وحالته النفسية أفضل من الأول بكثير والحمد لله. وبخصوص الأخ سعيد، فهو مازال فلقا على والدته إلى حد ما. ولكنه لن ينسى بسهولة ما سببته زوجة الدكتور صلاح لأمه، ويحتاج لوقت طويل لينسى المشاعر الغربية العدائية تجاه الدكتور

صلاح الذي أحب والدته. وتتبقى زوجة الدكتور صلاح، فهي عادت إلى بيتها وزوجها، وأكيد تشعر بالذنب لما سببته لأم سعيد.

قال أخ 2 مندهشاً:

- لا أظن أن توجد مشاعر عدائية بين أخوين في الإخوان مهما حدث.

وقال أخ 1

- هذا تصور الأخ أحمد. وربما لا يحمل سعيد أي عداء للدكتور صلاح.

وقال أخ 3:

- الأخ صلاح الشيمي قد أحب والدة الأخ سعيد، وفي الوقت نفسه، كان عازماً على الزواج منها. فالرجل غرضه شريف نبيل لأرمأة ظروفها الاجتماعية سيئة. والشرع قد أباح له ذلك. فهل في هذا ما يؤدي إلى أي عداء تجاهه؟

قال الوكيل:

- ربما تكون المشاعر العدائية لزوجة الدكتور صلاح فقط لأنها السبب فيما حدث لأمه.

قال الغراباوي وهو يشير بيديه:

- لا تنسوا يا إخوة، أن سعيداً شاب، ويتعامل من حلال رعونة وردود أفعال الشباب.

- وربما تكون هذه المشاعر العدائية أو هام في أذهاننا فقط.

- الزمن خير علاج كما قلت.

- الأخوة في الله تمحو أي عداء...

- الأخوة في الله قادرة على إطفاء شرر الاحتكاك في المواقف المختلفة.

- الأخوة في الله هي الزيت الذي يلين تروس الاحتكاكات... وعلى العموم، سعيد لم يصدر منه

أي شيء يشوب أخوته للدكتور صلاح. أليس كذلك يا أخي أحمد؟

بلى يا أستاذنا. ولكنني أتحدث عما أراه في دخلية نفس سعيد. والعلم عند الله.

قال الوكيل:

- خير كل أخي منهما على انفراد في الاستمرار في الأسرة أو بالانضمام إلى أسرة أخرى حتى يتبعداً عن بعضهما فترة طويلة لحين عودة المياه إلى مجاريها.

ثم أكمل:

- في الكتبة القادمة - إن شاء الله - سيكون التركيز على الأخوة في الله...

و قبل إنهاء اللقاء، قال:

- حين تستعيد أم سعيد حالتها الصحية، يجب الفصل بينها وبين زوجة الدكتور صلاح في لقاء أسرة الأخوات.

ومط شفتيه آسفاً ويساساً:

- للأسف بدأت أسرة الأخوات الوحيدة في شعبتنا بالفشل!...

-89-

ذهب الدكتور أحمد إسماعيل وصديقه الأثير الدكتور حكيم نخلة إلى حجرة الأطباء لاحتساء قهوة الصباح قبل بدء العيادات... علق الدكتور فوزي بمجرد دخولهما الحجرة:
-أنتما لا تفترقان أبداً!
فضحك أحمد إسماعيل، وقال:
-نحن رمز ثورة 1919...
وضحك حكيم قائلاً:
-يعني اتحاد الهلال والصليب...
وقال أحمد إسماعيل:
-أحسن من الشللية البغيضة التي تجوس خلال النفوس المريضة في مستشفانا البئس.
فتساءل الدكتور سامي حليم ساخراً:
-وأنتما أستثما تمثلان شلة؟
فرد أحمد إسماعيل محتداً:
-لسنا شلة يا سامي يا حليم. ولكن الشلة أسلوب رديء متغصب حقير لا ينتمي إليها إلا كل شخصية مريضة بعيدة عن المروءة!...
وبامتعاض وقرف: "وأسوء شلة وأحقرها هي التي ترتبط بإدارة المستشفى وتکيد للزملاء!"
فهم سامي حليم ما يقصده أحمد إسماعيل فسكت ولم يرد...
قال الدكتور عماد الدسوقي: "وطبعاً، المسكين مثلـي الذي لا ينتمي لأي شلة، يُشطب أمام اسمه بالأحمر في خانة الانصراف في دفتر التوقيع في أي مؤتمر، وأآخرها في مؤتمر الجمعية المصرية للأمراض الجلدية في الأسبوع الماضي!"
فقالت الدكتورة سميرة سعيد غاضبة: "يا دكتور عماد، كل الأطباء الذين لم يوقعوا بالانصراف في أيام المؤتمر شُطبوا أمام أسمائهم بالأحمر".
فرد عماد: "لا، يا دكتورة سميرة. فالدكتور فوزي نجيب وغيره كثير، كانوا معنا في المؤتمر طوال اليوم حتى الساعة الرابعة بعد الظهر، ولم يأتوا للمستشفى للتوقيع، ومع ذلك لم يقترب القلم الأحمر أمام أسمائهم".
نظر عماد الدسوقي في عيني الدكتور عبد الوهاب محمود وتساءل:
-بماذا نسمي هذا يا دكتور عبد الوهاب؟ خيار وفاقوس؟!...
شاطت سميرة غضباً بسبب توجه عماد لزوجها بالحديث وتركها هي والحوار معها أصلاً، فتركت الحجرة وهي تقول: "أطباء آخر زمن".
قال الدكتور عبد الوهاب في نفسه: عند حق يا عماد. فسميرة هي السبب في كل هذه المساحر...
ثم قال بتلهم: "ربما يكون هؤلاء الأطباء قد حضروا بين جلسات المؤتمر للتوقيع".

ضرب عماد كفا بكف وقال:

لم يبرح أحد منهم المؤتمر. أنا متأكد. وفوزي والنحال ونجية وسامي ها هم أمامنا فلتسألهم وأظن أنهم لن يكذبوا.

فتتساءل فوزي ساخرا:

-أنت عندك وقت يا تاجر السيارات للمؤتمرات؟

فاختد الدكتور صلاح الشيمي: "عيوب يا دكتور فوزي أن تخاطب زميل بهذا الأسلوب. تاجر سيارات! عيوب! عيوب! قوي!"

وبامتعاض وهو يرشق فوزي بنظرة غيظ: "و عماد قد ترك تجارة السيارات. أتفهم؟"

قال فوزي: "طبعا، الإخوان المسلمين يدافعون بعضهم عن بعض".

-أنا أدفع عن العدل. مع العلم، أنا لم يشطب أمام اسمى.

أو ما أحمد إسماعيل برأسه تجاه فوزي: "يا فوزي، ما علاقة الإخوان المسلمين بالخيار والفاقوس هنا؟! الرجل كان حاضرا المؤتمر مثلكم وقد شُطب أمام اسمه. وأنتم وقعتم الانصراف

في اليوم التالي صباحا. أليس هذا هو الخيار والفاقوس أم ماذا؟!"

لم يرد فوزي، ولكن أجابته الدكتورة نجية عبد الستار:

-أنا أسميه معك الخيار والفاقوس.

ثم تسأله: "ولكن أنت يا دكتور أحمد، قد حضرت المؤتمر معنا ولم يقترب القلم الأحمر أمام اسمك أيضا؟"

-صحيح، وكذلك الدكتور حكيم وكل الأطباء القدامى. ولكن يجب أن تكون العدالة مع كل الأطباء الحاضرين في المؤتمر سواء كانوا قدامى أم جدد، وأيضا سواء كان دمهم خفيف على

قلب سميرة سعيد وزوجها هذا وأشار بيده ناحية الدكتور عبد الوهاب محمود. أم دمهم ثقيل...

قال عبد الوهاب بهدوء: "أيها الزملاء، أنتم لا توقعون الانصراف إلا في اليوم التالي بوجه عام.

ولكن أحيانا يأتي تفتيش على الدفتر الساعة 2 ظهرا، فتضطر أن تشطب على البعض".

فهتف حكيم ساخرا: "وهذا البعض كيش فداء للباقي!"

ضحك عبد الوهاب قائلا: "هم فعلا كيش فداء".

فقال عماد ساخرا: "من العدالة أن يكون توزيع هذه الأضحية على الكل بالتساوي وبالتناوب".

فرد عبد الوهاب مبتسمـا: "عندك حق يا عماد".

ثم وأشار بيده إلى زوجته في حجرة التوقيع والملاصقة لحجرة الأطباء وقال:

-دعوني أغتابها فهي السبب. هي السبب...

فضحك الأطباء...

-90-

تناقلت الأخبار المحلية والعالمية خبر محاولة الإرهابيين الفاشلة لاغتيال الرئيس محمد حسني مبارك في زيارته لأثيوبيا...
وبعدهما قرأ سعيد عوض النشرة الأسبوعية، تسأله أحد الغرباوي:
ما رأيكم بما حدث للأخ طارق؟
فرد إسماعيل عبد الفتاح بحزن:
خبر مؤسف للأسف. وطارق هو الذي ضيع نفسه بنفسه!
قال علي عبد المنعم:
جريدة الأهرام هي التي أعلنت أمس اسمه وصورته ضمن الذين أعلنت السلطات الأثيوبية عنهم بعد التحقيق معهم في محاولة اغتيال الرئيس الفاشلة
قال سعيد عوض:
ليس في جريدة الأهرام فقط، بل لقد ظهرت صورته في أغلب الجرائد أمس.
قال إسماعيل:
لقد قرأت اسمه، وشاهدت صورته، ولم أتوقع أن يكون هو هو.
مط الغرباوي شفتيه آسفاً:
للأسف هو هو.
قال سعيد بضيق:
للأسف، لقد انضم طارق لتنظيم الجماعة الإسلامية. ونحن المسؤولين عن ذلك لأننا أهملنا موقفه، ولم نتابعه جيدا.
قال الغرباوي وقد أحمس أن سعيد يقصده:
طارق من أول احتكاك بي وهو يميل إلى التنظيمات المتطرفة. ولقد زرته وحاولت إقناعه، ولكنه غلق عقله! وفي نهاية الحوار قال لي بـألا أزوره مرة أخرى لأن أخيه حسن لا يحب أن يزور بيتهم الملتحون.
ثم نظر إليهم جميعاً قائلاً:
وأنتم قد زرتموه بعدي، فهل تغير منه شيئاً؟
قال سعيد بحزن شديد:
أنا نفسي كنت أميل إلى هذه الجماعة الإسلامية. وهداني الله إلى طريق الإخوان الصحيح.
وأسأل الله أن يثبتني ويثبتنا جميعاً.
قال عماد الدسوقي:
لا تحزن يا أخ سعيد. فالهداية من الله أولاً وأخيراً.
كيف لا أحزن يا دكتور عماد. وطارق كان منا، ولا يعرف مصيره الآن!
فهز إسماعيل رأسه بأسف، وقال:

- هو الذي اختار هذا الطريق لنفسه.
- ولكن كان يجب أن نقف معه ولا نتركه يضيع...
قال صلاح الشيمي:
- ومن قال لك هو قد ضاع، فإن أعدموه - لا قدر الله - فهو يعتبر هذا الإعدام شهادة في سبيل الله.
فتساءل الدسوقي مدهشاً:
- أي شهادة تلك التي في سبيل الله؟!
فرد عليه الغرياوي:
- تنظيمه يعتبر أن من لا يحكم بشرع الله طاغوت كافر مستحل دمه. ومن مات في سبيل التخلص من الطاغوت فهو شهيد في سبيل الله!...
فتساءل الدسوقي مرة ثانية باندهاش:
- التنظيم قاض وجlad في الوقت نفسه؟!
- للأسف نعم، يا أخي عماد.
هز الشيمي رأسه أسفًا وهو يقول:
- هذا باب خطير جداً، ومن يلح فيه لا يخرج إلا إلى التهلكة...
امتعض الغرياوي:
- ولنا في الخوارج قدّيماً الأسوأ في عدم فتح هذا الباب مرة أخرى.
قال أكثر من أخي:
- ربنا ينجينا منه...
قال إسماعيل بعد فترة صمت:
- التاريخ يعيد نفسه.
فسأله الغرياوي:
- ماذا تعني؟
- ما حدث قريب من حادثة المنشية.
- ووضح أكثر.
لقد قرأت في إحدى جرائد المعارضة أن محاولة قتل الرئيس عبارة عن تمثيلية قام بها النظام ليزيد من شعبية الرئيس!
فتساءل علي عبد المنعم مدهشاً:
- ولكن ما موقع الذين أعلنت السلطات الأثيوبية أسمائهم من الإعراقب؟
فرد عليه إسماعيل:
- طبقاً لكلام المعارضة، الموضوع كله ملفق!
قال الغرياوي بثقة:
- محاولة اغتيال الرئيس في أثيوبيا حقيقة وليس تمثيلية من النظام. وعلى العموم، دعونا من هذا الموضوع الشائك.

ثم سكت برهة، وبعدها قال بجدية وهمة:

يا إخوة... الفترة القادمة فيها شغل شديد وعمل دعوب بسبب الاستعداد لانتخابات مجلس الشعب في نوفمبر المقبل إن شاء الله، وستوزع عليكم ملصقات ولافتات ونشرات لتعطية شبرا كلها من الساحل غربا إلى شارع أحمد حلمي شرقا، ومن ترعة الإسماعيلية والمظلات شمالا إلى نفق القالى جنوبا، بالإضافة إلى الشوارع الطولية والعرضية...

فتساءل الشيمي باستغراب:

-ولكن هذه مساحة كبيرة جدا. فأين إخوان الساحل وإخوان روض الفرج وإخوان الخازنار؟
فتبسم الغرابوي ضاحكا:

-أولا: لستم وحدكم في هذا العمل. ثانيا: نحن مسؤولون عن منطقة شعبية شبرا وهي تمتد من شارع شبيان إلى أول شبرا عند نفق القالى، ومن شارع شبرا إلى شارع أحمد حلمي. ثالثا: لستم وحدكم المسؤولين عن شعبية شبرا، ولكننا بوجه عام- مسؤولون عن قطاع شمال القاهرة كله بمعنى أن أخوة الساحل ربما يحتاجون إلى جهودنا في المسيرات أو أي عمل آخر، وكذلك قد نحتاج نحن في شعبية شبرا إلى جهد الأخوة في الساحل أو في روض الفرج أو في الخازنارة. رابعا: حينما نعلق لافتة كبيرة من القماش فإننا سنضطر إلى دخول شرفات بعض المنازل، فلابد من الاستئذان بأدب جم، وأن ندخل في وجود رجل البيت، وأن نتعامل برفق وبأدب وأخلاق الإسلام ونعتذر عن الإزعاج الذي سنسببه لهم. خامسا: ربما تأتي الشرطة أو مباحث أمن الدولة للقبض علينا أثناء المسيرة، فلابد أن نخبرهم أننا خرجنا بعد إذن قسم الشرطة، وأن نصدّم، ونحتسب عند الله ما سيصيّبنا، ولا نخبر عن أي شيء عن الشعبة أو إخوانها، بل نخبرهم في التحقيق أننا خرجنا بعدأخذ مال من المرشح نظير المسيرة، ولا علاقة لنا بالإخوان.

فتساءل إسماعيل مندهشا:

-ولكن أليس هذا كذبا يا أستاذنا؟!

-الحرب خدعة يا أستاذ إسماعيل.

تساءل على:

-ولكن ألا توجد تورية لتخليص من الموقف؟ والتورية أحسن وأفضل وأشرف من الكذب...

-أخبرنا يا أخ على، ما هي التورية في هذا الموقف؟

نبحث عنها يا شيخنا.

-أبحث عنها أنت وأخبرنا بها. وهذا تكليف لك.

فتساءل سعيد:

-يا أستاذنا، ما الداعي إلى دخول مجلس الشعب طالما يصاحبها اعتقالات وفتن، وفي الوقت نفسه، لن يُسمح للإخوان بتحقيق أغليبية أو تكوين حكومة؟

تبسم الغرابوي وأجاب:

-أولا: لقد بايعنا على السمع والطاعة، فلا مجال للنقاش طالما أن قادة الإخوان قد اتخذوا قرارا في ذلك. ثانيا: إن إظهار شعار "الإسلام هو الحل" في الانتخابات لهو دعوة لتطبيق الشريعة

الإسلامية التي ستحل كل مشاكلنا، وخاصة بعدما طبقنا كل الأنظمة الوضعية التي لم تصل بنا إلا إلى الفشل في كل المجالات...
قال إسماعيل:

لقد رفع هذا الشعار في عدة انتخابات من قبل، والناس قد حفظته، والبعض قد سخر منه بزعمهم أنه شعار بلا مضمون، أو بلا برنامج!... ونتيجة الانتخابات معروفة مسبقاً ألا وهي للحزب الوطني الحاكم، فلم الجهد والتعب فيما لا عائد منه؟

لقد رفعنا شعار "الإسلام هو الحل" في انتخابات متعددة مثل انتخابات مجلس الشعب، والنقابات، واتحاد الطلاب، منذ منتصف الثمانينيات حتى تكون رأي عام للشعب بكل فئاته وأطيافه، لكي يفرض هذا الشعب إرادته، حتى نغير من واقعنا المريض... ولفترض أن الحزب الحاكم طبق مضمون هذا الشعار، وطبق الشريعة الإسلامية، فهو انتصار للإسلام ولجماعتنا ولدعوتنا المعتدلة. ولنا في تركيا أسوة حسنة، فالتيار الإسلامي هناك وجد استحساناً من الشعب بعدما أرضعوه العلمانية منذ سبعين عاماً! ولقد اختار الأتراك التيار الإسلامي في انتخابات المحليات وغيرها، ولقد نجح هذا التيار وأثبت فعلاً أن الإسلام هو الحل...

سخر إسماعيل:

-أنا أرى أن النظام عندنا لن يترك الحكم إلا على جثته!
ثم فسر:

-لأن أي نظام جديد تأتي به الانتخابات، سيحاسب وسيحاكم الحزب الوطني الحاكم على فساد مستشرٍ منذ أكثر من أربعة عقود.

ما علينا إلا اتباع أوامر الجماعة حتى ولو جاءت على عكس ما نرحب
فتحمس على:

-لقد بايعينا على الجهاد والموت في سبيل الله...
وقال الشيمي:

-سمعاً وطاعة لأوامر الجماعة. ولكن أخبركم بما حدث لي في انتخابات مجلس الشورى في عام 1990، وأرجو أن يصل ما أقوله لقيادات الجماعة حتى يزداد رصيد معلوماتهم في الانتخابات.

قال الغرباوي:

تفضل يا أخ صلاح.

لقد كنت موكلًا عن مرشح في اللجنة رقم 34 في مدرسة محمد فريد الثانوية، ومعي توكيلاً من المرشح موثق في الشهر العقاري، وقبل بدء الانتخابات دخلت اللجنة لأنتأكد من خلو الصندوق من أي شيء، ولكن عيني لم تصدق ما رأيت، فقد رأيت الموظف رئيس اللجنة يعلم بقلمه المسحوم أمام اسم مرشح الحزب الحاكم ويرمي الورقة في الصندوق باستمرار، فلما انتبه إلى لم يتوقف!...

قال الغرباوي وهو يضحك:

-هذا الموظف ينتخب بدلاً من الموتى الذين ينتخبون بإخلاص في موتهم!

فتسائل عمار:

-وماذا حدث بعد ذلك؟

لم أجد وقتاً لأعتراض، فقد جاء ضابط الشرطة المسؤول عن المدرسة ليأمرني أن أذهب بالتوكيل لكي يوقع مأمور قسم شبرا على التوكيل.

فقلت له: إن التوكيل موثق في الشهر العقاري، فقال: إذا لم توقع من البasha المأمور، فلن تدخل اللجنة وتبادر التوكيل عن مرشك... .

فتسائل علي ساخرا:

-وماذا يفيد دخول اللجنة بعد ذلك والموظف قد ملا الصندوق بالانتخابات الوهمية؟!

وأصل الشيمي:

-ومع ذلك ذهبت إلى قسم شرطة شبرا، فوجدت كل الوكالء موجودين في قسم الشرطة للغرض نفسه الذي أتيت من أجله! ولكن البasha المأمور ترك قسم الشرطة في الوقت الذي تحركت فيه لأخذ توقيعه، ولم يعد إلا في آذان الظهر! فلما وقع، أخبرته بما حدث في اللجنة، فقال: يا أخي، لقد انتهى كل شيء فلا داعي لتنبع نفسك في اللجنة!...

قال الغرياوي:

-في انتخابات الشورى يكون النظام شرسا جدا مع أي مرشح آخر غير مرشح الحزب الحاكم، فهم لا يقبلون أي معارض في مجلس الشورى.

قال علي في ضيق شديد:

لقد صدق المأمور فيما قال. وفعلا، انتهى كل شيء؛ فمن الساعة السابعة والنصف إلى الثانية عشرة ظهرا، لا يوجد أي فرد موكل عن أي مرشح. وموظفو اللجنة، في الوقت نفسه، يوقع لصالح الحزب الحاكم بدلاً من الموتى والأحياء الذين لا يأتون عادة للاقتراب بسبب اليأس من تحقيق انتخابات نزيهة! الله ينتقم منهم. إنهم يزورون إرادة الأم.....

لم يستطع أن يكمل الكلمة لأن جسده انقضى، وغاب عن الوعي، وروحه الآن قد صعدت إلى الكوكب السابع...

قام الدكتوران الشيمي والدسوقي لإسعافه...

قال الشيمي: "إن تخطيط المخ لم يثبت أي تغيرات ذات قيمة في موجات المخ".

وقال الدسوقي: "يعني ليست حالي صرخ كما شخص من قبل".

فتسائل الغرياوي: "طالما أنه لا يعاني من الصرع، مما تفسير انفاض جسمه وغيابه عن الوعي؟!"

فأجابه الشيمي: "الدكتور كامل إسماعيل قال بأن موجات مخه بها تغيرات طفيفة ويمكن أن تحدث لأي شخص طبيعي".

قال الدسوقي باندهاش:

-العجب أن مريض الصرع أثناء النوبة الكبرى يمكن أن بعض لسانه، أو يفقد التحكم في التبول أو التبرز، ولكن في حالة علي لم يحدث ذلك ولا مرة وهذا أمر غريب جدا!...

وقال الغريباوي:

-أنا أرى سوالعلم عند الله- وأنا لست بطبيب- أن يتم عمل تخطيط للمخ أثناء دخوله في حالة التشنج وغياب وعيه.

فقال الشيمي: "والله عند حق يا أستاذ أحمد، ولكن أني لنا ذلك؟"

-نتفق مع دكتور أعصاب من الإخوان لكي يأتي إلينا ومعه جهاز تخطيط المخ بمجرد حدوث النوبة.

-ولكن النوبة لا تستمر إلا دقائق معدودة.

-والنوبة غير متوقع توقيت حدوثها.

قال الغريباوي:

-أنسيت يا دكتور صلاح أنتا سألنا الحاجة أم علي عن حدوث النوبة في المنزل فأجبتنا بالفني، يعني أن النوبة لم تحدث إلا والأخ على معنا في الجلسة.

عصر عماد الدسوقي ذاكرته، فقال:

-ولكنها حدثت أثناء اعتقالنا في أمن الدولة.

فهز الشيمي رأسه موافقاً:

يبدو أنها تحدث له كلما تعرض لضغوط نفسية.

أشعر وجه علي عبد المنعم بأصوات غريبة مبهرة!...

قال أكثر من أخ: "سبحان الله. سبحان الله. ما هذا؟!"

وقال سعيد بحماس: "سبحان الله. لقد حدثت هذه الأصوات في نوبة منذ فترة طويلة".

قام الغريباوي وأكثر من أخ يقلون جبين علي وهو مستلقٍ على الأرض. وبعد دقائق معدودة، عادت روحه، وعاد إليه وعيه...

قال الغريباوي: "الحمد لله على كل حال. حمد الله على سلامتك يا أخ علي"...

لم يرد علي لأنـه كان يشعر بدوخة، ولم يستطع الكلام كعادته كلـما عاد من زيارته لأحد الكواكب السبعة...

قال الغريباوي للدكتور صلاح:

يجب أن نعيد فحص الأخ علي مرة أخرى.

قرأ الغريباوي من قصاصة صغيرة أمامه واجبات الأسبوع المقبل، وكان من بينها التنبية على كتبـية الشهر...

-91-

أنوار بديعة: لا هي ضوء الشمس، ولا ضوء القمر...

أنهار من لين، وأنهار من خمر، وأنهار من عسل مصفى... خضرة كثيفة تكسو أرضية الكوكب وتكسو القصور البدية التي ليس لها مثيل في الدنيا... أشجار باسقة كثيفة الخضرة وزاهية الألوان والأفان... أزهار متنوعة بديعة الألوان شذية الرائحة... مناظر خلابة... أنوار سماوية لا مثيل لها في الأرض...

هتفت روح علي في حماس: "الله الله يا أستاذى! هل نحن في الجنة؟"

أجابه المعلم وهو يبتسم ابتسامته المضيئة:

ـ يا علي، نحن في الكوكب السابع وهو يمثل مرحلة البرزخ.

ـ وبلهجة إعجاب: "أما الجنة فيها مala عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"...

ـ لقد ظننتُ أننا في الجنة من روعة وعظمة ما أرى..."

ـ تأمل المعلم ما حوله من صور النعيم ثم قال:

ـ كل النعيم هنا لا يوجد مثيله في الدنيا، ولكن هذا البرزخ ما هو إلا بروفة لأرواح الذين سعدوا قبل أن تقوم القيمة ويدخلون الجنة...

ـ هتفت روح علي في حبور: "الله... الله... الله...".

ـ كل ما تراه في هذا الكوكب يشترك مع ما في الدنيا في الاسم فقط، أما الحقيقة فمختلفة تماماً...

ـ فسر لي يا أستاذى ما تقول.

ـ ابتسם المعلم وهو يفسر: "أول ما تراه العين هو الضوء، وتحليل الضوء في الدنيا يظهر لنا ألوان الطيف السبعة، أما هنا فألوان الطيف لا نهاية لعددها وأنواعها وتراكيبها وجماليتها اللانهائي!"

ـ العجيب أن هذه الألوان البدية تتلاًّ دون تحليل للضوء!

ـ قال المعلم: "حتى الطعام يشترك مع طعام الدنيا في الاسم، أما الطعم والنكهة واللذة فلا مثيل لهم في الدنيا".

ـ أفلأ نأكل من الطلح⁷² الكبير المتداي أمامنا؟

ـ كيف نأكل ونحن أرواح؟!

ـ يا معلم، ألم تقل لي بأن لك جزءاً أرضياً؟

ـ ابتسم المعلم وأجاب وهو يشير أمامه إلى آفاق الكوكب: "في هذا الكوكب اللامتناهي الآفاق والبديع الأنوار، لا يستطيع نصفي الأرضي أن يتحمل هذه الأنوار، ولكن روحي تحمل".

ـ زقزقت طيور في سماء الكوكب؛ فانفجرت روانج شذية طيبة ملئت أركان الكوكب...

ـ قالت روح علي: "ما أبدع وأروع ألوان ريش هذه الطيور! إنها طيور غريبة عجيبة. أنا لا أستطيع أن أسميها".

⁷² الموز

تأملت روح علي أكثر في أشكال الطيور ثم هتفت:
سبحان الله. انظر يا معلم، إن أشكال هذه الطيور تشبه الأدميين! وضح لي يا معلم ما هذا؟
تبسم المعلم ابتسامته المضيئة وهو يوضح:
إن هذه الطيور بها أرواح الشهداء، وهي تتشكل بوجه الشهيد الذي تسكن روحه داخلها.
هتفت روح علي في حماس: "يا سبحان الله...".
اقترب طائر من روح علي، وحام حوله...
قالت الروح بفرح: "يا معلم يا معلم...".

ثم بلهفة شديدة: "إن هذا الطائر يشبه أبي، أكيد أن روح أبي داخل هذا الطائر! يا سبحان الله يا
سبحان الله... إن أبي لم أره في المنام منذ استشهاده في المعقل عام 1981".

رد المعلم بيقين: "لو كانت روح أبيك داخل هذا الطائر، فسيعود إلينا وذلك لأن روح الشهيد
داخل الطائر هي التي تحكم في حركة الطائر".

ثم بيقين أشد: "لو كانت روح أبيك داخل هذا الطائر، فسترى العجب العجاب...".

حلق الطائر فوق روح علي والمعلم، وحام حولهما عدة مرات في سرعة رهيبة، ثم توقف فجأة
أمام روح علي وهو يرفرف بجناحيه دون أن يتحرك.

قال المعلم بفرح: "ها هو الطائر الذي به روح أبيك، لقد عاد وعادت معه الأسواق ترفرف"...
سأل الطائر روح علي: "كيف وصلت إلى هنا يابني؟"

انتفضت روح علي باكية وهتفت:
سبحان الله! سبحان الله! إن الطائر يتكلم بصوت أبي! يا الله... يا الله... يا الله...
قال المعلم بحماس:
-هذا هو العجب العجاب!...

تعانق الطائر روح علي... وتعانقت الأسواق... وتعانق الحب واللهمه...
قال الطائر:
-أنا أعلم أنك حي. فكيف وصلت إلى هنا؟
سبحان الذي جاء بي إلى هنا. سبحان الله وبحمده... سبحان الله العظيم...
سبحان من ألهمه التسبيح يابني.

ثم زقرق وزقرق ونداحت الروائح الطيبة...
قال المعلم:
-إن هذه الزهرة هي تسبيح هذا الطائر.

قال الطائر:
نحن هنا نغبطكم على التسبيح في الدنيا يابني. يا ليننا نسبح متكلم.
تساءلت روح علي:
ولماذا لا تسبحون يا أبي?
 فأجا به الطائر وهو يبتسم:

-لأننا هنا غير مكلفين يا علي.
وبابتسامة:

-ولكن الله -عز وجل- يمن على من ° يشاء من عباده هنا بالكوكب السابع بالتسبيح والتحميد
والتهليل والتكبير...
وواصل:

-وهذه المنة أعظم من النعيم الذي تراه أمامك وحولك يا بني... وأعظم منة هي لنبي الله موسى
-عليه السلام- الذي يصلى في قبره وبالتالي يصلى هنا في الكوكب السابع في الوقت نفسه
لانفتاح قبره على كوكبنا هذا...
سبح المعلم... وسبحت الروح... وزرقق الطير... وانفجرت الروائح الطيبة المرتبطة بالزرقة

والتسبيح...
قال المعلم:

-سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر... هن الباقيات الصالحات...
وقالت الروح:

-سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر...
وقال الطائر:

لو عرفت فضلها ما غفلت عنها يا بني...
تساءلت الروح:

-ماذا فعل بك الطغاة قبل استشهادك؟
لا تصفهم بالطغاة يا بني.

فردت الروح بقوة:

-هم طغاة فعلا يا أبي. هم طغاة فعلا...
يا بني، لقد محا الله -عز وجل- الصفات الرديئة عنا بمجرود خروج أرواحنا من الدنيا...
أخبرني يا أبي، ماذا فعلوا بك؟

-بعدما وضعوا أسلاكاً كهربية كثيرة في مواطن كثيرة من بدني؛ علا صوت أزيز رهيب،
فارتجف جسدي رجفاً عنيفاً... وفي بداية إحساسي بآلام الرجفة، جاعني ملك الموت في صورة
طيبة يهنتني بالشهادة...
ولكني لم أمت. فارتدوا أقفازاً في أيديهم وعصرروا موضع العفة مني؛ فجاءتني آلاماً مبرحة

رهيبة صعدت روحني أثنائها إلى بارئها ونزلت الشهادة والحمد لله على منه وفضله...
صرخت روح علي:

-الله ينتقم منهم. الله ينتقم منهم. الله ينتقم منهم...
لا تدع عليهم يا بني. فربما كانوا مجتهدين لمصلحة البلد.
لازال دينهم تعذيب خلق الله.
يا بني، من ° اجتهد وأخطأ فله أجر.

ثم زرقق، وقال:

لقد جاهدت في جماعة الإخوان كثيراً، والحمد على نيل الشهادة. ولكن اعلم يا علي، إن أي عمل دعوي في الإسلام لابد أن يكون في النور.

فردت روح علي:

-اختيار العمل في الظلم بسبب الظلم الذي تطفح به الأرض والبغى والعدوان...
زرقق الطائر وزرقق ثم هتف بيقين أهل الجنة:

-العمل في الظلم يربك الأفكار والتصورات والنظارات!...

ثم رتل:

-{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِّلْعَبِيدِ}*⁷³ ...
قال علي:

-الكلام نفسه قالته العواصف.

تساءل المعلم:

يا عبد المنعم، أين الجنة؟

زرقق الطائر، ونظر إلى سماء الكوكب وهو يقول:

-إن الجنة فوق الكوكب السابع، والعلاقة بين الجنة وبين الكوكب السابع، كالعلاقة بين حياة الجنين في ضيق الرحم والحياة في كوكبكم الأرضي...

هتف المعلم وروح علي في صوت واحد:

سبحان الله...

سأل الطائر روح علي:

لماذا أتيت إلى هنا يابني؟

لقد أتيت مع المعلم لكي نقابل الغلام الشهيد.

فهتف الطائر مندهشاً:

-غلام أصحاب الأخدود.

زرقق. قال:

-هنيئا لك هذه المقابلة يا علي.

ثم بإعجاب:

-إنه أحد الملوك السبعة هنا.

ثم زرقق؛ فانفجرت منه رائحة عطرة زكية... غرد وقال:

لقد حان وقت مقابلة ملك الملوك السبعة، فأودعك الله الذي لا تضيع وداعه.

وفي لمح البصر اختفى الطائر...

⁷³ الآية 46 من سورة فصلت

-92-

في لقاء الكتبية الشهري، كان الأستاذ محمد الوكيل نقيب الغرباوي هو المحاضر.. وكان مما قاله:

يا أخوة... جيلنا كان يقرأ كثيراً من جيلكم... حتى العمال وال فلاحون كانوا يقرءون كثيراً... وقد كان الإمام حسن البنا يرشدنا إلى الاطلاع الكبير، وأن تكون عالمين بعصرنا تطبيقاً لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم. حينما سأله الصحابي الجليل أبو ذر الغفارى وقال: أخبرنا يا رسول الله عن صحف إبراهيم وموسى، فأخبره الرسول -عليه الصلاة والسلام- كثيراً مما في صحف إبراهيم وموسى، وكان مما قاله الرسول: وأن تكون عالماً بعصرك... فالاطلاع على الثقافة العامة يا أخوة هو الذي يجعلنا عالمين بعصرنا لا مغيبين. وإن كان جيلكم أكثر منا معرفة بالكمبيوتر واستخداماته، إلا أنه لابد من الاطلاع والقراءة والتثقف... والأخ في الإخوان المسلمين لابد أن يكون لديه مكتبة في بيته.

ضحك الوكيل قائلاً:

طبعاً، الأبعدون حينما يقبضون علينا ينقضون انتصاراتنا ولا يبقون منها شيئاً! لكن نحن نندي إليهم معرفة لأنهم -على الأقل- يقرءون هذه الكتب لفهم دعوتنا والثقافة الإسلامية وال العامة... .

أيها الإخوان، لقد قرأت حكاية هندية، ووجدت أنها تنطبق كثيراً على العلاقة بين جماعتنا ونظام 23 يوليو العسكري الغاشم...

يُحكي أن أحد البراهمة القراء تزوج وأنجب ولداً اعتبره البرهمي كنزاً عظيماً... وبعد أن وضعت زوجته الطفل، ذهبت إلى النهر المقدس لتستحم. وظل الطفل في رعاية والده. وأثناء غياب أم الطفل، جاءت امرأة من ساكنات القصر ل تستدعي البرهمي لأداء خدمة دينية. وكان هذا البرهمي يعيش على الهبات التي تقدم له نظير خدماته الدينية. ولما لم تأت زوجته، ترك ابنه في رعاية نمس، وكان هذا النمس قد ربا البرهمي منذ ولادته. والنمس رمز ديني عند البراهمة. وأثناء غياب البرهمي، زحف ثعبان عملاق نحو الطفل، فرأى النمس فقتلته في الحال. ولما عاد البرهمي، وعلى مسافة بعيدة، جرى النمس نحوه متلهفاً سعيداً بعودته. فلما رأى البرهمي يد النمس ملطخة بالدم، ظن أن قد قتل طفله؛ فثار غاضباً، وقتل النمس بصخرة في الحال!... ولما وصل البرهمي إلى بيته، وجد طفله حياً يُرزق، ووجد بجوار الطفل ثعباناً كبيراً مقتولاً، فعلم أن النمس قد قتل الثعبان، فغشاً حزناً عميقاً... وحين عادت زوجته وعلمت بما حدث، وبخته وهي تتقول: لم تفكِ قبل قتل ذلك النمس الذي كان يوماً ما صديقاً لك؟!...

فهذه الحكاية تبين الرعونة والتسرع وعدم الروية التي كان عليها البرهمي، وينطبق ذلك تماماً على العسكر الذين حكموا مصر بعد انقلاب 1952!...

فحينما قامت الثورة، كان دور الإخوان المسلمين فيها عظيماً وهاماً. فالإخوان هم الذين أحكموا قضتهم الحدية على طريق مصر السويس ومصر الإسماعيلية الصحراويين حماية للقاهرة

من غزو الجيش الإنجليزي المرابض على ضفاف القنال. وفي الوقت نفسه، لم يكن الجيش المصري كله من الضباط الأحرار، فعدد أفراد تنظيم الضباط الأحرار لم ي تعد الألف. فلم يدافع عن القاهرة إلا الإخوان المسلمين وخاصة التنظيم الخاص. والإخوان كانوا هم أيضاً المسؤولين عن حماية المنشآت الهامة داخل القاهرة وكذلك البنوك...

فماذا كان رد الجميل من العسكر؟ انقض جمال عبد الناصر على زملائه أعضاء مكتب الثورة يفترسهم، فلم يبق منهم إلا الذين كانوا في الظل. حتى اللواء محمد نجيب رئيس الجمهورية اعتقله، بل ألغى تاريخه من كتب التاريخ!... وبعدها قام ناصر بذبح الأحزاب، وفصل العشرات من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات والمطالبيين بالديمقراطية، وضرب رئيس هيئة الدولة السنّوري باشا بالأذنيّة في مكتبه لأنّه أيضاً كان يطالب بالديمقراطية وعودة الجيش إلى الثكنات العسكرية، انقض على الإخوان الذين كان لهم دور كبير في نجاح الانقلاب فاعتقلهم وأعدم الكثير منهم واعتبرهم أعداء الثورة وفصلهم من وظائفهم الحكومية واعتقل منْ. يساعد أهلهم بأي صورة من العون وأذاقهم أشد العذاب في السجن الحربي!!... حتى الشيوخ عيون الدين أيدوا الثورة وقوانين الإصلاح الزراعي، اعتقلهم... لماذا؟ لأنّه يريدهم تحت لوائه في هيئة التحرير، فلما رفضوا اعتقالهم، وعذبهم في سجنه الحربي، واستشهد بعضهم تحت وابل التعذيب! ولكنه أخرجهم في عام 1964، ومن ثمّ وزارة الثقافة بمؤسساتها المختلفة منذ خروجهم من المعذّل وحتى الآن!

أما الإخوان فقد ظل بعضهم منذ عام 1954 في المعذّل حتى خرّجوا أيام السادات في سنة 1974!... ولكن الكثير أو الأغلبية قد خرّجوا من المعذّل في سنة 1971. وكان الأخ عبد المنعم السيد -عليه رحمة الله- والد الأخ علي من الذين ظلوا في المعذّل منذ 54 حتى 1974. والعجيب أن الأخ عبد المنعم قد عقد الزواج على الحاجة أم علي قبيل اعتقاله مباشرة في عام 54، ولم يدخل بها إلا في سنة 74 بعد خروجه من المعذّل...

هل -يا أخوة- جزاء إحسان جماعة الإخوان المسلمين في وقوفهم الوطني المشرف مع حركة يوليو 1952، الاعتقال والإعدام والسلح والتعذيب وإذ هاق الأرواح؟!!... لقد كانوا يضربون كثيراً من الإخوان على رؤوسهم حتى يتفتت الرأس الأبي الذي لم يخضع إلا الله وحده، وتصعد الروح الطاهرة إلى ربها تشكو ظلم وإجرام عسكري يوليو 52... إن صحراء مدينة نصر ستشهد يوم القيمة للأجساد الطاهرة التي دُفنت فيها بعد استشهادها على يد زبانية السجن الحربي... يا أخوة... إن البرهامي الذي قتل النمس، هو هو الزعيم الذي اعتقل وعذب وسحل كل الشرفاء والمخلصين والوطنيين الحريصين على تقدم هذا الوطن العظيم. ولكن البرهامي قتل النمس برعونة وغباء، أما الزعيم فقد قتل عامداً متعمداً حتى لا يبق أمامه أحد يعارض أو يقول قوله مخالف له.

لقد خطب الزعيم في الشعب المصري وقال: "لقد علمتكم الكرامة". هل كان الشعب بدون كرامة حتى أتى الزعيم فعلمه الكرامة؟!... هل كان شعبنا ضعيفاً ذليلًا حتى جاء الزعيم فعلمه

الكرامة؟! فأي كرامة علمها الزعيم للشعب؟ الحقيقة أن الزعيم قد أهدر كرامة شعبنا في سجونه ومعتقلاته، وعلمه الخوف والجبن والتفاق!...

ومن العجب أن الزعيم كان يمدح شعبنا في خطاب المنشية ويقول "كلكم جمال عبد الناصر"! بالله عليكم، هل قال زعيم حقيقي مثل الزعيم مصطفى كامل أو الزعيم سعد زغلول أو الزعيم مصطفى النحاس مثل هذا الكلام الفارغ؟! هل قال أحدهم: كلكم مصطفى كامل أو كلكم سعد زغلول؟! أو قال: لقد علمتكم الكرامة! إن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- لم يقولوا مثل هذا الكلام الفارغ. وإذا كان عبد الناصر واحداً فقط وأتى بهزائم لا حصر لها، فكيف يكون الحال لو كنا كلنا عبد الناصر؟!...

أيها الإخوان، لقد لغى ناصر تاريخ مصر كلها، واعتبر تاريخ بلدنا ببداً من 23 يوليو 1952!... ما هذه السخافة والتفاهة والحقارة؟ فعلاً، قد بدأ تاريخ المهانة والذلة والعار والهزيمة من 23 يوليو 1952!... لقد فقدنا في حرب اليمن خيرة شبابنا في حرب لا داعي لها أبداً، وفقدنا الغطاء الذهبي للجيشه المصري، وخيرة أسلحة الجيش في هذه الحرب التي لا ناقة فيها ولا جمل... إن مصر لم تهزم في تاريخها كله مثلاً هزمت في 5 يونيو 1967!!!... إن جيش مصر الذي أعاد لنا الكرامة في أكتوبر 1973، لم ينسحب بظهره في تاريخه كله كما انسحب في يونيو 1967!... بل لم ينسحب جيش في تاريخ الأمم كلها مثلاً انسحب جيشنا في 67!... لقد فقدنا أكثر من مائة ألف شهيد من خيرة شبابنا في يونيو 67 بسبب القيادة غير المسئولة وغير المؤهلة لقيادة كتيبة فضلاً عن أن تقدّم جيشاً عظيماً كجيش مصر ولداً عظيماً كالمحروسة أم الدنيا... بصراحة، لقد قاد جيشنا وبلدنا شوية عيل!!...

وكان عبد الناصر حريصاً كل الحرص على ضرب الإسلام والقضاء عليه بكل صورة: فألغى المحاكم الشرعية، وألغى هيئة كبار العلماء، ودمّر الأزهر الشريف بحجّة تطويره، وطبعاً أذاق أكبر جماعة تمثل الإسلام في القرن العشرين وهي جماعتنا الرشيدة- صنوف العذاب في المعذلات والسجن الحربي...

أيها الأخوة... إننا في الكتبة اليوم سنركز على الأخوة في الله، سواء في المحاضرة أو في الخطارة أو في لقاء الأسر بعد المحاضرة. وقد كانت المعذلات هي الفتن الذي تتصدر فيه أي شحنة بين الإخوان، وهي الفتن الذي تصقل فيها معادن الإخوان وخاصة الحب في الله، وهي الفتن التي تصقل فيها معاني الأخوة في الله بين الإخوان...

لقد كانت صفة الإيثار في أعلى صورها في المعذلات. تصوروا يا أخوة، أن الإيثار وصل إلى درجة أن يؤثر الأخ أخي على حياته نفسها!!!... ربما تندهشون مما أقول، ولكنني أقول حقائق. وفي عام 1957، كان الإخوان المعذلون في ليمان طرة يجلسون في الطرفة أمام الزنازين بعد صلاة العصر ليتقىوا درس العصر من الشيخ حسن صابر. وبينما هم في خشوع أثناء إلقاء الدرس، إذا بعساكر السجن تضرب عليهم النار من الأدوار السفلية! فماذا يصنع الإخوان الذين رُبوا على التآخي في الله وعلى الإيثار؟ قام إخوان من إخوانكم، فألقوا أنفسهم أمام الشيخ حسن

حتى لا يُصاب بأي أذى، وتلقوا الرصاصات الغادرة في صدورهم بنفس راضية، ونجا الشيخ حسن، واستشهد كثيرا من إخوانكم في هذه المذبحة...⁷⁴

يا أخوة، إن الإمام الشهيد حينما أسس دعوتكم، ربى الإيثار على الإخوان على الإيثار، وقال: إن أقل درجات الإخوة هي سلامة الصدر، وأعلاها الإيثار {وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ حَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحًّا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}...⁷⁵ فـأي إيثار هذا الذي يدفع صاحبه إلى أن يفدي أخيه في الله بروحه؟

هذه هي حقيقة الإخوان المسلمين... بل هي كانت حقيقة المجتمع المسلم الأول الذي ربى أفراده الرسول - صلى الله عليه وأله وسلم - على الأخوة في الله، والحب في الله، والبغض في الله... ألم يكن الأنباري يشطر نصف ماله وسكنه وطعامه وشرابه لأخيه المهاجر؟ بل ألم يكن الأنباري يطلق زوجاته لكي يتزوجها أخوه المهاجر؟ هلرأيت في التاريخ البشري كله من طلق زوجته لأخيه في الله لكي يتزوجها؟ لقد أثني الله - عز وجل - على المهاجرين والأنصار ومن أتى بهم من المسلمين فقال تعالى: {إِلَّا قَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ بِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَنَعَّمُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضُوا نَا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّابِرُونَ * وَالَّذِينَ تَبَرُّوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مِنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مَمَّا أُوتُوا وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ حَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحًّا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْرَانِا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَوْفٌ رَّحِيمٌ *} ...⁷⁵

لقد جاء رجل جاء إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو في المسجد، وطلب منه طعاما، فأرسل الرسول ليبحث عن طعام في بيته، فلم يجد إلا الماء، فقال: ((من يُضيّف هذا الليلة رحمة الله))، فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله. وأخذ الضيف إلى بيته، ثم قال لأمراته: هل عندك شيء؟ فقالت: لا، إلا قوت صبياني. فلم يكن عندها إلا طعام قليل يكفي أولادها الصغار. فأمرها أن تشغل أولادها عن الطعام وتتوتهم، وعندما يدخل الضيف تطفئ السراج، وتقدم كل ما عندها من طعام للضيف. ووضع الأنباري الطعام للضيف، وجلس معه في الظلام حتى يشعره أنه يأكل معه. وأكل الضيف حتى شبع. وبات الرجل وزوجته وأولادهما جائعين! وفي الصباح، ذهب الرجل وضيفه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم، فقال للرجل: ((قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة)). ونزل فيه قول الله - تعالى -: {وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ حَصَاصَةٌ}).

أيها الإخوان، إننا نجد صورة أخرى عظيمة من صور الإيثار والأخوة في الله في غزوة اليرموك، حينما جرح عكرمة بن أبي جهل مع بعض رفاقه - رضي الله عنهم - وهو يفتح ثغرة في صفوف الروم، فعرضوا عليه الماء وهو في حالة شديدة من الإعياء، فلم يشرب، وأثر أخيه

⁷⁴ جزء من الآية 9 من سورة الحشر

⁷⁵ الآيات 8 - 10 من سورة الحشر

على نفسه، وقال اذهبوا إلى فلان. فذهبوا إلى فلان، فلم يشرب، وقال اذهبوا إلى فلان. فذهبوا، فعل ما فعل أخوه. وذهبوا إلى المجاهد الثالث، فقال اذهبوا إلى فلان الذي قال اذهبوا إلى عكرمة فهو أولى مني. فذهبوا إلى عكرمة فوجدوه قد مات. وذهبوا إلى الثاني فوجدوه قد مات أيضاً. فذهبوا إلى الثالث فوجدوه قد مات. والرابع أيضاً قد مات. وأثر كل واحد منهم آخاه في الله، ولم يشربوا جرعة الماء بالرغم من حاجتهم كلهم إلى الماء!!...

أيها الإخوان، إن الإمام زين العابدين بن الحسين -عليهما السلام- كان يقول: إذا استحييت أن تضع يدك في جيب أخيك في الله وتأخذ حاجتك فاعلم أنه لا أخوة بينكما في الله... ولقد كان الإخوان المسلمين يضربون أروع الأمثلة في الإيثار والأخوة في الله. لقد أتى أحد الإخوان إلى أخيه في الله وفي دعوة الإخوان ليطلب حاجة له لضيق ذات يده، فلما قضاها الأخ له بكى بعدما غادر بيته. فقالت زوجته: لماذا تبكي؟ أتبكي لأنك قد قضيتك حاجته؟ فقال الأخ: لا، ولكنني أبكي لأنني لو سألت عليه أولاً بأول بصدق، لما أخرج نفسه، وأتي إلى ليطلب حاجته... هذا هو الإيثار.

وهذه هي الأخوة في الله الحقيقة. وهذه هي التربية الإسلامية التي زرعها الرسول -عليه الصلاة والسلام- في نفوس أصحابه، وهي التي نريد لها أن تكون في نفوس الإخوان دائماً وأبداً إن شاء الله، وهي سر تماسك جماعة الإخوان المسلمين...
بعدما أنهى الوكيل محاضرته، شكره الأخ الذي قدمه في بداية المحاضرة، وقال: نبدأ بتلقي الأسئلة الآن.

سؤال أخ 1:

-هذه الصور من الأخوة والإيثار صور مثالية سواء عند الصحابة أو عند الإخوان، ولكن واقع الإخوان الآن يختلف عن تلك الصور المثالية التي ذكرتها يا أستاذنا؟
تيسم الأستاذ الوكيل. قال:

-أليست أخوة الصحابة والتابعين وتابعـي التابعين هي نتيجة ل التربية القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم؟ إذن لن ينصلح حال الأمة إلا على ما صلح عليه أولها...
ثم استطرد:

-ولكن السعي على لقمة العيش الآن في الصباح وبعد الظهر وحتى منتصف الليل هو من العوائق في طريق التفرغ للدعوة والتربية الإسلامية الصحيحة... ولقد كنا في شبابنا نعمل عملاً واحداً، وبباقي اليوم يكون في الشعبة والدعوة إلى الله... أما الآن فالأخ يشتغل في مكاتب وثلاثة أحياناً. فمتى يتفرغ للدعوة حتى يمنحه الله ثمارها وثمار التربية الإسلامية؟ كان الله في العون...
سؤال أخ 2:

تصور يا أستاذنا الفاضل، أن بعض الأخوة في لقاء مكتب الشعبة الشهي يُبيتونليل رأياً معيناً حتى يأتي النقاش في لقاء المكتب فنجدهم يقولون رأياً موحداً ضد رأي باقي أعضاء المكتب، ويكون دائماً بعيداً عن الصواب ويتخلله الهوى. أليس موقف هؤلاء الأخوة يعبر عن الشلالية؟!

أجاب الوكيل غاضباً:

يا أخ حامد، لقد وجدت للأسف- في الآونة الأخيرة مثل هذه الشلالية. وإنني أقول لهؤلاء الأخوة: من هنا نهزم!!!

وپمارہ:

- وهذا هو الذي يُؤخر مرحلة التمكين والنصر....

سأله على عد المنعم

كَفِنْزِرْ عَ فِي نُوْسَنَا مَعْنَى الْأَخْوَةِ فِي اللَّهِ الْحَقْقَةِ مِنَ الْحُبِّ وَالْإِلْهَامِ، وَالْإِشَارَةِ؟

سألاً أخ

مئون سعی

من° الذي يضمن أنكم من الإخوان ولستم من الأمن؟

رد الوكيل متسبما:

اذا جاز

بأنني من ا

و هنف

الحمد لله

الحمد لله

وأننا ننصح الأخ الذي يُقبض عليه ويتعذّب لكي يخبر بأسماء أخوة الشعيبة، فلا يخبر إلا بسامي وأسماء الأخوة القدامي والمسنين والمعروفين جيداً لدى الأمن بأنهم من الإخوان المسلمين.

سؤال إسماعيل عبد الفتاح:

-عبد الناصر له إيجابيات يا أستاذنا، فلماذا ترك على السلبيات؟ لم يوزع الأرض الزراعية على صغار الفلاحين؟ لم يعقد معااهدة الجلاء مع الانجليز؟ لم يؤمم القناة؟ لم ينتصر في حرب 1956؟ لم ينصر الاقتصاد المصري؟ لم يبن السد العالي...؟

تَبَسِّمُ الْوَكِيلِ، وَأَجَابَ:

لو قسناً أي إيجابيات -إن اعتبرناها إيجابيات- على السلبيات الرهيبة ل كانت المحصلة في صالح السلبيات، ومروعة للأسف!... فأي إيجابيات وأي بناء للسد العالي أمام هدم الشخصية المصرية وزرع الخوف في نواحيها وأعماقها...؟! وأي قيمة لتأميم القناة أمام هدر كرامة الإنسان المصري؟! وأي قيمة لقول "ارفع رأسك يا أخي فقد مضى عهد الاستعباد" أمام بتر هذه الرأس التي لا تسير في ركب الزعيم؟!...

في منتصف السنتين، زار الزعيم كلية طب القصر العيني، وأثناء الزيارة، قال عميد الكلية للزعيم خالد الذكر - لو زيدت ميزانية القصر العيني عشر ما يُنفق على بناء السد العالي لجعلنا القصر العيني أعظم مدرسة طبية في العالم؛ فما كان من الزعيم إلا أن اعتقل هذا الأستاذ،

وأذاقه صنوف العذاب في السجن العربي، ومنع عن أهله مرتبه حتى يموتوا من الجوع، بل كان يعتقل زملائه والطلاب وكل منْ يعيّن أهله بأي شكل!...

أما صور التعذيب في السجن العربي فهي ضرب بالشوم وجريد النخل وسيور السيارات والسياط الجلدية المبيتة في الزيت على الرأس وأي جزء من الجسم، والضرب بالفلكة على الأرجل، والصلب والجلد على "العروسة"، ونزع الأظافر، وإطفاء أعقاب السجائر على المناطق الحساسة، وارتداء أسبال بالية في زمهرير الشتاء، وتشريفة الصباح للاستيقاظ، وكلها ضرب وزعيم وسب وتعريّة العورات بل ووضع عصا غليظة في الدبر أمام الضحكات الماجنة الساخرة من الجنادين، والتمرينات الرياضية الصباحية التعذيبية وخاصة تمرين "شادية" وتمرين "مشية الإوزة" وتمرين "الحجل"، وكلها تمارين شاقة عنيفة لشبه آدميين لا يأكلون إلا شبه وجة واحدة تافهة في اليوم، وويل لمن يقع من الإعياط وما أكثرهم، فالعصا والشوم والسياط في انتظاره!...

والتعذيب الشاق في تكسير الحجارة في الجبل تحت حر الشمس وزمهرير الشتاء، والضرب والسحل بل الموت لمنْ يتکاسل عن هذا العمل الشاق، والتعذيب برش الماء في أرض الزنزانة شتاء، وبنهش الكلاب، وبالصعق الكهربائي، والتعذيب الجنسي الرهيب لإهار كرامة الإنسان المصري الذي قال رأياً لم يعجب الزعيم أو رفض أن ينضم في هيئة التحرير أو الإتحاد الاشتراكي أو طالب بالديمقراطية أو حتى نقد تسريحة مذيعة مقربة من أهل السلطة!...
فما الذنب الذي اقترفه هذا العميد حتى يصل هو والكثير جداً من المصريين إلى كره عميق للبلاد!... بل لقد فر منهم الكثيرون إلى خارج البلاد بلا بارقة أمل في العودة مرة أخرى! لقد كفر الزعيم وزبانيته الشعب بالوطن!...

واليآن، وبعد أكثر من أربعين عام بعد انقلاب يوليو 52، يوجد في إسرائيل كثيراً من الشباب المصري الذي يعمل في إسرائيل، وتزوج من إسرائيليات، وأخذ الجنسية الإسرائيلية!!... هذه بعض ثمار الانقلاب العسكري!... ولا ندري ما خباء لنا المستقبل من آثار هذا الانقلاب المشؤوم!

وإذا ناقشنا الإيجابيات يا أستاذ إسماعيل، فسنجد أنها ليست إيجابيات على الإطلاق. فالتعليم المجاني بدون دراسة واعية بجدواه أدى إلى تخريج جامعي ضعيف المستوى ولا يُعترف عالمياً بشهادته الجامعية. لقد كانت الجامعات الأربع في بلدنا قبل انقلاب يوليو 52 معترفاً بشهاداتها عالمياً لأنها كانت شهادات على مستوى علمي عالمي، ولكن بعد الثورة فقدنا كل ذلك!...

أما تحديد ملكية الأرض الزراعية بمائة فدان وتوزيعها على الفلاحين؛ أدى إلى نفثيت الرقعة الزراعية، وأدى أيضاً إلى أن يزرع كل فلاح يملك خمسة أفدنة من توزيع الإصلاح الزراعي على مزاجه! فانعدم التكتيف الزراعي لسلعة زراعية معينة، وأدى هذا إلى أن أمسينا نستورد القمح من الإتحاد السوفيتي في الستينات بعدما كنا نكتفي منه بل وتصدره أحياناً أيام الإقطاع الزراعي في عصر الملكية. وحتى الآن مازلنا نستورد القمح. وانزوى القطن المصري في السوق العالمي!...

وإذا تحدثنا على معاهدة الجلاء فأقول إن هذه المعاهدة قد عُرضت على الحكومات المختلفة -
الضعيفة بين قوسين- قبل الثورة فرفضوها، لماذا؟ لأنها تنص على إعادة احتلال إنجلترا
لمعسكرات القناة مرة أخرى إذا ما حاربت إنجلترا أي عدو ورأت في ذلك مصلحتها، فهي
ليست بمعاهدة جلاء حقيقة!

وقناة السويس كانت ستؤول ملكيتها لبلدنا في سنة 1969، فما الداعي لتأميمها الذي جلب علينا
العدوان الثلاثي وأثاره؟ ولقد سُحب جيشنا في حرب 1956 إلى الضفة الغربية من قناة السويس،
ولم يحارب إسرائيل التي احتلت سيناء كاملة، وتعرض أسرانا أثناء الانسحاب إلى التعذيب
المهين والقتل الجماعي الذي أعلنت عنه إسرائيل منذ فترة قريبة... وربما لا ينتبه البعض لأنّ
هذه الحرب، فقد كانت الحكومات المصرية في العهد الملكي متقة مع المملكة العربية السعودية
على منع أي سفن إسرائيلية من العبور في خليج العقبة. وقبل خروج الدول المعنية من بلدنا في
حرب 56، اشترط أيزنهاور على ناصر أن تمر السفن الإسرائيلية من خليج العقبة، ولم نعلم
بها الشرط إلا قبيل حرب 67 حينما أغلق عبد الناصر خليج العقبة أمام السفن الإسرائيلية،
وكان معنى ذلك بالنسبة لإسرائيل الحرب التي استدرك عبد الناصر لها، ولم يكن مستعداً لها،
وحدث المهزيمة المروعة التي لم تتعرض لها في تاريخ مصر كلها!...

ولقد صرّ ناصر الاقتصاد، ولكن قبل أن تنتهي حقبة الستينيات، كان الانهيار هو السمة
الأساسية للاقتصاد المصري وللشركات القطاع العام وكل ما أمهله ناصر حتى وصلنا إلى
شخصية القطاع العام الآن وما يصاحبه من عدم شفافية وفساد كبير!...

وبالنسبة للسد العالي، توجد أراء متضاربة حوله، حيث أن السد منع الطمي الذي يغذى
الأراضي الزراعية منذ فجر التاريخ، ويمكن أن تضرره إسرائيل فتغرقنا في أي وقت لا قدر
الله. وليس عندنا رادع نووي لكي تفكر جيداً قبل القodium على هذه الخطوة... ولكنني أعتبر بناء
هذا الصرح عملاً عظيماً في سجل الرئيس عبد الناصر. ولكن يا أخي، هذا البناء العظيم لا قيمة
له بجوار إهانة كرامة المصري في عهد ديكاتورية ناصر العسكرية الغاشمة. هل يوجد عند
ال المسلم أعظم من بناء الكعبة المشرفة؟ إن الرسول -عليه الصلاة والسلام- كان يطوف بالكعبة
ويقول: ((ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة
المؤمن أعظم عند الله حرمة منك ماله ودمه وإن نظن به إلا خيراً))... أما عند من بنى السد
العالى، فلا حرمة لكرامة وحياة الإنسان المصري!...

سؤال آخر 4:

- التعذيب على العروسة قد قرأنا عنه، ولكن ما هو تمرين رقصة الإلوزة وتمرين شادية وتمرين
ال.....؟

- هذه التمارين هي تعذيب باسم تمارين الصباح. فتمرين الحجل هو الحجل على رجل واحدة مع
وضع اليدين في الوسط والجري ويصاحبه الدوران في دائرة ضيقة حتى الوصول إلى مرحلة
انعدام التنفس!... وتمرين شادية هو النوم على الظهر مع رفع الساقين فتحاً وغلقاً!... أما تمرين
رقصة الإلوزة فهو يُسمى بمشية الإلوزة وأيضاً يُسمى بتمرين "الزحف المقدس"، وهو عبارة عن

جلوس المعتقلين القرفصاء فوق أمشاط الأقدام وفي الوقت نفسه تكون الذراعان إلى أعلى، مع المشي بهذا الوضع المهلك للمفاصل والعضلات الممزقة أصلا! وويل لمن يلمس كعبيه، فالضرب من كل الجهات في انتظاره! ويستمر هذا الزحف المقدس حتى دخول العناصر الذي يسبقه مباشرة الضرب والركل والسب من العساكر المنزوعة الأدمية!...

سأل علي عبد المنعم:

س: ما قصة بصفك على تمثال الزعيم المشهورة عنك؟

تبسم الوكيل. أجاب:

- كانوا يعذبون المعتقلين نفسياً بأن يجعلوا أفراد كل عنبر يسيرون في صف كبير في فناء السجن الحربي حتى يصلوا إلى تمثلاً كبيراً للزعيم فيقوم كل معتقل بتحية التمثال تحية عسكرية ثم يعودون إلى أول الفناء ليعيدوا الكرة لمدة ساعة كاملة، فكانت كلما وصل دوري للتحية أبصق على التمثال بدلاً من تحيته... فكان الضابط والعساكر المسؤولون عن هذا التعذيب النفسي والبدني أيضاً يسبونني ويضربونني بالسياط التي في أيديهم على أمل أن أحى التمثال في اللفة القادمة، ولكنني كنت أبصق في كل مرة حتى جُن جنون الضابط وتوعّدوني بأشد العذاب. وبعد فترات أوقفوا هذه المهرلة!

ثم استطرد:

يا أخي، لقد كانوا يجعلون بعضاً يقول (أنا امرأة) عدة ساعات حتى يصل إلى رقم مليون!... لقد أهدروا كرامة الإنسان إلى درجة سخيفة!... واحد يعد إلى مليون وهو يقول أنا امرأة. ما هذا؟ ويُضرب إن وقف من التعب! إن بعض المعتقلين وصلوا إلى مرحلة انعدام إحساسهم بأدميّتهم!... والبعض وصل إلى مرحلة تكفير هؤلاء الجنود!... بل وصل المُكفرون الجدد إلى تكفير كل الذين ليسوا معهم في جماعتهم!... وهذا أيضاً من ثمار وصول العسكر إلى الحكم وتعذيبهم لخلق الله بدون وجه حق... وحسبنا الله ونعم الوكيل في الظالمين...

-93-

-هيا بنا يا حكيم إلى مكتب المدير لأمر هام جدا ...

وفي مكتب المدير، كان رجل خليجي في الخمسين من عمره، يرتدي ثوبا أبيض وغترة حمراء وعقلاً أسود، في انتظار عدة أطباء من المستشفى ليتعاقد مع بعضهم.

قال المدير:

-نرحب بالشيخ نايف الحرثي في مستشفى الحوض المرصود. والشيخ نايف صاحب عدة مستشفيات ومستوصفات في جدة والطائف ومكة، ويريد أن يتعاقد مع أخصائيين واستشاريين جلدية وتتناسلية. وهو يريد أن يحدثنا عن مستشفياته ثم يتعرف عليكم ليختار الأطباء سعداء الحظ.

تساءل الدكتور حكيم في سره:

لماذا لم يخبرني أحد بهذا الزائر؟ أليس الكل يعلم أنني أبحث عن فرصة عمل بالخارج؟! نظر حكيم إلى الأطباء المجتمعين ثم إلى صديق عمره أحمد إسماعيل. فهم الدكتور أحمد ما يجوس في نفس صاحبه فقال:

-أخبرت الزملاء بـلا يحذثوك عن هذا الزائر حتى تكون مفاجأة لك.

تنسم الشيخ نايف ثم قال:

-أنا سعيد في زيارة مصر أم الدنيا وأم العرب ...

قال الدكتور مجدي النحال:

-ولكن العرب عدواً أمهم كثيراً!

فضحك نايف وبعض الأطباء.

قال المدير في نفسه:

يبدو أنك ناوي تخرّب الجلسة يا نحال بسبب تجربتك الفاشلة في السعودية... الله يخرب بيتك أكثر ما هو خربان!...

استأنف النحال:

-قبل أن تحدثنا يا شيخ نايف، أرجو أن يسمع زملائي تجربتي المريرة قبل أن يقدموا على تجرب جديدة ربما تكون أيضاً مريرة...

فامتقنع وجه نايف. أشار المدير بعينيه لمدام سعدية لتدخل ولتوقف النحال.

قالت:

-توجد سفريات ناجحة يا دكتور مجدي. فلا داعي لئن (تطفش) زملائك من فرصة السفر وخاصة أن تأشيرات السفر شحيبة هذه الأيام.

فتبسم النحال وقال في نفسه:

أكيد أن شيخ المنسر أعطاكم الدنانير والدرارهم -مثلاً- يعطي لشركات السفر والنصب- لتسهلاً له سفر الأطباء الغلابة.

ثم تساءل بمكر:

-ولماذا فرص السفر شحيخة هذه الأيام ياشيخ نايف؟

فرد المدير رافعا الحرج عن نايف:

بسبب الاعتداء الجنسي على ابن المدرس المصري في الرياض، والقصة تلوّكها الجرائد منذ

فترة طويلة. والله أعلم بالحقيقة.

قال الدكتور صلاح الشيمي:

-ولكن القصة حقيقة. وأبو الطفل قدم تقريرا طبيا عن الحادث.

فتسائل النحال ثانية:

ياشيخ نايف، من الذي اعتدى على الطفل البريء؟ أليس مدير المدرسة؟! ومن الذي أقيمت

عليه حد القذف؟ أليس المدرس المسكين والد الطفل؟! والعجيب أن المدرس يعمل في ذات

المدرسة التي اعتدى فيها على ابنه!...

بلغ الشيخ نايف ريقه وقال لنفسه:

لو أعلم هذا النقاش ما جئت إلى هنا. مالي وهذه القصة...

ثم قال:

طال الله عمرك. إن هذا الموضوع قد حكمت فيه المحكمة الشرعية. ومعروف في الشريعة

الإسلامية أن من يتهم أحدا في فاحشة جنسية لابد وأن يأتي بأربعة شهود، وإذا لم يأتي بالشهود

الأربعة فيقام عليه حد القذف حتى لو كان صادقا.

فتهكم النحال:

-الحمد لله أن القاضي الشرعي الذي يحكم بشرع الله لم يقم بحد القذف على الطفل الضحية!...

تساءل حكيم:

-مع احترامي للشريعة الإسلامية، أليس التقرير الطبي الذي قدمه والد الطفل يكفي صدق

الواقعة؟!

قال المدير في نفسه:

ما لنا وهذا الموضوع؟! ألسنت قد حفيت على السفر يا حكيم؟ الله يخرب بيتك أنت الآخر!

قال الدكتور عبد الوهاب:

-أظن أنه يكفي. ولكن القاضي الشرعي في السعودية لا يحكم إلا على الأجنبي مهما كان

مظلوما!!!...

تساءل المدير مع نفسه:

من الذي جاء بأصحاب التجارب الفاشلة هنا؟!

قال نايف:

-القاضي يحكم بما تراه الشريعة الإسلامية.

فتسائل النحال منفعلا:

-أي شريعة تلك التي تترك المعتدي وتحاسب المعتدى عليه؟ وأي شريعة تلك التي تحكم على بالحبس ستة أشهر لأنى قد سبب الكفيل صاحب المستوصف الظالم المفترى؟ وأي شريعة تلك التي تترك الكفيل المفترى المجرم الذى ضربنى أمام المرضى وجعل عمال المستوصف أيضا يساعدوه في إجرامه وإهانتى؟ هل الشتم عقابه ستة أشهر سجن في زنزانة متر فى نصف متر في بطن الأرض، والضرب لا عقاب له طالما أنه ابن البلد؟ ولماذا قد شتمته أصلاً؟ أليس بسبب ممرضة مصرية استجدى بي بعد مراؤته لها عن نفسها عدة مرات!...

توهج وجه الشيخ نايف القمحى احمرارا. قال في سره:
الأطباء يقبلون بي في شركات السفر لكي يأخذوا تأشيرة عمل... من الذي جاء بي إلى هنا؟
 وأشار نايف بعينيه للمدير، فقال المدير:

يبدو أنك من فعل شوية يا دكتور مجدى. الأفضل أن تستريح في الخارج حتى تهدأ أعصابك.
ثم أشار إلى الدكتور سامي حليم ليأخذ النحال إلى خارج الحجرة.

نظر الدكتور حكيم سامي وهو يأخذ مجدى النحال إلى الخارج وقال في نفسه ساخرا:
يبدو أن سامي حليم يعمل هنا بمكتب المدير كطبيب جلدية بدرجة "ملك يمين"!!...
جف ريق نايف فلم يعلق إلا بعد قالت سعدية:

-الشيخ نايف ومجموعته الطبية المتميزة غير ذاك الكفيل الذي يتحدث عنه الدكتور مجدى.
قام عم محمود بتوزيع زجاجات الكوكاكولا المثلجة على الحاضرين.

ارتشف نايف رشقة؛ فبردت أعصابه نسبيا. قال:
-عندكم في مصر مثل مشهور يقول: "صوابعك مش زي بعضها".

فرد عليه الشيمي:

-ولكن المعاملة -بوجه عام- سيئة في المراكز الطبية الخاصة في السعودية بالذات. حتى نحن المصريين وغيرنا من البلاد العربية، يُقال علينا عندكم يا شيخ نايف. "أجنبي"!
قال المدير:

-يا شيمي، أنت سافرت في مستوصف خاص أربع سنوات وكنت ناجحاً موفقاً. فقل خيرا.
وتبسم:

-وشجع زملائك الذين ينتظرون هذه الفرصة وخاصة في هذه الأيام.
ثم قال في نفسه:

لقد سافرت يا شيمي للسعودية أكثر من أربعة سنوات واشترت عيادة تملك سيارة حديثة محترمة بدلاً من السيارات 133 التي مازلت أركبها وأنا مدير مستشفى!...
قال نايف:

-أنا أوافقك يا... اسم الدكتور؟

قال الشيمي:

-الدكتور صلاح الشيمي.

فواصل نايف:

يا دكتور صلاح، أوقفك في ذكر كلمة "أجنبي" على العربي سيء جداً وبعيد عن الذوق...
قال الدكتور أحمد إسماعيل:

- حين كنت في الابتدائية كانت بلدنا ترسل البعثة التعليمية إلى المملكة العربية السعودية

بمرتباتها...
قال نايف:

مصر طول عمرها أم الدنيا وهي تعطي بلا حساب...

تبسمت الدكتورة ابتسام عوض الله وهي تقول:

- كانت تعطى ولكن لما عجزت عن العطاء، تركها العرب الأغنياء!...

ثم تجهم وجهها:

- ومصر هي التي حاربت أربع حروب من أجل القضية الفلسطينية والعرب. والملايين العشرة
التي تبرع بها الملك فهد لمستشفى القصر العيني الجديد لا توفي شيئاً مما قدمته مصر للسعودية
ولغيرها.

قالت سعدية في نفسها:

هي (نقصاك) يا ابتسام.

ورمقت المدير بعينيها، فقال المدير:

دعينا من السياسة يا دكتورة ابتسام. ولندع الشيخ نايف يحدثنا عن مستشفياته ومراكمه الطبية.

تبسم الشيخ نايف قائلاً:

- عندي والحمد لله، مجموعة الحرثي الطبية، وهي مشهورة ومتخصصة في المملكة. وهي تضم
خمسة مستوصفات؛ ثلاثة في الطائف، وثلاثة في جدة، وواحد في مكة. وتضم أيضاً ثلاثة
مستشفيات على أعلى مستوى في المملكة؛ واحدة في جدة، وواحدة في مكة، وواحدة في
الطائف. ولقد أتيت إلى هنا بعدما سمعنا عن المستوى الممتاز لدكتورة مستشفى الحوض
المرصود في الجلدية والتناسلية. وقبل التعرف عليكم، أخبركم ببعض السلبيات التي يقع فيها
البعض وخاصة من الأخوة المصريين حتى يتذمرون عليها الذين كتبوا لهم لقمة العيش عندنا. وفيها
المستشفيات الخاصة بالذات، يجب أن يرتدي الطبيب -حتى لو كان ممارساً عاماً- الزي الرسمي
و خاصة (الكرافطة). ولكن وجدنا كثيراً من الدكاترة المصريين لا يلتزمون بهذا الزي، بل رأيت
بعيني أطباء مصريين يرتدون شبشب أثناء الدوام! فهل هذا يليق بـ دكتور؟! والبعض يترك ذقنه
عدة أيام حتى يحلقاً! بصلاحه، البعض كان يحمل الكثير من أصول ذوق الطبيب. وهذا هو
السبب الذي يجعلنا نغير الطاقم الطبي كل...

قالت الدكتورة عليه:

- أنا أتفق معك يا شيخ نايف في إهمال بعض الأطباء في هدمتهم. ولقد كان معنا في
المستوصف الذي عملت به في الرياض بعض الأطباء يرتدون المعطف وهو غير مكوني. ولكن
هل هذا هو السبب في تغيير الطبيب؟ أم عدم إتيان الطبيب بدخل مرتفع من التحاليل والأشعة
والغذائيات والإبر هو سبب تغييره؟!

فرد عليها نايف:

نحن لا نتدخل في عمل الطبيب. والمرضى السعوديون بالذات هم الذين يطلبون التحاليل والمغذيات التي لا تتوفر لهم بسهولة في المستشفيات الحكومية. ولكن المريض الأجنبي هو الذي لا يريد أن يدفع أكثر من ثمن الكشف والدواء.

قال أحمد إسماعيل:

-أنا عملت في الكويت في مستشفى حكومي ولم أعمل في القطاع الخاص. ولقد سمعت من بعض الزملاء الذين يعملون في القطاع الخاص أن أصحاب المستوصفات والمستشفيات في كل دول الخليج يجبرونهم فعلاً على زيادة دخل العيادة بأي شكل. ويقولون للأطباء: من أين آتي لك بمرتبك ومرتب الممرضة التي تعمل معك ومرتب المحاسب والمُعْقِب⁷⁶ وموظف الاستعلامات وعامل النظافة الذي ينظف عيادتك؟

فتحمس الشيمي:

-المعروف يا شيخ نايف، أن العيادة التي يدخل لها ولو مريض واحد لابد أن ينتج عنه دخل كبير للمستوصف. فالمريض يكون قد دفع 50 ريالاً ثمن الكشف، يجب أن يتولد من الخمسين ريالاً 500 ثمن التحاليل والمغذيات وما شابه ذلك! وإذا كشف عشرة مرضى في اليوم فلا بد أن يكون العيادة قد حصلت من كل واحد خمسمائة وخمسين ريالاً مضروبة في عشرة!...

تبسم نايف، ورد:

-يوجد بعض أصحاب المستوصفات من⁷⁶ يجبرون الأطباء على فعل هذا. ثم أشار إلى أصحابه قائلاً: "وأعيد المثل وأقول: أصحابك مش زي بعضها".

فتساءل حكيم:

-ومن الذي يضمن لنا أنك لن تفعل مثل أصحاب المستوصفات الجشعين... توهج وجه نايف، ونظر نظرة قاسية في عيني حكيم، ثم نظر إلى المدير الذي قال: يا حكيم، نحن لم نجرِ الشيخ نايف حتى نحكم عليه حكماً سيناً.

قالت سعدية:

-من الممكن أن تسأل أي زميل في السعودية عن مجموعة الحراثي الطبية قبل أن تتعاقد. الأمر بسيط يا دكتور حكيم.

دخل الدكتور مجدي النحال بسرعة وصاح:

-أيها الزملاء، كل الكفلاء يبدون طيبين مهذبين وودودين أثناء التعاقد هنا، ولكن حينما نسافر إلى بلدتهم، يظهرون الجانب المخفي القميء القبيح من شخصياتهم!... فاحذروا. احذروا منهم. الله يخرب بيتهم...

وخرج مسرعاً كما دخل...

⁷⁶ الموظف المسؤول عن معاملات الجوازات والثئون الصحية، ويكون دائماً سعودياً

-94-

بصفته عضو في مكتب الإرشاد، ذهب أحمد الغرباوي إلى اجتماع هام مع المرشد العام لـ الإخوان المسلمين وأعضاء المكتب...

ولقد تنقل الغرباوي بمهنته ونشاطه. في الدعوة من نقيب أسرة إلى عضو بالمكتب الإداري لشعبة شبرا، ثم إلى رئيس مكتب شعبة شبرا، ثم ترقى إلى عضو بالمكتب الإداري لقطاع شمال القاهرة الذي يتكون من رؤساء المكتب الإداري لشعب شبرا والساحل وروض الفرج والشرايبة وعزبة بلال والزاوية الحمراء ومدينة النور، ثم ارتقى إلى عضوية المكتب الإداري لمحافظة القاهرة الذي يضم رؤساء قطاعات محافظة القاهرة الكبرى، وأخيراً، ارتقى إلى عضوية مكتب الإرشاد الذي يتكون من الثاني عشر عضواً، منهم وكيلان للمرشد العام. ويجمع الغرباوي وغيره بين أكثر من مسؤولية إدارية في ذات الوقت...

يتكون مكتب الإرشاد من خمس حجرات؛ أوسعهم خاصة للمرشد العام ولاجتماع أعضاء المكتب، والثانية لوكيل الأول، والثالثة لوكيل الثاني، والرابعة لسكرتير المكتب، والخامسة مجهزة لنوم ثلاثة ضيوف سواء من خارج المحافظة أو من خارج البلاد.

قال المرشد العام لسكرتير المكتب:

- افتح التلفزيونات الخمسة على (لوش) (لتشوشر) على الأبعدين فلا يسمعوننا بوضوح.
قال السكرتير:

- قبل كل اجتماع للمكتب، نبحث عن ميكروفونات التصنّت في هذه الحجرة فنجد كل مرة ميكروفونات جديدة منها داخل أجهزة التليفونات، وبداخل أجهزة التكييف، وبداخل مروحة السقف، حتى مقبس الكهرباء وجذنا فيه ميكروفونات التصنّت!...
تبسم الوكيل الأول وهو يقول:

- الحمد لله أنهم لا يضعون هذه الميكروفونات في دورة المياه!
ثم أردف ضاحكا:

- وإن سمعوا سيمفونيات رائعة!

فضحك أعضاء المكتب...

قال أحد الأعضاء ضاحكا:

- وهذه السيمفونيات ليست سيمفونيات بيتهوفن، إنما هي سيمفونيات بيت الراحة!
فضح المكتب عاصفة من الضحك...

قال الوكيل الثاني وهو يضحك:

- سيمفونيات بيتهوفن، أو بيت الراحة، فكلها سيمفونيات (بيت)....
بدأ بعضهم يحتسون الشاي، وأخرون يحتسون القهوة، وقلة منهم المرشد- يحتسون الينسون.
ندت من وجه المرشد أمارات الجد والوقار وهو يتأمل وجوه أعضاء المكتب ويقول:

-أيها الإخوان، سنتحدث في لقاء اليوم عن ثلاثة محاور: (1) المحاكم العسكرية (2) شرعية النظام (3) خطة العمل لمواجهة صلف النظام وبطشه وحذائه التقلي. وبمراره:

بعدما برأنا القضاء العادل من اتهامات النظام الملفقة، لم يجد رئيس الجمهورية بصفته الحاكم العسكري العام إلا تلقيق قضايا لبعض إخواننا، وتحويلهم إلى المحكمة العسكرية!... فقال الوكيل الأول:

لقد أصيب النظام بالسعار بعدما ثبتت أقسام الإخوان في انتخابات اتحاد الطلبة والنقابات المهنية ومجلس الشعب... وقال الوكيل الثاني:

-هم أصبحوا يُصابوا بالسعار والارتکاريا وكل الأقسام البيطرية والبشرية بمجرد أن نرفع لافتة "الإسلام هو الحل"....

وقال عضو 1:

-الأخوة الذين يُحاكمون الآن بالمحاكم العسكرية هم من أنشط الإخوان، وبعضهم كانوا أعضاء في مجلس الشعب في الدورات السابقة.

قال أحمد الغرباوي:

النظام يركز على هذه العناصر النشطة حتى لا يُرشحوا لانتخابات مجلس الشعب في نوفمبر المقبل.

ثم مط شفتيه ضيقاً:

-ومن المؤكد -للأسف- أنهم لن يُرشحوا بعد ذلك بحجة أنهم قد عُوقبوا بأحكام المحكمة العسكرية.

فتسائل عضو 2:

كيف يُحاكم المدنيون أمام المحاكم العسكرية المختصة بالعسكريين؟!

وثانية:

-أليس هذا مخالفًا للدستور؟!

فرد عليه أحمد الغرباوي:

المادة 68 من الدستور تقضي بأن يُحاكم المواطن أمام قاضيه الطبيعي، يعني المدني أمام القاضي المدني، والعسكري المتهم بتهمة عسكرية يحاكم أمام القاضي العسكري... امتعض المرشد:

دستور 1971 المعروف به الآن يجعل كل السلطات في يد الرئيس. بل يجعله ديكتاتوراً بامتياز!...

فتسائل الوكيل الثاني:

-وهل يوجد أي احترام لهذا الدستور الجائر من نظام فقد شرعنته بعد مقتل السادات؟

قال عضو 3 بثقة:

-السادات استحق الشرعية بعد انتصاره في حرب أكتوبر 1973، ولكنه فقد الشرعية بعد زيارته لإسرائيل.

فاعتراض عضو 4:

-ولكن السادات نجح بالسلام وحرر سيناء...

ثم تساؤل مندهشاً:

-فكيف تسقط منه الشرعية بعد زيارته لإسرائيل؟!

فرد المرشد:

-نحن قد عارضنا السادات في معايدة السلام، لأن إسرائيل لا تعرف إلا لغة القوة، ولا تحترم أي معايدة. والدليل ما فعل أجدادهم مع الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- من نقض للعهود.

قال عضو 4:

-ولكن السادات كان سابقاً لعصره في السلام لأن العرب الآن يستجدون السلام من إسرائيل بلا ثمرة!

وقال عضو 5 مؤيداً لرأي عضو 4:

-اقتاصادنا لم يكن يتحمل خوض أية حرب جديدة بعد حرب أكتوبر 1973، لذلك لم يجد السادات حلاً إلا السلام.

فاعتراض المرشد:

-يا أخي الفاضل، كان على السادات أن ينتظر حتى يتقدم العدو الصهيوني بنفسه للسلام، وحينئذ كان السادات سيفرض شروطه على العدو.

وأضاف:

-أو على الأقل كان على السادات أن ينتظر اقتناع كل الدول العربية بجدوى السلام بدلاً من قدموه على السلام بمفرده وهذا ما تريده إسرائيل.

قال عضو 4:

-ولكن السادات نجح في تحرير سيناء كاملة، وهذا يكفيه.

تبسم المرشد ضاحكاً وهو يرد على العضو 4:

-يبدو أن الأخ بدوي أضحي عضواً بالحزب الحاكم الوطني ولا ندري!

توهج وجه بدوي ولم يعلق.

قال عضو 6 بامتعاض:

-كان السادات مخطئاً في موافقته على شرط معايدة السلام المجرف في خلو سيناء من الجيش والسلاح.

فرد بدوي عليه معتراضاً:

-ليست كل سيناء حالياً من الجيش والسلاح، ولكن المنطقة ج فقط وهي المنطقة الملائقة لحدودنا مع دولة الاحتلال الإسرائيلي.

ثم واصل متحمساً:

-ولقد كانت المباحثات في كامب ديفيد بين السادات وبيجين تتعثر كثيرا، وكادت أن تتوقف عدة مرات بسبب التعنت الإسرائيلي...
ثم استكمل ساخرا:
لقد كانت أول القصيدة كفرا في مفاوضات السلام!
ضحك أكثر من عضو، وسألوه:
ماذا تقصد؟
ابتسم بدوی ابتسامة عريضة وأجاب:
-كان الوفد الإسرائيلي يتعنت في مسمى السلام: هل هو "اتفاق سلام" أم "معاهدة سلام"؟!
فتساءل الوكيل الثاني:
-وهل يوجد فرق بينهما؟
فأجابه بدوی:
-كان الوفد الصهيوني يرى أن اتفاق سلام هو عبارة عن هدنة بين دولتين متحاربتين لإنهاء حالة الحرب، بينما معاهدة سلام هي الصلح وإنهاء النزاع وحلول السلام.
ثم ساخرا:
-وليت التعنت وقف عند ذلك!
وسكت ليسع من يشجعه على أن يكمل.
قال المرشد:
-أخبرنا يا أخ بدوی عن بقية التعنت الصهيوني.
قال بدوی بحماس وبتشويق:
-كادت المادة السادسة في معاهدة السلام أن توقف المفاوضات نهائيا!...
قال الوكيل الأول:
-ذكرنا بهذه المادة يا أخ بدوی.
-عُرفت هذه المادة بعنوان "أولوية الالتزامات"، ومعناها: أن الالتزامات الناشئة عن معاهدة السلام سوف تسود على التعهدات والتحفظات الدولية السابقة التي تتعارض معها.
قال المرشد بسرعة بديهته:
-يعني تسود على ميثاق جامعة الدول العربية الذي ينص على الدفاع المشترك بين الدول العربية!...
فوضح بدوی:
-يعني -فضيلتكم- أن السادات كان مخيراً بين العرب وإسرائيل!...
ثم هز رأسه أفقيا، وقال:
-وطبعا، رفض الوفد المصري هذه المادة.
قال الوكيل الأول وهو يشير بيده ويهز كتفيه:
-لو وافق لخرجت مصر نهائياً من عروبيتها!

قال العضو 5:

- لولا كارتر لتوقفت المفاوضات بسبب هذه المادة وغيرها. فالسادات أكمل تحرير سيناء - بمعاهدة السلام- بصعوبة ومشقة بالغتين، فلذلك لا نندهش أن يوافق على خلو منطقة ج من السلاح ماعدا قوة أمن مركزي قوامها 3500 جنديا وأسلحة خفيفة.

فتسائل المرشد:

-وماذا فعل كارتر لحل معضلة المادة السادسة؟

-قام ب زيارات عديدة بين عدة عواصم منها القاهرة، وأسفر جهده عن وضع تفسيراً لهذه المادة في نصوص المعاهدة، وهذا التفسير ينص على أن نصوص معاهدة السلام لا تحتوي على أي مادة تشير إلى أنها تسود على أي اتفاقات أو معاهدات أخرى... وقد أدرج هذا التفسير في ملحق المعاهدة.

سؤال أحمد الغرباوي المرشد بدءاً:

-فضيلة المرشد، لو تولينا الحكم الآن هل سنلغي معاهدة السلام؟

صمت المرشد برهة يفكر في إجابة السؤال ثم أجاب:
يا أخ أحمد، أظن أننا سنحترمها طالما أن العدو يحترمها.
ثم أردف قائلاً:

-لأن أوضاع البلد لا تحتمل حرباً جديدة.

انفرجت أسارير بدوي وقال:

-وهذا هو ردي لو سُئلت هذا السؤال.

قال المرشد:

يا إخوة، نعود إلى شرعية النظام. فالسادات يستحق الشرعية بتحريره لسيناء بالحرب والسلام، ولكن النظام الآن يفقد الشرعية. والاستفتاء على تجديد فترة الرئاسة للرئيس لا تعطي شرعية بدء من استفتاء عام 1956 لناصر وحتى آخر الاستفتاءات لتجديد فترة رئاسية جديدة لمبارك. وأنا أذكر أن السادات قد كان غير مرغوب فيه، وغير مقنع للشعب بعد رحيل عبد الناصر بكاريزميته الرهيبة، ولكنه استحق الشرعية بانتصاره في حرب أكتوبر المجيدة. ولست مع الأخ فوزي الذي قال إن السادات فقد شرعيته بزيارة إسرائيل بالرغم من معارضتنا وقتئذ لمعاهدة السلام. فالسادات -عليه رحمة الله- يستحق الشرعية -كما قلت لكم- بتحريره لسيناء بالحرب والسلام. أما النظام الحالي فقد فقد شرعنته بعد مقتل السادات، فلذلك لا تستغرب ولا نندهش حين نجدهم لا يحترمون الدستور، ويحاكمون المدنيين أمام المحاكم العسكرية، فهذا هو دأب النظام منذ انقلابهم في يوليو 1952! ألم تُحاكم أمام محكمة الجوجي العسكرية في الستينيات؟ وألم تُحاكم أمام محكمة الثورة العسكرية في الخمسينيات؟ ألم يطلب قاضي محكمة الثورة من أحد إخواننا أن يقرأ سورة الفاتحة بالمقلوب؟!

ثم تسائل بمرارة:

-فما الجديد في المحاكم العسكرية الأخيرة؟

فقال الوكيل الأول وهو من الحرس القديم:

-فيما مضى أرادوا أن ينطفئ نور الدعوة بمحاكمات الثورة العسكرية، ويأبى الله إلا أن يتم نور دعوته.

ثم أضاف متسائلاً:

-ألم يدخل جيل الغرباوي أفقاً جاماً في الصف بعد خروجنا من المعتقلات في أوائل السبعينيات؟

و قال عضو ٧ وهو من الحرس القديم أضا.

-لقد التحق هذا الجيل بالدعوة بعدما فرغا عن التعذيب الذي يشيب له الولدان في الخمسينات
واليستنات...

فقال المرشد وقد انفرحت أسماء بـه وشعـت السـعادـة من مـحـاهـ

أيها الأخوة، إن دعوة الإخوان المسلمين هي دعوة الإسلام. فهي كالشمس، والهواء والماء...

فهل يستطيع أحد أن يمنع الشمس من الإشراق؟ وهل يستطيع أحد أن يمنع الهواء؟ وهل يستطيع أحد أن يوقف تيار الماء؟

ثمه بصوت متهدج

-فلا المحاكم العسكرية ولا المعتقلات ولا التعذيب، يصدونا عن دعوة الله ونبيه. فلو كانت لنا ألف نفس، وأزهقها الطواغيت نفساً نفسها؛ مما تذهبنا ولا تردهننا عن طريق الله ودعوه قيد أنملة

٦٧ هـ أعضاء المكتب الصدوق واحد

-الله أكbar و الله الحمد الله أكbar و الله الحمد

ثوابكم

قال المكان، اللذان ينكران

هـ اللـهـ يـا أـخـمـقـةـ، لـمـ كـشـفـ، عـنـ الـحـدـارـ، مـاـزـدـدـنـاـ يـقـنـاـ فـ هـذـاـ الطـرـيقـ

فِرْتَفَ، الْحَلْخَلَدَانْ وَهُوَ الْكَعْنَانْ

الله أكْرَمُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ اللَّهُ أَكْرَمُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ اللَّهُ أَكْرَمُ وَاللَّهُ يَبْيَسُ

١٢٣- مذكرة الأدلة في فقه الإمام الصادق عليه السلام

لما إذا أردت نسخة من النظائر في الاتصالات المقلدة ونحوها، المذكورة في الموسوعة؟

فـ دـ عـلـيـهـ الـمـكـانـ الـثـانـ :

لقد فوجئنا بهذه المفاجأة والنتائج لا تزال من الأعاجز في حضن الافتخاريات المقلاة
منه عليه امتحاناتي.

فوجت بهـة المحامـ

لقد سمعنا هنا الناس أعلاه من تحدث أن حل النزاع، فإذا ذلك فقدنا اتفاقنا في عدم شد وثقل على عصون.

لـ کانـت، انتـخـاب

وقال العرباوي.

لقد فان القـالـفـيـنـيـةـ نـسـقـةـ قـدـاءـ وـنـسـقـةـ ثـلـاثـةـ وـقـدـاءـ لـنـاـ

-**فَارْتَحَافُ بِمَاهٍ وَّهُمْ سَهْلٌ مَعْدُوٌ، مِنْهُمْ سَهْلٌ وَّلَاهِينٌ مَعْدُوٌ.**

-حتى حزب الوفد فاز بثلاثين مقعدا.

-انظروا إلى حزب الوفد الآن وكيف أضعفه النظام؟ وكذلك فعلوا مع كل الأحزاب. وحزب العمل في طريقه للحل!...

تبسم عضو 5 ساخرا وهو يقول:
لو دخل الوفد الآن لما فاز بأي مقعد!

قال المرشد:

-من هذه المحاكم العسكرية، ننتأ أن النظام لا يريد أي مقعد معارض في الانتخابات المقبلة.
فالنراوة القليلة جدا في انتخابات 1987 لن يسمح بها النظام مرة أخرى.

قال الغرباوي:
لقد فجر النظام صراعات داخلية داخل أحزاب المعارضة حتى يأكل بعضها بعضا!

وقال الوكيل الثاني:
-فرق تسد، سياسة قذرة، يطبقها النظام مع المعارضين كما طبقتها إنجلترا حينما كانت تحتل بلدنا.

فتقى المرشد:
لقد طبق النظام هذه السياسة مع أحزاب المعارضة القوية فنجح، فلم يبق أمامه إلا جبهة الإخوان الصلبة الأبية على الانقسام، فتفتق ذهنهم العاجز عن محاكمة إخواننا أمام المحاكم العسكرية، حتى يشتت جهودنا ويشغلنا بها عن الانتخابات...

وبصيق شديد:
يا إخوان، المشكلة جديدة قديمة، فآفة النظام عندنا هي هي ما كانت عند النظام الملكي قبل الثورة، إلا وهي تجميع كل السلطات في يد الملك أو في يد الرئيس!

قال الوكيل الأول:
والديمقراطية التي يتشاركون بها ما هي إلا ديكور لتلميع النظام في الخارج!
ولكن الصحافة حرة الآن عما مضى.

-أركان النظام لا يلتفتون إلا كتابات المعارضة.

-هم يطبقون -مع المعارضة والمخلصين من أبناء هذه الأمة- المثل القائل "أذن من طين وأذن من عجين"!

النظام لا يرى ولا يستمع إلا إلى سدنته وموقدي الشموع والبخور!

فهتف المرشد بغيظ:
نظام مبارك فاشل وديكتاتوري ولا يستحق أي شرعية.

قال بدوي متھمسا:
أنا أختلف معكم في عدم شرعية نظام مبارك. فمبارك يستحق الشرعية بأول عمل نبيل قام به بمجرد توليه الحكم عندما أفرج عن المعتقلين السياسيين، ويستحق الشرعية عندما جنب مصر حربا جديدة حين قامت إسرائيل بغزو بيروت في يونيو 1982 وبعد شهرين من تحرير سيناء

في أبريل من ذات السنة ولم يكن مبارك قد حكم إلا عدة أشهر، ويستحق الشرعية بإعادة بناء جسر العلاقات مع الدول العربية التي قاطعت مصر بعد معايدة السلام في ظل حكم السادات وكانت هذه الدول قد اشترطت إلغاء معايدة السلام مع إسرائيل حتى نعود علاقتها بنا، ولكن مبارك بحكمته أبقى على معايدة السلام وأعاد العلاقات مع الدول العربية المقاطعة لمصر، وكانت الدول العربية كلها قد قطعت علاقاتها معنا إلا السودان أيام النميري وسلطنة عمان والمملكة الأردنية الهاشمية، ولم تقطع العلاقات فقط، بل نقلت مقر جامعة الدول العربية إلى تونس، وأعاد مبارك مقر الجامعة العربية إلى القاهرة مرة أخرى؛ ويستحق الشرعية بإعادة طبابا إلينا بالمفروضات المضنية والمرهقة للخارجية المصرية في عام 1988، حتى عادت إلينا في مارس 1989؛ ويستحق الشرعية في وقوفه والجيش المصري العظيم مع العراق ضد أطماع إيران في العراق والدول العربية، ويستحق الشرعية في وقوفه ضد غزو صدام حسين لدولة الكويت في أغسطس عام 1990، ووقفه وجيشه مصر مع الحق حتى عادت الكويت حرية... أليس مبارك هو الذي بنا المدن الجديدة كالسداس من أكتوبر والعبور وغيرهما؟ أليس مبارك هو الذي أدخل الغاز الطبيعي إلى المدن؟ أليس هو أول حاكم عربي يدخل مترو الأنفاق في باطن الأرض؟ أليس هو الذي بنا البنية الأساسية من طرق وتليفونات وكهرباء والصرف الصحي- لمصرنا الحبيبة لكي يزدهر اقتصاد البلد؟

ثم تساؤل بصوت قوي:

-أليست خدمة التليفونات -على سبيل المثال- كانت تصل إلينا بعد خمسة عشر عاما وأكثر من التقديم لها، والآن تأتي الخدمة بعد أيام قلائل؟ ما لنا يا قوم لا ننظر إلا إلى الجزء الفارغ من الكوب؟!

ضرب المرشد كفا بكف وهو يقول بوجهه المهيب ونظراته القوية:

-ولماذا لا تتحدث عن الشخصية الجارية الآن وبيع القطاع العام وما يشوبه من عدم شفافية وسرقات لقوت الشعب وانجازاته؟ ولماذا لا تتحدث عن انهيار البلد سياسيا واقتصاديا وإضعافها المتعمد على مستوى السياسة العربية والدولية؟ لماذا لا تتحدث عن الفساد المترافق منذ عقود؟ والديون الرهيبة التي ستكتل الأجيال القادمة فضلا عن الحالية؟ والمحاكمات العسكرية لإخوانك والتي نحن بصددها الآن؟ أنت يا أخ بدوبي، قد بعثك أمن الدولة بوفا للنظام ولا ندرى؟!

كاد أن يعلق الأخ بدوبي قائلا: "إن هذا هو الجزء الفارغ من الكوب... والتاريخ ينظر إلى كل الكوب..."، ولكن المرشد لم ينتظر ردًا، إنما تصفح أوراقا أمامه وقال بجدية:

-أيها الأخوة، ونحن في هذه المرحلة الحرجة، علينا عدة واجبات في خطوة العمل لمواجهة صلف النظام وبطشه ومحاكمه العسكرية لإخواننا، لابد أن نطبقها حتى تمر الرياح العاتية بسلام:

1- فضح نظام الحكم في وسائل الإعلام عندنا بقدر الإمكان، والتنسيق مع أخوة التنظيم العالمي للقيام بهذا الدور في الخارج.

2- إصدار بيانات الشجب والإدانة للمحاكم العسكرية من كل النقابات التي تحت أيدينا.

- 3- الاتصال بالفضائيات والتنسيق معها لبث برامج تعرى النظام وظلمه وصلفه وجبروته على شعبه.
- 4- التنسيق مع الدعاة الذين لهم جماهير كبيرة وشرح قضيتنا لهم لتوعية الشعب بما يجري في إخواننا، وبما يجري لأي معارض، طالما أن المحاكم العسكرية قد أطلت بوجوها الكالح القبيح.
- 5- نشر منشوراتنا في صحف المعارضة الكبرى، وترجمتها ونشرها في الجرائد والمجلات العالمية.
- 6- لصق لافتات في الشوارع الكبرى بكل المدن ومكتوب عليها "لا للمحاكم العسكرية" مع رسم كاريكاتيري معبر.
- 7- توزيع منشوراتنا في كل الجامعات في ذات الوقت.
- 8- توزيع منشوراتنا في كل وسائل النقل لتتوزع على كل أنحاء البلد، ونعطي للقطارات أهمية خاصة في التوزيع.
- 8- إشعال المظاهرات في كل الجامعات في توقيت واحد.
- 9- ستبدأ أول مظاهرة بعد صلاة الجمعة القادمة داخل صحن مسجد الأزهر الشريف إن شاء الله، والجمعة التالية تخرج المظاهرة من مسجد القائد إبراهيم بالإسكندرية وتتجه إلى وسط البلد جهة الجامعة حتى تصل إلى محطة القطار بسيدي جابر.
- 10- إشعال المظاهرات في كل المحافظات في ذات الوقت بعد صلاة الجمعة التالية لمظاهرة الإسكندرية...

-95-

نادى الدكتور أحمد إسماعيل على الدكتور مؤمن عبد العال ليحكى تجربته في السعودية للدكتور حكيم نخلة الذي أوشك على السفر...
فجلس مؤمن ضاحكا وهو يقول: " يجعل صباحك صباح الخير يا أسطى عطية" ...
قال الدكتور أحمد إسماعيل: "الدكتور حكيم على وشك السفر فاحك كل السلبيات التي واجهتك وسبب عودتك المفاجأة بدون أن تكمل العقد".
فرد الدكتور مؤمن مبتسمًا:
يبدو أن الدكتور حكيم ناوي فعلاً على عدم السفر!
قال أحمد:

- حكيم نفض عنه التردد وهو ناوي على السفر فعلاً. ولكنه ينقصه المعرفة الجيدة بتجربتك لأننا سمعناها من أكثر من طبيب ولكننا لم نسمعها على حقيقتها منك.
فرد مؤمن:

- في سفري للسعودية الذي لم يستمر أكثر من عدة شهور، لي تجريتان؛ الأولى في المستوصف الخاص الذي تعاقدت مع صاحبه هنا، والثانية في مستشفى حكومي بالرياض بعدهما أجبرني صاحب المستوصف على نقل الكفالات بعد أربعة أشهر من العمل!

تحمس حكيم وقال: "شوقتنا إلى تجربتك".

وقال أحمد: "ولكننا لم نسمع عن عملك في المستوصف الخاص".

قال مؤمن: "أنا لم أتحدث إلا ما حدث معي في المستشفى الحكومي والذي أنهى عقدي فيها فجأة!"
تشوق حكيم فقال: "شوقتنا أكثر".

حضر الدكتور صلاح الشيمي والدكتور عماد الدسوقي معاً في سيارة صلاح البولونيز، فهتف مؤمن: "الحزب الشجري أوشك على الاكتمال".

قال أحمد إسماعيل: "يتبقى الدكتور عبد الوهاب محمود والدكتور وكالة أنباء التنمية".
فضحکوا...

قال الدكتور صلاح الشيمي ضاحكا هازلا: "نحن على وشك أن نؤسس حزب الخضر في المستشفى".

فتبسموا...

قال الدكتور حكيم مبتسمًا: "ويكون الدكتور أحمد إسماعيل رئيسه".

وقال الدكتور أحمد: "والدكتور حكيم سكرتيره".

قال الشيمي والدسوقي ضاحكين: "ونحن الأعضاء".

حضر الدكتور عبد الوهاب محمود. وبعد بقليل، وصل الدكتور مجدي النحال، فقال الدكتور عماد الدسوقي صاحباً:

-الحزب الشجري قد اكتمل حضور أعضائه.
فتساءل عبد الوهاب محمود:
-غربيّة؟! أول مرة أرى الدكتور مؤمن قد حضر مبكراً! إيه الحكاية؟
ثم تسأله ضاحكاً:
-الدكتور مؤمن انضم أخيراً للحزب الشجري؟
فرد أحمد إسماعيل:
-سنضمّه عما قريب.
قال مؤمن ضاحكاً:
-أشركوني في حزب الخضر الذي ستؤسسونه...
فرد الشيمي مبتسمًا:
-لابد أن تكون عضواً في حزبنا الشجري حتى تنضم لعضوية حزب الخضر.
فاعترض مؤمن:
-ولكن اجتماع حزبكم الشجري عادة يكون مبكراً ونادرًا ما آتي مبكراً.
ومتبسمًا:
-أنا لم أحضر في هذه الساعة المبكرة منذ أكثر من سنة.
قال حكيم بحزم:
-دعونا يا قوم من هذه السفسطائية. وحدثنا يا مؤمن، عن تجربتك في السعودية.
فتُبسم أكثر من طبيب لأن تجربته مريرة ولا تشجع على السفر إلى السعودية بالذات...
هتف عبد الوهاب محمود بقوّة:
-أنت يا حكيم، ناوي على عدم السفر.
وتتساءل الشيمي باستغراب:
-الشيخ نايف قد اختارك، فلِم التردد؟
قال أحمد إسماعيل:
-حكيم على وشك السفر فعلاً، ولكنه يريد أن يعرف تجربة الدكتور مؤمن لأنّه لم يسمعها منه
من قبل.
 وأشاروا إلى مؤمن ليتكلّم، فقال:
بعد ثلاثة أشهر من عملي بالمستوصف الخاص بالرياض، غير الكفيل العقد كما حدث للدكتور
عبد الوهاب.
فتساءل مجدي النحال وعبد الوهاب والشيمي معاً باندهاش:
-أنت عملت في مستوصف خاص ولا في مستشفى حكومي؟!
-أنا تعاقدت هنا مع مستوصف خاص بالرياض، ولكنني نقلت الكفاله واشتغلت في مستشفى
حكومي.
قال النحال ممتعضاً:

-المستو صفات الخاصة لعنة.

قال حكيم:

-أكمل يا مؤمن.

فاسترسل مؤمن ضاحكا:

-نفسي ألا أكمل حتى تسفر يا حكيم.

قال أحمد إسماعيل بامتعاض:

-تحدث يا مؤمن. تحدث.

فواصل مؤمن:

بعد ثلاثة أشهر، غير الكفيل العقد وأجبرني على التوقيع على عقد جديد براتب أقل!

ثم ضرب كفيه ببعضهما، وقال:

-وضاعت كل الميزات في العقد الأول!

قال عبد الوهاب زاما شفتنيه ضيقا:

-الشيء نفسه حدث معى.

تساءل حكيم غاضبا:

-ولماذا لم تعارض؟

-اعتراضت، فخيرني بين العقد الجديد والعودة إلى بلدي أجر أذيال الخيبة! وأخبرني أن الثلاثة أشهر الأولى فترة تجربة للطبيب، يحق بعدها لصاحب المستو صفات أن يفسخ عقد الطبيب طالما أن الطبيب غير كفاء.

ترسم عبد الوهاب ساخرا:

-السيناريو نفسه حدث معى.

قال صلاح الشيمي:

-سبب هذه المشاكل أن البدو كانوا يملكون هذه المستو صفات، ولكن الآن وزارة الصحة السعودية لا تعطي ترخيصا لمنشأة طبية إلا لطبيب سعودي.

قال مجدي النحال:

-ولكن تقريبا كل المستو صفات في دول الخليج يملكونها هؤلاء البدو.

وساخرا:

-المتخلفون!

وأضاف:

-حتى حينما ينادوننا يتلفظون بأسمائنا بدون لقب الطبيب!

فترسم عبد الوهاب، وقال:

-هم عادة في بلادهم لا ينادون بعضهم بعضا بألقاب.

ترسم مؤمن:

-هم يعتمدون أن ينادوننا بدون ألقاب. ولقد كان الكفيل ينادي على "يا مؤمن" بأعلى صوته في صالة المستوصف الفسيحة وفي وسط المرضى، وكان يمكن أن يناديني بصوت أقل انخفاضاً، ولكنه يتعمد ذلك بالذات أمام المرضى... .

قال أحمد: "يا سيدى، أنت "طبيب" سواء نادى عليك بلقبك أم لا".
تساءل حكيم:

ولكن لماذا هؤلاء البدو هم الذين يملكون هذه المستوصفات؟
فرد عماد الدسوقي:

-أنا لم أسافر من قبل، وأظن أن هؤلاء البدو هم الذين يملكون المال. أما الأطباء السعوديون فموظفو، فمن أين لهم أن يملكون مستوصفات؟
قال صلاح الشيمي:

-عندك حق يا عماد، فالبدو هم الذين يملكون المال من أيام الطفرة حينما ارتفع سعر البترول بعد حرب أكتوبر 73 المجيدة. وعلى العموم، ليست كل المستوصفات التي يملكونها البدو رديئة، فالمستوصف الذي عملت به بالرياض كان يملكه أحد البدو، وكان جيداً ولم أجده فيه المشاكل التي أسمع عنها كثيراً.

تبسم أحمد إسماعيل:

بشكير الله بالخير يا دكتور صلاح.
قال حكيم بقلق:

ولكن نايف الحرثي يبدو عليه أنه من البدو!

فرمـقـ أحـمـدـ إـسـمـاعـيلـ الـدـكـتـورـ حـكـيمـ بـنـظـرـةـ اـنـدـهـاشـ،ـ وـتـسـاءـلـ:

-ألم تـسـأـلـ يـاـ حـكـيمـ عـنـ مـجـمـوعـةـ الـحـارـثـيـ وـوـجـدـتـهـ جـيـدةـ؟ـ

أوـمـاـ حـكـيمـ رـأـسـهـ مـؤـكـداـ وـصـمـتـ،ـ ثـمـ تـذـكـرـ فـجـأـةـ قـالـ:

-أـخـبـرـنـاـ بـقـيـةـ مـاـ حدـثـ لـكـ يـاـ دـكـتـورـ مـؤـمـنـ.

فضـحـكـ أـحـمـدـ:ـ "ـعـنـدـكـ حقـ يـاـ حـكـيمـ،ـ نـحـنـ قـدـ نـسـيـنـاـ.ـ أـكـمـلـ يـاـ مـؤـمـنـ".ـ

تبسم مؤمن:

-بعدـماـ وـاقـفـتـ عـلـىـ العـقـدـ الجـدـيدـ بشـهـرـ،ـ لمـ يـعـجـبـهـ دـخـلـ العـيـادـةـ معـ الـعـلـمـ أـنـ العـيـادـةـ كـانـتـ متـوقـفةـ قبلـيـ لـأـكـثـرـ مـنـ سـنـةـ.

فـقـالـ صـلاحـ:

يعـنيـ جـمـهـورـ العـيـادـةـ قدـ اـفـنـدـ.

نعمـ.

-إـذـنـ الـعـيـادـةـ تـحـتـاجـ لـوقـتـ طـوـيلـ لـكـ يـعـودـ جـمـهـورـهـ؟ـ

نعمـ.

كـانـ عـلـيـهـ أـنـ يـصـبـرـ.

لـلـأـسـفـ هوـ قـلـقـ.

قال عبد الهادي:

-المستو صفات تنتظر الدخل من العيادات الأساسية مثل الأسنان والنساء والولادة والباطنية والأطفال أما باقي التخصصات فهي تكميلية فقط.

تساءل حكيم:

-وماذا تم بعد يا مؤمن؟

-أخبرني أن أبحث عن مكان آخر لنقل الكفالة بالرغم من أن مدة العقد يتبقى منها سنة وثمانية أشهر!

قال أحمد إسماعيل:

-واشتغلت في مستشفى حكومي بالرياض، فماذا حدث فيه ولم تكمل العقد؟

-كان رئيس قسم الباطنية لا يستطعني بالرغم من مستوى العلمي الجيد. وكنت أعتراض على حرص إدارة المستشفى على حضورنا بالمعطف الأبيض وربطة العنق، وليس عندي مانع في ذلك وهذا واجب على الطبيب، ولكن؟

زفر مؤمن زفراً حاراً، وواصل:

-ولكن في الوقت الذي كانت الإدارة تعذف من نسي (الكرافته) مثلاً، كان الأطباء السعوديون يرتدون الجلابية فقط!...

فضحوكوا...

قال مجدي النحال ضاحكاً:

-كان يجب عليك أن تحضر بالجلابية أيضاً!

فضحوك عبد الوهاب وهو يقول:

-والجلابية لونها أبيض مثل المعطف!

وهو يكتم الضحك:

-فهي معطف مُحرَّر!

فانفجروا ضاحكين...

نظر الدكتور عبد الوهاب في ساعته، وقال:

-الدكتورة سميحة على وشك غلق دفتر التوقيع.

استأنف الدكتور مؤمن:

-وطبعاً أنت عارفون ما تم بعد ذلك، حيث أنهوا عقدي بلا سبب، وأعطوني شهادة خبرة تنص على ألا يتعاقد معي في المملكة العربية السعودية ولا في أي دولة من دول التعاون الخليجي!!...

-96-

"يا حرية فينك... أمن الدولة بيني وبينك... يسقط الطغاة... تسقط الديكتاتورية... إسلامية إسلامية... لا شرقية ولا غربية... تسقط المحاكم العسكرية... الله أكبر الله أكبر... الله أكبر والله الحمد... يسقط الحكم الغاشم... حسبنا الله ونعم الوكيل... ليس للإسلام بديل... تسقط المحاكم العسكرية... بلادي بلادي... اسلامي وانعمي... الله أكبر والله الحمد"...

بهذه الهتافات، هدرت حنجر الآلاف من الإخوان المسلمين فجأة في ساحة جامع الأزهر بعد فراغ الإمام من صلاة الجمعة مباشرة. ارتجت جدران المسجد من الهتافات وصداها... انضم أغلب المسلمين إلى لواء الهاتفين ليفجروا مشاعر الظلم الكامن والمكبوت في دياجير النفوس... دفعت الحماسة المتظاهرين إلى الخروج من المسجد، ولكن أبواب المسجد الرئيسية كانت مغلقة، فحاولوا من أبواب المسجد الجانبية، ولكنها كانت مغلقة أيضاً. فظلوا يهتفون داخل ساحة المسجد: حسبنا الله ونعم الوكيل... حسبنا الله ونعم الوكيل...

وكان علي عبد المنعم بصوته العميق الجهوري يقود ترديد الهتافات وبيكي... وبينما هم يهتفون ويصرخون؛ إذا بالأبواب الجانبية ثُفتح، ويدخل جحافل من جنود الأمن المركزي بأحديثهم الثقيلة وبأيديهم العصيّان المكهربة ليفرضوا المظاهرة ويقبضوا على أعداد كبيرة من المتظاهرين!...

وفي الجمعة التالية، خطب الشيخ أحمد البشير الشهير، في جامع القائد إبراهيم بمحطة الرمل بالإسكندرية، وتعرض في الخطبة إلى محاكمات الإخوان أمام المحاكم العسكرية، وقال: إن قضية الإخوان الملقفة لا تستدعي أن تُعرض على شيخ غفر، فضلاً أن تُعرض على محاكم عسكرية مختصة بالعسكريين في عصر الديمقراطيات كما يزعمون!...

وبعد انتهاء الصلاة مباشرة، تفجرت الهتافات فجأة من المسجد وكل ساحات الصلاة الكبيرة المحيطة به، وخرجت المظاهرة بما يقرب من المائة ألف من الإخوان والمسلمين من المسجد إلى جامعة الإسكندرية حتى انتهت بجوار محطة القطار بسيدي جابر. وانضم كثير من جموع الشعب المشاهدين إلى المتظاهرين لينفسوا ببعضًا من مشاعر الحنق على النظام. وامتدت المظاهرة في الشوارع كحيوان خرافي رهيب يصرخ، فترتج لصوته مدينة الإسكندرية كلها... وكعادة رجال الأمن في فض المظاهرات قاموا باستخدام الغاز المسيل للدموع وضربات الخرطوش والقبض على أكبر عدد من المتظاهرين!...

وفي الجمعة الثالثة، كان صخب المظاهرات يملأ سماء المدن الكبرى بكل المحافظات في الوقت نفسه، وكان علي عبد المنعم يقود المظاهرات كلها في ذات الوقت أيضًا!!...

وقد كانت -ومازالت- الكاميرات الخفية ترصد حركة المرور وبالتالي المظاهرات بالشوارع الرئيسية بالمدن الكبرى منذ أواخر عصر السادات. ولما وصلت الصور الحية للمظاهرات إلى مديرية أمن القاهرة أُسقط قي أيدي الأمن...

تساءل مدير أمن القاهرة:

كيف يقود الشخص نفسه هذه المظاهرات في نفس الوقت؟!

وقال أحد الضباط مستغرباً:

-يا فندم، شيء عجيب فعلاً، أن يكون فرد من الإخوان قائداً للمظاهرات في كل المحافظات في ذات الوقت.

وقال ضابط 2:

-والعجب أن ملابس هذا الشاب مختلفة من محافظة إلى أخرى.

تأمل مدير الأمن في التشاشات أمامه، فقال متدهشاً جداً:

-ولكن هو نفسه بصوته الجهوري وطوله ووجهه الأبيض في كل الإرسال القادم من كل المحافظات.

هز ضابط 3 كتفه قائلاً:

ربما خدعة من الإخوان.

فتسأله مدير الأمن:

ماذا تقصد؟

-ربما قام الإخوان بعمل مكياج لوجوه قيادي المظاهرات حتى ننخدع.

تساءل ضابط 4 باستغراب:

وهل عمل الإخوان (مكياجا) للصوت أيضاً؟

فأجابه ضابط 3:

-نبرة الصوت متداخلة مع أصوات المتظاهرين فربما ظننا أن مصدر الصوت واحد.

قال ضابط 5 بثقة:

-نبرة الصوت واضحة جداً وهي لشخص واحد. وعلى العموم، يمكن أن نتأكد من الصوت في شريط الفيديو الذي تسجل فيه المظاهرات الآن.

بعد فترة من متابعة إرسال الكاميرات، هتف مدير الأمن:

-الحمد لله، فقد فرق رجالنا المتظاهرين الآن، ولكنهم لم يقضوا على قائد المظاهرات.

رن تليفون المكتب، فرد مدير الأمن:

-يا فندم، إن رجال الأمن يتصدرون للمظاهرات الآن. وكما ترى سيادتكم في البث الحي من موقع المتظاهرين، فقد فرقتهم القنابل المسيلة للدموع والعصي الغليظة المكهربة.

يا فندم، لقد خرجت المظاهرات في نفس الوقت لأن الإخوان -كما تعرف سعادتك- منظمون، ولقد رصد أعوااننا المندسون وسط هذه الجماعة المحظورة موعد خروج هذه المظاهرات، ولقد كانت كلمة السر لهذه المظاهرات هي "صقر".

-الإخوان سعادتك- موجودون في كل محافظات البلد، فلذلك خرجت المظاهرات في نفس الوقت طبقاً لخطيطهم المشؤوم.

-لم نقبض عليهم قبل المظاهرات ظناً من أجهزة الأمن أن التخطيط لهذه المظاهرات إنما كان خداعاً من الإخوان لنا، لأنهم يعرفون أن أعين أجهزة الأمن لا تغفل ولا تنام عنهم.

-فعلاً يا فندم، هذه أول مرة في تاريخ الإخوان يقومون بمظاهرة في محافظات البلد كلها في نفس التوقيت. ولكننا قد احتطنا لهذا الأمر فلذلك كان رجالنا في وضع الاستعداد 3؛ فاطمئن سعادتك.

-يا فندم، لم نجهز رجالنا لوضع الاستعداد 5 لأن الإخوان لا يقومون بأعمال شغب أو تخريب، وفي الوقت نفسه، مظاهراتهم الآن لا تزيد عن الصرار بسبب المحاكم العسكرية.

-انقد وجه مدير الأمن ناراً، وتهجد صوته وهو يقول:
يا فندم، بلغ فخامته أن الوضع لا يقلق. والآن انظر سعادتك إلى المظاهرات وقد فضها رجالنا تقريباً.

بعد مضي وقت قصير، رن التليفون، فرد مدير الأمن قائلاً:
-فعلاً يا فندم، أصوات المظاهرات الصاخبة تهدر من الشوارع الجانبية. اطمئن سعادتك. ستقوم قواتنا باللازم...

-بالنسبة للمباني الهامة الخاصة بالوزارات، ومجلس الشعب والشورى، وماسيرو، وأجهزة الأمن، محصنة تماماً. وسنضرب في المليان إذا تعرض لها المتظاهرون.

-لا يا فندم، لا توجد ضرورة لاستدعاء القوات المسلحة. وكما قلت لسعادتك الإخوان لا تتعدى مظاهراتهم إلا الصرار.

لو اندست عناصر شغب سنضربها بيد من حديد...

من مجلس إدارة الأزمات بمقر رئاسة الجمهورية، كان وزير الداخلية هو الذي يتحدث عبر الهاتف مع مدير أمن القاهرة... .

وكان رئيس الجمهورية جالساً بسيطه على كرسي الصالون الوثير، وخلفه علم مصر الغالي، وبجواره خريطة لمصرنا الحبيبة مكتوب عليها القطر المصري.

قال وزير الداخلية مخاطباً رئيس الجمهورية:

كما سمعت سيادتكم - لا توجد أي خطورة على الوضع الأمني للبلد.

نظر الرئيس إلى البث الحي للأعداد المهولة من المتظاهرين، فقال في نفسه:

لو كان الإخوان يحكمون البلد، لطبقوا حد الحرابة على المتظاهرين بهذا الشكل غير المسبوق... ثم قال مخاطباً وزير الداخلية:

- يا عادل، لا نريد تكراراً للأحداث 19 و20 يناير 77.

وبصيغ:

- أوضاع البلد لا تتحمل.

فرد وزير الداخلية:

- يا فندم، البث المباشر للمظاهرات لا يدل على أي تهديد للأمن البلد. قوات الأمن قد فرقتهم من الشوارع الرئيسية. أما الشوارع الجانبية التي يصدر منها الصخب، فلا توجد فيها كاميرات لتصوير الحدث. ولكن رجالنا سيقبضون عليهم بمجرد أن يتجمع أكبر عدد منهم.

سأله مدير الأمن القومي ووزير الداخلية بغلظة:

- ولماذا لم تقبض عليهم بمجرد تفجر المظاهرات؟

كيف نقبض على هذه الآلاف؟!

ثم تساءل:

- ومن أين نأتي بالسيارات التي تكفي لهذه الأعداد المهولة؟

فقال مدير الأمن القومي:

لو قبضت على جزء ولو بسيط من المتظاهرين - لخاف الباقيون، وفروا هاربين.

- الإخوان لا يفرون هاربين كما تظن.

وأضاف:

- عندنا في كمبيوتر الوزارة ملفات لكل الإخوان في مصر، ونستطيع أن نقبض عليهم دفعه واحدة.

فتساءل رئيس الجمهورية:

- كم تقريباً عدد الإخوان في مصر؟ وهل هي أعداد مهولة كما تقول تقارير CIA؟

فأجابه مدير الأمن القومي:

- إن CIA تقول: إن عدد الإخوان في مصر يفوق أربعة ملايين.

قال وزير الداخلية:

- لا، يا فندم. ليست أعدادهم مهولة، هم لا يزيدون عن نصف مليون.

فرغ رئيس الحرس الجمهوري فاه وتساءل:
وهل نصف مليون عدد قليل يا سيادة الوزير؟

ثم تساءل مدير الأمن القومي:

-كيف تترك الإخوان يتزايدون بهذا الشكل؟ أين خطط الوزارة لاجهاض وشل نموهم وحركتهم
وفاعليتهم أولاً بأول؟
رد رئيس الجمهورية:

-الوزير عادل لا يألو جهدا في القبض على الإخوان وشل فاعليتهم، وكذلك فعل وزراء الداخلية
السابقين. ولكن القضاء المصري كان يبرئهم من قضايا وزارة الداخلية، لذلك أصدرت أمرا
عسكريا بتحويل العناصر الشائنة من الإخوان إلى المحاكم العسكرية. ومن اليقين أن القضاء
ال العسكري لن يبرا أحدا منهم أبدا.

ثم واصل:

-وهذا بداية الطريق الحقيقي لقص ريش الإخوان، وقطع أرجلهم، وتعليمهم الأدب...
فسأل كبير الياوران وزير الداخلية:

-ولو افترضنا أن الداخلية قبضت على كل الإخوان فهل تتوفر عندنا سجون لنصف مليون فرد؟
تبسم رئيس الجمهورية، فتبسم المجتمعون لتقبسمه!
تساءل الرئيس:

-أنت مجنون يا بشارة؟ هل ستقتضي الداخلية على نصف مليون مواطن؟!
قال رئيس الوزراء وهو يضحك:

-إطعامهم فقط داخل السجون سيخرّب بيت ميزانية البلد...
قال وزير الداخلية وهو يشير إلى الشاشة الكبيرة أمامه:
-قواتنا تقضي على الكثير من المتظاهرين الآن.

ثم واصل وهو ينظر إلى البث الحي:
سياراتنا تجوب الشوارع الرئيسية حاملة المقبوض عليهم لإرهاب الباقي.
فقال الرئيس بقوة:

-اقبضوا على الشخص الغامض المتزعم للمظاهرات.
فرد وزير الداخلية:

-بمجرد القبض عليه سنعرف في التو حقائقه يا فندم.
قال رئيس الحرس الجمهوري ممتعضا:

-يجب ضرب الإخوان ضربة شديدة حتى لا يعودوا إلى هذه المظاهرات غير المسبوقة.
فتتساءل كبير الياوران:

-الإخوان قلبوا الدنيا بسبب تقديم بعض قيادتهم للمحاكم العسكرية، فماذا يكون الأمر عندما
نضربهم ضربة أشد؟!
ثم أضاف:

-أنا أرى أن تتفاهم معهم أفضل.

ثم قال لنفسه:

أفضل لصالح البلد...

قال وزير الداخلية بضمير:

يا أستاذ بشاره، هم ظاهروا فقط. والدنيا لم تقلب. وكل الإخوان تحت قبضتنا.

ثم قال في سره: كفى فلسفة فارغة!

غضب الرئيس: "المظاهرات عمت البلد كلها يا عادل. ولو اشتراك فيها بقية فنات البلد من الشيوعيين وأحزاب المعارضة والموتورين من أفراد الشعب لفلت الأمر -لا قدر الله- من أيدينا".

قال وزير الدفاع بثقة: "يا سيادة الرئيس، الداخلية حتى الآن ناجحة في احتواء الموقف والحمد لله. ومهما حدث فأبنائك أفراد القوات المسلحة على أهبة الاستعداد لأي نازلة".

تسم رئيس الجمهورية وانشرح صدره لما قاله وزير الدفاع.

قال رئيس الحرس الجمهوري بقوة: "أنا لازلت عند رأيي في ضرب الإخوان ضربة شديدة موجعة حتى لا يتكرر ما فعلوه اليوم".

فسأل رئيس الوزراء رئيس الحرس الجمهوري: "يا سيادة اللواء، أخبرنا عن ماهية هذه الضربة الموجعة للإخوان؟

انقدت عينا رئيس الحرس الجمهوري: "أرى أن نجز الرأس الكبير للإخوان؛ فيفقدوا توازنهم، ثم تتبع ذلك بجز كل رأس كبيرة لهم حتى لا تقم لهم قائمة بعد ذلك!"

بسرعة البرق، عبرت الدهشة من رأس إلى رأس حتى وصلت إلى رأس كبير الياوران الذي تساءل باندهاش شديد: "ما هذا التفكير الدموي يا سعادة اللواء؟!"

فهتف اللواء بقوة: "اقتلو المرشد ولو بمحاكمة عسكرية أو بدون محاكمة!"

ثم بحماس شديد:

ليكون ذلك كارت إرهاب لكل الإخوان ولكل من يفكر أن يلتحق بالإخوان!...

أحدث رأي اللواء رد فعل من رأس إلى أخرى؛ ما بين موافق، ومعترض، وصامت لا يبدي رأياً أو ربما لا يعنيه مثل هذا الأمر!...

أما الرئيس فقد تعجب من ركاكة عقل رئيس الحرس الجمهوري، وزم شفتيه غضباً، وقال في

نفسه:

هذا هو تفكير رئيس سلاح الحرس الجمهوري!

قرأ رئيس الوزراء الغضب في وجه الرئيس، فقال:

-البلد لا تحتمل مثل هذه الدماء.

قال وزير الداخلية:

-أنا أداة تنفيذ. وأنتمي أن نتخلص من الإخوان نهائياً، ونرتاح من صداعهم المزمن...

قال كبير الياوران:

قتل المرشد كلام فارغ.

دافع رئيس الحرس الجمهوري عن رأيه:

-البلد لا تحتمل تكرار هذه المظاهرات بهذا الشكل، وها هي المظاهرات عادت مرة أخرى في الشوارع الرئيسية.

فقال وزير الداخلية بقوة:

-لقد أمرت أن الضرب يكون في المليان إذا عادت المظاهرات إلى الشوارع الرئيسية مرة أخرى، وها هو صوت الرصاص ينطلق في الشوارع...

تأمل الرئيس المظاهرات والرصاص والقتلى والدماء التي تخضب الشوارع، فقال بحزم:

يا عادل، أعلن حظر التجوال بعد الخامسة مساء.

استكمل اللواء رئيس الحرس الجمهوري ليدافع عن فكرته فقال:

يا رئيس، الإخوان ليسوا سهلين.

ومط شفتيه ضيقاً:

-ويجب أن نتخلص من مهاتراتهم بطريقة جذرية.

قال وزير الدفاع بهدوء وبثقة من بيده الأمر كلّه:

يجب أن نقيس السلبيات والإيجابيات قبل أن نقدم على عمل كهذا.

قال رئيس الحرس الجمهوري بحماس أهوج:

قبل أن تُصدر أي سلبيات من الإخوان، لابد أن نعصرهم عصراً...

قال الرئيس بحزم: "المرشد خط أحمر!"

ثم أردف: "لا نريد أن يتكرر عصر الدماء!"

ثم قال في نفسه: كفى الدماء التي تهدى الآن!...

قال مدير الأمن القومي في نفسه:

إن الرئيسين السابقين كانوا من الإخوان، أو كانوا قريين من الإخوان بالرغم من البطلش الذي أذاقه الرئيس الأسبق لهم واعتقل الرئيس السابق لقيادات الإخوان في سبتمبر 1981 ! ولكن رئيسنا الحالي يعترض اعترضاً رهيباً لفكرة قتل المرشد، فهل هو كان من الإخوان فيما مضى؟ أم على الأقل كان قريباً لهم؟! ولكنه هو الذي حول الإخوان إلى المحاكم العسكرية مخالفًا بذلك الدستور، فكيف يكون من الإخوان المسلمين؟! ما هذه الترهات؟!...

ثم عقب على كلام الرئيس القاطع قائلاً:

-سيادة الرئيس، رأيكم حكيم جداً. فالمرشد هو الشخصية الحكيمة في الإخوان لأي تفاهم معهم.

كيف يُقتل؟

-97-

لقد أحدثت مظاهرات الإخوان في كل محافظات البلد رد فعل متباين عند المصريين؛ فمن شامت في النظام إلى الناقم على الإخوان واعتبار مظاهراتهم ما هي إلا مهارات ي يريدون بها أن يزعزوا استقرار البلد. ومن ناقم على نظام الحكم الحاكم بقانون الطوارئ وقوانين مقيدة للحرريات منذ أكتوبر 1981 ويستحق هذا الإخراج من الإخوان المسلمين ومن غيرهم إن وجدوا إلى متعاطف مع الإخوان المسلمين الشجاعان. ومن متعاطف مع النظام الذي يريد استقرار أحوال البلد إلى الناقم على الإسلام السياسي وتصرفاته الحمقاء. ومن حاقد على النظام وموافقه الجبانة مع شعبه إلى هاش وباش للإخوان وموافقهم الشجاعة القوية. ومن متعاطف مع الإخوان بسبب طغيان النظام الحاكم وجبروته وعسكريته وحذائه القليل على شعبه إلى كاره لهم ولسياستهم الغامضة المتمسحة بالدين والأهدافهم الملتوية المربيبة!...

وكان هذا التباهي يضرب بأطناه في مستشفى الحوض المرصود؛ ففي حجرة الأطباء كان الدكتور أحمد إسماعيل من المتعاطفين مع مظاهرات الإخوان غير المسبوقة بهذا الحجم، دافع عن موقفه:

-الناس استولى عليه الجن والخوف منذ تكثير ثوار يوليو عن أنبيتهم الشرسة أثناء أزمة مارس 1954 حتى الآن. والإخوان قد ضربوا مثلًا رائعاً بمظاهراتهم تلك.

فرد عليه الدكتور فوزي نجيب معتبرًا: -الإخوان لم يتظاهروا إلا بسبب الأحكام العسكرية على بعض قادتهم.

وقال الدكتور عبد الوهاب محمود مؤكداً لرأي الدكتور فوزي:

-الإخوان طول عمرهم لم يتظاهروا لصالح الشعب ولو مرة واحدة، وإنما لأجندة خاصة بهم. وقالت الدكتورة سميرة سعيد مؤكدة لزوجها:

-فعلا يا عبد الوهاب. فالإخوان المسلمون لهم أجندتهم الخاصة بهم، ولم نسمع أو نقرأ أن الإخوان قد تظاهروا لصالح الشعب ولو مرة في تاريخهم كله!

قال أحمد إسماعيل: "يا جماعة، أنا لست من الإخوان المسلمين كما تعلمون. ولكنني أقول الحق الذي أراه. فالإخوان قد تظاهروا بسبب محكمة بعضهم أمام المحاكم العسكرية المختلفة بال العسكريين فقط، فلو حوكم غيرهم من المدنيين المنتسبين لأي جماعة أو أي حزب أمام المحاكم العسكرية، فهل سنجد مظاهرات مثل مظاهرات الإخوان؟"

فانشرح صدر الدكتور صلاح الشيمي وتبسم. وتبتسم الدكتور عماد الدسوقي أيضًا. فقال فوزي نجيب بحدة بصوته الخشن: "طبعاً، صلاح الشيمي والدسوقي سعيidan من هذا الكلام".

فتتساءل الدكتور صلاح بحقن: "يا جماعة، هل تظاهر أي أحد من الشعب أو من الأحزاب

تعاطفاً مع موقف الإخوان الـرهيب؟"

وتتساءل الدكتور عماد الدسوقي:

- وهل تظاهر أي أحد تعاطفاً للإخوان المسلمين حينما حوكمو أمام محاكمات الديجوي العسكرية
في الستينيات أو في المحاكمات الحالية؟!
فلم يجدهما أحد.

فواصل أحمد إسماعيل: "كانت مظاهرات شعبنا في الستينيات مع النظام العسكري الغاشم وضد
الإخوان، وكانت الهتافات تقول: "دبح دبح يا جمال... اقتل اقتل يا جمال"!...
وأتبעה حكيم نخلة:

في برنامج "في الشارع" الشهير، وجدت المذيعة إحدى الفتيات وهي تهروء وتلهث، فقالت
لها: إيه الحكاية؟ إيه أ تكوني قد فررت من أحد الإخوان المسلمين مجرمين؟!...
فتتساءل فوزي نجيب في سره ساخراً:
أنت أصبحت يا حكيم من الإخوان المسلمين أيضاً؟!
قال صلاح الشيمي بامتعاض:

ـ بل في مجلة الأزهر في الستينيات كانوا يسخرون من الإخوان وينفرون الناس من دعوتهم
وكانوا يرسمون أشكالاً شيطانية منفرة ويكتبون تحتها "إخوان الشياطين"!...
ـ فقال أحد الأطباء:

ـ ولكن الأزهر ابتعد الآن عن الغمز واللمز في الإخوان.
ـ فاحتد فوزي نجيب:

ـ ابتعد عن الإخوان وعن غير الإخوان، وترك الساحة خالية للجماعات التي تكرر الناس وتحكم
عليهم بالإعدام!
ـ وبامتعاض:

ـ مع العلم أنهم كلهم في سلة واحدة أو على الأقل أن كل الجماعات الإسلامية الإرهابية الجديدة
خرجت من عباءة الإخوان المسلمين ومن فكرهم المتطرف...
ـ توجه صلاح الشيمي برأسه ناحية فوزي نجيب بغضب:

ـ جماعة الإخوان لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالجماعات الإسلامية المتطرفة، والحكومة
نفسها اعترفت بذلك.
ـ وقال بعده عماد الدسوقي بحماس:

ـ بل إن الرئيس مبارك ذاته اعترف بهذا الأمر في أكثر من لقاء صحفى. فلا داعي لخلط
الأوراق يا دكتور نجيب.

ـ فتساءل فوزي نجيب بصوت أحش:
ـ ألم تخرج جماعة التكفير والهجرة وهي أشد الجماعات الإسلامية تطرفًا من رحم الإخوان
المسلمين؟!

ـ فرد عليه صلاح الشيمي:
ـ جماعة الإخوان تبرأت من فكر التكفير والهجرة وأصدر قادة الجماعة كتاب "دعاة لا قضاة"
ـ يتبرعون فيه من هذا الفكر المتطرف ويوضّحون سماحة دين الإسلام.

وسأله الدسوقي:

-ألم تسأل نفسك يا دكتور نجيب، لماذا وأين نبت هذا الفكر المتطرف؟ ألم يخرج إلى الوجود بسبب التعذيب الرهيب في السجون الناصرية؟

أكملت الدكتورة ابتسام عوض الله كلام الدسوقي:

-جماعة التكفير والهجرة خرجت فعلاً من عباءة الإخوان المسلمين أثناء التعذيب في السجينات.

ثم تساءلت:

-ولكن هذا الفكر المتطرف خرج إلى الوجود من قديم، ألم يكن هذا الفكر المتطرف هو نفسه فكر الخوارج الذين كفروا الصحابة وحاربوهم؟ فهل كان الخوارج في السجون حينما انبعث فكرهم المتطرف؟!

ثم واصلت منطقة بثوريتها:

-ألم يكن هذا الفكر المتطرف هو فكر "جماعة الحشاشين" وزعيمهم الشديد التطرف حسن بن الصباح الذي كان إذا أمر أحد أتباعه بأن يلقي نفسه من أعلى قمة جبل لاستجواب على الفور بلا أدنى درجة من التردد؟!! يعني "السمع والطاعة العميماء" التي أسس بها حسن البنا جماعته المتطرفة في القرن العشرين!...

فاحتدى عماد الدسوقي:

-الدكتورة ابتسام عوض الله يسارية حتى النخاع، فهل من المتوقع أن تقول كلمة حق في الإخوان المسلمين؟

قال الدكتور أحمد إسماعيل في غضب شديد:

-ولتكن بكلامك هذا تلمذين في دين الإسلام نفسه! كيف؟

-حينما تقولين إن الخوارج لم يكونوا في السجون بينما كفروا الصحابة وحاربوهم، فمعنى ذلك أن الإسلام نفسه هو الذي يحمل بذور هذا الفكر المتطرف؟!

قال صلاح الشيمي بهدوء ولم يحتج لأن ابتسام عوض الله من المقربين إليه في المستشفى:

-الإسلام بريء من التطرف والمتطرفين يا دكتورة ابتسام. وبذور التطرف والتطرف تنتسب وتتمر حينما تجد التربة الخصبة في الفوسفات...

وقال الدكتور مجدي النحال غاضباً:

حرام عليك يا ابتسام. قولي الحق. وعيي كبير أن تسببي دين الإسلام.

تورى وجه ابتسام وقالت في تلعثم:

-أنا... أنا لا أقصد... لا أقصد الدين الإسلامي نفسه. وأنا مسلمة وموحدة بالله ولا داعي لمن تكفروني أنتم بكلامكم هذا. أنا أتحدث عن التطرف الإسلامي قديماً وحديثاً.

قال عماد الدسوقي في حدة وغلظة:

يا شاطرة! يا شاطرة!... لا تربطني بين التطرف والإسلام، فهذا أيضاً غمز ولمز في دين الإسلام نفسه. ولكن ينبغي أن تقولي التطرف عند بعض المنتسبين إلى الإسلام زوراً. فالإسلام

بريء من التطرف والمتطرفين. أما جماعة الإخوان المسلمين فلا علاقة لها بالتطرف. والأصول العشرون في فهم دين الإسلام والتي مدونة في فكر جماعة الإخوان، قد عرضها الإمام الشهيد حسن البنا على شيخ الأزهر نفسه في ذلك الوقت فاستحسنها. فليس في فكر الإخوان أي تطرف.

فردت ابتسام في حدة أيضاً:

-أنا أكبر منك سنا. وينبغي يا إخواني، أن تكون قد علمتك جماعتك الإخوانية المتسلمة أصول الحوار مع المختلفين عنكم فكريًا. وينبغي أيضًا أن تكون قد علمتك الأدب في الحوار وخاصة مع الأكبر سنا!

أسقط في يد عماد ولم يرد. فواصلت بقوه:

-والتطرف موجود حتى النخاع في فكر جماعة الإخوان المتسلمة حتى أيام حسن البنا نفسه، لم تقتل هذه الجماعة المتسلمة أحد الخاندار القاضي في الأربعينات لأنه قد حكم على بعض الإخوان بما لم يرق لحسن البنا نفسه ولجماعته الإرهابية؟ لم يقتلوا القراشي باشا رئيس الوزراء لأنه قد حل هذه الجماعة المتسلمة؟! فهل جزاء حل الجماعة القتل؟ لم يفجروا حقيقة ملجمة بالمتغيرات أمام مكتب النائب العام...؟!

-هذه أسطوانة مشروخة يرددوها اليساريون وأعداء الإخوان والإسلام. والإخوان قد تعلموا من أخطائهم. وقد تجاوزوا مرحلة العنف تلك. مع العلم أن حسن البنا قد تبرأ من هذه الحوادث العنيفة التي قام بها أفراد من التنظيم الخاص باجتهاد خاطئ منهم. والتنظيم الخاص الذي قام بهذه الأحداث العنيفة هو نفسه الذي حارب الصهاينة في حرب 1948 في فلسطين وقد أبلى بلاء حسناً وشهد بذلك الأعداء قبل الأصدقاء. والتنظيم الخاص هذا هو الذي أطلق مع الحركة الوطنية مضاجع جيش بريطانيا العظمى في القنال في بداية الخمسينات وحتى الجلاء في عام 1954. والإخوان قد خرجوا في السبعينيات من السجون، فهل انتقموا من الذين عذبوهم في الخمسينات والستينيات في السجون الناصرية؟ والإخوان الآن في محنة، وكان يجب على الشعب أن يعترض على محاكمة المدنيين -سواء كانوا إخواناً أو غير إخوان- أمام المحاكم العسكرية.

قال الدكتور عبد الوهاب محمود بهدوء:

-الإخوان في محنة الآن ويجب علينا جمعياً أن نعترض على ذلك، والمثل يقول: "لقد أكلت يوم أكل الثور الأبيض". ولكنك يا دكتور صلاح، لم تخبرنا عن أي مظاهرة قام بها الإخوان لصالح الشعب قديماً أو حديثاً.

-الإخوان قد خرجوا في مظاهرات كثيرة مع الحركة الوطنية قديماً وحديثاً، وخرجوا متظاهرين لوحدهم أو مع غيرهم مع قضايا الأمة العربية والإسلامية. ولا يشكك في وطنية الإخوان المسلمين إلا كل حقد.

مررت فترة من الصمت تساءل فيها أكثر من طبيب مع نفسه ما هي المظاهرات التي قام بها الإخوان لصالح الحركة الوطنية؟

وتفكر الدكتور صلاح الشيمي في مظاهرة كوبري عباس الشهيرة في الأربعينات ومشاركة طيبة الإخوان فيها مع طيبة الحركة الوطنية وفتح الكوبري عليهم فجأة وغرقهم في النيل... ثم قطع الدكتور فوزي نجيب الصمت الراهن وهو يقول:

-النظام الحاكم يوجد به فساد كبير، والفساد لا يوجد في بلدنا فقط بل في الدنيا كلها وليس هذا تبريراً للفساد. ومهما اتفقنا مع النظام الحاكم أو اختلفنا ولكنه يعمل على استقرار البلد ونهضتها بالقدر المستطاع. والأنظمة التي حكمتنا منذ أزمة مارس 1954 حتى الآن، تجهض حركة الإخوان المسلمين أولاً بأول حتى لا تقم لهم قائمة ولا يحكمون البلد لأن الإخوان لو حكمونا لجرؤنا إلى المجهول!...

فرد عليه الدكتور صلاح الشيمي غاضباً:

-لقد جربنا العلمانية وحكام العسكر فلم نحصد إلا الهزائم والتخلف في كل المجالات، فجربوا الإسلام لتعرفوا الفرق...

وأعقبه الدكتور عماد الدسوقي بحماس: "والإسلام قد حكم ثلاثة عشر قرنا من الانتصارات والعزة والكرامة".

مررت فترة ثانية من الصمت، كانت أصوات رشفات القهوة والشاي تكسرها حتى تسأله الدكتور حكيم نخلة:

-يا دكتور صلاح، أخبرنا عن الشخصية الغامضة العجيبة التي كانت تقود المظاهرات في كل المحافظات في ذات الوقت؟!

فلم يجد صلاح إجابة، واستسلم للصمت لأن ظهور علي عبد المنعم في المظاهرات كان محيراً للإخوان قبل غيرهم!...

فرد الدكتور أحمد إسماعيل:

-أظن يا حكيم، أنني قد رأيت هذا الشخص هنا في المستشفى.

فافتقدت ذاكرة حكيم وقال متھمساً: "أظن أننا قد كشفنا عليه منذ فترة".

فصاح أحمد إسماعيل بالحماس نفسه:

-عندي حق يا حكيم. فهو الشخص الذي اعتقل في أمن الدولة ونامت في حضنه الراقصة نانى في الزنزانة!...

تورد وجه صلاح الشيمي وضاق نفسه واستسلم للصمت العميق فقد كان طوق نجاة مما يسمعه...

قالت ابتسام عوض الله ساخرة:

-يبدو أن جماعة الإخوان المسلمين تستخدم الآن السحر في تكتيكاتها!....

فلم يعلق أحد لأنهم فوجئوا بالمدير أتى ووقف على باب الحجرة وهو يقول مندهشاً:

-إيه الحكاية؟! الساعة عدت التاسعة بكثير. المرضى في الانتظار...

-98-

في الاجتماع القومي الثاني لإدارة الأزمات، هتف وزير الداخلية متھماً:
لقد تعرفنا يا سيادة الرئيس - على الشخص الذي كان يقود مظاهرات الإخوان أمس.

فسأل الرئيس:

من؟ يا عادل؟

- طالب في الفرقة الثانية بكلية طب عين شمس، واسمه علي عبد المنعم السيد صابر، وهو من
إخوان شبرا.

فتساءل الرئيس:

- ولكنك كيف كان يقود المظاهرات في كل المحافظات في الوقت نفسه؟!

- لا أعرف يا فندم.

فسأل الرئيس الحاضرين عن كيفية قيادة فرد واحد لكل المظاهرات في البلد في ذات الوقت؟!

فعجزوا عن تفسير هذه الظاهرة. وأخيراً عصر مستشار الرئيس للمعلومات رأسه وقال:

يا فندم، من أبجديات جماعة الإخوان المسلمين، أنهم جماعة سلفية وحقيقة صوفية. ومؤسس
الجماعة حسن البنا - قال المستشار في سره عليه رحمة الله - كان صوفياً. فالصوفية بروحانيتها
لها دور كبير في جماعة الإخوان المسلمين. وظهور عدة صور لشخص واحد في أكثر من
مكان في ذات الوقت، معروف عند الصوفية بظاهرة "الأبدال"!

ثم هتف بحماس ويقين:

فالأبدال هي صور لشخصية واحدة!...

ضحك الرئيس ثم قال:

- أنت عقدتها بدلاً من أن تحلها.

ففسر المستشار أكثر:

يا فندم، الأبدال هي صور حقيقة بشحم ولحم ودم لفرد واحد.

فضحك الرئيس أكثر، وقال:

لقد زدت الطين بله!

ومع ذلك واصل المستشار:

- في الصوفية اعتقاد أن الملائكة الكرام يمكن أن تمثل بأحد الصالحين، وتتجسد في شخصيته
وشكله ولحمه وعظمته حتى لا يكون فرق بين الحقيقة والصورة، ويمكن أن تكون هذه الصور
لانهاية لعددها...

ثم استرسل بحماسة:

- ألا تذكر يا رئيس، حديث جبريل - عليه السلام - حينما دخل على الرسول - عليه الصلاة
والسلام - والصحابة في صورة الصحابي دحية الكلبي، وسأل جبريل الرسول عن الإسلام وعن
الإيمان وعن الإحسان وعن موعد الساعة، وكان الصحابة لا يعرفونه ولا يبدو عليه أثر السفر.

قال الرئيس:

- لا أتذكر هذا الحديث، ولكن إذا كان سيدنا جبريل -عليه السلام- قد تمثل بصورة صحابي، فكيف لا يعرفه أحد من صحابة الرسول -عليه الصلاة والسلام- الجالسين حوله؟
- فأكيد رئيس ديوان رئاسة الجمهورية تساءل الرئيس:
- فعلاً، كيف يأتي سيدنا جبريل بصورة صحابي معروف ولا يعرفه أحد من الجالسين مع الرسول عليه الصلاة والسلام؟!

فدافع مستشار الرئيس للمعلومات عن رأيه:

- لقد كان سيدنا جبريل يتمثل دائماً بصورة الصحابي دحية الكلبي رضي الله عنه، وقد كان هذا الصحابي جميل الوجه. وربما لم يأت سيدنا جبريل في هذا الحديث المشهور بصورة الصحابي دحية الكلبي، إنما أتى في صورة طيبة أخرى.

قال الرئيس:

- دعونا من هذا الجدال. فلسنا في مجلس فقهي لاختلاف في هذه القضية. ولنعد إلى قضية على عبد المنعم. فهل نحن في عصر النبوة حتى يتمثل ملاك بصورة أحد الأشخاص مهما كان صالحًا؟!

فرد عليه رئيس ديوان رئاسة الجمهورية:

- هذه خاصية للملائكة، فهم يستطيعون أن يتمثّلوا بصورة طيبة لأي إنسان في أي زمان ومكان.
- **قال أحد الحاضرين:**

- ولكنهم لا يتمثّلون بصورة قبيحة لحيوان أو لأي مخلوق آخر سوى البشر.

وقال رئيس الوزراء بحماس:

- الجن هم الذين يتمثّلون بصورة قبيحة لبشر أو لحيوانات أو لثعابين أو لحيات.

وقال رئيس الحرس الجمهوري بحماسه الشديد ضد الإخوان:

- الإخوان المسلمين ما هم إلا إخوان الشياطين! وطالما أن الجن يمكن أن يتمثل بصورة إنسان، إذن يمكن أن يكون الشخصيات المتكررة للشخص الغامض في المظاهرات هي شخصيات من العفاريت الزرق!....

ضحك الحاضرون...

قال رئيس الوزراء:

- ولكن الجن لا يستطيعون أن يتمثّلوا بالشخصية وقت طويل لأن قانون الشخصية التي يتمثّلون بها يتحكم فيهم، فمن الممكن أن يُقتل الإنسان أو الحيوان الذي يتمثل بهما الجن وبالتالي يُقتل الجن نفسه.

فهتف الرئيس ساخراً:

- بارك الله فيكم. لقد حولنا مجلس إدارة الأزمات القومي إلى مجلس حكاوي الجن والعفاريت!
- فضجت القاعة ضحكا ...

قال وزير الداخلية:

- أكيد حكاية الأبدال هراء في هراء.

ثم تساءل:

- وإنما ولكن كيف يعاقب القانون الشخصيات الأبدال للشخص الحقيقي؟!

فرد مستشار الرئيس للمعلومات:

- الملائكة الأبدال لا تأتي بأفعال سيئة.

فغر رئيس الحرس الجمهوري فاه ثم قال ساخراً:

- الملائكة الأبدال لا تأتي بأفعال سيئة!

ثم تساءل:

- وما رأيك يا سيدة المستشار الهمام في مظاهرات أمس؟ أليست أفعال سيئة؟ ألم تقلب البلد رأساً على عقب؟!

فرد عليه مستشار الأمن القومي:

- بصراحة، ما حدث أمس ليس شرًا فقط، ولكن فتنة شديدة، والفتنة أشد من القتل...

قال وزير الداخلية:

- لست مع رأي المستشار فيما حدث أمس كان فتنة. أنا قلت لكم إن الإخوان المسلمين ظاهرة صوتية. فيها هي المظاهرات قد فُضلت وهم لم يخبروا شيئاً. وهذا عهدهنا بهم.

قال الرئيس:

- ولكن كان من الممكن أن تنسل عناصر مشاغبة وسطهم ويعيثنوا فساداً في البلد.

وبامتعاض:

- وأعداء النظام كثُر.

قال وزير الدفاع:

- يا رئيس، سلوكهم في المظاهرات يعتبر سلوك حضاري لهم.

وقال رئيس ديوان رئاسة الجمهورية:

- أنا أرى أن نتحاور ونتفاهم معهم.

وقال مستشار الرئيس للمعلومات:

- وأنا أرى ذلك.

فتساءل رئيس الحرس الجمهوري بحذر حتى لا يغضب الرئيس مثل غضبه بالأمس:

- لماذا يا عادل لم تنس عناصر مشاغبة وسط المتظاهرين وتأمرهم بفعلون أعمالاً تخريبية حتى

- نشوء الإخوان أمام الرأي العام في الداخل وفي الخارج؟!

قال وزير الداخلية لنفسه:

- يا عادل! هكذا بدون لقبي! فاكر نفسك الرئيس!

رد:

- لابد أن نحافظ على سمعة النظام.

قال رئيس الوزراء:

-الإخوان المسلمون يصفون أنفسهم بأنهم أصحاب الأيدي البيضاء. وإذا دُست عناصر مشاغبة بينهم فسوف تشنع علينا هذه الجماعة أمام وكالات الأنباء العالمية.

وقال مستشار الأمن القومي:

-أكيد سيفطن الإخوان إلى هذه العناصر وسيفشلون تحطيطهم. الإخوان يا سيادة الرئيس- منظمون على أعلى مستوى...
وقال مستشار الرئيس للمعلومات:
-معروف عالميا عن جماعة الإخوان أنها لا تقوم بأي أفعال تخريبية.
وقال وزير الإعلام:
-الإخوان أرادوا بالمظاهرات أن يوقفوا المحاكمات العسكرية.
فقال الرئيس بحزم:
-لن نتراجع عن المحاكمات العسكرية حتى نقص ريشهم شوية.
ثم أشار بيديه قائلاً:
-أحوال البلد لا تحتمل.
قال رئيس الحرس الجمهوري لنفسه:
قلت لكم جزوا الرأس الكبيرة...
نظر الرئيس إلى وزير الدفاع وقال:
-اجعل ضباط المحكمة (يتوصوا) شوية بالإخوان يا حسن.
تبسم وزير الدفاع وقال:
-الأحكام جاهزة يا فندم، من ثلاثة إلى سبع سنوات على الأقل. والإعدام -إذا أردت- جاهز أيضا يا فندم!
فاندفع رئيس الحرس الجمهوري:
-حتى يتربوا شوية!...
قال الرئيس:
-لا أريد أن يُنسب إلى حكمي أي إعدام سوى لقتلة الرئيس السادات الله يرحمه.
نظر الرئيس إلى وزير الداخلية وسأله:
-كم عدد الذين قبضت عليهم أمس?
-حوالي خمسة آلاف يا رئيس.
-أليس هذا العدد بكثير؟!
يا فندم، المظاهرات كانت في البلد كلها. وما قبضنا عليهم يعتبر عدد رمزي.
قال الرئيس:
-رببيهم شوية ثم أفرج عنهم.
سنعرضهم على النيابة بعد شهر طبقا لقانون الطوارئ. ويكونون قد تربوا في أمن الدولة!
قال مستشار الأمن القومي:

لو كانت الشريعة مطبقة الآن، لطبق حد الحرابة على الإخوان المسلمين.
قال الرئيس:

-شعبنا طيب. حتى الإخوان طيبون. ولكنهم لا يعرفون أحوال البلد. البلد لا تحتمل مهاتراتهم.
فتساءل رئيس ديوان رئاسة الجمهورية:

-لماذا لا نجمعهم في حزب سياسي بدون لافتة دينية؟ ونجرهم على الانخراط في العملية السياسية وتخلص من صداعهم المزمن.

قال الرئيس:

ـنأخذ رأي الأخوة.

قال رئيس الوزراء:

-أنا أميل لهذا الرأي حتى تخلص من صداعهم المزمن ومن مهاتراتهم المزمنة.
وقال مستشار الأمن القومي:

ـلو فعلنا ذلك لسحب البساط من تحت حزبنا ومن تحت أقدامنا...

وقال رئيس الحرس الجمهوري:

ـأنا أحافظ برأيي لنفسي لأنه لن يعجبكم.

فضحك الرئيس قائلاً:

ـإياك أن تفكر مرة أخرى في جز الرأس الكبيرة.
فضحقت القاعة ضحكت.

قال مستشار الرئيس للمعلومات:

ـحزبنا يعتبر من اليمين.

فقط عمه مستشار الأمن القومي:

ـلا يا سيادة المستشار. فحزبنا لا يمين ولا يسار ولكنه وسط.

قال مستشار الرئيس للمعلومات:

ـلا يا سيادة المستشار. إن حزبنا يعتبر يمين الوسط. والإخوان المسلمون يعتبرون أقصى اليمين. فمن الممكن أن نحتويهم ونجعلهم يمين الوسط بدلاً من اليمين المتطرف.

قال الرئيس:

ـلو كان حزبنا حزباً دينياً في أقصى اليمين، فلن يدخل الإخوان تحت عباءته.

وبنيرة يأس:

ـولا تحت عباءة أي حزب في الدنيا.

قال وزير الدفاع:

ـولكنهم يتشددون دائماً بأنهم لا يريدون الحكم ولا يسعون إليه.

قال الرئيس:

ـحينما قامت الثورة، لم يوافقو أن يشاركون في أول حكومة. وطالبوها بأن تعرض القوانين قبل اعتمادها على مجلس يتكون منهم.

وبامتعاض:

- بهذا المجلس سيتحكمون في شؤون كل شيء. يعني سيكونون هم الحكم الفعليون للبلد!

قال وزير الإعلام:

معنی ذلك أنهم كانوا يريدون من مجلس الثورة خيال مائة!

فتهكم وزير الداخلية:

ويذَّعون أنهم لا يسعون إلى الحكم.

قال مستشار الأمن القومي برازانته منصبه الحساس:

- هذا المجلس للنظر في القوانين يشبه تماماً المجلس الأعلى لمرشد الثورة الإيرانية والذي يتحكم في كل شاردة وواردة في إيران. يعني الحكم الحقيقي للبلاد!....

قال مستشار الرئيس للمعلومات:

- ولاية الفقيه المستحدثة في إيران منذ تأسيس الدولة الصفوية عام 1500 ميلادية والتي تبلورت مع الإمام محمد بن مكي الجزياني في القرن العشرين، تختلف المذهب الشيعي بوجه عام، وتختلف أيضاً أصول المذهب الشيعي الاثني عشر نفسه! وبالطبع تختلف مذهب أهل السنة!

ثم بنبرة قوية:

ـ بل تختلف الإسلام نفسه وحتى هدي الخلفاء الراشدين. وليس في الإسلام حكم رجال الدين ولا الحكم الثيوقратي البغيض!

قال الرئيس:

- الأفضل لصالح البلد أن نجعل الإخوان كما هم بدون أي لافتة رسمية.

فتيس مستشار الأمن القومي:

- حتى يكونوا (فزعاء) و(بعض) للغرب فلا يطالبوننا بديمقراطيتهم التي لن تأتي إلا بالإخوان!

قال الرئيس:

- أنا قلت للرئيس الأمريكي لو تمت انتخابات حقيقة عندنا وفي الدول العربية كلها، فلن يفوز إلا الإخوان المسلمون بسبب الهوس الديني الشائع!

فتسائل رئيس الوزراء:

- وهل وافقك الرئيس الأمريكي الرأي؟

ـ نعم، كان رأيه كذلك أيضاً.

ضحك الرئيس:

- كان لسان حال الرئيس بل كلينتون المثل الشهير: "إلي نعرفه أحسن من اللي ما نعرفوش"!....

ـ ثم التفت إلى وزير الداخلية وقال:

ـ يا عادل، في اجتماع الغد، أحضر الطالب العجيب الذي قاد مظاهرات الإخوان.

-99-

أحضر علي عبد المنعم الاجتماع القومي الثالث لإدارة الأزمات برئاسة الجمهورية وهو مكلا بالأغلال!...

كان السير الحديدي الثقيل يمتد من رسغه الأيمن إلى رسغه الأيسر، ثم يعلو إلى إبطه الأيمن لينزل إلى رجله اليسرى ليتلف حولها ثم يمتد إلى رجله اليمنى ملتفا حولها ليصعد إلى إبطه الأيسر ثم يهبط ليتلف حول وسطه لفة كاملة ثم يخرج عند السرة ليستقر أخيرا في الرسغ الأيمن العسكري غليظ الملامح والشارب والجسد...! كان العسكري يسحب علي سحبا بطينا وئدا، ويكادا أن يتعرضا ويقعان عدة مرات!...

اشتعل وجه الرئيس الأبيض المشرب بحمرة احمرارا وهو يرى كتل الحديد المتعامدة والملتفة حول علي! قال في نفسه:

ما هذا الذي تفعلونه في خلق الله؟! ألا يكفي القيد في الرسغ فقط؟! أليس لك من اسمك نصيب يا وزير الداخلية؟!...

أمر بحزن:
فأك هذه الأغلال يا عادل.

أمر وزير الداخلية جنود القوات الخاصة المحيطة بعلي بفك الأغلال.

تبسم الرئيس وأمر علي عبد المنعم بأن يجلس على كرسي من كراسي الصالون الوثير. سأله:
-إيه حكايتك يا سي علي؟

تنفس على الصدأ بعد فك القيود... وتنفست روحه الصدأ أيضا بعد ابتسامة الرئيس
ومخاطبته بلهجة حميمة...!

نظر علي إلى الرئيس وأبهة الرئاسة تتلاقى حوله، ونظر إلى خريطة مصر الكبيرة خلفه وأعلاه،
وقال في نفسه:

كم سال لعاب الطواغيت منذ فجر التاريخ على سلطتك التي لا ينضب معينها أبدا؟! كم ظلمت يا
كنانة الله بيد حكامك على مدار التاريخ؟! وكم انتهكت حرماتك، وروع أمنك، وسحقت كرامتك
وكراهة شعبك الأبي العظيم منذ العصور السحيقة؟! ولكنك يا كنانة الله أبيت الظلم، وأبىت
القهر، وأبىت الإهانة، ولم تسمحي لكرامتك أن تهدر أبدا... لقد دفت في رحمك كل جبار عنيد،
وسحقت كل مارد وصنديد...!

ثم نظر إلى الحاضرين الذين يمثلون جزءاً مما من سدنة الحكم ويجلسون متألقين على
كراسيهم الوثيرة الأنبلية فوق السجاد الفخم الذي تغوص فيه الأحذية وأرجل الكراسي وكل
شيء، ووجوههم تتفجر بالحياة والنضاره والنعمة، وأخذتهم السوداء اللامعة تبرق وتعكس
أوضاع النجف المتعدد الأدوار فوقهم، وقرأ قوله تعالى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عِلِّمْتُ لَكُمْ
مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَنْ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعْلِي أَطْلُعُ إِلَى إِلَهٍ مُّوسَى وَإِنِّي

لأَنْتُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ * }⁷⁷ ... ما أَبْشِعُ الْهَامَانَاتِ فِي دُنْيَا
النَّاسِ! ...

تأمل على في الصورة الكبيرة الفخمة للرئيس فقرأ قوله تعالى: {كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَغَيْوَنٍ *
وَزُرْوَعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذِلِكَ وَأَوْرَثَنَا هَا قَوْمًا أَخْرَى * فَمَا بَكَثَ عَلَيْهِمُ
السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ *}⁷⁸ ... لو دامت لغيرك ما وصلت إليك!
وكم من ملك رفعت له علامات! فلما علا م————ات!

قال علي بعزه النفس ويقين الإيمان:

- الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله... فمقاطعه رئيس الحرس الجمهوري قائلاً :

- هي خطبة! أتخطب فيها؟! أتعمل فيها مؤمن وتصلي على الرسول يا إخوان الشياطين؟!
لم تقاطعني بهذا الأسلوب يا طويغوت؟! إخوان الشياطين!

نظر الرئيس شزرا⁷⁹ إلى رئيس الحرس الجمهوري، فسكت. ثم أمر علي أن يكمل.
قال علي بقوه:

نحن الإخوان المسلمين، ولسنا إخوانا للشياطين.

مقاطعه رئيس الحرس الجمهوري ثانية قائلاً بسخرية:

- "نحن الإخوان المسلمين"! يعني أنتم المسلمين فقط!

قال علي بقوه:

لم يقل أحد من الإخوان "نحن المسلمين فقط". ولم نتهم أي مسلم بأنه ليس على الإسلام الحق.
ولم نقل نحن جماعة المسلمين وبالتالي غيرنا ليسوا ب المسلمين.

أعجب الرئيس والحاضرون بالقوة الشخصية لعلي وبمنطقه وبشجاعته... قال الرئيس في نفسه:
لو كان عندنا في حزبنا الحاكم الهش عشرون من أمثال علي هذا لكان أغلبية حقيقة...

ثم قال:

- أكمل يابني.

استكمل علي:

- هي حكاية الجlad والضحية منذ فجر التاريخ... الجlad الذي لا يرتوي أبدا إلا بدماء الضحايا،
والعجب أنه يظل ظماناً أبداً، ولا يصل إلى الارتقاء بهما شرب من دماء ضحاياه!...
قام وزير الداخلية غاضباً ليلطم علي عبد المنعم على وجهه فأمره الرئيس أن يجلس.

قال علي:

- ليس من الرجلة أن تضربني وأنا أسير عندكم ومكبلاً بالقييد في يدي!

اشرئب وجه وزير الداخلية القمحي بالحمرة...

قال الرئيس:

⁷⁷ الآية 38 من سورة القصص

⁷⁸ الآيات 25 - 29 من سورة الدخان

⁷⁹ نظر إليه بمؤخرة العين علامة على الغضب والإعراض

-أكمل يا علي.
فاستطرد ساخراً:

ليس في مقام رئيس الجمهورية -يا سيادة الوزير- يجوز لك أن تضربني!
فأشتعل وزير الداخلية غيظاً، ولم يستطع أن ينفشه...
سأل الرئيس علياً:

ماذا تريد أن تقول بحکایة الجlad والضحية؟

منذ أن قام انقلاب 1952، والإخوان يتعرضون لشتى أنواع الاعتقال والتعذيب والإعدام... ولما جاءت فرحة في السبعينات، لم يأت عام 1981 إلا وكان الإخوان في المعطلات مرة أخرى! وأنتم يا سيادة الرئيس، قد أفرجتم عن معتقلي 81 ماعدا قتلة الرئيس السادات -الله يرحمه- والمدانين بأعمال إرهابية وإجرامية. ولكن منذ منتصف الثمانينات، والإخوان يتعرضون للمحاكمات أمام القاضي المدني، فلما كان هذا القاضي العادل لا يجد اتهاماً للإخوان، فإنه كان يفرج عنهم باستمرار. ولكن الجlad لابد وأن يتجرع من دماء الضحايا دائماً وإن فسيموه! فتفتق ذهنه الخبيث عن تحويل المحاكمات إلى المحاكم العسكرية التي لن تبرأ أحداً! ولم يتعامل برقق مع المظاهرات الغاضبة، إنما ضربهم بالرصاص الحي!!...
تورد وجه الرئيس الأصهب، وضاق نفسه، ولم يستطع أن يتكلّم...

فتساءل مستشار الرئيس للمعلومات معترضاً:

بالتالي، هل هذا الأسلوب الذي تناطبه به مقام رئيس الجمهورية؟ بالله، هل هذا الأسلوب يتناسب مع جماعة تدعى أنها تريد أن يحكم الإسلام مرة أخرى ويعود رونقه وأخلاقه وشرعيته في كل مناحي الحياة...؟

رد على بقوة:
-أنا أسمى الأسماء بسمياتها.

فقال المستشار:

*وأين أنت وجماعتك التي ترتدي عباءة الدين من قوله تعالى: {إِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * قَهُولًا لَهُ قَوْلًا لَتِنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى} ⁸⁰... وهذا الخطاب اللين في الآية الكريمة مع فرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى وليس مع رئيس مسلم مؤمن وموحد بالله.

أسقط في يد علي، ولكن منطقه أسعفه فقال:

ماذا تريد مني أن أقول وقد حُرمت من أبي منذ طفولتي؟! ألم تقتلوا أبي في آخر عام 1981 في المعطل؟! ألم تقتلوا العشرات في المظاهرات ودمائهم لم تجف بعد؟!...

هتف رئيس الوزراء بحماس:

-أنت تناطب مقام رئيس الجمهورية، ومقام رئيس الجمهورية هو رمز للوطن كله مثل اللواء. أفهم؟

⁸⁰ الآيتان 43 و 44 من سورة طه

- وقال وزير الداخلية:

- الإخوان لسانهم طويل ويتشددون بالإسلام.

- وقال رئيس الحرس الجمهوري:

- ليس لسانهم طويل فقط، بل هم قليلو الأدب.

- فتساءل علي غاضباً:

- أتأتون بي إلى هنا لأسمع هذا السباب؟!

- ثم هتف:

- لا حول ولا قوة إلا بالله. حسبنا الله ونعم الوكيل.

- فقال وزير الإعلام:

- تكلم بدون غضب يا ولد. أنت في مقام رئيس الجمهورية. أتفهم؟

- وقال رئيس ديوان رئاسة الجمهورية:

- أتحسّن وتحوّل علينا؟ وأنتم قد أفسدتم في الأرض بمظاهراتكم ومهاناتكم.

- فقال الرئيس:

- يا بني، لو طبقنا قوانين الشريعة الإسلامية التي تندون بتطبيقها وقامت جماعتكم على تطبيقها

- كما كانت في العصور الإسلامية الأولى، لأقمنا حد الحرابة عليك وعلى كل المتظاهرين.

- فرد علي:

- نحن لم نحد الله ورسوله حتى تطبقون حد الحرابة علينا.

- وبنبرة قوية:

- حد الحرابة يجب أن يُطبق على الذين يعتقلون الناس ويذوقونهم أشد العذاب.

- فتساءل الرئيس:

- ألم تسعوا في الأرض فساداً؟

- جماعتنا لا تسعى في الأرض فساداً.

- أليست مظاهراتكم في البلد كلها في ذات الوقت انقلاباً وفساداً في الأرض؟

- فلم يرد علي. فسألته مستشار الأمن القومي:

- أليست مظاهرات بحجم مهول رهيب في البلد كلها فتنة؟ أليست الفتنة أشد من القتل يا أخي؟!

- وتساءل رئيس الوزراء:

- ألم تؤثر مظاهراتكم على البورصة وجعلتها تنهار؟ ألم تؤثر على السياحة والاستثمار وبالتالي

- على اقتصاد البلد...؟!

- وانهارت أسئلة الحاضرين: ألم؟ ألم؟ ألم؟!...

- سأله علي:

- ولمّاذا لم تسألوا أنفسكم وما حكم الشرع في قتل الناس بالرصاص الحي لمتظاهرين سلميين؟!

- ولمّاذا لم تسألوا أنفسكم عن سبب مظاهراتنا؟! ألم تحولوا قيادات الإخوان إلى المحاكم

العسكرية؟! أليست هذه القيادات أستاذة في الجامعات؟ أليس من بين هذه القيادات أطباء ومهندسو... ومحامون ومحاسبون ومعلمون على مستوى راق من العلم والتحضر؟!... قال وزير الدفاع بهدوء:

يا بني، قيادات الإخوان لم يُحولوا إلى المحاكم العسكرية بسبب درجاتهم العلمية.

وقال وزير الداخلية ساخراً:

-أطباء... مهندسون... محامون... شرفتم البلد! لا داعي للاستهلال يا ولد! أنت تعلم سبب محاكمتهم عسكرياً.

ضحك على ساخراً وهو يقول:

-أعرف السبب. أليس الانضمام إلى جماعة محظورة؟

وهو يسخر أكثر:

-ومنحلة! أليس كذلك؟

اشتعل وزير الداخلية ورئيس الحرس الجمهوري غيظاً وتمنياً لو يقومان بلطم على على وجهه وركله بكل ما لديهما من قوة وبشه بأعظم السباب... وواصل علي:

-وهذه الجماعة المحظورة تعمل على تهديد السلام الاجتماعي، وتعمل على قلب نظام الحكم...!
هذه اسطوانة مشروخة اعتدنا على سماعها من وزارة الداخلية وسدنة النظام!

قال وزير الداخلية:

ليست اسطوانة يا ولد، إنما فعلاً جماعتكم الإرهابية تعمل في الظلام تحت الأرض ليث الفتن في البلاد، وكونتم تنظيمًا عالميًّا يعمل على قلب نظام الحكم في دول عديدة وخاصة في الدول المسلمة...!

رد علي بهدوء:

نحن لا نعمل في الظلام. ولا يوجد قانون حل الإخوان الذي تزعمونه.

قال وزير الداخلية:

أ تستعبي يا ولد؟ مجلس قيادة الثورة قد أصدر قانون حل جماعة الإخوان المسلمين سنة 1954. فرد علي متهمًا:

أخبرني برقم القانون.

قال رئيس الحرس الجمهوري غاضباً:

-أنت أهيل؟! ولنفرض أنه لا يوجد قانون حل جماعة الإخوان المجرمين، فهل الدولة عاجزة عن إصدار عشرات القوانين لحل الإخوان أو غير الإخوان...؟!

وبسخرية:

أنت طفل مسكين مُغرر به!

وقال وزير الداخلية:

أنت لا تزيد عن طفل عبيط!...

توهج وجه علي. قال:

ليس من الذوق والأخلاق أن تسبوني في مقام رئيس الجمهورية! والسباب ليس من شيم الكبار والكرام، والسباب لا يدل إلا على ضعف الشخصية وتفاهتها... ولو كنت طفلاً، لماذا جئت بي إلى هنا؟!...

أسقط في يد وزير الداخلية ورئيس الحرس الجمهوري فلم يردا. أما الرئيس فقد تبسم وأعجب من منطق علي. وبعد قليل، قال لعلي: أنا لست مع وزير الداخلية وللواء في رأيهم فيك.

ثم سأله:

ـ ما هو تقديرك في طب عين شمس؟
ـ جيد جدا.

قال مستشار الرئيس للمعلومات:

ـ يا فندم، حسن البناء كان يقول للطلبة الإخوان إن نسبة نجاحكم هي نفسها نسبتكم كمسلمين. فإذا حصلتم على 60%， فمعنى ذلك أنكم مسلمون بنسبة 60%， وإذا حصلتم على نسبة 75%， فهذا يعني أنكم مسلمون بنسبة 75%. والمسلم لابد أن يكون إسلامه بنسبة 100% ...

قال الرئيس متعجبًا:
ـ والله الإخوان شطار.

ثم ساخرًا:

ـ ولكنهم في السياسة خائبون.

ـ وقال وزير الإعلام:
ـ هم أبلد خلق الله في السياسة.

ـ وقال رئيس الوزراء:

ـ الإخوان يلعبون السياسة بأخطاء شديدة.

ـ وقال رئيس ديوان رئاسة الجمهورية:

ـ هم في وسط السلم؛ فلا وصلوا أعلى كجماعة دينية، ولا وصلوا إلى أسفله كحزب سياسي!...

ـ ثم وهو يمطر شفتيه بسخرية:

ـ ولن يصلوا إلى أي شيء.

ـ قال مستشار الأمن القومي:

ـ ولكنهم مؤثرون في الشارع...

ـ قال الرئيس:

ـ نحن لا ننكر أن لهم شعبية. وأنهم منظمون على درجة عالية. ولكن كل جدهم عقيم.

ـ قال وزير الدفاع:

الإخوان ...! hopeless case 81

فضحك الرئيس قائلًا:

-إذن نتصل بوزير الصحة ليبحث لهم علاجاً لحالتهم المستعصية!

فقال مستشار الأمن القومي:

-الإخوان حالة مستعصية على العلاج فعلاً. والجماعات الجهادية الإرهابية أمرها سهل لأنفسهم قصير، أما الإخوان فمن الصعب التحكم فيهم والتعامل معهم...

وقال رئيس الوزراء:

-تعاملت الدولة معهم بالعنف والاعتقالات والتعذيب لسنين عديدة، فتمسكون أكثر بدعوتهم...

وقال الرئيس بامتعاض:

-وانتشروا في أنحاء العالم كالإخطبوط لا يعرف له رأس من ذيل!...

فقال رئيس الحرس الجمهوري متهدعاً متھماً:

-ألم أقل لكم أن تقطعوا الرأس الكبيرة هنا؟!

تناثر الشرر من عين الرئيس، وصدرت الأوامر من خلال هذا الشرر ليسكت.

تسنم رئيس ديوان رئاسة الجمهورية وتساءل:

لماذا هذا العداء الشديد يا سيادة اللواء للإخوان المسلمين؟

فتبرس وزير الدفاع، وقال:

-هذا العداء قديم. فحينما تقدم كمال الدين الكلية الحربية في السبعينيات كاد ألا يقبل بسبب خاله الذي كان عضواً في الإخوان المسلمين.

فتساءل رئيس ديوان رئاسة الجمهورية:

ولكن كيف التحقت بالحربيّة يا سيادة اللواء؟

فلم يرد اللواء لأنه كان تحت تأثير سخونة الشرر المتطاير من عين الرئيس...

استطرد وزير الدفاع:

-لقد توسل له لواء من أقاربه لدى المشير عبد الحكيم عامر شخصياً.

فقال رئيس الحرس الجمهوري بعدما وهن تأثيرات عين الرئيس الغاضبة:

-أنا كرهت الإخوان بسبب استيلاء خالي، الإخوانجي، صاحب اليد المتوسطة، على بيت والدتي وخالتى من الميراث، وكتبه باسمه (عيني عينك)!....

ثم نظر إلى جهة علي عبد المنعم وقال:

ـ وهذه هي أخلاق الإخوان المسلمين الحقيقة!

ـ لم يلفته علي اهتماماً. وبعد برهة تسأله:

ـ لماذا أتيت بي إلى هنا؟

ـ فأجابه مستشار الأمن القومي:

81 حالة ميؤوس منها

لقد أتينا بك إلى هنا لتخبرنا بسر قيادتك للمظاهرات بشحمنك ولحمك في كل المحافظات في الوقت نفسه. فهل هي معجزة في نهاية القرن العشرين أم ماذا؟!... أم هو خداع من جماعتك؟!
وما أكثر خداعكم!...
وقال رئيس الوزراء:
وربما يكون سحرا!
وقال رئيس الحرس الجمهوري:
من غير المستبعد أن يمارس إخوان الشياطين السحر...
تبسم علي قائلا:
طالما أن لنا قوة خارقة، فلماذا لا نتفاهم؟
فتساءل وزير الداخلية:
أنتفاهم معك يا غلام؟
فلم يرد عليه علي. وفوجئ الحاضرون بالقيد وهو ينفك من رسغ على الأيمن، وبعد ثانية واحدة، ظهر علي بشخصيات عديدة في قاعة الاجتماع الفسيحة... استولت الدهشة، وتمكن التحير من أرواح الحاضرين، فضربوا كفا بكف...
هتف مستشار الأمن القومي:
لقد ظهر بعد المحافظات التي كان فيها في المظاهرات!...
قال رئيس الحرس الجمهوري بحماس:
لو فتحنا النار على أي شخصية من هذه الشخصيات، فستختفي بقية الشخصيات ونستريح من هذا الساحر وسحره الخبيث!...
فتبسمت شخصيات علي في ذات الوقت بذات الابتسامة لأنه شاهد المعلم ولم يره غيره وقال من خلال الابتسامة:
إن لنا سبعة أرواح، فلن تستطعوا أن تقضوا علينا أبدا...
وظل يكرر: أبدا. أبدا. أبدا...
ومع مرور الوقت، تحير الحاضرون في التعامل مع هذه النسخ العديدة لشخصية علي، والتي تواجههم بعناد وقوة وثبات، وتملك الخوف منهم جمها!... كان رئيس الجمهورية هو الوحيد الذي بدا وهو رابط الجأش ومالكاً لزمام نفسه حتى لا ينهار أعضاء المجلس. كان السفراجي واقفا طوال الوقت على مقربة من الرئيس لتلبية أي أمر، وكان الوحيد المسلح بين كل الحاضرين ولم يلحظ أي أحد أنه كان مسلحاً بمسدس مارك 23، وكان يخفيه في سرواله الفضفاض. وبإشارة من عين الرئيس لم يلحظها أحد؛ فتح السفراجي النار من مسدسه الخاص محدثاً فرعاً رهيباً... ولكن الطلقات ضربت الهواء لأن المعلم خرج بعلي إلى خارج قصر الرئاسة في لمح البصر؛ فاختفت كل النسخ التي يظهر بها علي في ذات الوقت، وذهب بروحه إلى الكوكب السادس...

-100-

بحماس شديد، قال أحمد الغرباوي:

-المظاهرات أحدثت ضجة كبيرة جداً في البلد. والنظام فقد صوابه لذلك اعتقل كثيراً من إخوانكم. والحمد لله، لم يُعتقل من شعبتنا أحد حتى الآن إلا الأخ علي عبد المنعم. والله الحمد والمنة، فقد أفرج عنه بسرعة وعاد لنا سالماً. ولا أدرى لماذا لا يريد أن يحدثنا بما فعل معه في هذا الاعتقال السريع. ويا إخواني، سيكون هذا آخر لقاء لنا في هذه الفترة لأن لقاء الأسر وأنشطة الشعب ستتوقف مؤقتاً حتى تمر العاصفة بسلام.

قال إسماعيل عبد الفتاح:

-الشعب متعاطف جداً مع الإخوان الذين يحاكمون أمام المحاكم العسكرية.

وقال سعيد عوض:

ـ بل إن الناس متعاطفون بشدة مع جماعتنا بوجه عام أكثر من أي وقت مضى.

وقال صلاح الشيمي:

-الأطباء في النقابة يقولون للإخوان المسؤولين عن النقابات: متى ستحكمون البلد؟

ـ وقال علي عبد المنعم:

-الشعب يريد وجوه جديدة

ـ فهتف الغرباوي بامتعاض:

-النظام غبي! النظام غبي!

ـ ثم فسر:

-فبعدما اكتسب الرئيس مبارك تعاطفاً وتأييداً شديدين من الشعب بعد حادث الاغتيال الفاشلة في أثيوبيا، إذا بالنظام يحول إخوانكم للمحاكم العسكرية!... قال إسماعيل عبد الفتاح:

-النظام فعلاً غبي جداً.

ـ ثم أردف:

-التعاطف بدلاً أن يكون مع مبارك، فهو الآن مع جماعتنا. والحمد لله.

ـ ثم واصل متثيراً:

-ولكن ظهور الأخ علي في ذات الوقت في كل المظاهرات أحدث ضجة شديدة وبلبلة في العقول...!

ـ فرد الغرباوي:

-هذه كرامة من الله أجراها على يد الأخ علي لتكون عوناً للجماعة في طريقها إلى الله... .

ـ فقال علي عبد المنعم:

-أرجو من الأخوة ألا نلعق على هذا الموضوع فأنا لا أدرى كيف حدث ذلك.

ـ ثم أبعد الحوار عن موضوع الكرامة، وعزم أن يواجه الجماعة بما تعلم في رحلاته مع المعلم في الكواكب السيارة التي زاراها سوياً، فقال للغرباوي:

يا أستاذنا، إذا تأملنا في أعمال جماعتنا نجدها كلها سرية!... والعمل السري يخالف تعاليم الإسلام مخالفة صريحة. فـأذان الصلاة جهري، والصلاه نفسها جهريه في ثلاثة فروض يومياً، وأربعة فروض يوم الجمعة. وتلبية الحج: "لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك" جهريه... والتکبير: "الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر والله الحمد" جهري في العيدين وفي الحج... وكانت مـنـى في الحج ترتج بـجـبـالـهـاـ بتـکـبـيرـ الصـاحـابـةـ خـلـفـ سـيـدـنـاـ عمرـ بنـ الخطـابـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ وـأـرـضاـهـ... وـحتـىـ الزـواـجـ لاـ يـجـبـ أنـ يـكـونـ سـرـيـاـ،ـ وـلـكـ يـُـشـهـرـ فـيـ المـجـتمـعـ...ـ

تسم الغرابوي. رد:

ـنـحـنـ نـقـومـ بـشـعـائـرـ الإـسـلـامـ جـهـريـاـ كـبـقـيـةـ الـمـسـلـمـينـ.
ـثـمـ تـسـأـلـ مـسـتـغـرـباـ:
ـوـلـكـنـ كـيـفـ نـقـومـ بـأـعـالـمـ الدـعـوـةـ وـالـأـمـنـ مـتـرـبـصـ بـنـاـ؟ـ

ـأـجـابـهـ عـلـيـ:

ـيـاـ أـسـتـاذـ أـحـمـدـ،ـ أـنـاـ مـعـكـ فـيـ أـنـ الـأـمـنـ مـتـرـبـصـ بـنـاـ.ـ وـلـكـنـ السـرـيـةـ نـفـسـدـ الـعـلـمـ،ـ وـرـبـماـ لـاـ يـتـقـلـبـهـ اللـهـ
ـمـنـاـ وـالـعـيـادـ بـالـلـهـ!

ـالـسـرـيـةـ.ـ نـحـنـ مـجـبـرـونـ عـلـيـهـاـ.ـ أـمـاـ قـبـولـ الـأـعـالـمـ لـاـ يـعـلـمـهـ إـلـاـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ.
ـالـعـلـمـ السـرـيـ يـجـعـلـنـاـ نـفـكـرـ بـطـرـيـقـةـ خـاطـئـةـ،ـ وـيـجـعـلـنـاـ نـتـرـبـصـ بـغـيـرـنـاـ،ـ بـلـ يـجـعـلـنـاـ نـشـعـرـ بـالـتـمـيـزـ،ـ
ـوـيـلـقـيـ فـيـ نـفـوسـنـاـ أـنـ كـلـ مـنـ لـيـسـ مـعـنـاـ فـيـ جـمـاعـتـاـ آخـرـ وـآخـرـينـ،ـ وـلـاـ يـنـطـبـقـ ذـلـكـ عـلـىـ غـيـرـ
ـالـمـسـلـمـينـ فـقـطـ،ـ بـلـ عـلـىـ كـلـ الـمـسـلـمـينـ الـغـيـرـ سـائـرـينـ مـعـنـاـ تـحـتـ رـايـةـ جـمـاعـتـاـ!ـ...ـ

ـوـمـاـ المـشـكـلـةـ فـيـ ذـلـكـ؟ـ

ـبـالـنـسـبـةـ لـغـيـرـ الـمـسـلـمـينـ،ـ سـنـجـعـلـهـمـ مـوـاطـنـينـ مـنـ الـدـرـجـةـ ثـالـثـةـ وـهـذـاـ يـخـالـفـ الـمـعـاهـدـةـ التـيـ عـقـدـهـاـ
ـرـسـوـلـ -ـعـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ-ـ مـعـ الـيـهـودـ مـعـ الـيـهـودـ حـيـنـاـ أـسـسـ دـوـلـةـ الـمـدـيـنـةـ الـمـنـورـةـ،ـ وـفـيـ هـذـهـ الـمـعـاهـدـةـ
ـقـالـ الرـسـوـلـ فـيـ أـوـلـ بـنـدـ:ـ ((إـنـ يـهـودـ بـنـيـ عـوـفـ أـمـةـ مـعـ الـمـؤـمـنـينـ))ـ،ـ فـلـمـةـ مـعـ الـمـؤـمـنـينـ مـعـنـاـهـاـ
ـأـنـهـمـ مـوـاطـنـونـ بـالـمـعـنـىـ الـحـدـيـثـ لـلـكـلـمـةـ،ـ مـعـ الـمـؤـمـنـينـ فـيـ الـدـرـجـةـ نـفـسـهـاـ.ـ أـمـاـ بـالـنـسـبـةـ لـلـمـسـلـمـينـ،ـ
ـفـالـتـمـيـزـ يـجـعـلـنـاـ أـنـاـ نـشـعـرـ أـنـاـ نـجـاـهـدـ فـيـ الدـعـوـةـ وـبـالـتـالـيـ نـحـنـ أـحـسـنـ وـأـفـضـلـ مـنـهـمـ!ـ...ـ وـرـبـماـ
ـيـجـوـسـ فـيـ نـفـوسـنـاـ أـنـاـ جـمـاعـةـ الـمـسـلـمـينـ الـحـقـةـ وـهـذـاـ يـتـوـلـدـ مـنـهـ التـکـفـيرـ لـلـغـيـرـ وـالـعـيـادـ بـالـلـهـ كـمـاـ وـقـعـ
ـلـكـثـيرـ مـنـ الـجـمـاعـاتـ التـکـفـيرـيـةـ!ـ!ـ

ـرـدـ الغـرـبـاوـيـ غـاضـبـاـ:

ـجـمـاعـتـاـ تـتـبـرـاـ مـنـ التـکـفـيرـ.ـ وـإـنـ مـرـشـدـنـاـ أـعـلـنـاـ صـرـاـحـةـ أـنـاـ "ـجـمـاعـةـ مـنـ الـمـسـلـمـينـ"ـ وـلـسـنـاـ
ـ"ـجـمـاعـةـ الـمـسـلـمـينـ".ـ وـيـوـجـدـ فـرـقـ شـدـيدـ بـيـنـ الـعـبـارـتـيـنـ.

ـأـمـاـ بـالـنـسـبـةـ لـغـيـرـ الـمـسـلـمـينـ،ـ فـطـالـمـاـ أـنـهـمـ يـدـافـعـونـ عـنـ الـبـلـدـ الـمـسـلـمـ مـعـ الـجـيـشـ الـإـسـلـامـيـ فـهـمـ
ـمـوـاطـنـونـ مـنـ الـدـرـجـةـ الـأـوـلـىـ.ـ أـمـاـ إـذـاـ اـرـتـضـوـاـ أـنـ نـدـافـعـ عـنـهـمـ،ـ فـإـنـهـمـ يـدـافـعـونـ الـجـزـيـةـ،ـ وـبـيـكـونـونـ
ـمـوـاطـنـينـ مـنـ الـدـرـجـةـ ثـالـثـةـ.ـ وـقـدـ كـانـتـ الـمـعـاهـدـةـ التـيـ عـقـدـهـاـ الرـسـوـلـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ مـعـ
ـيـهـودـ الـمـدـيـنـةـ الـمـنـورـةـ تـنـصـ عـلـىـ الدـفـاعـ الـمـشـتـرـكـ إـذـاـ أـرـادـ الـيـهـودـ أـنـ يـكـونـونـ مـوـاطـنـينـ بـالـدـرـجـةـ

الأولى، فالبند الثالث يقول: ((وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة)), وهناك بند يقول: ((وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين)), وآخر يقول: ((وإن بينهم النصر على من دهم يثرب على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم))...
تساءل سعيد عوض:

-ولكن قول فضيلة المرشد "جماعة من المسلمين" أليس فيه تمييز لنا؟
فأجابه الغرباوي:

-لا يا أخ سعيد. فجماعة من المسلمين معناها أننا نطبق قوله تعالى: {وَلْتَكُنْ مِّنْكُمْ أَمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} ⁸² ...
ثم واصل:

-ولقد وقف المرشد الثاني وهو في المعتقل وفقة صلدة أمام التكفير الذي بدأت يتسرّب رويداً رويداً في نفوس بعض الإخوان بسبب التعذيب الرهيب الذي يتجرّعونه من زبانية السجن الحربي...
وبنبرة حميمية:

-والحمد لله، لقد عاد كثير من المُكفرِين إلى رحاب الإخوان المسلمين بعقيدة صحيحة سمحـة.
قال علي:

-ولكن السرية هي التي تقوينا إلى الأفكار الخاطئة عن الآخرين! فنحن نقول فلان إخوان مسلمون، وعلان ليس من الإخوان المسلمين! أليس هذا يسرّب إلى نفوسنا بدون أن ندري-
أن علان هذا ليس على الإسلام الحق! أما الإخوانفهم المسلمين حقا!!...
هز صلاح الشيمي رأسه معتبراً:

-هذا تفكير تكفيـري يا أخ علي، ولا علاقة له بجماعتنا.
فواصل علي:

-على الأقل، التميـز يجعلنا نحسـ أننا مسلموـن مجاهدوـن، يعني "مسلمون درجة أولى"! أما غيرـنا فـهم متـقاـعـسوـن عنـ الجـهـادـ، بـعيـدوـن عنـ الإـسـلامـ الحقـ، يعني "ـمـسـلـمـونـ درـجـةـ ثـانـيـةـ"! وهذا إن لم يكن تـكـفـيرـاـ، فـماـ التـكـفـيرـ عـنـ بـعيـدـ!!...
تبسم الغرباوي، وقال:

ـياـ أـخـ عـلـيـ، إنـ هـذـاـ التـكـفـيرـ بـعيـدـ تـامـ عنـ فـكـرـ وـعـقـيـدـ وـسـلـوكـ الإـخـوانـ المـسـلـمـينـ.
فتساءل علي:

-أليـستـ جـمـاعـةـ التـكـفـيرـ وـالـهـجـرـةـ خـرـجـتـ منـ عـبـاءـ الإـخـوانـ المـسـلـمـينـ؟ـ أـليـستـ جـمـاعـةـ التـكـفـيرـ وـالـهـجـرـةـ قـتـلـتـ الشـيـخـ الـذـهـبـيـ وـعـاثـتـ فـسـادـاـ فـيـ الـأـرـضـ؟ـ أـليـستـ هـذـهـ جـمـاعـةـ التـكـفـيرـيةـ مـوـجـوـدـةـ حتـىـ الـآنـ؟ـ أـليـسـ الفـكـرـ التـكـفـيرـيـ قدـ اـنـتـشـرـ فـيـ صـمـيمـ عـقـيـدـةـ كـثـيرـ مـنـ جـمـاعـاتـ الـأـخـرىـ غـيـرـ التـكـفـيرـ وـالـهـجـرـةـ مـثـلـ جـمـاعـةـ الـقـطـبـيـيـنـ وـالـسـلـفـيـيـةـ الـجـهـادـيـةـ...ـ؟ـ؟ـ

⁸² الآية 104 من سورة آل عمران

قال إسماعيل عبد الفتاح:

-الفكر التكفيري خرج من رحم الخوارج أصلاً! والخوارج، قال الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيهم: ((إنهم يمرقون من الدين)), وهم يكفرون من ارتكب الكبيرة... ولم تكن جماعتنا أيام الخوارج يا علي.

تحمس عماد الدسوقي:

باب التكبير قد سد تماماً في عقيدة أهل السنة والجماعة، وفي جماعتنا من باب أولى.
فاستطرد علي:

-كل الجماعات التكفيرية من أيام الخوارج وحتى الآن ولدت من رحم السرية. فالسرية هي التي تفسد الأفكار والتصورات والعقائد...!
استراب الغرباوي في أفكار علي وقال في نفسه:
منْ قال لك هذه الأفكار يا علي؟!

ثم سأله:

-هذه أفكار غريبة عن دعوتنا، فمن أفتوك بها يا أخي؟
ماذا أقول لكم؟ أقول: لقد عرفت هذا الحق من روح والدي وهي داخل الطائر في الكوكب السابع؟! أم أقول لكم: إنني قد علمت هذا الحق من العواصف في الكوكب الثاني أيضاً! فهذا الحق واضح وضوح الشمس ومنطقى جداً ولا يحتاج إلى كوكب آخر لنعرفه...
تساءل علي حزيناً:

-الليست الأستاذ عيد نجم هو مفكر جماعتنا؟ فأين موقف جماعتنا من بعض كتبه والتي تدعوه إلى تجاهيل وتکفير المجتمعات الإسلامية، وتدعوه المجتمع المسلم الحق -والذي يتمثل في أعضاء الحركة الإسلامية- إلى الانقلاب على المجتمع المسلم ظاهرياً والجاهلي والكافر حقيقياً؟ بل يدعوه إلى إزالة هذا المجتمع الجاهلي الكافر من الوجود؟! فهو يکفر كل المسلمين الغير منضمين إلى أعضاء الحركة الإسلامية، ويدعوه إلى الانقلاب عليهم وإزالتهم من الوجود!...
سكت علي والحزن يجثم عليه، ثم أضاف:

-وطبعاً الأستاذ عيد ليس مفكراً لجماعتنا فقط، بل اتخذته كل الجماعات المکفراتية سـوالمحسبة على الإسلام ظلماً- نبراساً لها في تجاهيل وتکفير كل من ليس منوطياً تحت لوائها!...
تيسم الغرباوي وقال بيقين:

جماعتنا -والحمد لله- لا تکفر أحداً من المسلمين، وموقف جماعة الإخوان من التکفير واضح جداً في كتاب "دعاة لا قضاة".

قال علي بحماس:

-ولكن جماعتنا لم تبين أخطاء تلك الكتب التي تکفر المسلمين.
لم يرد الغرباوي ولا غيره، ومررت فترة من الصمت العميق الذي مزقه علي وهو يقول بحماسه نفسه الذي لم يبرد:

يا أخوة. التجهيل... التكفير... الانقلاب على المجتمعات المسلمة... كل ذلك ثبت وترعرع في أحضان السرية!
فهتف إسماعيل بقوه:
-الديكتاتورية العسكرية الغاشمة في تلك الفترة هي التي غدت هذا التكفير.
وقال صلاح الشيمي:
-عصر الأستاذين أبو الكلام وعيد نجم
انشرح صدر علي، فاستطرد:
-لعنة الله على السرية. فهذا الأمر واضح وضوح الشمس. فالعمل للإسلام لا يكون إلا في الضوء الساطع، وليس تحت الأرض.
فقال الغرباوي بحزن:
-نحن لسنا تحت الأرض يا علي.
وبقوه:
-إن كتب الإخوان في المكتبات وعلى الأرصفة مع بائعي الجرائد وفي معارض الكتب...
وبياناتنا منشورة في كل صحف المعارضة... والإخوان موجودون في مجلس الشعب وفي بعض مجالس المحليات... وشعار "الإسلام هو الحل" بارز ومميز لكل انتخاباتنا؛ فنجده في انتخابات مجلس الشعب، والنقابات المهنية، واتحاد الطلاب... فنحن نعمل في النور وليس في الظلام أو تحت الأرض يا أخي علي.
تحمس علي:
-أنا أتكلم عن سرية لقاء الأسر، وسرية لقاء مكتب الشعبة، وسرية الكتبية، وسرية المعسكر الصيفي والشتوي، وسرية مكتب القطاع، وسرية مكتب المحافظة، وسرية مكتب المرشد...
سرية في سرية في سرية!... هل هذه السرية الضاربة بأطنابها في جماعتنا لا تتعارض مع الإسلام الدين الخاتم؟!
أجابه الشيمي:
-هذه السرية ليست بإرادتنا فهي قد فرضت علينا فرضا.
وقال سعيد:
-الأمن هو السبب يا علي.
قال الدسوقي:
-من سبع المستحيلات عقد مثل هذه اللقاءات في النور.
وتتساءل إسماعيل:
-أخبرنا أنت يا أخي علي عن كيفية عقد مثل هذه اللقاءات في العلن؟
أجابهم علي بثقة ويقين:
-يجب على قيادة جماعتنا محاربة الحكومة حتى نحصل على التصريح بالعمل العام المعلن كما كان أيام الملكية حينما كانت الشُّعب مفتوحة أمام العالم كله في ضوء الشمس...

قال الغرباوي:

-ولكن الدولة لن تتوافق. مع العلم أنه لا يوجد قرار بحل الإخوان.

-نرفع قضية ضد الحكومة، وحتى ضد الرئيس نفسه، حتى نأخذ حقنا في العمل العام. أما العمل السري في دولة مسلمة فهو مخالف للدين الإسلامي، بل حرام!...

فسؤاله سعيد باندهاش:

-أتقول حرام يا علي؟!

فأجابه علي بقوة:

نعم أقول: حرام حرام حرام!!...

ثم بحماس بالغ:

-إن العمل السري يكون في دولة تحارب الإسلام.

قال الغرباوي بحدة:

-ولكن دولتنا تحارب الإسلام فعلاً منذ انقلاب يوليوا المشئوم.

فرد علي بحدة:

-دولتنا لا تحارب الإسلام نفسه، بل تحارب الجماعات المتطرفة و(المكراتية) والسرية...

قال الدسوقي بهدوء:

-ولكن في الحقيقة يا أخي، إن دولتنا تحارب الإسلام نفسه، وتتجفف منابع الدين والتدين، وتنتشر الانحلال والمجون والمخدرات حتى ينحل الشعب فتكون قيادته سلسة!!...

وقال الغرباوي:

-انظر إلى الموسيقى الغربية والأغاني الفيديو كليب المنحلة والتي تغطي مساحات واسعة من الإعلام الرسمي!...

وقال صلاح الشيمي:

-الأغاني القديمة ذات الموسيقى العربية الأصلية انحصرت مساحاتها تماماً للوافد الجديد المنحل!

وقال إسماعيل عبد الفتاح:

-حتى الدعاة الذين يلتقطون حولهم الجمهور ولهم شعبية طاغية، كأمثال الشيخ حامد غزال والشيخ عبد الحميد كامل والشيخ عبد الستار صادق، أخرسوا ألسنتهم، بل حبسوا في بيوتهم!...

فرد علي بيقين بالغ:

-أنا أقصد السرية لا تكون إلا في الدولة التي تحارب إقامة الشعائر الإسلامية، ولا يستطيع المسلم فيها أن يقيم مسجداً لله يصلي فيه، ولا يستطيع أن يحج، أو أن يقيم أي شعيرة من شعائر الإسلام.

ثم وضح أكثر:

بل ربما لا يستطيع أن يُسمى باسم إسلامي، بل تجبرهم الدولة أن يُسمى بأسماء كافرة، كأمثال دولة الاتحاد السوفياتي السابق، وبلغاريا أيام الشيوعية وغيرهما!...

فهتف الغرباوي:

في مثل هذه الدول، يجب أن يهاجر منها المسلم.
قال علي:

-إن لم يكن في استطاعته الهرب، فيجب عليه أن يعمل للإسلام في سرية، وهذا هو مكان السرية فقط.

قال الغراوي:

-ويجوز السرية أيضاً -إن لم تجد وسيلة غيرها- في العمل للإسلام داخل الدولة المسلمة التي لا تطبق شرع الله حتى تسود الشريعة الإسلامية.

رد علي بهدوء:

-أختلف معك يا أستاذني.

فتساءل الغراوي بحدة وهو يتفرس عيني علي:

-لماذا لا تخبرنا بمن غسل مخك بهذه الأفكار؟ هذه أفكار السلفيين، وهي أفكار الكتاب الحكوميين في الصحف القومية.

تساءل علي مع نفسه ضاحكا:

غسل مخي؟!

ثم رد على تساؤل الغراوي:

-السلفيون الجدد والقديامي، متعمصبو الفكر وضيقوا الأفق، ودعوتهم المتعصبة لا تجد لها أرضا.

قال إسماعيل:

-السلفيون الجدد يحاربون الإخوان المسلمين أينما وجدوا! ففي السودان ظهر السلفيون بعد انتشار الإخوان، وحتى في مالي، ظهر السلفيون بعد ظهور الإخوان! فجل دعوتهم تتلخص في التشويش على الإخوان، وتنفير الناس منا!...

وقال سعيد:

ويذَّعون أنهم على خطأ السلف!

وقال عماد الدسوقي:

ويذَّعون أنهم الجماعة الحقة!

وقال الشيمي:

ويذَّعون أن غيرهم على ضلال وإضلal!

وقال علي:

-حتى عندنا في انتخابات اتحاد الطلاب، يشوشون علينا. ومن العجب أن الأمن نفسه ينزع إعلاناتنا الانتخابية، ويصلق إعلاناتهم عينياً دون ورقة توت يغطون بها سوءاتهم!...

ضحك صلاح الشيمي وإسماعيل عبد الفتاح. قال الشيمي:

-السلفيون أيامنا، كانوا يحرمون دخول اتحاد الطلاب، لأنه يتبع الدولة التي لا تطبق شرع الله!

قال علي بحماس:

-الآن حلال حلال، لكي يحاربوا نشاطنا في الجامعات. بل وينفرون الطلاب منا ومن دعوتنا. ووصلت القحة بهم أنهم يدعون أن الإخوان المسلمين الذين أعدموا في الخمسينات والستينات كانت بسبب ذنوبهم!... وينشرون بين الطلبة أن الإخوان قد فر منهم ومن دعوتهم العلماء كالشيخ حامد غزال والشيخ يعقوب القاضي، وبالتالي فالدعوة بدون علماء، لابد وأن تتبخر في الجهل والضلالة!...

وبنقاول:

-ولكن الله للظالمين بالمرصاد، فالطلاب يحبون الإخوان ودعوتهم المعتدلة... وبساط دعوتنا يتمدد بسرعة رهيبة بين الطلاب...

قال الدسوقي:

-السلفيون يحرمون دخول مجلس الشعب الآن، وينشرون كتيبات كثيرة في هذا الأمر ويوزعونها مجانا!

قال الغرباوي:

-أيام الخمسينات والستينات، كانت السعودية تدعم الإخوان وتستقبل الفارين من جحيم الناصرية ومعتقلياتها، وربما يكون هذا الاستقبال المحموم كان كيدا في ناصر. ولكن منذ الثمانينات، والدعوة السلفية تحارب الإخوان بأي شكل! فالنشرات تُوزع مجانا لأنها مدعاومة من السعودية!...

وقال إسماعيل:

-يجب على كل العاملين للإسلام أن يتحدوا لمجابهة عدوهم المشترك.

قال سعيد بمرارة:

ـرأينا بيننا شديد للأسف!

وقال علي:

-فعلا يا سعيد، فهذا التفرق يضعف التيار الإسلامي، ويقوي التيارين العلماني والملحد!

وقال الغرباوي:

-لَفَمَا الرَّبُّ فَيَذْهَبُ جُقَاءٌ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَصْرُبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
...⁸³

قال علي في ضيق شديد:

-ولكن يجب أن نعمل في النور حتى لا تكون زبدا. يا أخوة، يجب أن تكون جماعتنا في النور كما كانت حينما أسسها الشهيد حسن البنا سنة 1928 وحتى عام 1954. يجب أن نعمل -على الأقل- تحت مظلة وزارة الشئون الاجتماعية حتى يأتي النصر والتمكين.

لم يكمل الكلمة لأن روحه قد صعدت للكوكب السابع مقابلة غلام أصحاب الأخدود...

⁸³ جزء من الآية 17 من سورة الرعد

-101-

حلق المعلم وروح علي عبد المنعم في سماء الكوكب السابع، وشاهدوا وتمتعا بالجمال والجلال والروعة...
هفت روح علي:
لو كان هذا الكوكب هو الجنة لكتفي.
قال المعلم:
لكتفي وكفى. فهذا الكوكب هو جنة فعلا.
ومتبسما:
يا ليت آدم لم يأكل من الشجرة فقد كان يعيش هنا.
قالت الروح بحرارة: "يا الله يا الله... لو لم يأكل آدم -عليه السلام- ل كانت هذه مساكننا وجناننا وحياتنا".
-هي إرادة الله ومشيئته لكي يعمر البشر الأرض ويسلكوا في مناكبها ويأكلوا من رزقه سبحانه وتعالى...
تأمل المعلم أرواح المؤمنين السابحة حوله في سماء الكوكب، فهتف: "يا علي... يا علي... ها هي أرواح المؤمنين تسكن مساكنها الأولى، ها هي تسكن مساكنها الأولى".
ثم أضاف: "من هنا خرجوا، وإلى هنا عادوا. أما النعيم الأزلية ففي جنة عدن، وجنة المأوى، وجنة المقام، والفردوس الأعلى وأعلى وأعلى".

تأملًا في القصور الشامخة، والبيوت البادخة، والأنهار المتدفقة، والجداول المترفرفة، والحضراء الداكنة...

قرأ المعلم بخشوع قوله تعالى:

{ولمْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَانٌ * فَبِأَيِّ الَّاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * ذَوَانَا أَفْنَانٌ * فَبِأَيِّ الَّاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *
فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ * فَبِأَيِّ الَّاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ رَوْجَانٌ * فَبِأَيِّ الَّاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ * مُتَكَبِّنَ عَلَى فُرُشِ بَطَانِهَا مِنْ اسْتِرْقَاقٍ وَجَنَى الْجَنَّاتِ دَانٌ * فَبِأَيِّ الَّاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *
فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْنَ إِنْسٌ قَبْلُهُمْ وَلَا جَانٌ * فَبِأَيِّ الَّاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَائِنُونَ
أَلْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ *} ⁸⁴ أجهش المعلم وروح علي بالبكاء حين وصلت التلاوة إلى قوله تعالى:
{هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ *} ⁸⁵ ...
ثم هتفا معا بصوت مخنوق من البكاء:
-ما أعظم إحسانك يا رب... ما أعظم إحسانك يا رب...
سبحا معا في سماء الكوكب مسافات رهيبة. قال المعلم:

⁸⁴ الآيات 46 - 59 من سورة الرحمن
⁸⁵ الآية 60 من سورة الرحمن

لقد قطعنا ملابين السنين الضوئية بسرعة الضوء!

وبحماس: "وها هو قصر الغلام الشهيد".

قالت الروح: "ما أعظم وأجمل وأروع وأبذخ هذا القصر!"

-ألم يقل لك والدك بأنه أحد الملوك السبعة هنا؟

-بجهاده ودعوته واستشهاده يستحق أن يكون كذلك...

-إن الوفود مازلت لا تقطع عن شرف زيارة هذا الغلام الملك...

قالت الروح بتعجب: "حقا يا معلم، إن وفودا غفيرة من الطيور التي تحمل أرواح المؤمنين

تدخل القصر، ووفودا أخرى تخرج ولا تقطع أبدا".

ثم هتفت بحماس: "ما أعظم مكانته! ما أعظم مكانته!"

-لقد ضرب هذا الغلام مثلا عظيما في الدعوة إلى الله والتضحية بالنفس في سبيله مع أنه غلام

صغير.

دخل المعلم وروح على إلى الغلام فشاهداه مستويا على كرسيه في قصره المنيف والوفود تسلم

عليه وتعود...

هتفت الروح: "يا للعجب!"

وبحماس شديد:

-إن الغلام موجود بصورته الحقيقية بدون أن تكون روحه داخل طائر!

قال المعلم بخشوع:

-هذا من فضل الله وكرامته لهذا الشهيد...

جاء الدور على المعلم وروح على، فرحب بهما الغلام بابتسامة مضيئة قائلا:

مرحبا بمرشد ومربى الأجيال!

ثم أردف:

وسفير السماء!

ثم أضاف وهو ينظر إلى روح على:

ومرحبا برفيقك الشهيد!

تعجبت روح على من لقب المعلم ومن تبشيره بالشهادة!

هتف المعلم والروح معا:

مرحبا بك يا ملك الشهداء.

قالت روح على:

يا ملك الشهداء، أخبرنا عن الملك الطاغية الذي جعل شعبه يعبده من دون الله.

فسبح الغلام الله -عز وجل- وحمده ومجده، ثم قال:

لقد كان هذا الطاغية يستعين بالسحرة في إدارة شئون ملكه، فأوحوا إليه ذات يوم بأنه من

سلالة الإله، وأنه لا يزيف ولا يضل، ولا ينبعي له ذلك لأنه إله!... فهل الإله يخطأ؟ وهل الإله

يضل؟ وهل الإله يزيغ؟ ولذلك يجب أن يعبد الشعب ويوجهه ويعظمها ويمجدها! فسارط الأمور

كما أراد السحرة، وعبد الناس الملك! إلى أن جاء اليوم الذي تحقق فيه من أن أمر الراهب أحب إليه سبحانه وتعالى- من أمر كبير السحرة الذي كان يعلمني السحر...
قال المعلم:

في ذلك اليوم، كانت لك كرامة جليلة حينما قتلت الدابة العظيمة التي كانت تسد طريق الناس.
فقال الغلام:

-الحمد لله على كرمه وفضله.

سألت الروح الغلام:

-ما حجم الحجر الذي قتلت به الدابة؟

أجاب العلام متبعساً:

-كان في حجم الحجر الصغير الذي تضربون به الجمرات في الحج!

سبحان الله... حجر في حجم حبة الحمص يقتل دابة عظيمة تسد طريق الناس!

فهتف المعلم: "ذلك من فضل الله يؤتيه من يشاء".

تساءلت الروح: "يا ملك الشهداء، ألم تكن خائفاً حينما كنت تذهب إلى الملك برجليك لتخبره بفشل زبانيته في قتالك؟"

-لقد ألقى الله السكينة في قلبي فلم أشعر إلا بالاطمئنان والراحة حين كانوا يحاولون قتلي وكذلك حين مواجهتي للملك بعد كل محاولة فاشلة في قتلهم لي...

ثم استطرد:

-والعجب أنني كنت أرى في المنام حية عظيمة تدخل من قدم الملك وتستقر في رأسه!

تساءل المعلم: "وما تؤيل ذلك يا ملك الشهداء؟"

-كان الملك واقعاً تحت تأثير سحر كبير السحرة!

كادت الروح أن تسأله لم لم تخبر الملك بذلك؟

ولكن المعلم هو الذي سأله:

-يا ملك الشهداء، لماذا لم تخبر الملك أو تعالجه من هذا السحر؟

وأضاف:

-ربما كان في شفائه نجاة المؤمنين من نيرانه.

أجابه الغلام متحسراً:

-أخبرته، فلم يصدقني لأنّه اعتقاده أنه إله ومن سلالة آلهة!...

ظل الثلاثة يسبحون الله ويحمدونه ويمجدونه...

ثم تسأله المعلم:

ولم لم تجادله حتى يقنع بالحق؟

-لقد جادلته في السر الأعظم في الحياة الدنيا ألا وهو الموت، وقلت له هل إذا كنت إليها حقاً، فهل تستطيع أن تمنع الموت عن نفسك أو عن غيرك؟!

فسخر مني قائلًا بأنه لن يموت لأنه الإله الحق! فقلت له: "ولماذا لم يمنع آباؤك الموت عن أنفسهم إذا كانوا آلة ومن سلالة آلة؟!"؛ فأسقط في يده ولم يرد. والسحرة أجمعوا أيضًا بالصمت المطبق... فتحمس كثيراً وأحضرت نملة وفركتها بأصبعي وقلت له ولزبانيته ولسحرته الحاضرين: أحيوها إن كان ملكم إليها حقاً! فأُسقط في أيديهم جميعاً ولم ينبوساً ببنت شفة!...

تساءلت الروح بحماس:

-أيها الملك الشهيد الحي، قد أفحتمهم الحجة، فهل آمنوا بالحق؟

-بعدما حلق الصمت عليهم جميعاً، ضحك كبير السحرة فجأةً وسخر مني قائلًا:

-إن الملك الإله لا يحي نملة يا مسكين - إنما يحي البشر لأنه رب البشر! إن شعبه ينام مطمئناً في حمايته وتدبّره ويقطّنه!... إن أدعياء النبوة فروا من أعدائهم، أما ملكتنا الإله ابن الإله، فإنه يعصر أعدائه في قبضته عصراً، إنه يقذفهم في ظلمات البحار ليكونوا طعاماً للحيتان، أو يقذفهم في الفيافي تحت النيران!... إن ملكتنا لا يغفل ولا ينام، لا تأخذه سنة ولا نوم، إنه يأتي بالعجائب كلها!... إن بيده تف ips بالخيرات والبركات؛ بالليل والنهار، بالصيف والشتاء، في البر والبحر، في الأرض والسماء، في الظل والشمس، في النور والظلام...!

ضحك الغلام والمعلم وروح علي وكل الأرواح الحاضرة... .

قالت روح علي ضاحكة:

-إن هذا الملك لو لم يكن مسحوراً لسحر بهذا الكلام!

وقال المعلم:

تاریخ البشرية كله مليء بهؤلاء المسحورين!

امتد اللقاء شيئاً مع الغلام الشهيد وهو يحكى عجائبها مع الملك والسحرة... .

و قبل الانصراف، تسأله روح علي:

يا ملك الشهداء، كيف عرفت أنني من الشهداء؟!

-إن أرواح الشهداء تعرض علينا فعرفناك.

ثم هتف:

-فهنيئاً لك الشهادة يا علي... هنيئاً لك الشهادة يا علي... .

فتبسم المعلم قائلًا:

-هنيئاً لك الشهادة يا علي... .

فتسأله روح علي في تعجب:

-وكيف عرفت اسمي يا ملك الشهداء؟!

تنسم الغلام وهو يجيب:

-إن أرواح الشهداء تعرض علينا بأسمائهم وصفاتهم... .

-102-

أنا لابد أن أخبر زبيدة عن حبي لابتھال وعزمي للزواج منها... أكيد لن تغضب زبيدة لأنها كانت صديقة وزميلة لها عكس بهيجه. لا، لن أخبرها بالحب ولكن بالزواج فقط. والزواج منها يا زبيدة يا حبيبي، لا يتعدى الشفقة بها والعطف عليها لوحنتها الآن. فقد كان عالم الفن شاغل حياتها أما الآن فهي في وحدة حتى وهي تعمل بالمستوصف الخيري. وإذا كانت ابتهال راقصة، فإنها تابت الآن عن الرقص والعربي. حتى أموالها التي لا تُحصى تبرعت بها في سبيل الله. إنسانة محترمة بمعنى الكلمة...

فهل ستتوافق زبيدة يا ربِّي؟

أكيد ستعلنها حرباً ضرساً...

أكيد ستعلنها حرباً عالمية ثالثة...

مسكينة ابتهال فقد كانت تحبني طوال هذه السنين وأنا لم يتعد حبي لها إلا المتعة المحرمة! أكيد لم يكن حباً! سافرت ووعدتها بالزواج وخدست وعدي، ولم أكتفي بذلك، بل تزوجت صديقتها بمجرد ما عرفتني بها. أناية طاغية!...

يا حبيبي يا ابتهال. يا حبيبي. أحبك بصدق. أنا أحبك قوي قوي...
لابد أن أخبر زبيدة. لابد...

ما بك يا صلاح؟ ما هذا الشورود المتكرر في الأونة الأخيرة؟!
انتشل صلاح نفسه بقوة من عمق أفكاره ورد:
ـ زبيدة.

ـ خير يا حبيبي؟ من الحبيبة الجديدة التي أخذت قلبك؟!

ـ الحبيبة الجديدة؟! أمعقول! أ تكون زبيدة قد عرفت بحبي لابتھال؟ غير معقول. ولكن نبرة زبيدة غريبة! أكيد تعرف شيئاً ما... المرأة لها قرون استشعار، قرون استشعار للاستشعار عن بعد، ريموت كنترول طبيعي. نبرتها غريبة فعلاً. لابد أن أخبرها بالحبيبة الجديدة القديمة. لا داعي للذنب. الحقيقة نور ساطع...
ـ صمت ثانية يا صلاح.

ـ قال صلاح وهو يتحاشى عيني زبيدة الثاقبتين إلى أعماقه المجهولة:
ـ حبيبة؟ الحبيبة الجديدة؟ ماذا تقصدين يا زبيدة؟

ـ ثم أردف بصوت غريب عن سمعه:

ـ بهيجه؟ بهيجه في مستشفى الأمراض العقلية.

ـ ما هذا الجن الذي يحتويني؟ لماذا أستبعط؟ لا حول ولا قوة إلا بالله. كنت أريد أن أخبرها بالتدريج وأهيئها لذلك، فإذا بها تعرف شيئاً ما. لقد بعثت. أكيد ستتحدث عن أزمة منتصف العمر التي لا تزيد أن تتركني...
ـ انتبه صلاح على صوت زبيدة الحاد:

ناني!

ثم ببرود قاتل:

-الراقصة ناني!

بيد أنك تعرفين الكثير يا زبيدة...

توهج وجه صلاح وتساءل بتلعم:

-ماذا؟ ماذا تقصدين؟ لماذا تسأليني عن صديقتك القديمة ابتهال؟

لم ترد زبيدة. استطرد:

-أم تسمعي عن توبتها من الرقص؟

سمعت، وظننت في أول سماعي أنها إشاعة.

قال صلاح بحماس:

-بل حقيقة. والعجيبة أنها تبرعت بكل ما تملك للفقراء والمساكين، حتى قلتها الأنبياء تبرعت بها في سبيل الله.

تساءلت زبيدة بخبث ومكر:

-وكيف عرفت أنها قيلا وأنها أنبياء؟!

وضغطت على حروف كلمة "قلة".

تلعم صلاح ولم تسعفه بيدهه أن يرد...

-لا داعي لهذا التلعم يا صلاح. تكلم بطلاقة يا رجل. ولماذا هذا الاحمرار في وجهك؟!

ازدرد صلاح ريقه بصوت عال وغرق في بحور الصمت ...

لماذا تحرجبني هكذا يا زبيدة؟ الله يسامحك...

تكلم يا صلاح. لماذا كل هذا الصمت؟

رد بضيق:

-أكيد الراقصة الأولى في المحروسة عندها قيلاً أنبياء.

ثم استسلم تماماً للصمت، فقد كان طوق نجا...

ظللت زبيدة تتأمله ثم أطلقت قذيفة انتسلت صلاح من صمته العميق...

-أين كنت تبیت حينما قبض على إخوانك وبعد الخناقة مع بهيجة؟!!...

يا هول المصيبة! نبرتها تؤكد أنها تعرف شيئاً ما...

كنت أبیت في فندق، في لوكاندة، في أي مصيبة...

تبسمت زبيدة ساخرة وهي تقول:

-أنکذب يا صلاح؟!

وهي تنفرس أعمق صلاح المجهولة:

-أنا علمت من مصادري الخاصة أين كنت تبیت.

فغر صلاح فاه وتساءل باندهاش:

ـماذا تقصدين؟

لقد كنت تبكي عند ناني الراقصة في قلتها الأنثى!...
وبصوت مخنوق من البكاء:

-أخبرني رجب ابن خالتي الذي يعمل ضابط أمن في قلتها الأنثى!...
مادت الأرض تحت قدمي صلاح، وزلزلت زلزاً شديداً...

ما هذا يا رب؟ أنا لم أنظر إلى وجه فرد الأمن، وكنت أراه من جانب عيني وهو جالس في كشكه الخشبي، ولم أره وجهه مباشرة إلا مرة واحدة. وحاولت أن أتذكر أين رأيته ولم أفلح. ولكنني تذكرت الآن فهو قد حضر عقد قراني. ألم يجد ابن خالتك مكاناً للعمل إلا عند ناني؟! ما هذا الحظ العاثر؟ ولماذا صمت يا زبيدة في المرة الأولى؟ على الأقل، كنت تجنبت المبيت مرة ثانية. في المرة الأولى، كان زوجك صديقاً، ولكن في المرة الثانية كان زنديقاً! كتب على ذنب كبير بلا داع له. حماقة كبيرة. زنا في حاضر!... يا سخرية القدر يا رجب. إن الله وإن إلينه راجعون. لا حول ولا قوة إلا بالله. أستغفر الله...

قال صلاح بعدهما جمع زمام نفسه المنفرطة وجفف عرق وجهه بيديه:

-كنت أبكي في أي مصيبة في أي داهية. ما المشكلة الآن؟
احتلت زبيدة:

-أنت تخونني للأسف!

فوضع يده على فمه وقال:

-أتفصحيننا مرة ثانية؟! أخفضي من صوتك. الأبناء سيسمعون.

قالت بصوت باكٍ:

-أنت سبب الفضائح التي تحدث لنا.

قبلها في خدتها، وقال:

يا زبيدة، اعتبري أنني اخترت مكاناً لا يعلم به أحد ولن يصل إليه الأمن. وابتهدل لا تعيش لوحدها فقد كان عندها خادمة تبكي بالداخل وبباب وفرد الأمن. ولا تنسى أن ابتهدل كانت صديقة لنا.

قالت زبيدة بعدهما هدئت نسبياً:

-صديقة؟! دعنا من مكان مبيتك وإن كان قد ترك جرحه في قلبي، الله أعلم بالتهمه. فلماذا لا تترك في عيادتك وتترك هذا المستوصف المشئوم؟

-أنقولين عليه مشئوم؟!

-نعم، هو مشئوم، وهو السبب في خراب بيتنا. لم تعمل به من أجل خاطر سواد عيون بهيجه فيما مضى ثم الآن من أجل العيون العسلية الواسعة للراقصة الثانية؟
وبمرارة شديدة:

-أنا كرهت هذا المستوصف.

-أنا عملت بالمستوصف بأمر من جماعة الإخوان. وقلت لك إنني أعمل مديراً فنياً بأمر من الإخوان أيضاً. أما بهيجه فدعينا منها ولندعوا الله لها بالشفاء.

دعنا من موضوع بهجة فقد انتهى. والله أعلم.
زفرت زفرات حارة ثم تساءلت:
وماذا عن الراقصة التائبة ناني؟

-لا تذكري اسم ناني فاسمها الأصلي -ابتهاج، وناني اسم راقص كان يناسب عملها السابق. وهي الآن سيدة محترمة تركت زخارف الدنيا والشهرة والمال والمجد من أجل دينها. وقد عملت بالمستوصف من أجل أن تكفر عن سيئاتها. أفلأ نساعدها؟ فهي الآن مسؤولة عن مكتب الخدمة الاجتماعية لتقدم خدمة لأهالي الحي. والمستوصف يعطيها مرتبًا معقولًا لكي تعيش منه مع العلم أن أمير عربي عرض عليها الزواج بعد اعتزالها للفن فرفضت.

قالت زبيدة بمرارة ساخرة:
طبعاً، رفضت لتكون بجوار حبيب القلب الدكتور صلاح الحبيب القديم الجديد.

ثم بنبرة حزن:

-أنا وصلتني أخباركم للأسف.

سكتت قليلاً لتجهض بكاء مريراً يكاد أن ينفجر من أعماقها...

وبعد قليل، استطردت بمرارة شديدة:

توجد ثمة علاقة بينكم!

ثم أخذت نفسها عميقاً ولم تستطع أن تقايض فانفجرت بكاءً ونحيباً...
ضمها صلاح إلى حضنه لتسكت فدفعته بيديها بقوّة...

أتى خالد وسحر على بكاءً أمّهما فأخرجهما صلاح من الحجرة وأغلق الباب. حاول تهدئتها وربت على ظهرها ولكن زبيدة بعثت عنه وجلست على الأرض جلسة القرفصاء وحضنت رأسها واستمرت في النحيب...

تساءل صلاح في نفسه بحنق:

من الذي يخبرك أخباري أولاً بأول؟ من؟ من؟ من؟

اقترب صلاح ثانية منها وربت على رأسها، وقال:

-الموضوع ببساطة أن الإخوان كلفوني بالبحث عن زوج صالح مناسب لها.

قالت زبيدة بعنف:

-طبعاً، لم تجد إلا نفسك مناسباً لها حتى تجدد الحب القديم وتتنفس فيه من قلبك لتعيد فيه الحياة...
تسم صلاح:

-حب قديم؟ ألا تذكررين يا زبيدة حينما عرفتني ابتهاج بك تركتها وتزوجتاك وأحببتك الحب كله؟
ردت ساخرة:

-الحب كله! زمان يا حب!

-هي الآن في شدة ويجب على المجتمع كله أن يقف بجوارها. لا تنسي أنها تزوجت زيجات فاشلة.

-لابد أن تكون زيجات فاشلة لأنها زيجات من أجل هز الوسط. فلما تشيّع أزواجها من هذا الهر
تركوه وتركوا صاحبته.

تركتهم. لا تساعدين منْ تابت إلى الله؟ أين الولاء والبراء؟ لابد أن تساعديهما يا زيدة.
فغرت زبيدة فاها مذهبة حينما قرأت ما يقصد من خلال عينيه. تساءلت:

-ماذا تقصد من مساعدتي؟ هل تريد فعلاً أن تتزوجها كما علمت؟ أم تريد أن أبحث لها عن
زوج؟ أم تريد أن أخطبها لك؟! ...

لم يجبها صلاح. فضررت وجهها وقالت:
يا مصيبي. نحن تخلصنا من موضوع بهيج فدخلنا في موضوع ناني.

-الزواج عندك مصيبة.

فطممت وجهها أكثر، وبكت بصوت عالٍ، وقالت باكيَّة:
يعني فعلاً، أنت ت يريد الزواج منها؟

دخل خالد وسحر على بكاء أمهما ثانية فنهرهما أبوهما وأمرهما بالخروج فلم يخرجَا. قالت
سحر:

-حرام عليك يا بابا. أنت تعذب ماماً. هي حكت لنا كل شيء.
وقال خالد:

-أنت يا بابا، عازم على الزواج من طنط ابتهال!
نظر صلاح إلى زبيدة نظرة غيظ ثم قال:

-حتى لو حدثكماما بكل شيء، فأنا لم أسمح لكم بالدخول والمشاركة في الحوار.
قال خالد: "نحن دخلنا على بكاء ماما".

وتساءلت سحر: "لماذا تتزوج ثانية يا بابا؟ أترضى أن تأتي بضررة لماما الحبيبة؟"

-عيوب عليك يا سحر أن تدخل في حوار مع بابا وماما دون موافقتهم أو على الأقل موافقتي.
وعلى العموم، طنط ابتهال كانت صديقة لماماً. وأنت تعرفي أنها كانت راقصة مشهورة وتابت
إلى الله من الرقص. وقد تزوجت وفشلَت في زواجهما. وأبواها قد ماتا. وليس عندها أبناء. أليس
من الشهامة والمروءة أن يتزوجها رجل مناسب؟

فتساءلت زبيدة بغضب بعدما عضَّ ولادها نفسها التائهة بقوة معنوية:

-ولماذا الرجل المناسب لا يكون إلا أنت؟!

فتبسم صلاح: "للأسف، المرأة المصرية أنانية جداً! ألم تسمعِ سونحن في السعودية؟ عن
الزوجات اللائي يبحثن عن زوجة ثانية لأزواجهن؟ وأين الشريعة الإسلامية في فكرتك
وعقيدتك وسلوكك؟ وأين أنت من جماعة الإخوان المسلمين التي تنترين إليها؟ صدقيني لا فرق
بينك -وأنت تنترين لجماعة تعمل على تطبيق الشريعة الإسلامية-. وبين أي زوجة مصرية
أخرى لا تنتمي إلى أي جماعة ولا تعرف أي شيء عن دينها. الأنانية هي التي تجمع بينك
جميعاً. لكن أنانياً لا تنتظرن إلا إلى أربنة أنوفكن. أنانية. أنانية. أنانية طاغية".

قالت زبيدة:

-الشريعة الإسلامية! الشريعة الإسلامية التي نأخذها على هوانا! أين دينك؟ وأين التزامك بجماعة الإخوان؟ وأين غض البصر؟ وأين مروعتك حينما تبيت عند راقصة يا إخوانى؟!... أين مروعتك يا منْ ترید تطبيق الشريعة على هوالك؟! لماذا الرجال سواء كانوا إخواناً أو غير إخوان عيونهم (زايجة)؟! لماذا؟! أجبني.

-أنا لا عيني (زايجة) ولا يحزنون. كل ما في الأمر أنني أريد أن أحصن امرأة كانت يوماً ما جارة لنا، وكانت يوماً ما صديقة لك، يعني ليست غريبة عليك. وهذه المرأة لا تجد اليوم من يقف بجوارها بعدما تابت إلى الله وطلقت الدنيا وزخارفها ثلاثة.

يعني أنت تریدها ضرة لي.

-ولماذا لا؟ أليست جامعية مثالك؟ أليست إنسانة محترمة مثلك؟

قالت زبيدة بصوت متهدج:

يعني ما سمعته عنكما صحيح.

-دعك ما سمعتيه. فكري جيداً يا زبيدة، كيف تقفين بجوار إنسانة تائبة. فكري...

قالت زبيدة في نفسها:

العجب أنك كنت تقول عليها أثناء تألقها في الرقص والشهرة إنها تحمل وجه قردة! سبحان مغير الأخوال!...

ثم قالت بعيون اشتعلت غضباً وناراً:

-ولماذا يا صلاح، لا نبحث عن رجل مناسب غيرك؟ أي رجل يتمنى أن يتزوج من راقصة وخاصة إذا كانت تائبة من الرقص حتى ترقص له بمفرده.

ثم تسائلت بفم مليء بالمرارة والحنق:

-تریدني أن أفكراً. أفكراً في ماذا؟ أفكراً في خراب بيتي؟! إن نار موضوع بهيجة لم تبرد بعد ثم نحرق الآن بنار ناني. لا حول ولا قوة إلا بالله. إنما الله وإنما إليه راجعون. إنما الله وإنما إليه راجعون...

قبلها صلاح في جبهتها، وقال:

-فكري مرات ومرات. يكفي أنها كانت صديقتك.

فردت في غضب:

يا سيدى، كانت صديقتي وانتهت هذه الصداقة.

وبحق شديد:

-الله يخرّب بيته هذه الصداقة. الله يخرّب بيته.

لم يعلق صلاح، إنما قبلها ثانية في جبينها قائلًا:

--فكري مرات ومرات. واعلمي يا زبدة، أنت لن أقدم على هذه الخطوة إلا من خلال إرادتك...

-103-

تحير الأستاذ أحمد الغرباوي في أفكار علي عبد المنعم عن الإخوان المسلمين. ولماذا تغير فكره عن الجماعة فجأة بدون أي مقدمات؟!...

فلي هو أفضَل إخواني، فما زَادَ حَدثَ له؟! أفكاره بعيدة عن فكر الجماعات الإسلامية المعادية للإخوان ماعدا جماعة السلفيين، وقريبة من أفكار العلمانيين والمعادية للإخوان أيضاً. ماذا حدث لك يا علي؟ هل يتصل بك أحد من أعداء الجماعة فيليل أفكارك؟ ما حقيقة الأمر يا بنى؟ أنا في حيرة شديدة من أمرك. ماذا دهاك يا علي؟! لقد كنت من أفضَل الإخوة، فما الذي حدث لك؟! لقد كان كل واحد من أفراد الأسرة به تردد حينما علم أنه انضم لجماعة الإخوان المسلمين إلا أنت يا علي لم يحفك التردد أبداً وكان اليقين الأزلِي هو إيمانك بدعوة الإخوان المسلمين...

فما دهاك يا بني؟ ومن الذي يلعب برأسك؟ ومن الذي يفسد أفكارك هكذا؟!...

لقد ضغطت عليك ذات مرة لتخبرني عن الذي يلعب بأفكارك، فأخبرتني بكلام غامض لم أفهم منه إلا كلمة "العاشرة"!... مما العاشرة؟! هل أصابك مس من الجنون؟! أم الصرع هو السبب. لا حول ولا قوة إلا بالله. إننا لله وإننا إليه راجعون...

يجب أن أخبر نقبي الأستاذ الوكيل ليجد لي حلا لهذه الأفكار التي ستبلل إخوانك في الأسرة وتشتتهم...

وفي أول لقاء لأسرة الوكيل، قال الغرياوي لنقيبه:

ـيا أخ محمد، الـ

فنساعل الوك
٤١٦

-يدعى أننا بتسمية الجماعة بالإخوان المسلمين أن معنى ذلك أن غيرنا غير مسلمين! فليس أهل الملة كلها موزهشان

سدهن اوریں مکتسب۔

ثم قال وهو يشير إلى نسخة القرآن الكريم التي أمامه:
-إن تسمية جماعتنا مشتقة من القرآن الكريم. ألم يقل الله في قرآنـه الكريم:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِحْوَةٌ}^{٨٦}? وألم يقل الله في كتابـه الكريم: {هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ}^{٨٧}...
-ويقول: إن العمل الدعوي السري حرام.

بر ددت عليه ولكن لا أدرى من الذى بلع بأفكاره!

قال أخ:

-إن أخوة جماعة "التكفير والهجرة" طردناهم من جماعتنا لما انتهوا نهج تكفير المسلمين.

جزء من الآية 10 من سورة الحجرات 86

جزء من الآية 78 من سورة الحج

وقال أخ 2:

-الله يرحم المرشد الثاني، الذي وقف وقفه صلدة أمام التكفير الذي نبت في أحراش التعذيب المهوو في السجن الحربي.

توجه الوكيل للغريباوي سائلاً:

-وماذا أيضاً؟

-في لقاء آخر، ادعى أتنا جمنا أعضاء الجماعة على مستوى العالم في قوالب متحجرة، فلا توجد حرية فكرية كما يدعونا إليها الإسلام، ولا مرونة في الفكر، ولا تجديد في تربية وتنشئة عقول الأفراد ونفوسها...!

ضحك الوكيل قائلاً:

لو كان عندنا مدارس فكرية لتفتت بنيان الجماعة من زمان.

انداحت كلمة مدارس فكرية في رأس كل فرد من الحاضرين حتى وصلت عند أخ 4 الذي قال بحماس:

-إن سر عظمة جماعتنا في توحيد الفكر.

وقال أخ 2 متھمساً أيضاً:

-هذا كلام غريب على فكر الأخ علي عبد المنعم!

وقال أخ 3:

-علي من أفضل أخوة الإخوان في الشعبة.

ثم تسأله باستغراب:

فكيف يفكر هذا التفكير الغريب عن توجهات الجماعة؟

فهتف أخ 1 بقوة:

-الله يرحم والده فقد كان أمّة بمفرد هـ...

ثم بنبرة حزينة:

لو عاد من قبره لاندهش من تفكير ابنه!

توالت التعليقات من الحاضرين حتى قال أحدهم:

-ألم يعلم هذا الأخ أن جماعتنا جماعة عسكرية؟ والحياة العسكرية لا تحتمل النقاش وإلا فالفشل سيكون حليفها.

رد أحدهم عليه:

ـمن بديهيات الإخوان المسلمين أنها جماعة عسكرية ودعوة سلفية وحقيقة صوفية...

ـتوالت التعليقات حتى تبسم الغريباوي وهو يقول:

-الأخ سعيد الزامل كان أقرب لفكرة الجماعات الإسلامية التي تنتهج الفكر العنيف أو الإرهاب والآن هو إخواني صميم أكثر من علي عبد المنعم نفسه!

ـفهتف الوكيل بقوة:

ـسبحان مثبت القلوب.

ثم تساءل:

وماذا يقول أيضا يا أخ أحمد؟

يقول إننا اتجهنا اتجاهها سياسيا وتركنا إصلاح المجتمع الذي نادى به حسن البناء في تأسيس الجماعة.

"اتجهنا اتجاهها سياسيا وتركنا إصلاح المجتمع"، "اتجهنا اتجاهها سياسيا وتركنا إصلاح المجتمع"، "اتجهنا اتجاهها سياسيا وتركنا إصلاح المجتمع...!" تردد قول الغرباوي وصداه في عقول الحاضرين حتى تجرأ أحدهم:

-أنا أرى مثل هذا الرأي.

ثم فسر ما يراه:

فالسياسة غلت على أنشطتنا وجهنا، وحتى تربية أفراد الجماعة وهنت كثيرة للأسف!... لم يدغ الوكيل الفاقش حول هذا الأمر الشديد الحساسية والموجع وغير مجرى الحديث بسرعة سائلا الغرباوي:

وماذا يقول أيضا؟

يقول إننا تجمدنا في حركة الدعوة ولم نطرق أبوابا جديدة في مجال الدعوة إلى الله.

قال الوكيل:

الحمد لله، لقد طرقنا أبوابا كثيرة متعددة في الدعوة إلى الله عز وجل... ألم نطرق باب النقابات المهنية وكنا منطلقين ومكتسبين انتخاباتها وخاصة في الثمانينات؟ ولو لا القانون 100 المنشئ الذي أصدره مجلس الشعب منذ عدة أشهر، والذي جمد انتخابات النقابات لكنه الآن في قمة انطلاقنا. ألم نطرق باب مجلس الشعب ونحاجنا نجاحا باهرا؟ ولو لا التدخل الأمني السافر والتزوير لاكتسحنا انتخابات مجلس الشعب وأصبحنا أغلبية من حقها تشكيل الحكومة، وسندخل انتخابات مجلس الشعب في نوفمبر القادم وسنكتسحها إن شاء الله إذا لم يحدث التزوير المعهود. وفي الثمانينات، ألم نكتسح بجدارة انتخابات اتحاد الطلاب على مستوى الجامعات كلها؟ ولو لا شطب مرشحينا منذ بداية التسعينات لكننا متحكمين في اتحاد الطلبة على مستوى الجمهورية ولتحكمنا في أفكار الطلبة وغيرناها إلى الفكر الإسلامي المستير... لم يسأل أحد الغرباوي عن أبواب الدعوة الجديدة التي يدعو على عبد المنعم إليها حتى اتبه أخ 3 أثناء احتساء الشاي فسألته:

وما هي الأفكار التي يفكر على فيها لكي نبدع في الدعوة إلى الله ونطرق أبوابا جديدة؟

فأجابه الغرباوي وهو يبتسم:

إنشاء ناد رياضي الإخوان ويكون مهمته الدعوة إلى الله من خلال الألعاب الرياضية المختلفة. طرق أبواب الفن وتمثيل فيلم سينمائي عن حسن البناء وعن الإسلام بوجه عام والإخوان المسلمين بوجه خاص ويكون ردا على فيلم "طيور الظلام" الذي يسب جماعتنا. التفاهم الشديد مع الدولة حتى تكون الدعوة علنية لأن السرية في أي دعوة أو جماعة إسلامية يخالف دين

الإسلام نفسه، والسرية تفسد الفكر. وبعد العمل في النور، يعود رونق الشعب وتنطلق الدعوة إلى الله عز وجل ونبأ بنهاية الأمة مع كل المخلصين... سرت فترة من الصمت والتأمل ثم بددتها الوكيل: بصراحة، هذه الأفكار رائعة. والإخوان كان لهم فريق كرة قدم في الأربعينات. ونحن في حاجة إلى إخراج فيلم عن الإمام الشهيد حسن البنا على غرار فيلم عمر المختار الذي نجح نجاحا باهرا.

ثم تسأله:

- أما بخصوص السرية: فهل الأخ علي يقابل أحدا ويتعامل معه من الجماعات التي تزعزع انتسابها للسلف زوراً أو من غيرهم من أعداء الإخوان؟
- لا أظن أنه يتعرض لأي استقطاب أو بلبلة فكر من أي جماعة أو أفراد.
- هل لازالت -يا أخي أحمد- تعترى نوبة الصرع؟

فأجاب الغرباوي بحزن:

- لازلت للأسف ولكن على فترات متباude.

فأسأله الوكيل بعد برءة من التفكير:

- هل يكون الصرع له دور كبير في تشتيت أفكاره؟

فرد الغرباوي:

- الله أعلم.

وحرزينا:

- حتى صرعي غريب واحتار الأطباء في تشخيص حالته بالضبط ولم يصرف له أحد علاجا حتى الآن.

واستكمل:

- وأخطر أفكاره التي فاجئني بها ولم أستطع أن أرد عليه هي قوله بيقين: إن جماعتنا ليست الجماعة التي ينطبق عليها حديث الرسول -عليه الصلاة والسلام- الذي يقول فيه: ((الاتزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتיהם الساعة))! ويقول إن الحديث صحيح عند الشيوخ⁸⁸.

احتار الوكيل فلم يستطع أن يرد. وبعد تردد قال:

- وأنا لا أستطيع أن أرد عليه.

ثم مط شفتيه وقال:

- فعلا، الحديث صحيح في البخاري ومسلم. وكل الجماعات الإسلامية التي تدعى الجهاد تزعم أن الحديث ينطبق عليها فقط!!!

قال الأخ حامد:

⁸⁸ الشيوخان هما البخاري ومسلم

-الخوارج هم أول من ابتدع انطباق هذا الحديث عليهم فقط وكفروا الصحابة واستباحوا دماءهم

وأموالهم!...

استطرد الغرباوي:

-وقد عجزت كل العجز عن إجابته حين سألني عن إستراتيجية الإخوان التي تضعها القيادة!!...

ترددت كلمة "إستراتيجية" في دماغ كل أخ وحين وصلت للوكيل قال في نفسه:

إن جماعتنا ليس لها أي إستراتيجية إلا الفعل من الدولة ورد الفعل منها!!...

وأخيرا قال ساخرا:

يبدو أن علي عبد المنعم سيبيلب أفكارنا نحن أيضا!...

فانفجروا ضاحكين...

ولما وهن آخر صوت ضاحك، دخلوا في صمت ثقيل الوطء ولم يقطعه إلا سؤال أخ 1

للغرباوي:

وماذا أجبته في هذه الجزئية؟

لم أستطع أن أخبره عن أي إستراتيجية للإخوان لأنني لا أعلم أي إستراتيجية لجماعتنا. ولكنني

ذكرته بالبند السادس في شروط البيعة والخاص بالثقة في القيادة...

-104-

تساءل صلاح الشيمي وهو يشير ناحية بطن روحية خالد زوجة إسماعيل:
ألا توجد أخبار جديدة؟

لم تجبه روحية، إنما تبسم إسماعيل عبد الفتاح وأجاب:
نحن قد تمثّلنا قوله تعالى: {وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا} ⁸⁹...
وقالت روحية بعده:

-الحمل الوحيد -للأسف- سقط بعد شهر! أمامي أقل من سنة وتخفي الدورة الشهرية إلى الأبد.
يعني خلاص يا دكتور صلاح، لا أمل. ولكن الحمد لله على كل حال. ونعود بالله من حال أهل
النار.

قال صلاح: "الدوره تستمر عند المرأة حتى بعد سن الخمسين فأمامك سنين طويلة يا أستاذة
روحية. وطالما حذث الحمل فسيتكرر إن شاء الله".

وقالت زبيدة: "لا يأس من رحمة الله. إن شاء الله ربنا يرزقكم الذريعة الصالحة".

-أعرف حالات كنت أتابعها في العيادة ربنا رزقهم أبناء بعد عشر سنوات من الزواج بل وبعد
خمس عشرة سنة.

قالت روحية: "جربنا كل شيء يا دكتور صلاح".
وبابتسامة:

حتى الشعوذة لم تثمر معنا بشمرة.

فضحكت زبيدة وقالت: "آخر ما أخبرتني به كان المرور على الهيكل العظمي الذي يدرس عليه
علي عبد المنعم سبع مرات، فما الجديد؟"

أخرجت روحية من تحت خمارها ورقة مطبقة على شكل مثلث عدة طبقات ثم فتحتها وهي
تقول ضاحكة: "أخذت دهن قصبة ساق جمل ودهن اللوز ودهن غراب يتيم".

فقطاعها صلاح ضاحكا: "وهل يوجد دهن عند الغراب أصلا؟"
فضحکوا...

فسألتها زبيدة ضاحكة: "وكيف عرفت يا روحية أن الغراب يتيم؟"
فضحكت روحية وأجابت:

-أم عبد الصبور الديمة أحضرت الخلطة كلها. والله أعلم هل كان الغراب يتيمًا أم لا؟ وكان بقية
الخلطة بها قرنفل وزعفران وعسل نحل. وعملت من الخلطة صوفة وجلست عليها بعد الطهر
من الحيض وقلت -قرأت روحية من الورقة التي فردتها-: "يا كموش يا كممكموش أهييش أقش
أرطاميش أميديش هامديش أو داميش اشماش طارمياش انكماميش كارش هادواش أشماماطوش يا
نطوش بامشكوت يا خنجر!!"

لم تستطع روحية أن تكمل من الضحك المتفجر من الجميع بما فيهم خالد وسحر.

⁸⁹ جزء من الآية 50 من سورة الشورى

قال خالد: "أكيد يا طنط، أخطرهم خنجر!"
وقال صلاح: "أكيد حاد قاطع".

وتساءلت سحر: "ومن هو بسكت يا طنط؟"
فردت روحية: "بامشكت يا سحر، وليس بسكت".
وأصلت روحية:

-يا شكوبه يا لخم يا طيش العجل العجل الساعة الساعة الوها الوها! أسائلكم أن تفرجوا
كربي وأرزق البنين والبنات.

فسألها صلاح ضاحكا: "وما الوها الوها؟!"
-هذه أسماء جن أبيض صالح.

قال زبيدة بحدة: "جن أبيض، جن أزرق. هذا شرك بالله يا روحية!"
قالت روحية: "نعود بالله من الشرك".
-نعود بالله من الشرك.

قال إسماعيل بحزن: "الغريق يتعلق بقشة. وأنا غير مقتنع بهذه الخرافات".
وقالت روحية بيأس: "لم تند هذه الشعوذة ولا دهن الغراب اليتيم بشيء".

قال صلاح ببشر: "ما ضاقت إلا فرجت".

وقالت زبيدة بانشراح:

-إن مع العسر يسرا. أنا بعد خالد وسحر توقفت عن الإنجاب وفشل الدكتور - وأشارت ناحية
صلاح- أخصائي الجلدية والتناسلية في علاجي.

ثم أضافت ضاحكة:
-وفشل معكما.

قال إسماعيل مبتسمًا:

-هذه أرذاق ربنا يوزعها كيف يشاء.

-ربما عدم الرزق بالذرية يكون ابتلاءاً عظيماً جراءه الجنّة.

وقالت زبيدة:

-ولكن مع الصبر والرضا.

قال إسماعيل بيقين عميق:

-نحن والحمد لله، راضيان عن الله.

وقالت روحية بحزن:

يصعب علىي أن أدرس لفصل به أكثر من خمس وثلاثين طالبة، وتحرج المدرسة كل عام اثنا عشر فصلاً ولا يكون لي بنت بينهن.

وبمرارة:

-أو ولد.

فضحك إسماعيل وقال:

حالنا مثل طبيبة النساء التي تخرج ببديها أطفالاً إلى الدنيا وهي عقيم.

وبحزن مشبوب بالرضا:

-ونحن نخرج أجيالاً وليس لنا بينهم ثمرة.

ثم أشار إلى صلاح أن يُخرج خالد وسحر من الحجرة، فقال صلاح:

-لقد حكت لهما كل شيء.

قال إسماعيل بحدة:

-حتى لو عرفا، فلا يجب وجودهما الآن.

ثم أومأ ناحية زبيدة برأسه سائلاً:

-إيه الحكاية يا أم خالد؟

أخذت زبيدة نفسها عميقاً ثم ردت:

-انتهينا من موضوع بهيجه ودخلنا الآن في موضوع ناني الراقصة التائبة.

قال إسماعيل:

-الدكتور صلاح غرضه نبيل.

فتساءلت زبيدة محتدنة:

-ولماذا لا يبحث عن زوج طيب ومثالى لها ويكون غرضه أيضاً نبيل؟

قال إسماعيل في نفسه:

أنا لا أدري قصص الحب التي تربعت فجأة على قلب صلاح في هذه الأيام. الرجل يخرج من

قصة ليغرق في قصة جديدة! جرح بهيجه لم يلتئم بعد. مسكين يا صلاح. أكيد تعاني من أزمة

نفسية أدخلتك في تجربة جديدة.

أما صلاح فقد دعا الله في سره بأن يهدي زبيدة وتوافق ثم قال:

-أهم شيء تقوى الله. فلا مشكلة في الزواج الثاني طالما أنا ننقى الله. والبيت المسلم الذي تأسس

على الإسلام الحق هو الذي يثمر النجاح كله.

فتساءلت روحية بضيق:

-ولماذا البيت المسلم الحق لا يكون إلا بالتعدد؟!

فضحك إسماعيل وأجابها:

-التعدد ليس هو الأصل وربما يكون علاجاً لمشاكل اجتماعية.

قالت روحية وهي تحذر ببديها لزوجها:

-إياك يا إسماعيل أن تفك في هذا التعدد حتى تحل مشكلة الإنجاب.

فضحكوا...

قال صلاح مبتسمًا:

-اطمئني يا أخت روحية، فالأستاذ إسماعيل لم يفكر في هذا الأمر أبداً.

فتساءلت زبيدة غاضبة:

-ولماذا لا يفكر في هذا الموضوع إلا أنت؟!

لم يرد صلاح عليها، إنما أجابها إسماعيل:

-صلاح لا يفكر في التعدد ولكنه تعرض لظروف بدون إرادته. وأنا أرى أن توافقني على هذا الزواج فليس فيه ضرر لك إن شاء الله، ومدام ابتهال تكون لك كل� احترام.

صلاح أتى بك لكي تقنعني بأن يأتي لي بضرة.

نحن قد أتينا لإصلاح ذات البين. وروحية تقف معك فهي ضد التعدد.

وبهدوء:

لو فكرنا بعقل أفضل، فصلاح يستطيع أن يتزوج من ورائك فهل ترضي بذلك؟

فسألته زبيدة محتدنة:

-هل أفهم أن هذا تهديد لي؟!

-أنا أضرب لك مثلا. ولا يوجد أي تهديد. والأمور لو نسيرها بالتراصي والوفاق فلن نجني إلا كل خير...

قالت روحية:

أنا أرى أن يعدل الدكتور صلاح عن هذه السيدة ويمكن أن نبحث كلنا عن زوج مناسب لها.

فتبتسم صلاح ضاحكا:

طبعا، زبيدة أنت بك محامية عنها.

فضحكت روحية:

طبعا، أنا محامية عنها.

ثم قالت بقوة:

نحن جبهة واحدة ضدكم وضد تخاريفكم عن الزواج الثاني.

فتبتسم صلاح:

ولكن الشريعة الإسلامية جعلت التعدد هو الأصل. ألم يقل الله -عز وجل- في القرآن الكريم: {وَإِنْ خَفِئْنَ أَلَاّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَإِنَّكُمْ أَمَّا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ مَتْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعٌ}؟⁹⁰ فالله بدأ بمثلثة وليس بواحدة.

قالت روحية زاعقة:

-أكمل الآية يا دكتور صلاح: {فَإِنْ خَفِئْنَ أَلَاّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَة}...⁹¹

فتتساءل إسماعيل بصخب:

-ولماذا لن يعدل؟

فردت روحية:

-الطبيعي في مثل هذه الأمور أن الكفة سترجح للزوجة الجديدة!

وبابتسامة ماكرة:

⁹⁰ جزء من الآية 3 من سورة النساء

⁹¹ جزء من الآية 3 من سورة النساء

والغربال الجديد له شدة.
قالت زبيدة بضيق:

نحن نأخذ من الشريعة الإسلامية ما يوافق هوانا فقط، أما الالتزام بالإسلام والشريعة الإسلامية فلأين هو؟!

فرد صلاح على زبيدة:

-كلامك هذا ينطبق عليك أيضا يا زبيدة وعلى الأستاذة روحية وعلى كل زوجة تعارض الزواج الثاني. فالشريعة الإسلامية التي ندعى أننا نعمل على تحقيقها وتطبيقها في أرض الواقع لا نستطيع أن نأخذ منها ما يتعارض مع تفكيرنا وأهواعنا.

ثم أضاف بحذر:

-وأنا أرى أن الزواج مثلا في حالة إسماعيل من حقه تماما لكي ينجب. تورد وجه روحية الأبيض وقالت:

-أنت تحرض إسماعيل على الزواج الثاني. ما هذا؟!

ثم نظرت إلى زبيدة قائلة:

تكلمي يا زبيدة.

تسنممت زبيدة وردت:

صلاح لا يريد أن يكون بمفرده في تعدد الزواج.

فضحك إسماعيل وقال:

-أنا لم أفكر في الزواج الثاني من قبل.

فقالت روحية غاضبة:

-من قبل؟ يعني ناوي على التفكير مستقبلا!

فضحوكا...

قال صلاح مدافعا عن نفسه:

-أنا لم أحضر الأستاذ إسماعيل على شيء، ولكنني أعرض وجهة نظري فقط.

فقالت روحية بعنف:

-احتفظ بوجهة نظرك لنفسك فقط يا دكتور صلاح.

ثم أردفت:

نحن أتينا لنصلح المشكلة التي بينكمما فإذا باك تريد أن تسبب مشكلة بيني وبين إسماعيل!

ثم نظرت ناحية زبيدة:

تكلمي يا زبيدة. لماذا تصمتين؟

فتبسم صلاح:

-أنا لا أريد أن أسبب أي مشكلة. والزواج الثاني بوجه عام لا يسبب أي مشاكل طالما أننا نتقى الله.

فردت روحية بحدة:

-ننقى الله؟ ننقى الله؟ ألا ننقى الله في الزوجة الأولى؟ ألا توجد تقوى الله إلا في الزواج الثاني والثالث؟!
ثم أومأت ناحية زوجها:
تكلم يا إسماعيل. تكلم يا دكتور صلاح. أين تقوى الله في الزوجة الأولى التي رزقكما الله؟
قال إسماعيل:
-اهدي يا روحية. لا داعي لهذا الانفعال. اهدي يا شيخة.
تمتم صلاح بداعية في سره.
قال إسماعيل لزبيدة:
-نعود إلى موضوعكم. ما رأيك يا أم خالد في غرض صلاح النبيل؟ هل توافقين؟
فردت زبيدة بهدوء:
-صلاح يعرف رأيي في الزواج الثاني.
-وأنا أريد أن أعرف رأيك أيضا.
سكتت زبيدة ولم ترد.
قال صلاح بأسى:
-زبيدة لا تزيد ضرة عليها حتى لو كانت صحابية جليلة.
قالت روحية بقوه:
-خلاص يا دكتور صلاح. اعدل عن هذا الأمر. بيتك أولى.
فرد صلاح:
كل الزوجات في المحروسة لا يردن ضرة، والزواج بهذه الضرة ربما يحل مشاكل كثيرة في المجتمع.
غضبت زبيدة وقالت زاعقة:
-سأجن يا ناس، وسألحق ببهيجة في مستشفى المجانين.
ثم قالت بصرامة:
-خلاص يا صلاح، طلقي وتزوجها.
ثم دخلت في نوبة بكاء بنحيب شديدة.
حاول إسماعيل وروحية تهدئها بلا جدوى، فانصرفا حزينين...

-105-

قبل إطلاق النار على علي عبد المنعم في قصر الرئاسة، صعد المعلم بروح علي إلى الكوكب السادس، واستقر جسده في غيبوبة بجوار أمه في البيت...
وفي الكوكب السادس، هتفت روح علي:
الحمد لله، فقد نجاني الله من الظالمين. أرأيت يا معلم، إلى السير الحديدي المتعارد والملتف حول جسدي؟!
هذه أفعال الطغاة وأعوانهم منذ قديم الزمان!
قالت روح علي:
إن الرئيس الذي يتربون إليه بظلم العباد هو الذي أمر بفك تلك السلسل الحديدية من على جسدي.
قال المعلم بحزن وضيق:
ولكن وزير الداخلية صنع روح هذا العهد من قوانين الطواريء، والمعتقلات والمحاكمات العسكرية للمدنيين...!
ونبرة إشراق:
أما الرئيس فهو صاحب الضربة الجوية الصاعقة في حرب أكتوبر 1973، فعسى الله أن يقول لأصحاب هذه الحرب المجيدة: "افلعوا ما شئتم فقد غفرت لكم" ...
تبسم المعلم واستطرد:
لقد صُعقوا من النسخ الجسدية الكثيرة منذ المظاهرات. فهم مساكين لا يعلمون أن الروح تستطيع أن ترتدي أكثر من جسد في ذات الوقت بإذن الله.
هتفت روح علي:
الحمد لله على نجاتي منهم.
وهتف المعلم:
الحمد لله. الحمد لله على كل حال.
وبجدية:
أنت الآن يا علي، قد أنهيت اختبارات آخر العام، فلا يوجد أي عائق لديك في إطالة زمان بقائك هنا بالكوكب السادس.
قالت روح علي:
أبن يا معلم.
في الكواكب السابقة كان لا يمتد زمن الرحلة في كل كوكب أكثر من دقائق معدودة بزمن الأرض، أما هنا فسيمتد بنا الوقت إلى ساعات طويلة.
لقد شخصت حالي في المرات السابقة بغيوبة الصرع.

- وسيُحار الأطباء في تشخيص حالتك في هذه المرة، وسيأتون بجهاز ليخطط موجات المخ أثناء غيبوبتك وأنت هنا بالكوكب السادس ولن يصلوا إلى شيء. وسيعجزون عن إيقاظك.
- أخشى على أمي.
رد المعلم بابتسامته المضيئة:
- أملك من المجاهدات. وسيُلقي في قلبها السكينة إن شاء الله... .

كانت أرض الكوكب السادس المباركة والممتدة مد البصر - محتلة من عدو غادر.
تساءلت الروح:
- أليس هذا هو السور المنيع الذي رأيناه في الكوكب الخامس؟
وبانزعاج:
- ولكنه تضخم مرات كثيرة مما كان في الكوكب الخامس.
ثم تسأله ثانية:
- فكيف أتى إلى هنا؟!
فقال المعلم:
- تأكد وانظر جيدا يا علي.
ضحك الروح وردت:
- أنسى يا معلم أنني روح. والروح لا حدود لرؤيتها وقوتها...
ضحك المعلم وقال:
- هذا السور يشبه السور الذي كان في الكوكب السادس، والعدو الآن مت hazırlan خلفه لأنه عدو جبان...
فجأة، انطلقت قوات من جيش المؤمنين كالصقور فوق السور المنيع لتنقض على العدو الذي فر كالجرذان...
هتفت روح علي بحماسة:
- الله أكبر... لقد بدأت الحرب لتحرير أرض الوطن...
إن هذا العدو الجبان انتشى وانتفح واستأسد، ويا عجبا! ها هو يذوب كفصادات الملح الهشة تحت ضربات سيف جيش المؤمنين وسوا عاده الفتية وروحه المعنوية العالية...
فقالت الروح بقوة:
- إن العدو المستأسد قد انهار تماما في ساعات معودة!
وبحماس:
- إن مفتاح النصر هو صيحة "الله أكبر" التي زلزلت أركان العدو وهدمت موقعه الحصين...
- هذا الجيش الفتى لم يعتمد على صيحة "الله أكبر" فقط، إنما وضع الآية الكريمة: {وَأَعْدُوا لَهُم مَا اسْتَطَعُتُم مِّنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رَبَاطِ الْحَيْلٍ} تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوُّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا

تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ *⁹²} نصب عينيه.

سكت المعلم هنيهة ثم تسأله:

-يا علي... ألم ينهزم جيش المؤمنين في غزوة أحد بالرغم من قيادة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم -للجيش؟

-عندك حق يا أستاذ. فلا بد من تطبيق سنة الله في الأخذ بالأسباب، ثم الاعتماد على الله في تحقيق النصر.

تبسم المعلم وهو يقول بيقين:

-وهذه هي حقيقة التوكل على الله.

تسأله الروح بحماس:

-ما سر هذه الروح المعنوية العالية في صفوف هذا الجيش العظيم؟ ولماذا لم نشاهدها في جيش الكوكب الخامس؟

-القيادة عليها دور عظيم في إيقاد شعلة النصر في نفوس الجنود...

هفت الروح بفرح:

-الحمد لله. الحمد لله. لقد انتصر جيش المؤمنين، واندحر جيش المجرمين...

تأمل المعلم وجه قائد جيش المؤمنين، ثم تبسم قائلاً:

-شتان ثم شتان وهيئات بين هذا القائد العظيم، وبين قائد الكوكب الخامس الذي أضاع بلده وأضاع شعبه، ولم يتعد دوره إلا أن يكون بطلاً من ورق...!

وبحماس:

-إن قائد الكوكب السادس المتواضع، غسل بيديه الكريمتين عار الهزيمة، ورفع كرامة شعبه إلى عنان السماء، ونفح من روحه المباركة في مجد أمته...

انطوت صفحة، فقالت الروح بفرج:

-وكرباء! وكرباء! انظر يا معلم. انظر!

ثم بكـت وهي تقول:

-إن القائد يُقتل الآن في يوم النصر بيد بعض جنده الآثمـين!...

بكـي المعلم والروح، وبـكت الأرواح الغـيرة، وهم يشاهدون قائد جيش المؤمنين وهو يذبح بعد انتصاره العـظيم!

تسـأله المعلم والأـسى يـحتويه:

⁹² الآية 60 من سورة الأنفال

ما هذا يا ربِي؟ لماذا هذا الغدر لقائد أعاد الكرامة المهدمة لشعبه؟! أُبْتَلِي يوم انتصاره؟! إن عدوه قد اندر وانسحق، ولكن يد الخونية والمارقين -للأسف- هي التي لا تندر إلا إذا شاء الله لأن أصحابها لا يعيشون إلا في جحور تحت ظلام دامس...

دُفِنَ جثمان قائد النصر، وجاءت روحه ترفرف حول روح علي وهي تهتف:
-لا تفزع يا علي. لقد نلت الشهادة والحمد لله، و كنت أتمنى أن أفالها بيد الأعداء.

قالت روح علي:
-إن اغتيالك بعد انتصارك، لهو عمل جبان لا يدل إلا على خسة الغاربين!
وقال المعلم:
-حتى لو هُزِمتْ يا قائد، فهل يسوغ ذلك لا اغتيالك؟!

قالت روح القائد:
-بعدما صعدت إلى ربِي تمنيت أن يكون لي ألف حياة لأستشهد في سبيل الله... وتمنيت لو يعطيوني الله سبحانه وتعالي -الحجـة والبرهـان وأعود إلى الدنيا لأدعـو هـؤلاء الجـند الذين قـتلـوني إلى طريق الصواب.

وبحب وإشفاق:
-وأنا قد سـامـحـهم...
قال المعلم بحـبورـ:

-يا قائد النـصـرـ، إن مـقامـكـ عند ربـكـ عـظـيمـ. وكـذـلـكـ مـقـامـ كـلـ من جـاهـدـ لـرـفـعـ شـأنـ أـمـتهـ. وقد أـرـادـ اللهـ بـكـ خـيرـاـ باـشـهـادـكـ. وـبـابـ الـفـتـنـةـ قد فـتـحـ مـنـذـ اـسـتـشـهـادـ فـارـوقـ الـأـمـةـ، ولـنـ يـغـلـقـ إـلـاـ إـذـاـ شـاءـ اللهـ.

قالت روح علي في أسي:
-إن المؤمن في سعة في دينه حتى يصيب دما حراما.
وقال المعلم بيقين:

سـتـعـافـيـ الـأـمـةـ مـنـ عـنـاصـرـهاـ الـمـتـرـفـةـ، وـمـنـ الـجـهـلـةـ بـالـدـيـنـ، وـمـنـ التـخـلـفـ الـحـضـارـيـ، وـالـضـعـفـ السـيـاسـيـ، وـالـضـعـفـ الـاـقـتصـاديـ... وـسـتـتـنـصـرـ بـإـذـنـ اللهـ. قال تـعـالـىـ: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَحْفَفُوهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَحْفَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَ لَهُمْ دِينُهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ حَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} ⁹³...

قالت روح القائد بحماس بالـغـ:
-إن هذه الـأـمـةـ مـنـصـورـةـ بـإـذـنـ اللهـ. ولـقـدـ رـأـيـتـ الـمـعرـكـةـ الـأـخـيـرـةـ وـالـتـيـ سـتـتـنـصـرـ أـمـتـناـ فـيـهاـ النـصـرـ الـحـاسـمـ عـلـىـ عـدـوـهـاـ اللـدـودـ، وـسـتـتـطـهـرـ أـرـضـنـاـ الـمـبارـكـةـ مـنـ رـجـسـهـ...

93 الآية 55 من سورة النور

انطوت صفحات من الكوكب السادس وبرزت صفحة جديدة وفيها تدور رحى حرب ضروس
بين جيش المؤمنين وجيش الكافرين...

قال المعلم:

نحن الآن في عام 2148 ميلادية، وها هي الحرب الفاصلة بين الكفر والإيمان.
قالت روح علي باندهاش:

-إنها معركة بالسيوف! هل البشرية تتقدم أم تتأخر؟!

-لقد قامت حرب عالمية نووية ثالثة في عام 2139 ميلادية في هرمدون، وفيها دُمرت
مصادر الطاقة كلها؛ فعادت البشرية إلى حياتها البدائية!

هتفت الروح:

سبحان الله. إن ضربة سيف واحدة نقتل عشرين من الأعداء.

فرد المعلم بحماس شديد:

-لقد عادت الأمة إلى عصر النبوة الأول حينما كان المؤمن الواحد يعادل عشرين من
الكافرين...

-إن الأعداء يفرون ويلطمون ويصرخون... اسمع يا معلم، ماذا يقولون؟
تلطمت أصوات الأعداء، وصعد عويلهم إلى عنان السماء وهم يقولون:
يا ويلناه. يا ويلناه. إنها ملحمة كُتبت علينا.

هتفت أرواح المؤمنين قائلة:

-الله أكبر الله أكبر الله أكبر. الله أكبر والله الحمد...

انطوت صفحات من الكوكب، وبرزت صفحة جديدة...

قال المعلم:

نحن الآن في عام 3248 ميلادية، وها هي البشرية مازلت على حياتها البدائية كما رأيناها منذ
أكثر من ألف عام!

فاندھشت روح علي:

-وعجبا! إن جياب الناس مكتوب عليها "كافر" وهم كثُر، وأقلية مكتوب عليها "مؤمن"!
يا علي، بعد وفاة المسيح منذ ثلاث سنوات، ارتدت البشرية وعادت إلى الكفر مرة أخرى بعدما
عاشت ألف سنة سعيدة تحت حكمه الرشيد. وبعد موت كل مؤمن من هؤلاء المؤمنين الذين
تراهم الآن، سوف يتناقص عددهم حتى لا يبقى مؤمن واحد على وجه الكوكب. وسوف تقوم
القيمة على هؤلاء المكتوب على جيابهم "كافر"!

هتفت الروح بفزع:

يا لطيف يا رب. ستقوم الساعة على شرار الخلق.

اللطيف يا رب.

مرت فترة طويلة والمعلم وروح علي يتأملن كلمة "كافر" المنحوة على جبهة الكثير من أهل الكوكب... وبعد فترة التأمل، قال المعلم ضاحكاً:
-هيا بنا إلى مقابلة شخصية هامة معمرة منذ قبل التاريخ.
طار المعلم وروح علي فوق سماء الكوكب.
قالت الروح باندهاش:
-إن بيوت الكوكب التي نراها أسفلنا عبارة عن أكواخ صغيرة، فأين العمارات الشاهقة؟ وأين ناطحات السحاب؟!...
يا علي، كل مظاهر الحضارة الحديثة تلاشت منذ عام 2139 ميلادية حينما قامت الحرب العالمية الثالثة، يعني منذ أكثر من ألف عام!
ظهر قرnan من رأس أجوف كريه المنظر والرائحة، فقال المعلم بابتسام:
-لقد وصلنا إلى بغيتنا. سنهبط حالاً.
تساءلت الروح:
-ما هذا يا معلم؟ إن أرض الكوكب مليئة بالدماء، دماء جافة، ودماء ندية ساخنة. فماذا حدث؟!
لقد دارت حرب عالمية رابعة أكلت الأخضر واليابس، وهدرت دماء البشرية...!
ثم أضاف:
-وها هو إبليس بشحمه ولحمه الكريهين...
حاول إبليس أن يرسل موجاته الكهرومغناطيسية إلى المعلم والروح، فارتدى إليه وخسيء!
ضحك المعلم، وسأل إبليس:
-هل أصابك الغباء في آخر الزمان يا لعün؟ كيف ترسل موجات إغوائك إلينا؟ أنسىت أن معي روح؟!
فأجاب إبليس وقد فرغ فاه:
-سفير السماء!!
ثم أردف:
-لقد انتشت قرون استشعاري للغواية حينما شممته جزءك الأرضي.
ضحك إبليس ضحكاً كريهاً رن صدأه في أرجاء الكوكب، ثم نظر حوله ليرى فراغ الأرض من البشرية، فقال شامتاً:
-ها هي الأرض أوشكت على التحرر من جنس البشر بفضل إشعاعي للحرب العالمية الرابعة.
أكيد أن الأرض لن تنسى هذا الجميل أبداً...
فسأل المعلم:
-ولماذا يا ملعون اعتبرت فناء الجنس البشري جميلاً للأرض؟
أصدر الشيطان فحيجه وأجاب:

-يا سفير السماء، ألا تعلم أن الأرض كانت تئن من معاصي ابن آدم منذ فجر التاريخ؟! ألا تعلم أن الأرض كانت تفرح بالمؤمن الطائع؟ ألا تعلم أنها كانت تبكي عليه حين موته. ألا تذكر قول القرآن: {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ} ^{٩٤}
ضحك المعلم وتساءل:

-يا لعین، ولماذا تتعب نفسك وتكد في إغواء البشر وتجعلهم يتقاولون بهذا الشكل الرهيب؟! أنت حريص على راحة الأرض من حملها الثقيل؟
فأجابه الشيطان بخبث:

-أريد أن أقول لك "يا مسكون"، وأنت منْ أنت يا سفير السماء.
ـماذا تعني لو قلت لي "يا مسكون"؟

-أعني أنك يا سفير السماء، لا يخفى عليك تعبي وكدي منذ قدم التاريخ البشري حين أضللت قabil وجعلته يقتل أخيه هابيل ويسن سنة سيئة لا تزال آثارها لم تبرد بعد.
ـتلفت الشيطان حوله بفرح وهو يرى الدماء المهدمة...
ـفتساءلت روح علي:

-ولماذا تبدو فرحا هكذا وأنت السبب في هذه المجازر لبني الإنسان؟
ـفرد الشيطان ساخرا:

ـيا مسكون، ألا تعلم أنني حين سنت سنة القتل كنت أهدف إلى أن يصل الإنسان إلى أقصى الضلال، وفي الوقت نفسه يقل عدد البشر فأستريح من الإضلال نسبيا!
ـضحك المعلم والروح. قال المعلم:

ـيا ملعون، أرح نفسك من هذا التعبر وكفى إصلاحا لخلق الله.
ـإن روحي تتنشى حين أقوم بالإضلال. ولكن نفسي يعتريها السامة أحيانا من كثرة الإضلال اللامتناهي.

ـقالت الروح باستغراب:
ـشيء عجيب أن يجعل عدد البشرية يقل بالحروب وخاصة العالمية منها حتى تستريح من كد وعناء الغواية.

ـقال إبليس في نفسه:
ـلم يبق إلا أنت يا مسكون حتى تسخر مني. لو لا أنك روح لعریث نفسك أمامك...
ـثم قال:

ـيا أيها الروح المسكين، ألا تعلم أن الغواية هي وظيفتي في الحياة؟
ـقال المعلم:

ـمنذ أكثر من ثلاثة ألف عام، واللعين لا يكل ولا يمل من وظيفته العتيدة في الأرض.
ـقال إبليس:

^{٩٤} الآية 29 من سورة الدخان

قلت لكم إن نفسي يصيّبها الملل والكلل والفتور من كثرة الغواية.
فسأل المعلم:

-ألا يوجد لك أعوناً يساندونك في وظيفتك العتيدة؟
-كلهم أغبياء، ولا يقومون بعمل إلا بعدأخذ مشورتي.

فسألته الروح بسخرية:
-ولماذا تدرّبهم جيداً في مدرستك الإصلاحية؟

عدت ثانية للسخرية يا غليم!

أجاب إبليس بغيظ:
-لقد تدرّبوا جيداً. ولكنهم أغبياء... أغبياء...

ومتهماً:

-لا داعي لهذه السخرية يا غليم!
كتم المعلم غيظه من سخرية الشيطان من روح علي.

تساءلت الروح:

-أخبرنا يا زعيم الضلاله، عن طرائق في الغواية حتى ننتقيها؟
كاد إبليس أن يسخر من سؤال علي ويقول ولمَ أخبرك؟ ولكنه نظر إلى المعلم فوجده غاصباً،
 فأجاب:

-أعظم طريق للغواية هو طريق الدين!

-أين يا زعيم الضلاله.

-ألم أجعل قوم نوح يعبدون ودا وسواها ويعوث ويعوق ونسراً؟! وكانوا قد شيدوا تماثيلاً لهؤلاء الصالحين بـإياعز مني- ليذكروهم ولا ينسوهم. ألم أجعل العرب تزيغ عن ديانة إبراهيم التوحيدية ويعبدون اللات والعزى ومناة؟! ألم أجعلبني إسرائيل تتخذ أخبارهم ورها بهم أرباباً وألهة من دون الله؟! ألم أجعلبني إسرائيل يصفون الله بصفات تتنقص من إلهيته وعظمته وجبروته؟! ألم أجعلهم يغيرون كتاب الله بأيديهم؟! ألم أجعلهم يكتبون أن ابنتي النبي لوط سقطاً أبيهما خمراً حتى يزني بهما بعد تدمير سدوم وعمورياً؟! ألم أجعل البشرية تختلف في طبيعة المسيح بل تتقابل في ذلك؟! ألم أجعلهم يعبدونه من دون الله؟! ألم أجعلهم يعتقدون أنه ابن الله؟! ألم أجعلهم يعتقدون أنه هو الله ذاته؟! ألم أجعل المسلمين طوائفًا وشيعاً وأحزاباً؟! ألم أجعل منهم من يعتقد في الوهية على بن أبي طالب؟! ويعتقدون في أن ظهور علي بن أبي طالب في صورة الناسوت إلا إيناساً لخلفه وعبيده؟! ألم أجعلهم يعتقدون أن علياً بن أبي طالب قد خلق النبي محمد، والنبي محمد قد خلق سلمان الفارسي؟! ألم أجعل المسلمين يعتقدون أن الأولياء يضرّون وينفعون؟! بل يدعونهم من دون الله، ويحجّون لهم، يقربون لهم الذبائح، ولم يتبقَ إلا أن يصلّون لهم!...

ضحك الشيطان بفحيح بارد خبيث، وأردف شامتا ساخراً:

وهوؤلاء الثلاثة - أصحاب الديانات السماوية- هم الذين ادعوا أن دينهم دين التوحيد!

فهتف المعلم:

-ولكنك يا خبيث، لم تستطع أن تفتن المسلمين في النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

امتعض وجه الشيطان. قال:

-هذا من فضل الله على محمد بن عبد الله.

قالت روح علي:

لقد نزل عليه قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةَ رَبِّهِ أَحَدًا} ...⁹⁵

لم يعلق الشيطان وقال في نفسه:

أنا لا أتحرك إلا في الحدود المرسومة لي.

سأل المعلم:

-أخبرنا أكثر عن غوايتك في طريق الدين.

شعر الشيطان بأهميته فانتفخ، فلكمه المعلم على وجهه وقال:

-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

فتفنفظ الشيطان وضوئ...

ثم رد وقد عاد إليه بعض انتفاخه:

-ألم أجعل الثوار يقتلون الخليفة عثمان بن عفان باسم الدين؟! ألم أنفخ من روحي في نفوس الخارج وأجعلهم يقتلون الخليفة الراشد علي بن أبي طالب؟! بل ويکفرون، ويکفرون كل المسلمين الذين ليسوا معهم! ألم أحیي هذا الفكر في القرن العشرين الميلادي ويتولد عنه حركات وتيارات تکفیرية کفروا الرؤساء والسدادات وقتلوا؟! بل جعلت هذه الجماعات يکفرون ويقتلون بعضهم بعضا باسم الدين!...

ثم واصل بحماس:

في عام 1987 ميلادية، ألم ينشق أحد أعضاء الجماعة الإسلامية، وقال إن الجهاد الأكبر هو غياب الحكم بالشريعة الإسلامية، وكون تنظيمها سماه "الجهاد الحركي"، فما كان من أمراء تنظيمه الأول إلا أن حكموا بردهاته، وقتلوا هو وأتباعه!!... ولو جادل جبريل -عظيم ملائكة السماء- هؤلاء المکفرین لمجتمعاتهم، ما ترحز حکرهم قيد أتملة! انتفخ إبليس، وتمدد، وانتشى، وانتفخ أكثر، وصعد رأسه بقرنيه الكريهين إلى سماء الكوكب عندما سرد سجل أفعاله...

ضحك روح علي وتلت قوله تعالى:

-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفُهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسَعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

⁹⁵ الآية 110 من سورة الكهف

وَلَا يَؤْوِدُهُ حَفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ }⁹⁶ ؛ فامتقع وجه الرجيم، وصغر حجمه، وتقوّع حتى
وصل إلى باطن أرض الكوكب...
مد المعلم يده وسحب الشيطان من رقبته.

هتف إبليس وهو يلهث:

-أرجوك يا علي، لا تقرأ هذه الآية مرة أخرى أمامي. فإني كنت أن أحترق.
قال المعلم:

-لقد قرأتها علي حتى تعرف حجمك الحقيقي ولا تنتحن مرة أخرى.

ثم أردف:

-أخبرنا أكثر عن غوايتك يا لعين.

انتفح إبليس قليلا ثم قال:

-باسم الدين حكمت الكنيسة على العلماء بالهرطقة، وحرمت كتبهم مثل كتاب كوبرنيكوس عن حركات الأجرام السماوية، والذي يتحدث فيه عن دوران الأرض حول الشمس، وأنها ليست مركز الكون لأن الشمس هي مركز الكون! وباسم الدين أحرقت الكنيسة "لافوازيه" العالم الكيميائي!! ولقد مات "جرданو" في عام 1642 بسبب تعذيب الكنيسة له لأنه اخترع تلسكوب!!...

قال المعلم:

-لقد انحرف رجال الدين في ذلك العصر عن تعاليم المسيح، وتحولوا إلى محترفين سياسيين، بل تحولوا إلى طواغيت باسم الاكليروس والرهبانية والعشاء الرباني، وتحولوا إلى جبارين في الأرض، وباعوا صكوك الغفران بالدرهم والدينار!

قال الشيطان:

لم يخالفوا تعاليم المسيح.

فصاح المعلم:

-كيف ذلك يا لعين؟!

ضحك إبليس ساخرا وأجاب:

-ألم تقرأ قول المسيح في إنجيل لوقا: (وَأَمَّا أَعْدَائِي أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ فَأَثْوَرُوا بِهِمْ إِلَى هُنَا وَادْبَحُوهُمْ ذَادَمِي)⁹⁷ ...

قال المعلم:

-أأنت أفهم لهذه الآية من المسيح نفسه؟

ثم تساءل:

-هل ذبح تلاميذ المسيح -عليه السلام- أحداً أمامه؟

⁹⁶ الآية 255 من سورة البقرة

⁹⁷ لوقا إصحاح 19 آية 27

لم يذبحوا أحدا لأنهم لم يملكون سلطة في عصر المسيح. بينما في عصر محاكم التفتيش ملوكا سلطات رهيبة؛ فذبحوا كل من اعتبروه أعدائهم، وعاثوا فسادا في الأرض...! وأتباع المسيح في زمانهم كله إذا وجدوا قوة وشكيمة من الحاكم، انكمشوا وتقوّعوا ولسان حالهم "ما كان الله فهو الله، وما كان لقىصر فهو لقىصر"! وإذا وجدوا ضعفا من الحاكم، تمددوا وتسلّطوا وذبحوا مخالفين!...

قال المعلم في نفسه:
أنتكر على من عاثوا فسادا؟! ألسنت أنت من ينفع في نار الفساد من أنفاسك الحارقة؟! الشيطان يعظ!

سيباح منذ الآن باسمك كل شيء
سيباح قتل الأبرياء
باسم المسيح
سيراق بحر من دماء
باسم المسيح
ستقام أبراج، قصور من جمام
باسم المسيح
سيكون عهر، خسة، زيف، رباء، أي شيء...!!

هتف المعلم:

يا لعين، المسيح لم يأت إلا بالرحمة والروحانية في القديم والحديث، وهو بريء من كل ما ارتكب باسمه زورا...
انتفخ الشيطان أكثر وواصل:

-باسم الدين عذبت وأحرقت محاكم التفتيش كثيرا من العلماء. وباسم الدين وتحت شعار الصليب، قامت الحروب الصليبية، وكانت دماء المسلمين في القدس إلى الركب. وباسم الدين، انقسمت الأديان وانشطرت وتفتت شيئا وأحزابا متاحرة. وباسم الدين، أحرقت وشنقت و(خزقت) إليزابيث تيودور ملكة إنجلترا في القرن السادس عشر الآلاف من الكاثوليك. وباسم الدين، قامت الحروب الدينية في أوروبا. وباسم الدين، شنت محاكم التفتيش في الأندلس أهواه العذاب ضد المسلمين واليهود بعد سقوط الحكم الإسلامي!...

ثم تبسم ساخرا وأضاف:
ووهذا تنفيذا لتعاليم المسيح التي تحث على ذبح المخالفين!...
قال المعلم:

98 أبيات من قصيدة نجيب سرور: المسيح واللصوص

ولم يحفظ اليهود الرعاية والحفظ لأجدادهم في ظل الخلافة الإسلامية!
أكمل يا إبليس.

وباسم الدين، اتحدت الكنيسة الكاثوليكية مع الكنيسة البروتستانتية لأول مرة في التاريخ في عام 2139 ميلادية، وشننا حرباً عالمية نووية ضروسًا ضد المسلمين، وضد الصينيين والكورين ونصف الأرض الشرقي، ودمرت فيها مصادر الطاقة والحضارة البشرية تماماً؛ فلا بترول، ولا محطات نووية، ولا هيدروجين سائل، ولا كهرباء، ولا حاسب آلي، ولا حضارة المعلومات، ولا أي حضارة!!...

ضحك الشيطان ساخراً وهو يواصل:

-ودمرت حياة ثلاثة أربع البشرية، ونفقت الحيوانات، واحتراق النبات وكل ما فيه حياة...!
ثم استرسل ساخراً:

-وخرجت ذرية آدم المتبقية من هزة منسحقة ينهش فيها المرض والعاهات والتلف واليأس...!
سكط الشيطان قليلاً ليأخذ أنفاس الشمامنة ثم هتف شامتاً:
وليأت آدم ليرى ابنائه!

فرد المعلم:

ولكن البشرية بكل ديانتها وطوائفها المختلفة اتحدت -لأول مرة في التاريخ البشري كلها- تحت راية المسيح -عليه السلام- في سنة 2145 ميلادية، ومسح المسيح أحزانها، وجمع قلوبهم على عبادة الله الواحد القهار، وحكمهم بشرعية الدين الإسلامي، وعاشت ألف سنة كلها رخاء وصفاء ونقاء...

فامتعض الشيطان وتمتم:

-لقد كانت أسوء ألف عام في حياتي...
قالت روح علي بقوة:

-يا رجيم، كل المؤمنين الموجودين الآن لن تستطع أن تزيغهم عن الحق.
وقال المعلم:

-لأن الله قد كتب في قلوبهم الإيمان قبل أن يكتب على جيابهم "مؤمن".
وقالت روح علي بسخرية:

-والآن الأفضل أن تبحث لك ولذريتك عن عمل مفيد غير الغواية والإضلal. وفك في التوبة.
ضحك إبليس وتساءل ساخراً:

-ألا يوجد غيرك لينصحني في آخر الزمان يا أيها الغليم؟!

امتدت يد المعلم امتداداً رهيباً حتى ملئت صفحة الكوكب فعصرت إبليس من رقبته؛ فازرق وجهه، وانزلق لسانه خارجاً يلهث ويرتجف ويقول:

-يا سفير السماء، لم أقصد أن أسخر من علي. يا سفير السماء. يا سفير السماء. إن يدك تقتلني.
فك يدك عني يا سفير السماء.

اندهشت روح علي من الحجم المهول ليد المعلم وقوتها اللانهائية...

يا سفير السماء، دعني إبني سأموت تحت يدك.

قال المعلم:

-أنت تعرف جيداً أنك لن تموت إلا في نهاية الزمان.

ـدعني يا معلم، وسأخبرك عن عزمي الجديد للتوبة!

تركه المعلم. أخذ الشيطان يلم لسانه الذي انزلق إلى أعماق بعيدة في جوف الكوكب، وتنهد وأخذ أنفاساً عميقاً وقال:

ـيا سفير السماء، لم أقصد أن أهين مرידك علي.

-أنت لا تعرف مقام هذا العلي الذي تسخر منه، إنه مسئول عن تجديد الدين.

ـثم ساخراً:

ـأخبرنا يا ملعون، عن عزتك الجديد للتوبة.

ـلا تسخر مني يا معلم. أنسىت أنني كنت من ملائكة السماء.

ـبل كنت طاووس الملائكة، ولكنك بمعصيتك لله اخترت أن تكون رجيناً ملعوناً ...

ـقالت روح علي:

ـأكيد سيكتب علينا هذا الملعون.

ـقال الشيطان بصوت قريب من البكاء:

ـأبداً يا علي. إبني فعلاً عازماً على التوبة. لقد أصابني الزهق والملل من إضلال البشر. والآن لا يوجد من أستطيع أن أضلهم.

ـقال المعلم:

ـإذا أردت التوبة، فلا بد أن تدين بدين الإسلام لأنك الدين الخاتم والكلمة الأخيرة من الله إلى البشرية. وسيكتب على وجهك "مؤمن". والجن قد أسلموا على يد النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، ونزلت سورة في القرآن الكريم باسمهم.

ـتلون وجه الشيطان. رد:

ـلا أستطيع ذلك.

ـفتساءل المعلم:

ـولم؟

ـلأنني سأواجه مشاكل لا حصر لها.

ـأوضح.

ـإن المسلمين المكتوب على جياثهم الآن "مؤمن" يستعيذون بالله مني حين يقرءون القرآن، وحين يأكلون، ويشربون، وحتى حين يجامعون زوجاتهم...
ـلن يستعيذوا إلا من كل شيطان كافر.

ـاستطرد إيليس:

ـوفي حج المسلمين، يرجمون الجمرات الثلاث، وهذا الرجم رمز لرمي كما فعل إبراهيم معى حينما تعرضت له في أماكن الجمرات الثلاث. فكيف يرجموني وأنا مسلم؟!

-الرجم عبادة رمزية لرجم كل شر. والعبرة في العبادات في دين الإسلام تنفيذها كما جاءت عن النبي -عليه الصلاة والسلام- بدون البحث عن الحكمة فيها أو الغرض منها. وحين تصير مسلماً لن تكون رمزاً أو هدفاً للرجم.

أمسك المعلم بكافي إبليس وقال بقوه:

-وإذا أردت التوبة حقيقة وقبل أن تعتنق دين الإسلام، فاذهب إلى قبر آدم عليه السلام، واسجد له سجدة تکفر بها عن مخالفتك لأمر الخالق عز وجل.

تذكر إبليس معصيته، وغرق في بحور الندم، وبكى بكاء مريراً، وعزم على التوبة...

ترثيت صفحة الكوكب بأرواح الأنبياء، وحشمت المليارات من الملائكة، ومن أرواح المؤمنين منذ آدم عليه السلام، وترآكم الشياطين فوق بعضها البعض لتشاهد زعيمهم الأثير وهو يعلن التوبة.

تذكر إبليس سجل أفعاله المشين الرهيب؛ فبكى بنحيب وبكى أكثر وهو يرى الدماء حوله التي لم تجف بعد...

سحب المعلم إبليس من يده، وذهب به إلى قبر آدم، وإبليس لا يتوقف عن النحيب. وظل يضرب وجهه بيديه ويقول:

يا ليتني سجّلت لأدم. يا ليتني سجّلت لأدم. يا ليتني أطعّت ربّي. يا ليتني لم أضل أحداً...
زحف الحشد المبارك مع إبليس. وإبليس يبكي ويلطم وجهه ويغضّ على يديه ندماً حتى وصل إلى قبر آدم. فوقف وقد تجمد الدمع في عينيه. ولم يستطع أن يسجد. فدفعه المعلم ليسجد، فلم يسجد واحتفى تماماً.

مد المعلم يديه حتى وصل إلى آخر جبال الكوكب وأمسك إبليس من رقبته وسحبه وسأله بغضب:

لماذا تهرب؟ ألم تعلن توبتك؟

ثم نهره:

-اسجد يا إبليس.

فلم يسجد.

فصرخت فيه أرواح المؤمنين:

-اسجد. اسجد. اسجد...

فلم يسجد.

فضربه المعلم على وجهه وعصره بيديه وقال بحب:

-اسجد يا إبليس، حتى تعود مرة أخرى إلى صفوف الملائكة، وتنعم مرة أخرى بالحياة في الكوكب السابع الذي طردت منه.

فلم يسجد.

فصرخت فيه أرواح المؤمنين وارتज صدى أصواتها في أنحاء الكواكب السبعة:

-اسجد. اسجد. اسجد... .

هم إبليس بالسجود تحت الصدى الرهيب لأرواح المؤمنين، فإذا بالمليارات من أرواح الكافرين والعصاة تتساءل في صوت رهيب مهيب:

-أتسجد الآن وتتوب بعدما أضلتنا وأوقعتنا في الجحيم؟!
فلم يرد إبليس.

فصرخت روح من أرواح الكافرين وقالت:

-جعلتني أقتل أخي هابيل، وتريد أن تتوب الآن؟! لا تسجد لأبي يا ملعون.
وصرخت روح أخرى:

جعلتني أدعى أنني رب وإله! وضحت على شعبي وقلت لهم أنا ربكم الأعلى! وفي قراره نفسي أعلم أنني كذوب. ومارست الزنا السياسي، والدجل السياسي... لا تسجد وذق عذاب

الجحيم معي يا لعين...
وصرخت روح ثالثة:

جعلتني أدمي بيت المقدس، وأسبى اليهود، وأذيقهم صنوف العذاب... لا تسجد يا لعين.

جعلتني أغير بيدي كتاب الله، وخلطت الحق بالباطل والباطل بالحق... وتريد الآن السجود لآدم وطاعة ربك؟ لا تسجد. لا تسجد.

جعلتنا نقتل الأنبياء بل جعلتنا نقتلهم قتلاً . ونحن أهل كتاب سماوي!

جعلتنا نقتل ونبيد الأريوسيين الموحدين -أتباع أريوس- ونتعصب للثلثة!...

جعلتني أخترع عبادة الأصنام وعبادة الناس من دون رب الناس!...

جعلتنا نعبد عزير والمسيح وبودا والأولياء والصالحين والزعماء والمرشدين، ونكفر برب العالمين!

جعلتنا ندمر بيت المقدس وتخوض خيولنا في دماء المسلمين!

جعلتنا نحرق بغداد والشام وندمر حضارة عظيمة!

جعلتنا نحارب حرب الثلاثين عاماً ونذبح بعضنا بعضاً وكلنا أتباع المسيح!

في عامي 1914 و 1939 جعلتنا نقوم بالحرب العالمية الأولى والثانية لكي نفرض سيطرتنا على منابع الطاقة في العالم! وقد فنى أكثر من خمسين مليوناً من البشر بسبب جشعنا وأنانيتنا وأثرتنا...!

في أعوام 1948 و 1967 و 1987 و 1997 و 2008 و 2017 و 2027 و 2037 جعلتنا نحرق فلسطين ونقتل شعبيها ولم نتعلم الرحمة من العذاب الذي ذقناه طوال التاريخ! وفي عام 1982، جعلتنا مع بعض الكتاب اللبناني العميلة لنا، نذبح أكثر من ألفين من الفلسطينيين بدم بارد في صابرا وشاتيلا. وفي 2006 جعلتنا نقتل أكثر من 1500 نفس بشرية ما بين طفل وامرأة وشيخ في جنوب لبنان! وفي آخر 2009 وبداية 2010، قمنا بمذبحة رهيبة في غزة أبدنا فيها الحجر والشجر والبشر!... يا ملعون جعلتنا نستعرض عضلاتنا على الضعف! ويا مصبياته على الملحة التي كُتبت علينا في عام 2047 حينما قُتلنا شر قتلة، وأبدنا شر إبادة!...

جعلتني أسرق قيادة شعبي وجيشي وأنا غير مؤهل لقيادة فصيلة في الجيش! ويا ويلاه. لقد قدت شعبي من هزيمة إلى هزيمة ومن فشل إلى فشل... يا ويلاه حكمت بلدي وهي حرة، ومثل وهي محتلة مكبلة بالأغلال!...

في عام 1965 جعلتني أذب المعقلين وأقول: لو نزل الله من السماء لحبسته في الزنزانة معكم! آه. آه. آه...

من عام 1992 حتى 1995 جعلتني وجيشي نحرق سرايفو ونبيد شعبها ونعتصب نسائها! ما أحقرنا وأحقر منزلتنا في النار!...

في عام 2001 جعلتني أحرق كابول وأقتل وأشرد الملايين من الأفغان! ولم تكتف بذلك يا ملعون، بل جعلتني أحرق بغداد والعراق في عام 2003، وأقتل وأشرد الملايين من العراقيين، مرة بحجة البحث عن أسلحة الدمار الشامل التي نمتلك في بلدنا أكثر من نصف عددها في كوكب الأرض، ومرة بحجة نشر الديمقراطية! كنت يا ملعون، توحى إلى أن السماء هي التي توحى إلى صباحاً لكي أحرق العراق وأبيد العراقيين بعد الظهر! وفي الحقيقة، كان صوت الوحي هو صوت غوايتك يا لعين، ولم يكن صوت السماء. لقد جعلتني أدخل التاريخ من أسوأ أبوابه، وجعلتني ألطخ وجه حضارة بلدي بالعار والشنار والهمجية والتخلف...!

في عام 2008 جعلتني أقتل أبنائي الأربع غرقاً في برميل ماء رحمة لهم من الجوع! ولم تكتف بذلك يا ملعون، بل جعلتني أقتل زوجتي ثم أقتل نفسي لعدم وجود الخبز! لقد كان العام الأسود لضحايا الخبز في بلد كان هو سلة العالم!

في عام 2139 جعلتنا نحد على الروس والمسلمين والصينيين والكوريين-وطوال تاريخنا نحد عليهم- ونقوم بالحرب العالمية الثالثة وكاد أن يفنى الجنس البشري بأكمله بسبب أنتينا وظلمنا وحدنا...!

-بعد ثلاث سنوات من موت المسيح، جعلتنا نقوم بالحرب العالمية الرابعة! دمائنا لم تجف بعد يا ملعون ثم ترید التوبة الآن.

-جعلتنا تُرهب البشر والشجر والحجر! أدخلتنا التاريخ من أسوأ أبوابه! جعلتنا يا ملعون- نقل باسم الدين... نسرق باسم الدين... ندمّر باسم الدين... نحن أشر الناس منزلة في النار... يا ويلاه...

صرخت ملايين من الأرواح في إيليس قائلة:

-جعلتنا نسرق. نزني. نلوط. نفجر. نضرب. نتعقل. نسحر. نسحق. نقتل. نسحل. نبيّد. نستعبد. نعذب... وترید أن تتوب الآن؟! لا. لا. لا تسجد.

تلطّمت أصوات الأصوات في فضاء الكوكب السادس. ثم جثم الصمت على فضاء الكوكب لما بدأ يتحرك إيليس ويقف على ربوة عالية.

امتدت أعناق الأرواح لتصيخ السمع إلى ما سيقوله اللعين.

بدأ إيليس يخطب في الحشود الرهيبة التي تملأ فضاء الكوكب.

-لا تلوموني ولو موا أنفسكم. لو سجّدت لأدم وظللت مع الملائكة الكرام في الكوكب السابع، عصيتم وكفرتم بربكم! أنتم تحملون بذور الشر في نفوسكم الأمارة بالسوء. أنتم تحصدون نبات الشر الذي نما في نفوسكم الشريرة برعايتكم وعنايتكم... أنتم أعلى مني منزلة في الشر والسوء. أنتم قد اخترتم شرورا لا تأتي على يدي وبال كل الشياطين... أنا لم أبشر بموت الإله باسم الفلسفة. أنا لم أكفر بالإله العظيم. أنا قلت إن الله أتى في صورة بشر؟ أنا قلت إن الدين خرافه؟ أنا قلت إن الدين أفيونشعوب؟ أنا أحدث؟ أنا عصيتم رب العظيم في أمر واحد فقط، أما أنتم فقد كفرتم به وجحدتم اسمائه وصفاته وعظمته وجبروته وعزته وفضله على العالمين!... أنتم قد خلعتم صفات الإله العظيم على مخلوقاته. أنتم قد عصيتم ربكم في شرور -أنا وكل الشياطين-

نستحي أن نفعلها أمام خالقنا العظيم...

هل سمعتم عن شيطان عبدي أو عبد أي شيطان آخر؟ هل سمعتم عن شيطان عبد صنم؟ هل سمعتم عن شيطان عبد صاحب قبر وتقرب إليه بالنسك؟ أنتم قد عبدتموني وعبدتم الشياطين... وأقول لكم: هل سمعتم في تاريخ البشرية كله عن شيطان عبد إنسانا وخلع عليه الصفات الإلهية؟

هل سمعتم عن شيطان يزني زنا المحارم؟ هل سمعتم عن شيطان يضاجع شجرة أو حيوان أو...؟ أجيبوني يا أبناء آدم. أجيبوني.

هل سمعتم عن شيطان يدعى أن الله يوحى إليه يوميا بتدمير بلد وشعب وحضاره؟!

هل سمعتم عن محاكم تفتيش إبليسية؟!

هل سمعتم عن شيطان سرق باسم الدين؟!

قتل باسم الدين؟!

حرق باسم الدين؟!

دمر باسم الدين؟!

أي دين هذا الذي يدعو إلى السرقة والقتل والحرق والتدمير والتطهير العرقي والفساد في الأرض...؟!

أنا وكل الشياطين نتبرأ من سجل أعمالكم المشين!....

لا تلوموني ولو موا أنفسكم. فما أنا بمصرحكم⁹⁹ ولا أنت بمصرخي... .

صرخت أرواح المؤمنين:

-اسجد يا إيليس. اسجد. اسجد.

فصرخت أرواح الكافرين:

-لا تسجد. لا تسجد. لا تسجد.

-اسجد.

-لا تسجد.

⁹⁹ بمنفذكم

-اسجد.

-لا تسجد.

-اسجد.

-لا تسجد...

نظر إبليس إلى قبر آدم وتساءل في نفسه: كيف أسجد له بعد أكثر من ستين ألف سنة؟
احتار إبليس أيسجد أم لا؟ فففعه المعلم ليسجد، وصرخت فيه روح على ليسجد.

فتقدرت ينابيع الدموع في قلب إبليس، وقال بصوت متهدج:

-سأكلمكم بالعلم. إن الجينات الوراثية قد أثبتت لكم يا بني آدم، أن الإنسان يتتشابه مع جينات الغوريلا في 98.4%， ويتشابه مع القط في 97%， ومع الكلب في 95%， ومع الحصان في 80%!

ثم ضحك بفحيح خبيث وواصل:

-إن جينات الإنسان تتتشابه تماماً مع جينات الشامبنزي إلا في ثلاثة جينات، وهذه الثلاثة جينات هي نفسها موجودة عند الإنسان ولكنها في صورة متحورة، ثم تریدون مني أن أسجد لأبيكم؟!
ردت روح على:

يا غبي، لماذا لم تقل إن الجينات الوراثية تتتشابه أيضاً مع نبات الذرة في 67%， ومع نبات الموز في 50%!... فهذا دليل على أن عجينة الخلق واحدة، وأن الخالق واحد.

وواصلت:

-ثم إنك يا لعين، قد شاهدت آدم وهو من صلصال فخار، وكنت تتحرك داخله. يعني إنك لا تستطيع أن تقول إن الإنسان قد أتى من الشامبنزي، ولم يقل أحد إن الإنسان نصفه موز وثلاث ذرة وأغلبه قط!

قال إبليس:

-أنا لم أقل إن الإنسان قد أتى وتطور من القرود، ولكنني أردت أن أقول لكم إن الإنسان يتتشابه مع القرود في جيناته الوراثية، فكيف تطلبون مني أن أسجد له؟ إن العلم قد أكد لي على صحة موقفي في عدم السجود لأدم.

قال المعلم ساخطاً:

-إن الأمر للسجود هو الله، وعليك طاعة أمره سبحانه وتعالى.

-هل سمعتم عن تشابه بين خلقة الشيطان وبين خلقة الحيوانات أو حتى الإنسان؟ فكيف تطلبون مني أن أسجد؟

فسأل المعلم بعنف:

-ألم تقل أنت إنك ترید التوبه؟

-لا أستطيع أن أسجد. أنا خير منه. أنا خير منه. خلقه من تراب وخلقني من نار...

دفع المعلم إبليس في قفاه فوقع على الأرض وهو يقول:

-لا أستطيع السجود. لا أستطيع. لا أستطيع...

هتفت الأرواح المؤمنة:

-اسجد... اسجد... اسجد...

فهتفت أرواح الكافرين:

-لا تسجد... لا تسجد... لا تسجد...

وتلاطم موجات الأصوات الهادرة في فضاء الكوكب:

-اسجد... اسجد... اسجد...

-لا تسجد... لا تسجد... لا تسجد...

-اسجد... اسجد... اسجد...

-لا تسجد... لا تسجد... لا تسجد...

-اسجد... اسجد... اسجد...

-لا تسجد... لا تسجد... لا تسجد...

-اسجد... اسجد... اسجد...

-لا تسجد... لا تسجد... لا تسجد...

وأخيرا، وقف إيليس على الربوة مرة أخرى وقال:

يا أيها الأنبياء الأصفياء... يا أيها الملائكة الأطهار... يا أيها المؤمنين الأبرار... يا أيتها

الأرواح الطاهرة... يا سفير السماء... يا علي... إنني لم أُسجد لأدم وهو حي، فكيف أُسجد له

وهو ميت؟!...

-106-

كانت سيارة الإسعاف تمزق الفضاء بسرعتها الجنونية وبصرارخ سريرتها لتنقل أحمد الغرباوي إلى مستشفى الساحل التعليمي...
كان الغرباوي تنزف من صدره الدماء هادرة بسبب الطلق الناري، والمسعفون يحاولون أن يكتبوا جمامتها...
جلست وداد شاهين زوجته بجوار سرير الإسعاف منهارة...
كان الغرباوي يئن بصوت واهن...
نظر بعينيه ناحية وداد وقال:
قبل أن ألق الله، سأقول لك حقائق لأول مرة في حياتي. أنا أخلصت لربِّي والحمد لله. وأخلصت لعملي ولبلدي. كنت... كنت ضابط أمن دولة على درجة كبيرة من الكفاءة...
لم تستطع وداد أن تغفر لها من الدهشة بسبب تدهور حالة زوجها وانهيارها النفسي والمعنوي...
أخذ الغرباوي يستنشق هواء ثم قال:
لما اخترق جهاز مباحث أمن الدولة كل الجماعات المتسلمة الإرهابية كالجهاد والجماعة الإسلامية بسهولة، بدأ العمل على اختراق جماعة الإخوان المسلمين الحسينية...
سكت هنيهة ثم استرسل بصوت واحد:
كلُّفوني رؤسائي بملف جماعة الإخوان المسلمين لأنها جماعة سرية. وكما تعلمين يا وداد، أن الجماعات السرية هي التي قتلت سيدنا عثمان بن عفان، وهي التي بثت الفتن على مدار التاريخ... كنت مكلفاً بنقل الصورة على الطبيعة لرؤسائي حتى تعلم الدولة تخطيط الإخوان ومؤامراتهم لتجهضها أولاً بأول...
سكت الغرباوي بسبب الإعياء الشديد. حاولت وداد أن تسكته، ولكنه أصر على أن تعرف الحقيقة كاملة.
ولما التحقت بالإخوان وتغلغلت في صفوفهم وقرأت عن الإسلام الشامل وتشربت بدعوتهم وهي دعوة الإسلام نفسه، أحبت هذه الدعوة الربانية التي تبعث الإسلام من جديد، وتعيد بناء النفوس على الإسلام المعتدل النقي الرباني كما كان في صفوف الصحابة الذين رباهم الرسول عليه الصلاة والسلام...
ووجتها جماعة صادقة مع الله لا تزيد منصباً ولا جاهماً، إنما تريد تطبيق الشريعة الإسلامية ليعم الخير والرخاء في البلاد... وجذتها جماعة وطنية على أعلى درجة من الوطنية، تعشق وطنها، وهذا العشق من تعاليم الإسلام نفسه. ألم ينظر الرسول -عليه الصلاة والسلام- إلى مكة وقال: والله إنك أحب البلاد إلى الله وإلى ولو لا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت). أليس هذه هي الوطنية في أعلى صورها؟
حاولت وداد أن تسكته ولكنه استمر:

-وجنتها تربى الفرد المسلم على الإسلام الحق، وتنشأ الأسرة المسلمة، وتحاول أن تنشأ المجتمع المسلم والدولة المسلمة حتى تصل إلى أستاذية العالم... وجنتها ترید أن تطبق الشريعة بدرج طبقاً للظروف الاقتصادية والسياسية...

أخذ الغرباوي يتنهى ويتنفس بسرعة ويحاول أن يأخذ نفساً هادئاً فلا يستطيع... حاولت وداد مع المسعفين أن تسكته ثانية، ولكنه أصر أن تعرف حقائقه، فاستأنف بصعوبة:

-ووجدت أن لقاء الأسرة في الإخوان وسيلة وغاية؛ وسيلة لتربية الأفراد، وغاية في الوقت نفسه، فحتى لو أقيمت دولة الإسلام فلن يتوقف لقاء الأسرة أبداً لأن المحسن الذي يتربى فيه الكبار والأطفال والرجال والنساء على الإسلام... ولقاء الأسرة يا وداد، هو المحسن الذي ربى فيه الرسول صاحبته في مكة المكرمة...

أغمض الغرباوي عينيه. حمدت وداد ربه أنه سكت، ولكن بعد لحظات فتح عينيه وأكمل: -بعدما شرب قلبي وروحني بدعاوة الإخوان، أخبرت مرشد جماعة الإخوان ذاته بحقيقة عمله في أمن الدولة، فارتبا فيّ. قلت له: إنني مخلص للإخوان، ولكنني لا أدرى ماذا أفعل؟! هل أعمل كعميل مزدوج للإخوان وللدولة؟! قال: نعم، وأخبرهم عنا بأخبار غير ذات قيمة وصادقة في الوقت نفسه، وأخبرنا أنت بمخططاتهم... واشتغلت كعميل مزدوج، ولكنني لم أكن أبداً مستريحاً أبداً فقررت في آخر لقاء مع رئيسي في العمل أن أخبره بحقيقة انتقامي للإخوان المسلمين، وقدمت استقالتي، وقت له: لا داعي لئن ترسل أحداً غيري في شعبة شبرا لأنني ساعرفه وأسأله جماعة الإخوان عنه.

سكت الغرباوي قليلاً ليتذكر ثم قال:

-شك رئيسي في قواي العقلية، فعرضني على طبيب نفسي، فلما تأكدوا من سلامتي العقلية، عرضوني لتحقيق شديد وتعذيب أشد!... ولكن الله فرج كربي. وتركت عملي وأنا مستريح الضمير...

سكت الغرباوي قليلاً ثم غمم بصوت ضعيف:

-الذي قتلني يا وداد، كان ملثماً، وأظنه من الجماعات المتسلمة الإرهابية... قتله الله كما قتاني... قتله الله... قتله الله....

أغمض عينيه قليلاً ثم تتمم وهو مازال مغمضاً عينيه:

-بلدنا في حاجة إلى المخلصين الشرفاء أصحاب الأيدي المتوسطة... الحكومة تتبع البلد للأجانب الذين طردهم عبد الناصر! طبقنا الرأسمالية قبل الثورة ففشلنا، وطبقنا الاشتراكية بعد الثورة ففشلنا أكثر، والآن نتخبط ونتعرّض ونتناهون نضل باسم الرأسمالية وحرية السوق!!...

قالت وداد بضمير:

ما لنا وحديث السياسة الآن يا أحمد؟!

فرد:

دعيني أكمل أنا على وشك الموت.
فصرخت. لم يعبأ بصراخها إنما استمر:

كان عندنا أنس اشتراكيو الأفكار وبرجوازيو الجيوب... نهباً البلد وخرابها... لعنهم الله.
لعنهم الله. لعنهم الله...
أدخل الغرباوي غرفة العناية المركزية، فأشار الغرباوي على زوجته أن تدخل معه فمنعوها،
فأردف بصوت واهن:
-أرجوكم أنا لم أكمل حديثي لها. أنا على وشك الموت دعوها تدخل.
قالوا له:
-حديث السياسة سيدهور حالتك أكثر.
-أرجوكم. دعوا زوجتي تدخل.
فأدخلت، فقال بحماس:
-أشعر بقوة في جسمي يبدو أنها النشاط الذي يدب في البدن قبل أن تغادره الروح. فصرخت؛
فنهروها.

قال الغرباوي قبل أن يسكت صوته تماماً:
-الحقيقة الكبيرة الغامضة والمغلقة والتي تسأليني عنها كثيراً، و كنت أقول لك بأن بها أسراراً
تخص عملي، فهي في الحقيقة بها بذلة وزارة الداخلية الميري!...
تأمل الغرباوي في وجوه المسعفين والأطباء والطاقم الطبي كله وهتف بصوت ضعيف أوشك
على الاختفاء:
-الإخوان يعشقون تراب هذا الوطن. الدين الإسلامي لا يتعارض مع الوطنية أبداً، بل العكس،
العكس، الدين يدعو... الدين يدعو للـ... للوطنية...
ثم سكت قليلاً ليستنشق هواء، وبعدها مال برأسه ناحية وداد وقال:
-لقد أخلصت لربي... أخلصت لربي... وأخلصت لعملي... أخلصت لعملي حينما كنت مقتنتعاً
بدوري في التجسس على الإخوان لصالح البلد... وأخلصت لجماعة الإخوان... أخلصت
لإخوان حينما تشرب قلبي وروحى للإسلام ولنبي الإسلام ولدعوة الإسلام... ودعوة الإسلام
هي جماعة الإخوان المسلمين في عصرنا الحديث... حاولت أن أخلص بقدر الإمكاني...
أخلصت فيما رأيته يستحق الإخلاص... أخلصت بقدر الإمكاني... أخلصت... أخلصت... أخلصت
لربى...
ثم نظر بعينيه ناحية الطاقم الطبي وقال ببساطة ثقيل:
-البلد تحتاج إلى المخلصين الشرفاء...
ولم يكمل الكلمة، ثم ابتسم في هدوء، وشخص بصره إلى أعلى، وأسلم الروح...

-107-

بعد أيام من مقتل الغرباوي، جلس محمد الوكيل ينافس مع أفراد أسرته الإخوانية بيان الجماعة الإسلامية الذي وزعته بعد صلاة الجمعة في أغلب مساجد شبرا... قال الوكيل:

ما عهدا على الأخ المرحوم أحمد الغرباوي إلا كل خير. وإن هذا البيان كاذب والجماعة الإسلامية جبانة كاذبة...

قال أخ 1:

لقد فقدنا أخا عزيزا ربنا يرحمه ويدخله فسيح جناته ويجعله في منزلة الشهداء.

وقال أخ 2:

إن قتله بيد الجماعة الإسلامية لنذالة ...

جبن...

خسنة...

فعلق الوكيل بحنق:

ما أرادوا إلا الشوشرة على جماعتنا.

وأضاف:

وأرادوا أن يقولوا إننا هنا في شبرا.

قال أخ 3:

أكيد الجماعة الإسلامية بالشرايبة هي التي قتلتة. وللأسف لن يصل الأمن إلى الجاني!

قال الأخ حامد الزاهر بصيق:

الأمن سعيد بمقتل الغرباوي بيد الجماعة الإسلامية. فأكبر مناهم أن تتقاول الحركات الإسلامية حتى يأكل بعضها ببعض!

طلب الوكيل من الأخ حامد الزاهر أن يقرأ بيان الجماعة الإسلامية فقرأه وكان البيان يقول: "الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد: فإن الجماعة الإسلامية في حي شبرا مصر قامت بقتل المدعوا أحمد الغرباوي القيادي الكبير في جماعة الإخوان المسلمين! ولقد قتلناه قربة إلى الله وكذلك قتل كل الطواغيت ما هو إلا قربة نتقرب بها إلى الله عز وجل... ولم نقتله لهوى في أنفسنا والعياذ بالله ولكن قتلناه لأنه كان جاسوس على جماعة الإخوان المسلمين وعلى كل التيار الإسلامي. وقد اكتشف أحد أعضائنا أن الغرباوي ما هو إلا ضابطاً أمن دولة! وإن جماعة الإخوان المسلمين لا تستحق هذا العمل لأنها جماعة تركت الجهاد ورکنت إلى الدعة والراحة والسكن وموالاة الحاكم الطاغوت وهي جماعة مغفلة مخترقة من الأمن!"

قاطع الوكيل القراءة قائلاً بسخرية:

الجماعة الإسلامية من أكبر الجماعات المغفلة والمخترقة من الأمن!

استطرد حامد الزاهر:

-...ولكننا قمنا بهذا العمل العظيم ابتغاء مرضات الله ولن يكون قتله عبرة لكل الطغاة والجواصيس في الأرض! وهذا عقاب المساندون للطاغوت اما يوم القيمة فإن جراء الطاغوت وأعوانه أشد. قال تعالى: {إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار} صدق الله العظيم.
الجماعة الإسلامية في حي شبرا القاهرة
علق الأخ 3:

-البيان مكتوب بلغة ركيكة، وكان الذي كتبه لم يتعد تعليمه الصف الثالث الابتدائي!
فقال الوكيل بحزن:

لقد قتل المجرمون في عز عطائه لدعوة!
ثم بكى وأبكي الباقيين. قال أخي 1 باكيًا:
لقد فقدت الدعوة مجاهداً وداعية كبيراً ...
وقال حامد الزاهر:

يا أخوة، إن الموت في سبيل الله أسمى أمانينا. أليس هذا شعارانا؟
وبحسرة:

-كنا نتمنى أن يكون استشهاد الغرباوي بيد أعداء الله وليس بيد المنحرفين فكريًا عن الإسلام.
و قال أخي 2:

-أسهل شيء سياسة الاغتيالات التي تجدها الجماعات المنحرفة عن الإسلام، أما بناء النفوس فهو عمل شاق يهربون منه لأنهم لا يستطيعون الصبر عليه.
وقال الوكيل:

-إن هذه الجماعات التي تدعى الجهاد نفسها قصيرة جداً، ولنا المثل الواضح في جماعة "شباب محمد" والتي انشقت عن الإخوان في الأربعينات بحجة تغيير المنكر باليد، فأين هي الآن؟!
و قال أخي 1:

-إن الجهاد والجهاد الحركي والجماعة الإسلامية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسلفية الجهادية وكل هذه الجماعات المنحرفة عن الإسلام والتي ترفع راية الجهاد يتصرفون بالجهل التام بالإسلام!
قال حامد الزاهر:

-لا يا أخي شعبان. ليس الجهل بالإسلام فقط، ولكنها تبني فكراً سقيناً منحرفاً عن حقيقة الإسلام، كجماعة التكفير والهجرة وجماعة القطبين والتي يكفر أعضائها كل مسلم لا ينضم تحت لوائهم!...

و قال أخي 3:
وأيضاً كل جماعة من جماعات العنف تكفر كل من لا ينضم تحت لوائها بحجة أنها الجماعة المسلمة الحقة وسواء على ضلال، فالجماعة الإسلامية تتهم كل الجماعات الإسلامية الأخرى بأنها على ضلال ويجب على الكل العمل تحت راية الجماعة الإسلامية، وجماعة الجهاد

الحركي لما انشقت مذ عدة سنوات عن الجهاد الأم قُتل كثير من أعضائها وقادهم بيد جماعة
الجهاد الأم بحجة أنهم انشقوا عن جماعة المسلمين الحقة!...
-هذه الجماعات لم يقدموا إلا الاغتيالات والتغيرات والتفجيرات والتکفير باسم الإسلام.
-الإسلام منهم براء.
-لقد شوهوا الإسلام أما العالم كله...
قال الوكيل بهدوء:

-لقد أخبرتني زوجة المرحوم الغرباوي أول أمس عن حقيقة عمل الغرباوي في أمن الدولة
والتي أخبرها الغرباوي بها قبيل وفاته مباشرة، مع العلم، أن هذه الحقيقة لا يعلمها إلا المرشد
العام فقط وأنا كنقيب لأسرة الغرباوي.
انعقدت السنة الأخيرة من الدهشة وكان لسان حالهم: هل الجماعة الإسلامية على حق فيما رجفت
به؟!

-طبعاً، الحيرة قد أخذتكم الآن فيما أقول. ولكن الحقيقة يا أخوة، أن الغرباوي كان فعلاً من
ضباط أمن الدولة، وكان مسؤولاً عن ملف الإخوان. ولكنه لما تبحر في علوم الإسلام وعاش في
دعوة الإخوان وشرب من معينها الزلال؛ تحول بزاوية 180 درجة إلى جماعتنا، وخلع عبائة
أمن الدولة عن عاتقه. وكان في حيرة شديدة ماذا يفعل؟ فأخبر المرشد عن حقيقة أمره؛ فتعجب
المرشد وحزن، تعجب للتأثير الروحي الرهيب للإسلام على نفس الغرباوي، وحزن لاختراق
الأمن لجدار الجماعة الحصين!

ولما تأكد فضيلة المرشد من صدق الغرباوي، أخبره بأن يظل يخدع أمن الدولة بأخبار حقيقة
عن الإخوان لا قيمة لها، وفي الوقت نفسه يخبر جماعتنا بمخططات أمن الدولة ضدنا. ولما
ضاق المرحوم أحمد بهذا العمل المزدوج؛ أخبر رؤسائه في جهاز أمن الدولة بحقيقة انتمائه
للإخوان، وقدم استقالته قبل استشهاده بفترة بسيطة.

تساءل حامد الزاهر:

-ألا يجب علينا أن نوزع بياناً نوضح فيه حقيقة موقف الأخ الغرباوي وتبيّن كيف ترك عمله
كضابط في الداخلية ليكون في صفوف الإخوان المسلمين؟
فرد عليه الوكيل:

-لا داعي لذلك. فالغرباوي في رحاب الله الآن. وبيان الجماعة الإسلامية الركيك سوف يُنسى
بعد قليل. والغرباوي لا يعرفه إلا جيرانه.

-108-

كلف محمد الوكيل الأخ حامد الزاهر ليكون نقيباً لأسرة المرحوم الغرباوي. جلس الزاهر في أول لقاء مع أسرة الغرباوي ليتعرف على أفراد أسرته. وبعد تعريف كل فرد بنفسه، عرف الزاهر نفسه فقال:

-أخوكم في الله حامد محمود الزاهر، سبعة وخمسون سنة، أعمل مقدم صف ضابط بالقوات المسلحة، متزوج وعندني ثلاثة أبناء.

أخذت الدهشة الحاضرين فقد كانوا يعرفون الزاهر من قبل في التعارف بلقاء الكتائب، ولكن هذه أول مرة يخبر بعمله بالقوات المسلحة!...

تساءل علي عبد المنعم: "هل يوجد أخوة لنا في القوات المسلحة؟"
فتبسم الزاهر وأجاب: "كثيرون جداً".

وبمبتسمها: "ولو أردنا القيام بانقلاب لفعلناه!"

واستطرد: "والانقلاب ليس من تفكير الإخوان. وكفانا النيران التي احترقنا بها من انقلاب يوليو 1952".

قال إسماعيل عبد الفتاح: "ولكننا نسمع أنه إذا شُمت رائحة للإخوان حول أي فرد في القوات المسلحة فإنه يُطرد منها حتى لو كان مجندًا".

فرد الزاهر: "فعلاً، منْ يكون له علاقة بالإخوان ولو من بعيد فإن الجيش يطرده شر طردة، ولقد أنهى الجيش خدمة كثيراً من الإخوان الأساسيين والمجندين، لكن يوجد أخوة كثُر لا يعرف الجيش عنهم شيئاً".

قال صلاح الشيمي: "الإخوان ليسوا بعيدين عن الجيش، أليسوا هم الذين أسسوا تنظيم الضباط الأحرار الذي قام بثورة يوليو 1952؟!"
 فأجابه الزاهر:

بلـى يا دكتور صلاح. فـتنظيم الضـباط الأـحرار أـسسـه الإـخـوانـ عام 1939، وـكانـ الضـباطـ يـبـاعـونـ قـيـادـةـ الإـخـوانـ عـلـىـ المـصـفـ والمـسدـسـ. وـبعـدـ استـشـهـادـ حـسـنـ الـبـنـاـ وـانـفـراـطـ عـقـدـ الجـمـاعـةـ فـقـرـةـ طـوـيـلةـ؛ـ انـفـرـدـ عـبـدـ النـاصـرـ بـالـضـبـاطـ الـأـحرـارـ،ـ وـضمـ إـلـيـهـ عـنـاصـرـ وـطـنـيـةـ لـيـسـتـ مـنـ الإـخـوانـ،ـ وـحتـىـ الضـبـاطـ الشـيـوـعـيـونـ ضـمـ بـعـضـهـمـ...ـ

قال عماد الدسوقي: "ولكن الإخوان كان لهم دور كبير في نجاح ثورة يوليو 52".
وقال سعيد الزامل: "أنا قرأت في كتاب "الإخوان المسلمون وثورة يوليو" أن الإخوان كان لهم ضباط ضمن الضباط الأحرار أنفسهم".

فرد الزاهر: "ظل بعض الضباط الإخوان فعلاً ضمن تنظيم الضباط الأحرار. وكان التنظيم الخاص -الذي أهالوا عليه التراب بعد ذلك- له دور كبير في نجاح الانقلاب، فقد كان مسؤولاً عن حماية طريق القاهرة السويس والقاهرة الإمامية الصحاويين، وكان مسؤولاً أيضاً عن حماية البنوك والهيئات والمنشآت الهامة بالقاهرة".

فتساءل علي عبد المنعم: "ولم هذه الحماية؟"
-خوفا من هجوم الجيش الإنجليزي الرابض على صفاف قناة السويس على القاهرة لـإجهاض الانقلاب.

فتساءل إسماعيل: "وهل كان للجهاز الخاص القدرة على صد الجيش الإنجليزي؟"
فأجاب الزاهر بقوله: "على الأقل لا يكون الطريق أمامه ممهدا يا أخ إسماعيل".
وبصيغ:

-ولكن الضباط وخاصة ناصر انقلبوا على الإخوان وغدرروا بهم! وفي الحقيقة يا أخي، أن الحكم الملكي كان يتربّح وعلى وشك الهاوية، وكانت البلد على حافة الغليان، وجاء ضباط الانقلاب وسرقو الثورة الشعبية التي كانت على وشك الانفجار، والتي كان الإخوان على قمة هرمها...
وأثناء تناول طعام العشاء، سأله الزاهر سعيد عوض:
ما أخبار والدتك الآن؟

-الحمد لله على كل حال. ويبدو أن إقامتها بالمستشفى ستطول.
ثم سأله الدكتور عماد الدسوقي عن تشخيص حالتها بالضبط، فأجابه وقد كان يتمنى أن يسكت الزاهر عن هذا الموضوع حتى لا يُحرج الدكتور صلاح أكثر.
 وأشار إسماعيل عبد الفتاح على الزاهر أن يسكت لأن سعيد بدأ يتضايق وازداد صلاح اختناق، ثم أخبره في نهاية الجلسة بمفردهما. أن المرحوم الغرباوي كان يتحاشى أن يسأل الأخ سعيد عن حالة أمّه في وجود الدكتور صلاح.

ازدرد صلاح ريقه الذي جف فجأة... فصلاح موقن بأنه السبب في كل ما حدث لها. والآن لا يجد إلا الحب كله لابتهال...

وكان الحب كان زهرة منطوية على نفسها، فلما أجبر صلاح ناني على اقتراف الثمرة المحرمة في وقت غير مناسب بالمرة، وكانت هي تتبعي الحلال والزواجر منه، ضرب ضمير صلاح قلبه بسياطه؛ ففجر الماء الذي روى زهرة الحب المنطوية على نفسها وعلى أوراقها، ففتحت وتفتحت حتى صارت بستانًا يظلل قلبه ويمده بالري والنماء ويعانق الكون كلّه في فرح وسعادة وابتهاج... أو كان الحب كان بذرة كامنة في خبايا قلبه، فُرويَت بما لا يحسب له حساب؛ فنبتت، وصارت شجرة باسقة نفتحت وازدهرت وأينعت...

أنا لا أدرى سر حب الدكتور صلاح لابتهال؟ هل هو حب حقيقي؟ أم توهم الحب؟ أم أزمة منتصف العمر كما تقول زبيدة والدكتور أحمد إسماعيل وطبعا علماء النفس؟
وصلاح نفسه لا يدرى سبب هذا الحب؟

ازدرد صلاح ريقه أكثر حتى تابع نزوله في جوفه وهو يفكر في حب ناني:
ما سر هذا الحب يا رب؟ هل الذنب الذي اقترفته في الوقت الذي توب فيه ناني؟ أم عاطفة سطحية ساذجة نتيجة توبة ناني ورجوعها إلى شبراً مرة ثانية؟ أم ما هو إلا تعاطف مع ناني التائبة العائدة إلى الله؟ أم هو حب حقيقي كان كامناً فانبثق وخرج من كمونه متعرضاً متھيجاً

كالسيل الجارف المنهر لا يستطيع أحد أن يوقفه؟ لا أنا ولا زبيدة ولا الدنيا ومن فيها نستطيع أن نوقف هذا السيل الجارف الرهيب ...

ولكن الحب يا ربى لم يتعد في الماضي إلا لقاء جنسيا في الحرام، فكيف يكون حباً حقيقياً الآن؟ أنا في حيرة لا أدرى ما تفعل بي الأقدار... وأين حبي لبهيجة؟

هل أزاحه حب ابتهال من قلبي؟ أم البعيد عن العين بعيد عن القلب؟ والقريب من العين قريب من القلب؟

أم أن قلبي أضحي متسعًا للجميع: زبيدة، وبهيجة، وابتهال...؟! ها ها... ولكن ابتهال الآن هي التي طغت على الجميع، هي التي أخذت قلبي من جوانحه، هي التي فازت بالسباق لأنها هي التي تحبني بصدق...

بصدق؟! هي فقط؟! لا. بهيجة كانت تحبني بصدق أيضًا. وجئت بسبب هذا الحب أو بسببي وبسبب رعونة وغباء زبيدة! وهي الآن محبوسة في مستشفى الأمراض العقلية كلما تحسنت حالتها انتكست. والله أعلم بموعده شفائها أو خروجها من هذه المستشفى إن خرجت. أنا السبب. لا، زبيدة هي السبب. لو وافقت على زواجنا ما حدث ما حدث. هي السبب. أنايتها السبب. غبائها السبب... مسكينة يا بهيجة. إله الله يا بهيجة...

أفاق صلاح الشيمي على حامد الراهن وهو يقول للدكتور عماد الدسوقي:
من الوفاء للمرحوم الغرباوي أن تتزوج ابنته عاشرة التي أنهت دراستها الجامعية.
قال علي:

- هي إنسانة مؤدية ومحترمة.

وقال إسماعيل:

- ويكتفي أنها ابنة المرحوم بإذن الله - الغرباوي
تبسم الراهن بحب:

- واطمئن يا أخي عماد، فالجماعة ستساعدك.

تبسم عماد وهز رأسه موافقاً، فتبسم الأخوة وقاموا يقبلونه ويهنؤه...

و قبل أن ينصرفوا، قال الراهن:

- استعدوا يا أخوة للمعسكر الصيفي فقد ترشحتم جميعاً له وستُخبرون ليلة السفر بجهة السفر
ومكان المعسكر بالضبط إن شاء الله...

-109-

تأخر الدكتور حكيم نخلة عن الحضور المبكر كعادته منذ سنين طويلة بسبب الاستعداد للسفر للعمل بالسعودية. ولما وصل إلى حجرة الأطباء، هنأ الدكتور أحمد إسماعيل على عقد العمل بحب وابتهاج...
فرد حكيم:

-سألت عن مستوي صفات الشيخ نايف الحارثي فوجئتها جيدة، والمرتبات لا تتأخر عن موعدها وهذا أهم شيء.

-كل الذين سيسافرون لمستوي صفات ومستشفيات الشيخ نايف حظهم من السماء لأن فرص العمل في هذه الأيام شحيحة بسبب اغتصاب ابن المدرس!
قال الدكتور صلاح الشيمي:

فعلا، التأشيرات صعبة هذه الأيام يا دكتور أحمد، بسبب هذا الحادث الأليم.
ثم تساءل:

-إلى أين العزم يا دكتور حكيم؟
-إلى جدة إن شاء الله.

قال صلاح:

جدة مدينة جميلة وستحس أنك تعيش في مصر بسبب كثرة المصريين هناك.
وقال الدكتور أحمد:

-أنا قلت من زمان سافر يا حكيم. سافر يا حكيم وجرب حظك مثل كل الزملاء الذين يسافرون.
ثم ابتسم وهو يرد:

-ولكنك كنت مصلباً لرأيك!
فضحك حكيم وقال

دماغي كانت ناشفة يا أحمد لأنني صعيدي، وكنت أعتبر العمل في دول الخليج عبودية وذل.
وبصراحة مازالت أعتبرها كذلك. صدقني يا دكتور أحمد، لو لا أن ابنتي مريم مخطوبة وتحتاج أن تجهز لها لما سافرت. ودخل العيادة لا يتعدى 2000 جنيه في الشهر بالكثير.
قال أحمد:

يعني مصاريف الشهر.

-ناهيك عن إيجار العيادة ومصروفاتها ورسوم الضرائب الفظيعة...
سوف تستطيع أن تجهز مريم وستشتري شقة تملكها عادل ابنك ليتزوج فيها وستجد فرقاً شاسعاً في مجرى حياتك كلها إن شاء الله.

تساءل صلاح الشيمي:

-أنا أعلم أن عادل خاطب منذ أكثر من ثلاثة سنوات، ألم يتزوج بعد؟
تيسم حكيم ابتسامة فاترة ثم رد:

-عادل خاطب منذ ما يزيد عن أربع سنوات ولم يستطع أن يجهز شقة للزواج مع أنه محاسب في شركة مقاولات كبيرة.

وساخراً:

-ومرتبه للأسف يتاخر كمصاريف شهرية.

وبامتعاض:

-والعجب أنه يدخن! يعني هي ناقصة...
قال الدكتور مجدي النحال بصيغ:

-آخر واحد يأتي على بالي يفكر في السفر يكون الدكتور حكيم نخلة.
ثم وهو يزرم شفتيه بامتعاض شديد:
ولكن للأسف ضاعت القيم والمبادئ في هذا العصر المادي.
فرد عليه أحمد إسماعيل منفلا:

-كل الأطباء يسافرون للعمل وتحسين حياتهم المادية. وأنت نفسك يا نحال، ألم تجرب حظك المتعثر وسافرت؟
فأجابه النحال:

كان المفروض بعد تجربتي المريرة ألا يسافر أحد يحترم نفسه ويدعى احترام القيم والمبادئ.
قال أحمد بانفعال:

-لا تنظر دائمًا إلى الجزء الفارغ من الإناء. وتوجد تجارب ناجحة فلا داعي لئن تثبط غيرك.
تساءل النحال:

-ولماذا لا يسافر ابنك عادل يا حكيم؟ أليس هو المناسب للسفر؟
تبسم حكيم ورد:

-عادل لو أعطوه مال قارون فلن يسافر. فهو لا يستطيع أن يترك حصن أمه للأسف.
قال أحمد مبتهاجا:

-الدكتور حكيم أحضر لكم جاتوه بمناسبة سفره للسعودية.
قال أكثر من طبيب:

-ما أحلى الجاتوه. لقد فقدناه منذ زمن بعيد.
دخل عم محمود وأم حنفي بعلب الجاتوه وزجاجات مشروبات غازية.
أو ما الدكتور فوزي نجيب ناحية حكيم قائلًا:

-ولكن الذين في عمرك يستقرون هنا يا دكتور حكيم. فكيف تساور الأن؟!
-الظروف اللعينة هي التي أجبرتني على السفر للأسف.
فرد أحمد وهو يفترس عيني فوزي:
أنا وجدت في الكويت منْ هو أكبر منك في العمر يا حكيم.
ثم قال لحكيم:

-القطاع الحكومي فقط هو الذي ينهي خدمة من وصل لسن الستين، أما القطاع الخاص فهو لا يشترط سنا معينا وأمامك الكثير حتى سن الستين وبعده إن شاء الله.

ثم ضحك وهو يواصل:

-أهم شيء في المستوصفات الخاصة هو حلب جيب المريض حتى آخر هلة¹⁰⁰!... وأنا أنصحك يا حكيم قبل السفر بـألا تبيع ضميرك.

-ربنا يستر. وأنا بصرامة أخشى أن تفرمني فرامة العمل الرهيبة وأضطر إلى أن أبيع ضميري!

قال أحمد:

-إن شاء الله ستكون نموذجا طيبا وحكاما للأطباء المصريين بالخارج.
قال صلاح الشيمي مبتسمًا:

-الدكتورة نجية عبد الستار ستسافر أيضا لأحد مستوصفات الشيخ نايف في الطائف. فهل هذا صحيح؟

فرد عليه أكثر من طبيب:

صحيح. صحيح...

قال الشيمي ضاحكاً:

-أكيد سينبسط نايف منها أيما انبساط...
وقال عماد الدسوقي:

طبعا، ستكون هي الطبيبة المثالية وسط الأطباء العاملين هناك!

وقال الدكتور أحمد ضاحكاً:

-هي أصلا تحلب جيوب المرضى الغلابة هنا، فما بالنا هناك؟!

دخلت نجية عبد الستار وعبد الوهاب محمود وسميرة سعيد. تسائلت نجية:

لماذا تتكلمون علي؟ صوتكم واضح إلى في حجرة التوقيع.

فرد عليها حكيم:

مبروك عقد العمل يا دكتورة نجية.

-الله يبارك فيك يا دكتور حكيم، ومبروك عليك أيضا.

ثم توجهت إلى كل الأطباء وسألتهم بصوت قوي:

لماذا تتكلمون علي؟

فأجابها أحمد إسماعيل:

-كنا نغتابك ونقول بأنك سوف تعصررين جيوب المرضى في السعودية.

فمطت شفتيها وردت بابتسمة ساخرة:

-كلكم تفعلون ذلك هنا قبل هناك.

¹⁰⁰ الريال السعودي يساوي 100 هلة

قال صلاح وهو يشير بيديه:
- لا تقولي لكم.
و عماد:
- البعض فقط.

دخل سامي حليم، فسأله الدكتور أحمد:

- لماذا لا تسافر يا سامي مع الدكتور حكيم وأنت شاب والسفر مناسب جدا في عمرك؟
- أنا لا أستطيع أن أخرج خارج الحوض المرصود.

ضحك أحمد وقال:
طبعا، فأنت كالسمك الذي يفطس إذا ترك ماء الحوض!
وساخرا:

- ولكنك كالسمك الذي فسد مبكرا!!...

تورد وجه سامي. فتساءل من خلال ضيق نفسه:
- ولماذا هذا التشبيه يا دكتور أحمد؟

فرد أحمد:

- أنت تعرف السبب.
ثم توجه برأسه ناحية الأطباء قائلا:

- والكل يعرف السبب.

ثم فسر:

- ويکفي عکوفک طوال اليوم في مكتب المدیر. غير الهدایا والعطایا في كل المناسبات والأعیاد
القومیة وغير القومیة حتى في المباریات الهامة التي یفوز فيها الأهلی!...

غرق سامي في ضيقه... قال بضيق وهو یشير إلى الأطباء:
كل الزملاء یفعلون ذلك.

قال حكيم نخلة بصرامة:
- لا تعمم. بل قل كل الانتهازيين.

وقال صلاح الشيمي:

- وبصراحة كل الذين لا يريدون الانتداب یفعلون ذلك.
وقالت ابتسام عوض الله:

- الدكتور سليم غلطان في قبوله للهدایا.

وقالت سميرة سعيد:
- هذه الهدایا فسدت جيلا من أطباء المستشفى...

وقال حكيم:
- بل فسدت أجيالا يا دكتورة سميرة!...

وقالت عليه:

-الله يرحم عصر الدكتور أنس فلم يكن هذا الفساد موجوداً في أيام إدارته للمستشفى.
قال لها سامي:

وأنت يا دكتورة عليه، هل انتدبت ولو مرة واحدة؟!
وبخث:

يعني لابد أن تكوني تدفعين المعلوم!
فردت عليه غاضبة:
لا يا سامي. أنا لا أدفع أي معلوم. والكل يعرف ذلك.
قال أحمد إسماعيل:

الدكتورة عليه عندها واسطة قوية في المديرية تحميها من الانتدابات.
قال مجدي النحال بلهؤم:

أكيد الواسطة القوية يأتيها معلوم شهري.
فاحتذت عليه:

لا يا نحال. فوكيل أول الوزارة قريري.
قال عبد الوهاب محمود ليطاف من الغضب المستشار:

يا جماعة، يوجد أطباء في المستشفى يفضلون الانتداب بل ويمدون فترة الانتداب مرات كثيرة.
وقال صلاح الشيمي:

هؤلاء الأطباء يرحبون بالانتداب وإن لم يسعوا إليه أصلاً لأنهم يعملون ثلاثة أيام في الأسبوع،
فالانتداب بالنسبة لهم راحة من العمل.

وقال عماد الدسوقي:
هم لا يهتمون بمستواهم العلمي الذي يقل بالبعد عن التعامل مع الحالات الهامة هنا.

فاحتذ فوزي نجيب:
وأنت مالك يا عماد بحكاية الانتداب وأنت لم تُنتدِب ولا مرة.

فرد عماد:

الأطباء المقيمون لا يُنتدبون أصلًا.

مرت فترة من الصمت لم يقطعها إلا صوت رشف القهوة والشاي والمشروبات الغازية وقول
ابتسام عوض الله:

لو أغلق المدير والمسؤولون في المديرية والوزارة باب الرشوة والهدايا والعطایا، لصلاح كل شيء ولما فسدت نفوس الأطباء.

ثم هتفت بثوريتها المعهودة:
فالسمكة تفسد من رأسها كما قال المسيح!

قال صلاح الشيمي:
الفساد هو من بركات العولمة التي يبشروننا بها في هذه الأيام...

قال فوزي نجيب:

-العلمة قادمة قادمة يا شيمي. والفساد ينبع من داخل أنفسنا المريضة ولا علاقة له بالعلمة.

فرد عليه الشيمي:

-لا يا دكتور فوزي. فالعلمة وما يصاحبها من الثقافة الأمريكية الاستهلاكية الشرهة تتعانق مع الفساد والرشوة والمحسوبيه والانتهازية...!

قال أحمد إسماعيل ضاحكا:

-بدأت المعركة الحامية الوطيس بين اليمين الإسلامي واليمين الرأسمالي!

ورد عليه حكيم:

-يوجد عندنا تيارات مختلفة في المستشفى في هذه الأيام.

ثم وهو يهز رأسه:

-فهذا شيء صحي وأفضل من لا شيء.

تحمس فوزي نجيب فقال بصوته الأجش الخشن:

- أصحاب الحزب الشيوعي السوفيتى كانوا أكثر الناس فسادا وأتموا الشركات والأموال ووضعوا الجزء الأكبر في جيوبهم!...

وقال مجدي النحال:

-وأصحاب لجنة الإقطاع في ثورة يوليو 52 فعلوا الشيء نفسه!...

قالت ابتسام عوض الله بحده:

-الحزب الشيوعي السوفيتى أسس دولة عظمى.

ضحك فوزي نجيب ضحكة واسعة ثم تساءل ساخرا:

-وأين هي الآن؟!

فردت ابتسام:

-جورباتشوف هو السبب لأنه عميل للCIA!

وبحقن:

-كان من المستحيل أن ينهار الإتحاد السوفيتي بهذه السرعة لو لا خيانة جورباتشوف.

قالت سميرة سعيد:

-كان الإتحاد السوفيتي في سبيله للانهيار سواء خان جورباتشوف أم لا!

وقال عماد الدسوقي:

يكفي أنها كانت دولة ضد فطرة الدين والتملك.

فرد فوزي بيقين:

-يا جماعة. يا جماعة... خلاص. التاريخ انتهى وانتصرت الرأسمالية والديمقراطية الغربية.

ثم هتف بحماس بالغ:

-فوكياما أعلنها صراحة. فقد انتصرت الرأسمالية إلى الأبد...

قالت ابتسام عوض الله بحماس فوزي البالغ:

-التاريخ لم ينته يا دكتور فوزي. وما رأيك في الحزب الشيوعي الصيني الذي أسس دولة عظمى نموها الاقتصادي يأتي بعد أمريكا واليابان بالإضافة إلى أن القرن المقبل هو قرن الصين نفسها.

فرد عليها فوزي:

يبدو أنك شيوعية قديمة حتى النخاع ولم تغيري جلدك بعد...

ثم قال وهو يهز كفيه:

روسيا منبع الشيوعية غيرت جلدها...

فضحك أحمد إسماعيل وحكيم.

قال أحمد:

يا فوزي، الأطباء وحتى أنت- في أيامنا هذه حزبهم الرئيسي الحقيقي هو السعي والكد على لقمة العيش.

ثم تساءل:

-أليس كذلك؟

لم يجده فوزي، فقال صلاح الشيمي:

-المستقبل للإسلام ولنظريته الاقتصادية الشاملة.

فقطعه فوزي:

قلت لك من قبل إن الإسلام ليس له نظرية اقتصادية. ولا يوجد ما يُسمى بالاقتصاد الديني. والاقتصاد أيام دولة الخلافة الراشدة وغير الراشدة كان اقتصاداً طبيعياً يعني بيع وشراء وهو الاقتصاد الذي كان موجوداً منذ آلاف السنين.

فتحمس عماد:

-القرآن الكريم وضع القوانين والأسس التي يُطبق عليها الاقتصاد. فأين أنت يا دكتور فوزي من قوله تعالى الذي يمنع تكسير المال عند فئة قليلة تمنعه من التداول وتمنع أن يعم خيره للجميع: {كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} ¹⁰¹؟ وأين أنت من قوله تعالى الذي يتوعد المكنزين للذهب والفضة: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الْدَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} ¹⁰²؟ وأين أنت من قوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الْوَرْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُحْسِرُوا الْمِيزَانَ} ¹⁰³؟ أليس هذا ميزاناً للاقتصاد بوجه عام؟

وأين أنت من قوله تعالى {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} ¹⁰⁴ أي كفلكم بتعميرها...

¹⁰¹ جزء من الآية 7 من سورة الحشر

¹⁰² جزء من الآية 34 من سورة التوبة

¹⁰³ الآية 9 من سورة الرحمن

¹⁰⁴ جزء من الآية 61 من سورة هود

وأين أنت من قوله تعالى الذي يدعوا إلى الحجر على السفيه حتى لا يبده المال {وَلَا تُؤْثِرُوا السُّعَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً}؟¹⁰⁵

أليس هذه الآيات تعطي لنا أطرا وأسساؤسس عليها الاقتصاد؟
احمر وجه الدكتور فوزي القمي فقال:

يا عماد، أنا مسلم وموحد بالله والحمد لله. وأنا أؤمن بهذه الآيات. أم أنت يا عشر الإخوان المسلمين لا تحسبون المسلم إلا (الإخواني) فقط!
فرد صلاح:

-لا، يا دكتور فوزي. عماد لا يقصد أنك لا تؤمن بهذه الآيات. والإخوان لا يدعون أبداً أنهم هم فقط المسلمين.

فرزق أحمد إسماعيل:

-اسم جماعتكم يشير إلى ذلك!
رد الشيمي بهدوء:

-لا يا دكتور أحمد. والشبان المسلمون؟ هل ادعوا أنهم فقط المسلمين؟ وهي جماعة رسمية غير محظورة. والشبان المسيحيون؟ هل ادعوا أنهم فقط المسيحيون؟
ثم قال وهو يشع ابتسامة في الحاضرين:

دعونا من التسمية. ولنتأمل هذه الآيات فسنجد أنها تضع منهاجاً للاقتصاد الإسلامي، فهي تدعو إلى عدم تكدس المال في يد فئة قليلة وتمنع تداوله في المجتمع، وهي تدعو إلى عدم كنز المال - يا دكتورة ابتسام - وتوزيعه بالعدالة في المجتمع، والرسول - عليه الصلاة والسلام - يقول في هذا المعنى: ((ليس بالمؤمن من يبيت شبعاناً وجاره جائع وهو يعلم))، والقى له حق معلوم في مال الغني ويقول الرسول - عليه السلام - في ذلك: ((منْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ - أي دابة للركوب أو سيارة في عصرنا الحديث - فليعطيه لمنْ لَا ظَهَرَ لَهُ وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلٌ زَادَ فَلْيَعْطِهِ لَمَنْ لَا زَادَ لَهُ)). والغني حين يعطي ويعلم أنه سينال جزاءه من الله، فإنه يعطي بحب وليس بكرابية كما تفعل الاشتراكية التي تبث الحقد بين طبقات المجتمع...! والاشتراكية - بوجه عام - حاربت الأغنياء ولكنها لم تحارب الفقر. والله سبحانه وتعالى - لم يترك الزكاة لضمير الفرد، إنما جعلها الفرض الثاني في الإسلام بعد الصلاة... وسيدنا أبو بكر الصديق حارب المرتدين عن دفع الزكاة...

والشريعة الإسلامية تعتبر الحاكم آثماً إذا لم يوفر حد الكفاية لكل فرد في المجتمع...
أما الفساد في الأرض وخاصة ترف الأغنياء، فقد حاربه القرآن الكريم. قال تعالى: {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْفُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَيْقَةً يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعُوا الدِّينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَثُرُوا مُجْرِمِينَ}.¹⁰⁶

¹⁰⁵ جزء من الآية 5 من سورة النساء

¹⁰⁶ الآية 116 من سورة هود

قال فوزي:

-كل ما تقوله آيات قرآنية كريمة. فأين لب الاقتصاد الإسلامي نفسه؟

فأجابه صلاح:

يا دكتور فوزي، ما هي عناصر الإنتاج في الاقتصاد الرأسمالي؟

لم يرد فوزي، فقال صلاح:

-أنا مذاكر جيدا. عناصر الإنتاج في الاقتصاد الرأسمالي أربعة هي: رأس المال وعائده الفائدة، والعمل وعائده الأجر، والطبيعة وعائدها الريع، والمنظم وعائده الربح. وتتعدد قيمة عناصر الإنتاج بحسب سعر السوق الذي يتحدد بحسب العرض والطلب. أليس كذلك يا فوزي؟

ثم اتجه برأسه ناحية ابتسام وقال:

-وأنت يا دكتورة ابتسام، أليست عناصر الاقتصاد الاشتراكي تتلخص كلها في العمل، وعائده الأجر أو الراتب الذي تحده سلطة الدولة القابضة على عناصر الاقتصاد كلها وخطط التنمية؟

فأتفقته بإيماءة رأسها، فواصل بحماس بالغ:

-أما في الاقتصاد الإسلامي فعناصر الإنتاج اثنان هما العمل ورأس المال، وذلك استنادا إلى عقد المضاربة. ويتم توزيع العائد وهو حصيلة الإنتاج بين العمل ورأس المال، حيث يقدم صاحب المال ويسمى المعارض رأس المال، بينما يقدم الشريك الآخر وهو رب العمل أي المضارب عمله وقد سُمي كذلك لأنّه يضرب في الأرض ويسعى فيها لتنمية الثروة، ويوزع العائد بينهما بنسبة معينة يتفقان عليها بدون أي شبهة ربا أو ظلم أو جشع الرأسمالية البغيض... ثم تساءل:

-وهل البشرية تحتاج من الاقتصاد أكثر من ذلك؟

ثم أكمل بحماس:

-ويكفي يا جماعة، أن الاقتصاد الإسلامي توجد به خاصية ليست في أي اقتصاد آخر ألا وهي تقوى الله أو مراعاة الله في كل صغيرة وكبيرة فيه.

فتتساءل أحمد إسماعيل:

-أين ربك يا فوزي على الشيمي؟ هل أفحرك اليوم؟

فأجابه فوزي:

-أنا غير مقتنع بأن الإسلام قدم اقتصادا في الأربعة عشر قرنا الماضية.

فاستطرد صلاح:

-دولة الخلافة الإسلامية كانت مزدهرة اقتصاديا طوال حياتها ماعدا العقود الأخيرة من الخلافة العثمانية والتي كانت الخلافة فيها تختضر. ويكفي أن مقاصد أو أهداف الشريعة الإسلامية هي المحافظة على الدين والعقل والنفس والمال والنسل، وهذه الأمور لا يحافظ عليها أي اقتصاد أو

شريعة غير سماوية...

تحمس عماد الدسوقي:

-التاريخ انتهى بالنسبة للاشتراكية لأنها ضد فطرة التملك. والصين يا دكتورة ابتسام- فتحت بلادها للشركات عابرة القارات وسهلت الاستثمار بل وخلعت كثيرة من ردائها الاشتراكي منذ عام 1978 ! والشيوعية ضد الدين. والدين هو السياج الواقي من انهيار وتدمير النفس البشرية، ولم يكن الدين يوما أفيونا للشعوب. والرأسمالية في طريقها للانهيار لأنها جشعة وانتهازية وتطعن الشعوب تحت تروسها الرهيبة ولها أزمات وعواصف اقتصادية مدمرة كما حدثت في الثلاثينات ...

ردت ابتسام:

-اعتب يا دكتور عماد، أن الصين تطورا مهما للاشتراكية.

وقال فوزي:

-الصين لم تنجح اقتصاديا إلا لما تخلت كثيرا عن الاشتراكية بعد وفاة ماوتسى تونج.

قال مجدي النحال وهو يوما برأسه ناحية فوزي:

-يعني تعجبك قوي الرأسمالية يا دكتور فوزي؟ ألا تعلم أن ميزانية الشركات عابرة للفارات أكبر بكثير من ميزانية عدة دول!

وقالت عليه:

-وكل رأسملتها الرهيب يوضع في حساب أفراد قلائل يملكون هذه الشركات.

ثم ساخرة:

-لو ظل أصحاب هذه الشركات يأكلون أموالهم كطعام آلاف السنين ما تخلصوا منها أبدا!...

فهتفت نجية:

-هذه الشركات واقتصادها الرأسمالي هي محصلة نهاية التاريخ...

وقال فوزي:

يا جماعة، لا ننس أن هذه الشركات الجبارة تساهم في البحث العلمي بدرجة كبيرة. ويكتفي أن الرأسمالية منذ نشأتها تهتم بالتطور العلمي وأنشأت الحضارة الغربية العظيمة غير المسبوقة في

التاريخ البشري كله ...

وهتف سامي حليم بسرعة:

-والبقاء للأصلح...

فقال أحمد إسماعيل ضاحكا بسخرية:

-أنا لا أدرى السر الدفين بين الرأسمالية والفساد والانتهازية؟!

ثم وهو يشير بيده ناحية فوزي ونجية وسامي:

-ويكتفي أن المدافعين عنها يعملون في العيادات الاقتصادية ويمضون جيوب المرضى!...

فضحوكوا...

قالت سميرة سعيد:

يا جماعة، العبرة بالتطبيق وليس بالنظرية نفسها. فلو أنزل الله وحيا فيه قانون اقتصادي واضح المعالم والدلالة، وقام على تطبيقه أنس فاسدو الضمير، لفشل قانون الله الاقتصادي فشلا ذريعا...¹⁰⁷

فصفق عبد الوهاب محمود وقال:
-(عفارم) عليك يا دكتورة سميرة.
قالت عليه:

-الاقتصاد الإسلامي واضح المعالم والدلالة يا سميرة.
فلم ترد سميرة عليها، فهتف فوزي:
-الرأسمالية هي الحل...
وفسر:

-الطب نفسه لكي نمارسه بنجاح يحتاج لميزانية جبارة سواء لفحص المرضى أو لعلاجهم، وهذه الميزانية هي التي توفرها الرأسمالية. أما مرهم أكسيد زنك أم حنفي فليس بعلاج، ويكتفى إلى ¹⁰⁷bad hygiene المترع في الطست الذي تحضره فيه!

فقال الحال:

-أكسيد الزنك بنسب عالية قاتل للبكتيريا.
قال فوزي:

-توجد بعض شركات الأدوية التي تحضر ¹⁰⁸zinc oxide في عبوة معقمة، أما أم حنفي فلا أظن أنها تغسل يديها قبل تحضيره!
ثم أردف ساخرا:

-ولأعلم السر في جمعها العمل في تحضير بعض المستحضرات الطبية وعملها في المطبخ؟!
فتبسم عبد الوهاب محمود وقال:

-هي تعتبره كله طبخ!
فضجت الحجرة عاصفة من الضحك...
قال الدكتور أحمد إسماعيل كعادته في نهاية حوار الصباح:
-هيا بنا للعيادات، فالساعة عد التاسعة.

¹⁰⁷سوء النظافة
¹⁰⁸أكسيد الزنك

-110-

تجمع الإخوان من حجراتهم الأربع في الصالة الفسيحة ومن الدورين السفليين وجلسوا في نصف دائرة على سجادة الصالة. وقف الأخ المسؤول عن تنظيم المعسكر في نصفدائرة الفارغ يشرح برنامج المعسكر:

-أيها الإخوان، مرحبا بكم في المعسكر الصيفي. إن هذا المعسكر يجمع الإخوان على مستوى الجمهورية فأرجو الانضباط التام وإظهار آثار التربية التي زرعوها فيكم الأخوة النقباء على مدار السنة. وربما يجول بنفوس البعض اختيار هذه البناءة بجوار صحب سوق المدينة وملاهيها، فاقول لهم إن اختيار هذا المكان الصالح مقصود في ذاته حتى نبعد عنا أعين الأمان.

ثم تبسم وهو يشير بيده إلى الخارج، وقال:

-للعلم، فإن الأخ الذي يدير جهاز الكاسبيت بصوت عال جدا على أغاني عمرو دياب الصالحة في محل العطور وأدوات الزينة الذي أمامنا مباشرة هو من إخواننا..

نظر الأخ في ورقة بيده وقال:

-البرنامج اليومي يبدأ من الاستيقاظ قبل آذان الفجر بساعة ونصف لصلاة التهجد. ثم صلاة الفجر، وأرجو أن يكون التأمين بصوت ضعيف نسبيا كما هو معلوم لديكم. وبعد صلاة الفجر، نجلس في أماكننا لتلاؤه أذكار الصباح من الوظيفة الكبرى¹⁰⁹، ثم تمرينات الصباح الرياضية من السابعة صباحا حتى السابعة والنصف، ثم تناول طعام الإفطار في الثامنة إلا ربع، ثم الذهاب للبحر حتى الساعة التاسعة. ومن التاسعة والنصف يبدأ برنامج المحاضرات الصباحي حتى آذان الظهر، ثم صلاة الظهر والعصر قصرا وجمعا، ثم نوم القيلولة حتى الثالثة والنصف. ومن الرابعة بعد الظهر، يبدأ برنامج المحاضرات المسائية حتى صلاة المغرب والعشاء جمعا وقصرا، ثم جولة في المدينة لمدة ساعة فرادى أو بالكثير كل اثنين معا، ثم تناول طعام العشاء في الثامنة مساءا، ثم خاطرة يقدمها أحد الإخوة، ثم توزيع الحراسة والمهام لليوم التالي، ثم النوم في التاسعة مساءا، والاستيقاظ في الثانية والنصف صباحا لصلاة الليل.

تبسم الأخ المسؤول وقال:

طبعا، لا توجد وجبة الغذاء.

ثم نظر في الورقة مرة ثانية وواصل:

-أيها الإخوان... إن هذا المعسكر شاق، فالطعام مرتان كل 12 ساعة تقريبا، ويمكن أن ينادي عليكم أثناء الطعام للتوقف فأرجو الالتزام التام وأروا الله -عز وجل- في هذا المعسكر كل عزيمة وتقوى...

تأمل الأخ وجوه الأخوة وأشع فيهم ابتسامة عريضة ثم قال:

ولنبدأ الآن في التعارف...

وفي أول محاضرة، عرف المحاضر نفسه وتعرف على الإخوان ثم قال:

¹⁰⁹ أذكار الصباح والمساء في كتاب المؤثرات لحسن البنا. والوظيفة الصغرى أذكارها أقل وتؤدى بسرعة من أذكار الوظيفة الكبرى.

-الحمد لله والصلة والسلام على رسول الله، ثم أما بعد... أيها الإخوان. لقد زاد النقد لجماعتنا في الآونة الأخيرة... وللأسف نجد البعض منْ تقاус عنَّ الجهاد وترك جماعتنا، لا يتفرغ إلا لقد وسب جماعتنا على صفحات الجرائد! يا أخوة، هل نسينا الأصول العشرين؟! أليست هي الأصول التي بنا الأستاذ البنا -عليه رحمة الله ورضوانه- أساس بناء جماعة الإخوان المسلمين؟ هل حادت جماعة الإخوان في أي وقت عن هذه الأصول العشرين حتى تتعرض للنقد المريض لمنْ هب ودب؟! حتى الجماعات المنسوبة للسلف زوراً تفتى بحرمة دخول مجلس الشعب ولا تكتفي بذلك بل تفتى بضلالة في هذا الأمر وتتهمنا بالشرك بالله والعياذ بالله!...
تسم المحاضر ثم استأنف:

-حتى مجلس الشعب حرموه! ألا يكفي تحريمهم للخيار وكل ما يشبه العضو الذكري؟! مجلس الشعب حرام!! وهل دخلنا -أيها الإخوان- مجلس الشعب إلا للمطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية؟ وسندخل انتخابات مجلس الشعب في نوفمبر القادم إن شاء الله ولن نحيد عن طريقنا قيد أنملة. وستسير القافلة مهما عوت الذئاب ونبحت الكلاب...

-أيها الإخوان... إن الأصول العشرين هي النبراس الذي نسير في ضوئه وهديه... وأول أصل يتناول شمولية الإسلام كما تذكرون، وهذا الأصل يقول: "إن الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة كلها؛ فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو حُلُقٌ وقوه أو رحمة وعدالة، وهو مادة أو كسب أو غنى، والإسلام -أيها الأخوة- ثقافة وقانون أو علم وقضاء، والإسلام جهاد ودعوة أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء..." فهل تخلينا عن المناداة والعمل على تطبيق الإسلام الشامل؟

والأصل الثاني يقول: إن القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الإسلام، ويُفهم القرآن طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف، ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات. فهل جماعة الإخوان المسلمين حادت عن القرآن الكريم والسنة المطهرة أيها الإخوان؟!

أما الأصل الثالث فيقول: إن للإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلوة يقذفهم الله في قلب منْ يشاء من عباده، ولكن الإلهام والخواطر والكشف والرؤى ليست من أدلة الأحكام الشرعية، ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه.

تسم المحاضر ونظر إلى الحاضرين وقال:

يوجد بين إخوانكم منْ يقول إنه استقى أحكاماً للدين من العواصف!!...
فانفجرت الصالوة ضحكاً، وفي الوقت ذاته اشتعل وجه علي عبد المنعم سخونة...

استأنف المحاضر:

-فهل نأخذ أحكام الدين من العواصف أو من الأحلام والرؤى؟! وهل يجوز أن نأخذ من غير القرآن الكريم والسنة المطهرة أحكاماً للدين؟! أو حتى للحكم على جماعتنا؟! فالأصل الثالث مهم جداً حتى لا نضل ولا نحيد عن الشريعة الإسلامية وأحكامها.

استمر المحاضر في شرح الأصول العشرين ثم فتح باب لتساؤلات الأخوة. سأل أخ:

ما موقف الجماعة من النصارى وأى ملة غير الإسلام حين تتولى الحكم وتطبق الشريعة الإسلامية؟

تبسم المحاضر. أجاب:

-سؤال متكرر. ولقد قال فضيلة المرشد رأيه في هذا الأمر لوسائل الإعلام المختلفة ورجع عنه بعد أن هوجم هجوماً عنيفاً، لقد قال إن الأقباط سيدفعون الجزية حين يتولى الإخوان الحكم! ولكن بوجه عام -أيها الأخوة- إن الجزية كانت يدفعها أهل الكتاب كامر من الله لأن المسلمين كانوا يتکفرون بالدفاع عنهم ضد أي عدوان فكانت الجزية أمام الدفاع عنهم. ولكن الآن النصارى أو أي ملة غير الإسلام يجذون ويدفعون عن أوطانهم مع المسلمين في أي قطر مسلم فلا معنى للجزية الآن. ولقد حاربنا في حرب أكتوبر 73 وتخضبت سيناء المباركة بدماء المصريين جمیعاً ب المسلمين وأقباطهم...

ضحك المحاضر وقال:

لو قيل الآن للشباب وهم مقبلون على التجنيد بأن يدفعوا الجزية ولا يُجذون، فسيقبل المسلمون قبل المسيحيين دفع الجزية حتى لا يُجذون!
فضحك الحاضرون. علق أحدهم:
حتى يتفرغ الشاب لبناء مستقبله.
استأنف المحاضر:

-وحيثئذ، لن نجد أي نبض للوطنية التي تحت على دفع فريضة الجهاد والدفاع عن الوطن والتي تبدأ بالتجنيد على الأقل! ولقد ضعفت الوطنية في نفوس المصريين بعد حكم العسكر بسبب اليأس من التغيير حتى هاجر كثير من المصريين إلى إسرائيل نفسها ليبحثوا عن فرصة عمل. وللأسف لقد تزوج كثير منهم من إسرائيليات!...

وبمرارة:

-ولقد ماتت الوطنية في نفوس البعض لدرجة التجسس على بلدتهم!!...
سأل علي عبد المنعم المحاضر:
ما إستراتيجية جماعتنا؟!

فبُهت المحاضر. رد:

-على الأخ أن يكون جندياً يسمع ويطيع ولا تنعوا بند "الثقة" في قادة جماعتنا وأكيد عندهم الإستراتيجية التي يسرون على صوتها.

فتساءل علي ثانية:

-ولكنك يا أستاذنا الكبير، أحد القادة وعضو بارز في مكتب الإرشاد، فأخبرنا عن إستراتيجية جماعتنا حتى تضيء لنا الطريق والأهداف؟
فتورد وجه المحاضر وقال بعد أن ازدرد ريقه ورشق علي بنظرة امتعاض وضيق:

-لا ينبغي للأخ أن يسأل عن كل ما جال في خاطره. وعليك يا أخ علي، أن تأتمر بأوامر الجماعة وأكيد إستراتيجية الجماعة تتخلل هذه الأوامر. ولم نتعود أن نسمع من الإخوان مثل هذه الأسئلة الضالة المضلة!

وقال في سره: يبدو أنك ناوي على تخريب عقول إخوانك على مستوى الجمهورية!

لن يصدقوك يا علي وستحارب فاثبت إنك على الحق.

-ولماذا يكذبونني؟! ألم يقل الرسول -عليه الصلاة والسلام- فيما معناه: (سيبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد أمر دينها)؟

-الذي يجدد أمر دين الأمة يُحارب ويكون مضطهدا كالنبي في قومه.
حتى من الإخوان المسلمين؟!

حتى من الإخوان المسلمين أنفسهم!

ولكنني لست أجدد دين الأمة، إن دوري لا يتعدى تصحيح مسار جماعة الإخوان المسلمين التي أحبها وأجاهد فيها وأدعو من خلالها إلى الله تعالى، وتصحيح مسار الجماعات التكفيرية والتجميلية والتغjيرية والتي تدعى الجهاد زورا وبهتان؟

-ألم تسمع قوله تعالى محدثا عن النبي الله صالح عليه السلام حين قال لقومه: {فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمَ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحَّثُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ} ¹¹⁰... فمن الذي يحب الناصحين يا علي؟ وأنت ستجدد أمر الدين، ولكن الظالمين لك بالمرصاد...

-أيتها العواصف... سأبلغ الرسالة والله المستعان.

-عليك التواصي بالحق والتواصي بالصبر ...

انتشر علي نفسه من اجتراره لقائه مع العواصف، وأصاخ السمع والمحاضر يقول:

-وللأسف يا أخ علي، لقد علمنا عنك تساؤلات كثيرة تافهة تضل إخوانك وتبللهم وتشتتهم...!

فبلغ علي ريقه وقال في نفسه:

حسينا الله ونعم الوكيل...

ثم قال:

-جماعتنا مر عليها أكثر من نصف قرن ولم تؤسس الدولة الإسلامية حتى الآن، فهل انتخابات مجلس الشعب التي خضناها والتي سنخوضها هي التي سنؤسس بها الدولة الإسلامية المنشودة؟ أم لجماعتنا استراتيجية أخرى؟

-لقد قلت لك أن للجماعة استراتيجية استراتيجيتها الخاصة بها. ولا ينبغي للأخ أن يسأل عن كل ما يجول بخاطره. وأرجو يا أخ علي، ألا تسأل أي أسئلة أخرى من أسئلتك التافهة!

¹¹⁰ الآية 79 من سورة الأعراف

-أنا لا أسأل أسئلة تافهة. وإذا كانت التساؤلات الهامة لا يجاب عليها في معسكر على مستوى الجمهورية، فأين يجاب عليها؟!

فرد المحاضر غاضباً:

-أنت مغدور. أنت مغدور...
وظل يكررها حتى فسر:
-أنت مغدور بسبب ظهورك أثناء المظاهرات الأخيرة بطريقة عجيبة.

-أنا لم أعلق على ظهوري في المظاهرات أبداً. وأنا لست مغوراً. وتساؤلاتي أراها هامة جداً.

ظهورك الشيطاني في المظاهرات في ذات الوقت هو الذي أوحى لك قوة وهمية جعلتك تسأل كل ما يأتي على بالك!

تساءل على باستنكار:
-ظهورك الشيطاني؟!

-أمندھش من تسميتي هذه؟ فهي تسمية حقيقة ومنطبقة تماماً عليك. وإياك أن تكون قد أوحى إليك شيطانك أنها كانت كرامة لك! عصر الكرامات قد انتهى يا علي يا عبد المنعم. نحن الآن في عصر الشياطين. فالشيطان قد تمثل بهيئتك في كل المحافظات في الوقت نفسه!

سارت مهمة وغمضة في المكان...
واصل المحاضر:

-أمندھشون مما أقول؟ فالشيطان قد تمثل بهيئته لتكون فتنة كبيرة بالشيخ علي عبد المنعم. وهذه هي الحقيقة الغائبة عن الكثرين للأسف...!
قال علي:

يا سيدى، دعنا من ظهوري في المظاهرات، وأجبني عن استراتيجية جماعتنا أو بطريقة أخرى ما هو مضمون شعارنا المحبوب "الإسلام هو الحل"؟

وأضاف:

حتى نرد على أعداء الجماعة وهم كثرون.

فرد المحاضر غاضباً:

-لا حول ولا قوة إلا بالله. لا حول ولا قوة إلا بالله...
وضرب كفافاً بكاف وقام من مكانه ولم يكمل باقي وقت المحاضرة المخصص للتساؤلات!...

-111-

الدكتور صلاح الشيمي ينتابه الشعور بالذنب والحرج والضيق كلما ذكرت أم سعيد
أمامه...

أتمنى ألا يُسأل عنها في الجلسة يا رب. أنا السبب في جنونها. لا. زبيدة السبب. زبيدة؟ أنا؟
خلاص. كل شيء انتهى. وحالتها العقلية من الحالات الصعبة العلاج. ويكفي أنها محجوزة في
عنبر الحالات الحرجة الخطيرة والشديدة الحراسة... أتمنى أن يكون سعيد في أسرة أخرى حتى
لا يتمكنني الحرج كلما سُئل عن حالتها الصحية. لماذا لم ينقلوه إلى أسرة أخرى؟! لماذا يا رب؟!
أو ينقلوني أنا على الأقل؟! ما هذا الحرج يا رب؟

انتبه الشيمي على سؤال حامد الراهن لسعيد:

-أين النشرة الأسبوعية يا أخ سعيد؟

-أعتذر يا أستاذنا، فقد كنت مشغولا بأمي هذا الأسبوع لأن حالتها انтекست أكثر.

-لازالت في المستشفى النفسي؟

نعم.

دعا أكثر من أخ:

-ربنا يعافيها ويتم شفائها...

أحس إسماعيل عبد الفتاح بالحرج الذي كسا وجه صلاح الشيمي فتعمد أن يبعد الحديث عن أم سعيد فقال: "نحن نعيش في هذه الأيام الذكرى الثانية والعشرين لحرب أكتوبر المجيدة فحدثنا عنها يا أستاذ حامد بدلا من النشرة".

تبسم الراهن: "يسعدني وتشرق نفسي في الحديث عن نصر أكتوبر 73 العاشر من رمضان
1393 هجرية".

أخذ الراهن نفسها عميقا ثم قال:

بعد الهزيمة المروعة في عام 1967 وغير المسبوقة في تاريخنا كله، كنا في حالة مزرية
وكان الاستهانة بنا على أعلى مستوى، لدرجة أن الرئيس السادات أرسل اللواء سعد الدين
الشاذلي رئيس أركان حرب الجيش المصري إلى الدول العربية للدعم في حربنا المقبلة مع
العدو الإسرائيلي لتحرير سيناء، فلم يأبه به أحد، وقالوا له حينما تدخلون الحرب سنكون معكم.
ولم يكونوا واثقين أننا سندخل الحرب. ولم تكن الاستهانة بالجيوش العربية عامة والجيش
المصري خاصة، بل كانت الاستهانة بالإنسان العربي ذاته، والاستهانة والسخرية من قدراته!
وهذا ما جعل جولدا مائير رئيسة وزراء حكومة العدو الإسرائيلي آنذاك تعيش حالة من
اللامبالاة حيال كل التحذيرات والإذارات وخاصة عندما خدعهم السادات سنتين متتاليتين ولم
يحارب.

زفر الراهن زفرات حارة ثم واصل:

-وكان شعبنا قد فقد الثقة في قادته وخاصة بعد ضرب الجيش الإسرائيلي لعمقنا الداخلي؛ فقد دمروا مدرسة بحر البقر بمركز الحسينية بالشرقية أثناء اليوم الدراسي، ومصنع أبي زعل على من فيهماء!...

قطع صلاح الشيمي استرداد الزاهر قائلاً:
ـسأقرأ لكم شعراً في تدمير إسرائيل لمدرسة بحر البقر.
واصل الزاهر:

-ومات عبد الناصر وهذا الوضع المهين كان يهيم على كل أحوالنا بالرغم من بعض الانجازات غير الموجعة للعدو في حرب الاستنزاف.

وأتي الرئيس السادات وزادت التكاثف عليه كثيراً وخاصة حينما تحدث عن حكاية الضباب الذي منعه من دخول الحرب. وكان اليأس قد تملك النفوس وخاصة بعد قيام إسرائيل بعمل خطوط دفاعية حصينة هي خط بارليف الذي كان يضم 22 موقعًا وبه 31 نقطة حصينة...

قال إسماعيل عبد الفتاح: "قيل في ذلك الوقت إن القبلة الذرية ذاتها لن تؤثر فيه!"
نعم يا أخي إسماعيل.

استأنف الزاهر:

-وهذا الساتر الترابي زرعوه بالألغام ونطاقات الأسلال الشائكة بارتفاع 25 متراً حتى يصعب تسلقه...

قال الشيمي: "ويكفي المانع الطبيعي المتمثل في قناة السويس نفسها والملغمة!"
سأل علي عبد المنعم الزاهر: "وماذا كانت رتبتك العسكرية أيام حرب 6 أكتوبر يا أستاذ حامد؟"

-أظن أنني كنت صف ضابط، ربما كنت صولاً، لأنني ترققت إلى ملازم يعني نجمة واحدة على الكتف بعد الحرب مباشرة.

واصل ذكرياته عن الحرب:

-ولقد بدأت الحرب يا أخوة، بافتتاحية شجاعة بأوامر أصدرها قائد القوات الجوية حينئذ اللواء حسني مبارك وطبعاً رئيس الجمهورية الآن حيث عبرت 227 طائرة الخطوط الأمامية الإسرائيلية شرق القناة لتنفيذ المهمة الأولى في الحرب بضربة جوية مفاجئة وواسعة حققت نجاحاً تجاوزت نسبته 95% من الأهداف المكلفة بها، وقد فتحت بذلك الطريق إلى النصر الكبير بتدمير ثلاث مطارات وقواعد جوية و10 مدافع صواريخ وعدد من محطات الرادار ومراسيم قيادة ومواقع مدفعية وعدد من المناطق الإدارية وكل حصون بارليف شرق بور فواد...

تهدج صوت الزاهر وهو يتذكر ذكريات الحرب:

ـكنا والله يا أخوة، نبكي من الفرحة حينما عبرنا القناة ولم نصدق أننا فعلاً قد بدأنا الحرب. فقد كنا نتدرّب على العبور كثيراً، ولكن هذه المرة قد قمنا بالحرب حقيقة... ويكفينا إعادة ثقتنا بأنفسنا بعد نجاح الضربة الجوية الأولى...

ثم هتف بفرحة:

وكان صيحة "الله أكبر" تعلق السماء...

ردد الأخوة: "الله أكبر" ... "الله أكبر" ...

تساءل إسماعيل عبد الفتاح:

-ولتكن يا أستاذنا، لم تخبرنا عن مواسير النابلم التي كانت إسرائيل ستحول بها القناة إلى بحيرة نيران؟

جفف الراهن دموعه وأجاب:

-لقد قامت مجموعات من أسود الصاعقة بعبور القناة ليلة الحرب في غفلة من العدو وعطلت كل مواسير النابلم...

ثم قال بعيون ندية:

-بعد نصف ساعة فقط من بداية عبور القناة وفتح ثغرات في الساتر الترابي، كنا نرفع علم مصر على الضفة الشرقية تحت وابل من البكاء... ثم قبلنا أرض سيناء وسجدنا لله شكرا ...

تساءل الشيمي: "هذا كان بعد أن أنشأ المهندسون الكباري على القناة؟"

-لا يا دكتور صلاح. فقد كنت مع المجموعات الأولى التي عبرت القناة في قوارب مطاطية لفتح ثغرات في الساتر الترابي، وبعد ذلك قام سلاح المهندسين بإنشاء الكباري المعلقة التي سارت عليها مختلف الأسلحة الثقيلة والخفيفة والمتوسطة.

تساءل الشيمي مرة ثانية: "أثناء العبور، هل تعرضت قواتنا لاطلاقات العدو؟"

-حائط الصواريخ هو الذي أجبر العدو بـألا تقترب قواته. وحائط الصواريخ هذا هو أكبر وأقوى حائط عرفه البشرية في حروبه من نوعه. وهو الذي بـتر ذراع إسرائيل الطويلة والتي طالما تباهت بها. وهو يدرس الآن في المعاهد العسكرية على مستوى العالم...

بُهر الأخوة بذكريات الحرب...

قال إسماعيل عبد الفتاح مزهوا:

-حرب أكتوبر ذاتها تدرس في جميع المعاهد والأكاديميات العسكرية في العالم كله!!...

تساءل علي عبد المنعم: "أخبرنا يا أستاذنا عن أطرف موقف رأيته في الحرب؟"

تبسم الراهن وهو يجيب: "كان الجنود الإسرائيليون الأسرى يبكون وهم ينادون أمهاتهم كالأطفال!"

فضحك إسماعيل عبد الفتاح وقال: "حتى جولدا مائير بكت وصرخت وقتها وقالت: إسرائيل تحترق!... إسرائيل تحترق!"

قال علي عبد المنعم بيقين:

-السدادات، القائد الفذ، قائد نصر أكتوبر، كان لابد للأعداء أن يقتلوه بأي شكل وبأي يد! والملك فيصل قتلوه أيضاً لموقفه المشرف الجريء وغير المسبوق في منع تدفق البترول على أوروبا وأمريكا أثناء الحرب...

لف الحزن حامد الراهن وهو يعلق:

وكان من قادة الحرب العظام أُغتيلوا معنويًا حتى وهم أحياء ولم يذكرهم أحد بشيء الآن مثل الجنرال سعد الدين الشاذلي والجنرال محمد عبد الغني الجمسي!...
وبمرارة: ولا ندري ما يخبيه القدر لباقي القادة!...

أخرج صلاح الشيمي دفتره الصغير والذي يحتفظ به بمقطفات من الشعر ، وقال:
سأقرأ لكم رائعة صلاح جاهين والتي كتبها بعد تدمير مدرسة بحر البقر وعنتها شادية، وهي
عنوان: "الدرس انتهى لموا الكراريس"

الدرس انتهى لموا الكراريس
بالدم اللي على ورقهم سال
في قصر الأمم المتحدة
مسابقة لرسوم الأطفال
إيه رأيك في البقع الحمرا
يا ضمير العالم يا عزيزي
دي لطفلة مصرية سمرا
كانت من أشطر تلاميذي
دمها راسم زهرة
راسم راية ثورة
راسم وجه مؤامرة
راسم خلق جباره
راسم نار
راسم عار
ع الصهيونية والاستعمار
والدنيا اللي عليهم صابرة
وساكتة على فعل الأباليس

الدرس انتهى
لموا الكراريس

إيه رأى رجال الفكر الحر
في الفكرة دي المنقوشة بالدم
من طفل فقير مولود في المر

لكن كان حلو صحوتك الفم
دم الطفل الفلاح
راسم شمس الصباح
راسم شجرة تفاح
في جنائن الإصلاح
راسم تمساح
بألف جناح
في دنيا مليانة بالأأشباح
لكنها قلبها مرتاح
وساكتة على فعل الأباليس

انتهى الدرس
لموا الكراريس

إيه رأيك يا شعب يا عربي
إيه رأيك يا شعب الأحرار
دم الأطفال جايلك يحبني
يقول انتقموا من الأشرار
ويسيل ع الأوراق
يتهمي الأسماء
ويطالب الآباء
بالثأر للأبناء
ويرسم سيف
يهد الزيف
ويلمع لمعة شمس الصيف
في دنيا فيها النور بقى طيف
وساكتة على فعل الأباليس

الدرس انتهى
لموا الكراريس

-112-

لم يستوعب صلاح الشيمي حبه المفاجئ لابتهاج... هل كان هذا الحب كامنا في أحشاء قلبه منذ سنين بعيدة فنفخت فيه الروح؟ أم العلاقة الجنسية قد تحولت إلى حب؟ أم تأثر بعاطفة ابتهاج الصادقة تجاهه طوال هذه السنين؟ أم ماذا؟!

أنا في حيرة يا ربى... لقد أخذت على غرة... ما هذه العواطف التي تفجرت في قلبي بهذه الطريقة المبالغة؟! مرة لبهيجة ومرة لابتهاج...! الله أعلم هل توجد امرأة ثالثة في طريق الحب بعد ابتهاج؟ وهل لازال مصباح الحب مخبئا لي في قممه مردة الحب الذين لا يُحصّوا عددا؟ هل هي مراهقة في الأربعينات؟ أم هي أزمة منتصف العمر كما تقول زبيدة؟ أم ماذا يا ربى؟ أصبح قلبي مفتوحا للحب بسهولة... لقد فقد مناعته وحصانته ودافعاته كلها... ويا ليته يستقر في حب ابتهاج ولا يضطرب ولا يفور ولا يمور لامرأة أخرى بعد ذلك. أخشى أن تكون تجارب غير ناضجة وسرعان ما تتبع. فتجربة بهيجة غير ناضجة بالمرة وانتهت بكارثة. وتجربة ابتهاج تحت تجربة بهيجة بالممحة. كفى حبا يا قلبى. اثبتت على ابتهاج ولا داعي لهذا التقلب والاضطراب... كفى يا قلبى. كفى. أمامنا جهاد كبير في طريق الدعوة إلى الله...

دلقت ابتهاج إلى حجرة صلاح في المستوصف الخيري لحاجة لها، فانتشر صلاح نفسه من سباته مع أفكاره، وانفرجت أساريره بشرا وحبورا، واكتسى محياه سرورا، ورقص قلبه فرحا، وقفزت السعادة من عينيه قفزا و...و...و... قال بعد برهة يجمع فيها زمام نفسه:

-ماذا أقول لك يا حبيبتي؟ هل أقول إن أوتار قلبي قد اهتزت -مجيئك الآن- وعزفت سيمفونية الحب الرائعة؟ أم أقول إن روحى ترفرف الآن في سماء السعادة والحبور؟ أم أقول إن نفسي الآن ثملة من خمر ينابيع حبك الخالد؟ صدقيني يا ابتهاج، أنا غير قادر على التعبير ما يحوس في روحي وقلبي وكيني كله... ولكنني أستطيع أن أقول إن قلبي الآن قد اتسع واحتوى ملوك السموات والكون كله...
ضحك ابتهاج قائلة:

-وأنا أخشى أن يتسع قلبك أكثر وأكثر حتى تتسلل امرأة أخرى إليه في غفلة منك! -لا، يا حبيبتي. إن حبك هو الحب الخالد الثاوي في قلبى والراسخ في أعماقه منذ زمن بعيد، وهو الحب الذي كنت أبحث عنه من زمان.
تسمست ابتهاج ابتسامة واسعة. قالت:

-أكيد يا حبيبى، قلت هذا الكلام الجميل العظيم الرائع لبهيجة هنا في المستوصف.
تغير وجه صلاح ورد:
لم أقله.

-ولكنك أكيد قد قلت لها حديثك العذب عن الحب وآهاته...

دعينا من بهيجه ولندعو الله لها بالشفاء.
-أنت السبب يا صلاح. أكيد المسكينة لم يستطع عقلها أن يستوعب حب طبيب لها..
-لا يا ابتهال. يوجد أطباء كثيرون قد أحبوا ممرضات وتزوجوهن.
-هل لازالت تحبه؟ أجبني بصدق.
تغمر وجه صلاح الأبيض بسحابة قاتمة. أجاب:
-أرجوك يا ابتهال يا حبيبي، لا تسأليني هذا السؤال مرة أخرى. ولا داعي أبداً أن تذكري
بهيجه أمامي ويكفي الكارثة التي حدثت لعقلها.
تهدت ابتهال تنهيدة ثم قالت:
-أخشى ألا تتم سعادتنا!
ثم أضافت:
-وأخشى أن ت تعرض زبيدة على زواجنا.
قال صلاح:
-هي في طريقها للموافقة على زواجنا الذي سيكون مباركاً إن شاء الله.
وهو يضحك:
-ولكنها لن تبارك هذا الزواج.
تبارك أو لا تبارك، أهم ما في الأمر أن توافق على زواجنا.
-وإذا لم توافق فلنتزوج من ورائها والشرع لم يشترط موافقة الزوجة الأولى للزواج الثاني.
توردت وجنتا ابتهال ثم قالت:
-لا يا صلاح. أنا لست خائنة.
-خائنة؟!
فسرت بضمير:
نعم، أنا أعتبر أن زواجنا من ورائها خيانة كبرى لها. ولا تنسَ يا صلاح أنها كانت صديقتي
الصادقة يوماً ما.
ثم قالت في نفسها:
أنا ضحيت بحبي لك وكتمت آلامي في صدري حين اخترتها عليٍ وتزوجتها. أما وعدك لي
بالزواج في ذلك الوقت فلم يكن إلا سراباً...
-اطمئني يا ابتهال. أكيد هي ستتوافق إن شاء الله.
-أخشى أن تأتي إلى هنا وتقود معركة حربية معِي كما فعلت مع بهيجه!
تسم صلاح وقال:
-الوضع مختلف الآن. وهي تتالم الآن من سياط ضميرها منذ دخول بهيجه مستشفى الأمراض
العقلية بسببها.
دخل أكثر من فرد من موظفي إدارة المستوصف معاً لمكتب الدكتور صلاح وجلسوا، فحول
صلاح دفة الحوار بسرعة قائلة:

-أخبرينا يا مدام ابتهال، ما سر تحولك من عالم النجومية والشهرة والأضواء والمال إلى عالم التدين والزهد في زينة الحياة؟
 ردت ابتهال بصوت حزين:
 -الهداية من الله يا دكتور صلاح.
 ثم أخذت نفسها عميقاً وقالت:
 في لحظة اختارها الله سبحانه وتعالى- أضيئت نقطة صغيرة جداً في قلبي، ثم ازدادت هذه النقطة اتساعاً وبريقاً حتى ملئت قلبي الذي تفجر ضياءً نوراً ...
 كادت أن تنزل دمعة من عينها فأجهضتها وهي تواصل:
 -كان المجد الزائف والمال الحرام والأضواء الكاذبة تشوش على النور الذي أشع في قلبي، ولكن النور تفجر أكثر وأكثر حتى سطع على الجسم كله؛ فسكن لنور الله، وتتسنم الروح عبر الإيمان، وصفت النفس من شوائب الدنيا ومتعلقاتها الفانية ...
 قال أحد الموظفين:
 -هذا كلام كبير جداً يا أخت ابتهال.
 وقال صلاح:
 -ولا يوجد في سيناريوهات الأفلام ولا في الأفلام الدينية التي اختفت منذ زمن بعيد.
 وقال ثاني الحاضرين:
 -كلامك الجميل هذا ذكرني بقوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} ¹¹¹
 وتساءل الموظف الثالث:
 يا أخت ابتهال، متى أضيئت النقطة النورانية في قلبك؟ أو ما هي المناسبة التي اهتز قلبك فيها للإيمان؟
 -كنت عادة استمع إلى قرآن الإذاعة المصرية والذي يذاع في الثامنة مساء قبل خروجي للملهى فقرأ الشيخ قوله تعالى: {وَلَا يَصْرِفُنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُلْعَمَ مَا يُخْفِيَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَثُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفَلِّحُونَ} ¹¹²... فكأني أسمع هذه الآية لأول مرة في حياتي! وقلت في نفسي: إن الله -عز وجل- يمنع المرأة أن تضرب الأرض بقدميها بقوة حتى لا يسمع صوت الخلال المستور بالثوب، فما شأني وأنا أضرب الأرض والهواء وكل ما يحيط بي أثناء الرقص، وأنحرك حركات (متقوعة) (منتنة) لأبدع في الرقصة ولاكتشف أكبر قدر من جسدي أمام العيون الجائعة المبحلةقة في؟!
 وفي اليوم الثاني سمعت القارئ يتلو قوله تعالى {أَلَمْ يَأْنَ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَحْشَعَ فُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ} ¹¹³...

¹¹¹ جزء من الآية 100 من سورة يونس

¹¹² جزء من الآية 31 من سورة النور

¹¹³ جزء من الآية 16 من سورة الحديد

فقلت في نفسي: إن الله قد خاطبني بآية أمس وآية اليوم؛ فشعرت بهزة في قلبي ووجاني، وأحسست بنقطة النور وهي تضيء... وكان المجد والشهرة والأصوات والمال ما فتنوا يطمسون هذا النور عدة أسابيع... ولما ازداد النور ضياء وانفجر في قلبي بقوة وأشع على كياني كله، انقشعت هذه المنغصات والعراقيل أمام قوة إيماني بالله وصدق توبتي إليه...

تساءل صلاح:

-ولكن ألم يتسلل أي قدر من التردد إلى نفسك بعد انزعالك من الحياة الفنية تماماً؟

أجابته ابتهال بيقين:

-لا، يا دكتور صلاح.

ثم هتفت بيقين وهي تشير إلى السماء:

-المعين الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى.

-ولم لم تحفظي بمالك لكي تشتري أفلامك لأنها انتشرت أكثر بعد ارتدائك الحجاب وعزلتك من الحياة الفنية؟

لم ترد. فقال الموظف الأول:

يا دكتور صلاح، التوبة تجب ما قبلها. وما يعرض الآن عبارة عن صور ماضية.

وقال الموظف الثالث:

-وحتى لو اشتريت الأخت ابتهال حق انتفاع أفلامها، فهي لن تستطيع أن تمنع بيعها في محلات الفيديو ولو بطريقة غير رسمية.

وقال الموظف الثاني:

-ولن تستطيع أن تمنع من امتلك هذه الأفلام من قبل من عرضها.

يا جماعة، الممنوع مرغوب. والنفس البشرية مليئة بالشرور...

-عرض هذه الأفلام في بعض الفنوات الفضائية بصورة متكررة وفي بعض دور السينما الدرجة الثالثة لن يستمر كثيرا، فهي هوجة وستنخفض عما قريب.

وقال صلاح بتفاؤل:

-إن شاء الله.

تذكرت ابتهال ما جاءت بسببه لمكتب الدكتور صلاح؛ فقالت:

-هذه قائمة بأسماء الأدوية الناقصة في صيدلية اللجنة الاجتماعية...

-113-

هتف الدكتور مجدي النحال بصوت عال:
-ألم تسمعوا بأخر الأخبار؟
فتبسم بعض أعضاء الحزب الشجري وصمتوا.
قال له أكثر من طبيب:
-هات ما عندك يا وكالة أنباء المستشفى.
فتبسم وهو يرد:
-لقد تزوج يوم الخميس الماضي الدكتور حمدي علي من الدكتورة ابتسام عوض الله.
فغر أكثر من طبيب وطبية فاه اندهاشا!
قال الدكتور فوزي نجيب:
-ولكن ابتسام أكبر في العمر بكثير من حمدي!
فرد النحال ضاحكا:
-هي أكبر بحوالي خمس سنوات فقط.
وصاحبا:
-والحب يا سيدى. الحب...
فتساءل فوزي باستغراب:
-الحب؟!
ثم تسأله سخريه:
-هو حمدي فاضي للحب؟!
ثم واصل وهو يهز رأسه:
-فعلا، لقد كانت بينهما نظرات ونظرات ونظرات...
فقال الدكتور سامي حليم:
-والدكتورة ابتسام كثيرة ما كانت تدافع عنه.
تسأله فوزي منفعة:
-هو زواج سري؟!
وقالت طبيبة 1:
-ولماذا لم تعزمنا لحضور الزفاف؟
فأجاب النحال:
-هي عزمت عددا قليلا من أطباء الحزب الشجري وأنا كنت منهم.
نظر فوزي ناحية الدكتور أحمد إسماعيل والدكتور صلاح الشيمي بغيط، فتبسم الدكتور أحمد
وقال:
-حمدى وابتسام لم يقيما إلا حفلة عائلية بسيطة في منزل ابتسام.

وضاحكا:

- ولو كنتم أعضاء في حزبنا الشجري لعز منكم.

فتساءل فوزي بغيظ:

- وهل كانت ابتسام يوماً ما عضوة في حزب الشجرة هذا؟

فرد الدكتور صلاح الشيمي:

ـ يا سيدى، لم تجلس معنا ولا مرة.

قال مجدي النحال:

ـ لما يعودا من أسبوع العسل، حاسبوهما على (العزومة).

قال فوزي بصوته الأخش:

ـ نحاسب ابتسام فقط، أما حمدى فأين سراه حتى نحاسبه؟

قال طبيب 1:

ـ إننا لا نراه في السنة كلها إلا مرات معدودة.

تساءل الدكتور عماد الدسوقي باستغراب:

ـ نحاسبه؟! نحاسبها؟!

ثم أردف وهو ينظر ناحية الدكتور فوزي:

ـ الأفضل أن ندعوا الله لهما بالخير والصلاح في زواجهما هذا...

قال فوزي في نفسه:

ـ لقد رفضت أفضل من حمدى بكثير و كانوا بکرا. على العموم، هي صامت وفطرت على

صلة!...

-114-

في ليلة من أهنا الليالي، كانت الفرحة تفتر من سيارة الدكتور صلاح الشيمي وزوجته الجديدة الراقصة الثانية ابتهال إلى سيارة الدكتور عماد الدسوقي وزوجته عائشة ابنة المرحوم أحمد الغرباوي...

كانت ابتهال تجف دموع السعادة وهي غير مصدقة أنها قد تزوجت أخيراً من حبيبها ونور عينيها... ولكن مع هذه السعادة الطاغية، كان الشك يتسلل إلى روحها وبيث في روتها وينشر في جنبات نفسها أن هذه السعادة لن تكتمل!... هل ستأتي زبيدة لتحول الفرح إلى مأتم؟ أم سترسل فرقة مشاغبة لتدمير الفرح وتحوله إلى خراب تتعق فيه البويم السود؟ شيء غامض لا تجد له تفسيراً قد استولى على كيانها كلها. وبالرغم من ذلك كلها، فقد كانت تشعر بيقين وسكينة وراحة...

كان عماد الدسوقي يجلس عن يمين عائشة بينما وداد أرملاة الغرباوي كانت تجلس عن يسارها في الكرسي الخلفي وهي ما برحت تجف دموع الفرحة والحسرة؛ فرحة زواج ابنتها، والحسرة على فقد زوجها وعدم تواجده في زفاف فلذة كبدة... كان بكاء الحسرة يقفز من التعانق مع بكاء الفرحة وينتقل إلى لميغ يأكل في جنبات نفسها وكادت أن تصرخ بأعلى صوتها لتطأ هذه النيران أو لتنفس عن الآلام الرهيبة التي تستعر بها...

كانت السيارات مزيدين بالورق الملون (والترتر) (والبلونات) الملونة المنفوخة والكثير من أدوات الزينة على السيارة وعلى الأرض وعلى جدران المنازل وغيرها والتي تتعارض مع زهد جماعة الإخوان المسلمين، ولكنه لا يتعارض مع تفكير المصريين -إخوان أو غير إخوان- في العقود الأخيرة وإظهار فرحتهم بأي شكل وبأي صورة؛ بيدخ وترف لا حاجة لهما، وبضجيج يؤذى خلق الله وربما يؤذى مشاعر أصحاب مأتم قريب من الفرح وينغض حياة من ينشد الهدوء، وبسماعات حديثة تقاد أن تمزق طبلة الأذن وما بعدها!...

كان موكب الفرح المهيء بيبدأ بتجمع منظم للأطفال الذكور في المقدمة، ثم بتجمع منظم آخر للبنات الصغيرات الجسم والسن، ثم سيارتى الدكتورين وزوجتيهما، ويسيير خلفهما الشباب، وخلف الشباب كان عدد غير من أهل وأقارب المتزوجين وكثير من أطباء مستشفى الحوض المرصود والجيران والمتفرجين على حفل زواج إسلامي للإخوان المسلمين... كان الأطفال والشباب يرتدون زياً موحداً، وكذلك وكانوا يحملون أعلاماً خضراء تحمل شعار الإخوان المسلمين وهو القرآن الكريم وأسفله سيفان يحميانيه.

تم عقد القران بعد صلاة المغرب في مسجد الهجين. وبعد صلاة العشاء، بدأت مسيرة الحفل من بداية شارع عشرة مع التقائه مع شارع مدرسة محمد فريد الثانوية وتهادت المسيرة حتى وصلت إلى قرب نهاية شارع عشرة...

في بداية الحفل، قرأ علي عبد المنعم بصوته الجهوري العميق الندي آيات من سورة الروم من الآية الكريمة: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنَشِّرُونَ} 20 وظل يردد الآية

رقم 21 {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ حَقَّ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَاتِي لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}، واستطرد في التلاوة حتى وصل إلى الآية رقم 25.

ثم دعا الأخ مقدم برنامج الحفل بصوته الجهوري في الميكروفونات دعاء مباركة الزواج وهو: "بارك الله لكم وببارك عليكم وجمع بينكم في خير"، وردد كل الحاضرين ورائه. ثم بدأت فرقة الأفراح الإسلامية برنامجها بالأشيد ويردد خلفها كل الحاضرين وخاصة شباب وأطفال الإخوان لأنهم يحفظون هذه الأشيد من كثرة ترديدهم لها في أفراح الإخوان. كان الأخ مقدم البرنامج يقطع أغاني وأنشيد الفرقة ليجدد دعاء مباركة الزواج ويردد كل الحاضرين ورائه... تجمع الكثير من أهالي الحي ليشاهدو فرح الراقصة الشهيرة التائبة ناني ابنة حيم. كانت السعادة تشرق من النفوس، والنشوة ترقص في القلوب، والفرحة تندح من الوجوه، والبهجة تتدى من العيون، والحبور يتراقص مع تراقص الأضواء الباهرة التي زينت الشارع... وبينما كان هذا حال الفرح وأهله، كان الحزن يعصر قلب زبيدة زوجة الدكتور صلاح في بيتها، والكآبة تلفها، والشقاء يملأ روحها، وينابيع البكاء تتفجر من ماقيتها، والدموع السواسم تهطل على وجهها وجسدها...

أثناء مسيرة الزفاف، بدأ العرق -على استحياء- ينز على جبين ابتهال وكانت تجفه، وكان صلاح الشيمي يساعدها في التجفيف، ولما ازداد كان يقول لها:

-إيه يا عروسة؟ مكسوفة؟ عرق الكسوف من الجمهور الغفير (المبحلق) فينا؟
فكان تضحك وتقول:

-أنا غير مصدقة يا صلاح، أنا سنتزوج عما قريب. أنا غير مصدقة بالمرة. ولكن للأسف،
عندني شعور عميق بأن هذه السعادة لن تكتمل!
قال صلاح في نفسه:

بهيجة قالت ذات الكلمة من قبل. إيه الحكاية؟! يا رب استر. استر يا رب...
-هذه وسوسه من الشيطان يا حبيبي. وسوسه من الشيطان. استعيذني بالله منه.
-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.
وبغلق:

-ولكن هذا الإحساس مسيطر على تماما يا صلاح.
قال صلاح في نفسه:

أكيد وسوسه من الشيطان، فالشيطان لا يوسم إلا في الحق! فعندما كنا نلتقي في الحرام كنا نعيش في سعادة...! سعادة كاذبة، سعادة بلا وساوس شيطانية ولا غير شيطانية... ولما سنلتقي في الحال عما قريب، تُجهض هذه السعادة. تُجهض السعادة الحقيقية؟ كيف هذا؟! أعوذ بالله...
ضحك صلاح وقال صاحبا:

-أصلا، أنا غير مصدق تماما تفاصيل زبيدة أخيراً وموافقتها على زواجنا.

ومقهها:

-وطبعا، هي لم تحضر لتبarak زواجنا.

يكفي أنها أرسلت خالد وسحر للحضور ولمباركة زواجنا.

وفي نفسها، قالت ابتهال:

لازال الإحساس الغامض يسيطر علي! لا حول ولا قوة إلا بالله. هل زبيدة مخبئة لمفاجأة لنا؟

مفاجأة لتدمير الفرح؟! معقول؟! هي قد وافقت. والحمد لله لا. لا. لا يمكن أبدا أن يحدث ذلك.

ولكن هذا الإحساس الغريب لماذا يملعني هكذا؟ لماذا يسيطر علي هكذا؟! زبيدة لها تجربة

مريرة مع بهيجة ولم يكن ثمة زواج هناك. لا حول ولا قوة إلا بالله. إنا لله وإنا إليه راجعون.

ولكني مع ذلكأشعر بسكونية داخلية. والحمد لله. الحمد لله... سكونية ممترزة بشعور

غامض. ولكنها سكونية سماوية علوية قذفها الله في قلبي لتطفئ نار الشك في بطن السعادة وتدمير

الفرح والعياذ بالله. أكيد زبيدة عاقلة ولن تفعل شيء. تتحرر؟! أعود بالله. هي إنسانة مؤمنة بالله.

لا. لا. لا. هي مؤمنة. لن تتحرر...

قطع صلاح حبل أفكارها وسألها:

-لماذا أنت واجمة هكذا يا حبيبتي؟

-الإحساس الغامض يا صلاح يا حبيبي.

جف عرقها من على الجبهة وسألها:

ما هذا العرق الشديد؟ أكيد أنت اتحسدت يا ابتهال. اتحسدت من العيون (المحلقة) فيك...

كان عماد الدسوقي يبتسم ويقول لعائشة وهو يشير إلى أمها:

-هل رأيت السعادة التي تُبكي من قبل؟!

فتبتسم عائشة وترد:

-لأنني أنا البكريّة، فأنا أول فرحة لها في الذرية والزواج.

وكانـت وداد تجفـد دموعها ولا تعلـق وتكـفي بـقبلة تطـبعها عـلى جـبين اـبنته...

ولـما أحـلـىـها عـمـادـ بالـسـؤـالـ عـنـ هـذـاـ الـبـكـاءـ الـذـيـ لاـ يـتـوقـفـ فـيـ يـوـمـ الـفـرـحـ وـالـهـنـاءـ وـالـسـعـادـ،

أـجـابـتـهـ:

-دموعـ الفـرـحـ ياـ بنـيـ. ربـناـ يـسـعدـكـ.

ويـسـعدـكـ ياـ حـمـاتـيـ...

ازداد نزيف العرق من كل جسد ابتهال، فتساءل صلاح:

ما هذا؟! لماذا هذه العرق الشديد؟! اللهم أخرِبْ بيت الحاسدين.

كانت حنان، شقيقة ابتهال، تجلس في المقدّس الأمامي. فتساءلت بفزع:

ما بك يا أختي يا حبيبتي؟!

فأجابتها ابتهال بصوت واحد:

-أشعر بضعف ووهن شديد وضربات قلبي سريعة. سريعة...
فأمر صلاح السائق أن يوقف السيارة، وفحص نبض ابتهال ووجد دقات القلب سريعة جداً،
فأمر السائق أن يشير على سائق سيارة الدكتور عmad ليوقفها. وصل الدكتور عmad وتساءل

بفرع:

-إيه الحكاية؟!

-ابتهال عندها هبوط شديد ويجب أن ننقلها للمستشفى حالاً.
قال عmad:
يجب أن تتصل بالإسعاف أفضل.

فصرخت حنان؛ فسكنت الفرقة المنشدة، وتجمع الجمهور الغفير، وتدخل اللغط والجلبة...
دخلت ابتهال في غيوبة، وازداد الصراخ واللغط والضجيج المتداخل، ولم يستطع صلاح أن
يفعل شيئاً كطبيب، فقال لعمad بانفعال شديد:

-ابتهال عندها ¹¹⁴aortic aneurism أخشى أن يكون... يكون...
فنهج صوته وقال:

Ruptured.¹¹⁵

وجلس على الرصيف يبكي بنحيب...
فازداد الصراخ أكثر واستفحلاً...

فصرخ عmad في الصارخين وفي حنان وقال:
-اتصلوا بالإسعاف بسرعة وساعدوني لأعمل لها الإسعافات الأولية...

ولما وصلت سيارة الإسعاف، كانت ابتهال قد فارقت الحياة وتم زفافها إلى السماء وسط ذهول
الحاضرين ونحيبهم وصراخ صلاح الشيمي وزجره ونهره لمن يقول بأنها ماتت...

-لا يا عmad. لم تمت. لا يا عmad... لا. لا... لا...

نُقلت ابتهال إلى مستشفى الساحل التعليمي، وظل صلاح يهدي بأبيات متقطعة من قصيدة
مترجمة للشاعر قيسر باييخو¹¹⁶:

في نهاية المعركة

وبعد أن مات المقاتل جاءه رجل

وقال له: "لا تمت. لقد أحبتك جداً"

لكن الجثة - آه - واصلت موتها

دنا منه اثنان وكروا:

"لا تتركنا أيها الجسور! عد إلى الحياة"

¹¹⁴ تمدد وتوسيع شريان الأورطي

¹¹⁵ انفجر

¹¹⁶ فصيدة "إسبانيا بعدي" يعني هذه الكأس

لـكن الجثة - آه - واصـلـت مـوتـها
وـظـلـ صـلاحـ يـرـدـ بـبـكـاءـ مـرـ :
لـكنـ الجـثـةـ -ـ آـهـ -ـ وـاـصـلـتـ مـوتـهاـ
هـرـعـ إـلـيـهـ عـشـرـونـ ...ـ مـائـةـ أـلـفـ ...ـ خـمـسـمـائـةـ أـلـفـ ...ـ
هـاتـقـينـ :ـ "ـاـلـيـسـ لـكـلـ هـذـاـ الـحـبـ قـرـةـ عـلـىـ الـمـوـتـ !ـ"
لـكنـ الجـثـةـ -ـ آـهـ -ـ وـاـصـلـتـ مـوتـهاـ
أـحـاطـ بـهـ مـلـاـيـنـ الـبـشـرـ .

بـتوـسـلـ مـشـتـركـ :ـ "ـاـبـقـ مـعـنـاـ أـيـهـاـ الـأـخـ
ثـمـ بـبـكـاءـ وـنـحـيـبـ وـضـرـبـ صـلاحـ رـأـسـهـ بـيـدـيـهـ وـظـلـ يـرـدـ :ـ
ـاـبـقـ مـعـنـاـ أـيـتـهـاـ الـأـخـ
ـاـبـقـ مـعـنـاـ أـيـتـهـاـ الـأـخـ
ـاـبـقـ مـعـنـاـ أـيـتـهـاـ الـأـخـ
لـكـنـ الجـثـةـ -ـ آـهـ -ـ وـاـصـلـتـ مـوتـهاـ

اجـتـمـعـ عـلـيـ عـبـدـ الـمـنـعـ وـإـسـمـاعـيلـ عـبـدـ الـفـاتـاحـ وـسـعـيدـ عـوـضـ وـحـامـدـ الـزـاهـرـ وـأـكـثـرـ مـنـ طـبـيبـ
وـأـخـوـةـ الـجـمـاعـةـ لـيـهـدـئـواـ مـنـ روـعـهـ وـفـزـعـهـ وـأـلـحـواـ لـيـسـكـتـ،ـ وـلـكـنـ صـلاحـ وـاـصـلـ:ـ
ـعـنـدـئـذـ جـاءـ أـهـلـ الـأـرـضـ قـاطـبـةـ
وـأـحـاطـواـ بـهـ.ـ رـآـهـ الـمـيـتـ الـحـزـينـ بـانـفـعـالـ
فـاـنـتـصـبـ بـبـطـءـ.

وـعـانـقـ أـولـ وـاحـدـ مـنـهـمـ:ـ وـاـنـطـلـقـ سـائـرـاـ...ـ
ظـلـ صـلاحـ يـلـطـمـ وـجـهـهـ وـيـضـرـبـ صـدـرـهـ وـيـرـدـ:ـ
ـوـعـانـقـ أـولـ وـاحـدـ مـنـهـمـ:ـ وـاـنـطـلـقـ سـائـرـاـ...ـ
ـوـأـطـلـقـ سـاقـيـهـ لـلـرـيـحـ فـيـ اـتـجـاهـ مـسـتـشـفـيـ السـاحـلـ وـهـوـ يـقـولـ:
ـسـتـقـفـ اـبـتـهـالـ وـسـتـعـانـقـيـ.ـ اـبـتـهـالـ لـمـ تـمـتـ.ـ لـمـ تـمـتـ يـاـ اـسـمـاعـيلـ
ـوـمـطـ كـلـمـةـ إـسـمـاعـيلـ وـكـانـتـ عـيـنـاهـ يـنـبـعـثـ مـنـهـاـ الرـعـبـ الرـهـيـبـ!ـ

115-جمممل

كعادته في الصباح الباكر، جلس الدكتور أحمد إسماعيل تحت شجرة الصفصاف العتيقة وحيداً كثيراً حزيناً... كانت بعض أوراق الشجرة تتساقط بفعل فصل الخريف فكان يبعدها عنه ويقول في نفسه:
سبحان الذي يُغير ولا يتغير...
حَكِيم؟

كان حكيم يجلس هنا ويصف العمل في دول الخليج عبودية وهو في ميسى الحاجة للعمل بهذه الدول... وكنت أغبطه في نفسي على موقفه الصارم وإن كنت، في الوقت نفسه، أريد أن يسافر لتحسين أحواله المادية والاجتماعية. ولم يمر عام إلا وهو في السعودية. والحمد لله، فالسفر أفضل له، ولنذهب القيم والمبادئ إلى الجحيم...!

وبهيجه؟
بهيجه الممرضة الطيبة تعرضت لحملة شرسه بأسن قذرة حقيرة! وفقدت المسكينة حبيبها الطيب، وفقدت وعقلها إلى الأبد!

وناني؟
منذ شهور، كانت ناني إذا جاءت هنا للكشف على خادمتها؛ وفقت المستشفى بإدارتها وأطبائها ولم تقعد، وتتفتح لها كل الأبواب لتلبية أي طلب... وها هي الآن تموت بعد تركها للشهرة والأضواء بطريقة تراجيدية مأساوية رهيبة! وفي أي يوم؟ يوم زفافها للحبيب!

الحبيب؟
الحبيب الذي كان ملأ السمع والبصر منذ أيام قليلة. أين هو الآن؟ في مستشفى الأمراض العقلية. نزيل عقلي. نزيل عقلي في مستشفى العباسية!... لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم...

أتى الدكتور سليم مدير المستشفى وسلم ولم يذهب مسرعاً إلى مكتبه كعادته ولكن سحب كرسياً وجلس وتساءل:
ما هذا الحزن الرهيب يا دكتور أحمد؟
وبشفقة وحزن:

وما سبب هذه الدموع؟
ظل أحمد إسماعيل صامتاً ولم يجده وقال في نفسه:
حتى أنت يا مدير المستشفى، كنت من أسباب حزن الشيمي وأذاه! ألم تنتبه للعمل خارج المستشفى عشرات المرات؟ والرجل يعترض ولا يربح بذلك الانتداب كالمرحبيين. ألم ترجم

مع المرجفين في حبه لبهجة المسكينة؟ ألم تقرب إليك المنافقين والمداهنين وموقدى البخور في معبد السحت والنفاق وتصب جام غضبك على الشرفاء والمخلصين من أمثاله؟ ألم تحرمه وغيره من راتب مجزي من عيادات الاقتصادي لأنه لا يضحك على المرضى ولا يغشهم؟!... حتى موضوع موظف التحاليل والضجة الكبيرة التي صاحبته، خرجت منه كالشارة من العجين!...

يبدو أنك حزين جدا على الشيمي. كان الله في عننك وعنونا جميعا في المصيبة التي حدثت له. رد الدكتور أحمد بحزن: "بل كان الله في عننه هو".

وبمرارة شديدة: "مسكين يا شيمي، انتهت حياتك الطبية بمرض عقلي ويُكتب عليك أن تكون نزيلاً لمستشفى أمراض عقلية"!

وتهجد صوته: "وبدلاً من أن تكون في موقع الطبيب، تكون مريضاً! لا حول لك ولا قوة إلا بالله"...

أتأتي الدكتور عبد الوهاب محمود وجلس بينما ذهبت زوجته إلى حجرة التوفيق. قال عبد الوهاب صاحباً:

-غربيّة! أول مرة أراك جالسا هنا في هذا التوفيق يا دكتور سليم. فأنت لا تأتي هنا إلا بعد الساعة العاشرة صباحاً بعد أن تنتهي من مراجعة شؤون الإدارية.
-لأنني أواسي الدكتور أحمد.

قال عبد الوهاب حزيناً:

ليس الدكتور أحمد فقط هو الذي افتقد صلاح الشيمي، ولكن كل المستشفى افتقدته.
فهز المدير رأسه موافقاً:

-أي واحد مكانه سي فقد عقله أيضاً. من الذي يستطيع أن يتحمل موت زوجته أثناء الزفاف؟!
ثم سُأله أحمد إسماعيل: "زيارتة مسموح بها الآن يا دكتور أحمد؟"

-لا، يا دكتور سليم. فحالته شديدة وهو منوم في غرفة الحالات الحرجة، للأسف.
يمكن أن تكون حالته انهيار عصبي نتيجة للحادث الأليم.

فرد أحمد وصوته يتهدج: "أتمنى ذلك".

وبنبرة رثاء: "مسكين يا صلاح. مسكين..."

ربت عبد الوهاب على كتف الدكتور أحمد:

-مسكين أنت يا دكتور أحمد. فحكيم سافر للسعودية، والشيمي في مستشفى الأمراض العقلية،
ومجدي النحال أصابته كآبة شديدة، وكان آخر عضو في حزبك الشجري هو عماد الدسوقي
أصبح يأتي المستشفى متاخراً جداً بعد الحادث الأليم.

فرد أحمد: "مسكين هو الآخر. فهو قد تجرع مرارة المصيبة يوم زفافه".

أنت الدكتورة علية وجلست، فقال المدير:

-غربيّة جداً! أول مرة تأتي مبكرة جداً يا علية. فأنت من آخر أطباء المستشفى حضوراً.

وفي نفسه، قال: يكفيك انشغالك بدرأهملك في البورصة. ما لك والمستشفى والمرضى ومهنة الطب؟!

ردت عليه بضيق:

قال أحمد إسماعيل بحزن شديد: لا تكلم مع أي زميل أو زميلة وبالمرة أو اسي الدكتور أحمد لأنه يأتي دائماً مبكراً. منذ المصيبة الأليمة التي حدثت لصلاح وأنا مخنوقه ومكتبه فأصبحت اليوم أكثر اختفا فأتتني

والله كل أطباء المستشفى يحتاجون إلى من يواسيهم. فقد كان صلاح حبيب الكل وحتى عدوه اللدود فكرييا - فوزي نجيب، من أشدنا حزنا عليه.

أتى الدكتور مجدي النحال وجلس مكتئبا حزينا... وبعد قليل، أتت مدام سعدية سعد، رئيس شئون الموظفين، وهي حزينة وترتدي تورة وتايرير أسودين ومتلعة بحجاب أسود أيضا. سلمت وجلست وهي تقول بصوت باكٍ:

لَا حُولَّ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ. أَنَا غَيْرُ مَصْدِقَةٍ مَا حَدَثَتْ. غَيْرُ مَعْقُولٍ بِالْمَرَةِ!...
ثُمَّ تَهَدِّجُ صَوْتَهَا أَكْثَرَ:

-تموت الراقصة التائبة يوم زفافها!

ثم تقلص صدرها وانخفض وارتفع وهي تكمل بالبكاء المكتوم:
ويُجئ الدكتور صلاح!...

وانفجرت بكاءً ونحيباً؛ فانفجر الحاضرون بكاءً...

بعدما هدئت نفوسهم، جفت الدكتورة عينيها، وقالت غاضبة: يا دكتور أحمد، يجب أن ننقل صلاح إلى مستشفى نفسي خاص بدلاً من مستشفى العباسية للأمراض النفسية.

فردِ احمد:

-هذا الأمر يعود إلى زوجته وأهله.

فقال عبد الوهاب:

-أنت تعرف زوجته ويمكن أن تكلمها في هذا الأمر.

وقال النحال:

-إن شاء الله ...
-ويمكن أن نكلم أيضا عماد الدسوقي فهو صاحبه وجاره وزميله في جماعة الإخوان المسلمين.

-116-

بعدما فرغ علي عبد المنعم من أذكار الصباح، قالت أمه:
يا بني، أنا قلبي وأكلني عليك اليوم. أرجو ألا تخرج يا علي.
تبسم علي وقال:
يا أمي الحبيبة، عهدي بك أنك جبل من الإيمان، فلِمْ هذا القلق؟
ثم رتل قوله تعالى:
-**{قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}**^{١١٧}...

-آه من الطاغوت يا علي!
من هو الطاغوت يا أيتها العواصف?
الطاغوت هو كل ما عبد من دون الله. الطواغيت هي الأصنام المادية والمعنوية. الطواغيت هم الذين لا يرون رأيا إلا رأيهم، وهم الذين لا يرون أحدا غيرهم. وهم الذين قالوا قوله الشيطان الفاسدة (أنا خير منه)، وهم الذين قالوا قوله فرعون الكافرة: (ما علمت لكم من إله غيري)، وقوله فرعون المتعطرسة (أنا ربكم الأعلى)، وهم الذين عبدوا من دون الله من بشر وحجر!...
إذن ما أكثر الطواغيت في دنيا الناس!
ما أكثرهم! وما أظلمهم! وما أفسدتهم!...
لقد كادت أن تميد السماوات وتتنشق الأرض وتخر الجبال هدا بعدما ظهرت الطواغيت في الأرض...
لطفك يا رب. يا رب. يا رب...
-الإنسان ولد حرا يا علي. والطواغيت تجعل الإنسان عبدا! والعبودية لا تكون إلا لله وحده يا علي...
لا إلا لله الله... محمد رسول الله...
سيغدر بك الطواغيت وستموت شهيدا ... سلام عليك يوم وفاتك يا علي... سلام عليك يوم وفاتك يا علي... سلام عليك يوم وفاتك يا علي...
مرحبا بالشهادة في سبيل الله. ولكن لم سيفوتوني؟!
-لأن ظلام ظلمهم لا يتحمل ضياء كلمة الحق. ستروي بدمائك وبدماء شهداء الحق شجرة الدعوة إلى الله...

قالت أم علي وهي تحضنه وتقبله:
-ونعم بالله يا بني. ولكن قلبي وأكلني عليك قوي قوي...
تبسم علي وقبل جبين أمه وقال:

^{١١٧} الآية 51 من سورة التوبة

-ما يفعل بي أعدائي. إن سجنوني فسجني خلوة. وإن نفوني فنفيي سياحة. وإن قتلوني فقتلني
شهادة. إن جنتي في قلبي. وقلبي به إيماني. وأنى لهم أن يصلوا إلى قلبي...
ثم تساءل:
-ألم تعلميني هذه الكلمات يا أمي؟

-هذا ولد مبارك يا عبد المنعم، ألا ترى كفيه المرفو عن إل السماء؟!
كل الأطفال تولد وأكفها مضمومة، أما هذا المولود المبارك فكفيه يشيران إلى السماء...
وهذه عالمة كرم أيضا ...
سيكون له شأن عظيم إن شاء الله...
بماذا سنسميه يا عبده؟
ما رأيك في اسم علي؟
اسم عظيم... حتى يعلو شأنه ويعلو قدره ويبلغ نجمه إن شاء الله.

قالت أم علي:
-إني أخاف عليك يا حبيبي، أما بالنسبة لي فإني لا أخاف من الموت وإنني أتمنى الشهادة في
سبيل الله حتى الحق بأبيك في الجنة إن شاء الله.
-هو فعلا في الجنة يا أمي.
-أكيد هو في الجنة. أليس قد مات شهيدا في سبيل دعوة الله وتبلیغها للناس؟
-هو في الجنة مع الملوك السبعة وقائدهم غلام أصحاب الأخدود.
-ماذا تقصد يا علي؟
-لقد رأيته في الجنة مع الملوك السبعة وغلام أصحاب الأخدود.
اغرورقت عينا أم علي بالدموع وتساءلت:
-كيف رأيته يا بنى؟ ومن هم الملوك السبعة؟
-رأيته بروحه يا أمي.
قبلته في رأسه وقالت:
-أنت ولد مبارك يا بنى...

-علي شاطر جدا في كتاب المسجد يا أبا علي.
-ربنا يوفقه و يجعله الأول دائما.
-والحمد لله حفظ جزء عم.
-إن شاء ربنا يوفقه ويحفظ القرآن كلـه.
-أي كلية تفضلها له؟
أفضل له الطب. وبدرى على هذا الكلام يا خديجة، علي لم يلتحق بعد بالمدرسة.

-ولمَ الْطَّبِيبُ يَا عَبْدَ الْمَنْعِمِ؟

-لأنَ الطَّبِيبُ هُوَ النَّالِي لِلْأَنْبِيَاءِ مُباشِرًا.

-مَاذَا تَعْنِي؟

-إنَ وظِيفَةُ النَّبِيِّ هِيَ بَنَاءُ نَفْسٍ أَشْرَفَ مُخْلوقَ وَهُوَ الْإِنْسَانُ، وَوظِيفَةُ الطَّبِيبِ هِيَ الْمَحَافَظَةُ عَلَى

-جَسَدُ هَذَا الْمُخْلوقِ الشَّرِيفِ، فَهُوَ مُكَمِّلٌ لِوظِيفَةِ الْأَنْبِيَاءِ...

-وَبِمَاذَا تَفْضِيلٍ لَهُ يَا أَمَّا عَلَيْ؟

-أَفْضَلُ أَنْ يَكُونَ دَاعِيَةً إِلَى اللَّهِ، فَهِيَ وظِيفَةُ الْأَنْبِيَاءِ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- نُفْسُهَا.

-اخْتِيَارُكَ يَا خَدِيجَةُ، أَحْسَنَ مِنْ اخْتِيَارِي. وَإِنْ كُنْتَ لَا أَظْنَ أَنِّي سَأُعِيشُ حَتَّى يَتَخَرَّجَ.

-وَلَمْ هَذَا التَّشَاؤُمُ يَا عَبْدَ الْمَنْعِمِ؟ رَبُّنَا يَبْارِكُ فِي عُمْرِكَ حَتَّى تَمَلَّأَ عَيْنِيكَ مِنْ أَحْفَادِهِ...

أخذت خديجة نفسها عميقاً وقالت:

-إِنِّي أَشَمُ رَائِحةً غَرِيبةً وَلَكُنَّهَا عَطْرَةً. عَطْرَةً. سَبَّحَ اللَّهُ. سَبَّحَ اللَّهُ...

قال على بحماس:

-وَأَنَا وَاللَّهُ أَشَمُ هَذِهِ الرَّائِحةِ الْعَطْرَةِ الْآنِ.

فضَمَّتْهُ بِذِرَاعِهَا وَقَالَتْ:

-لَا تَخْرُجْ الْيَوْمَ يَا عَلِيٌّ. لَا تَخْرُجْ يَا بْنِي. لَا تَخْرُجْ.

تساءل على بيقين:

-لِمَذَا هَذَا الْخُوفُ يَا أُمِّي؟ الْعُمْرُ وَاحِدٌ وَالرَّبُّ وَاحِدٌ.

ثم أردف:

-وَأَيْنَ أَنْتِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:

إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْعِيْنَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ حَمَّ وَمَا تَنْدِرِي نَفْسٌ مَّا ذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا

تَنْدِرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَبِيرٌ¹¹⁸ ...

يا ملك الشهداء، كيف عرفت أنني من الشهداء؟!

إن أرواح الشهداء تعرض علينا فعرفناك.

فهنيئاً لك الشهادة يا علي... فهنيئاً لك الشهادة يا علي...

Heinie لك الشهادة يا علي...

وكيف عرفت اسمي يا ملك الشهداء؟!

إن أرواح الشهداء تعرض علينا بأسمائهم وصفاتهم...

صرخت خديجة:

¹¹⁸ الآية 34 من سورة لقمان

-لقد فاحت الرائحة الشذية الرهيبة!... أكيد توجد ملائكة في البيت... لا تخرج يا بني. لا تخرج أرجوك.

-فعلا، الرائحة الذكية قد زادت انتشارا في أرجاء البيت...
قالت خديجة في نفسها:

يا الله يا الله. ما هذه الرائحة الشذية؟ رائحة الملائكة؟! رائحة الجنة؟! أم رائحة الموت؟! رائحة الموت؟! آه، آه... الموت يرسل رائحته قبل مجئه... لقد شممت هذه الرائحة هنا في البيت قبيل استشهاد عبد المنعم في المعقل! وكان عبد المنعم أرسل رسالة لي ليودعني قبيل عروج روحه إلى الرفيق الأعلى... إن قلبي منقبض! أطف يا رب...
-لا تخرج اليوم يا علي.

-اليوم عندي (سكاشن) يا أمي، لابد أن أنزل.

هل هي رائحة ملائكة طوافة موجودة هنا الآن؟ الرائحة قد صارت أكثر وضوها وتميزا. إنها الرائحة الزكية التي كنت أسمها في الكوكب السابع وكانت أسمها حين التقى بالمعلم... هل المعلم موجود الآن دون أن أراه؟ ولكن المعلم ودعني في آخر مرة...

سيكون هذا اللقاء هو آخر عهدي بك يا علي.
ولم يا أستاذ العظيم؟!

-هذا أمر الله يا علي. وأحب أن أخبرك بأنه في الأربعينات، كان الإخوان المسلمين يأخذون الشباب-أي شباب حتى الذين لا يصلون الفريضة- من الشوارع المحيطة، ويلعبون معهم الكرة في أرض الجمل هذه التي نقف عليها. وفي نهاية اليوم، يدعونهم إلى الالتزام الحق بالإسلام وشعائره... وفي نهاية المطاف، كان هذا الشباب ينضم إلى جماعة الإخوان ليكونوا دعاة إلى الله... إن الله يباهي الملائكة بمن فعل ذلك يا علي...

سامحيني يا أمي لابد أن أخرج.
قبل علي يد أمه ونزل مسرعا على الدرج. هرع قلبها قبل جسمها إلى الشباك. إذا بسيارة نصف نقل كانت على موعد مع علي ومنتظرة إشارة بنزوله، وكانت تسير بسرعة جنونية فسحقت علي تحتها وطارت هاربة!!!

صرخت خديجة، ولطم وجهها، ونزلت مهرولة وهي تولول:
- قتله الطواغيت. قتله المجرمون. قتله المجرمون. قتله المجرمون... قتله...!
وانداحت صرخاتها في أنحاء الكون كله...

-117-

حلق المعلم والطائر الذي يحمل روح علي عبد المنعم بعد استشهاده، وصعدا معا في سماء الكوكب السابع ليلتقيا مع الطائر الذي يحمل روح عبد المنعم السيد صابر والد علي. وسبحوا معا في سماء الكوكب تغشاهم الرحمة والسكينة والحبور...
تساءلت روح علي: "حينما قابلتك يا أبي هنا في المرة السابقة قبل موتي، لم أشعر بالسعادة التي أذوقها الآن. فلما؟"

غرد طائر عبد المنعم. أجاب: "يابني، حينما أتيت إلى هنا كنت مازالت في الدنيا، وروحك هي التي صعدت إلى هنا. أما الآن فأنت تعيش حقيقة لا زيارة- في الكوكب السابع..."
غرد طائر علي ورفف بجناحيه: "ما أعظمها سعادة يا أبي! لم أكن أتصورها بهذا الجمال والجلال والعظمة"...

تبسم طائر عبد المنعم قائلًا: "إن السعادة التي نحيها الآن ما هي إلا تمهيدا للجنة يابني".
وأكمل:

-وما أدرك ما الجنة؟ ثم ما أدرك ما الجنة؟
بكى طائر علي فرحا ...

-والله يا أبي، إننا لا نستحق ما نحن فيه من نعمة وكرم وسعادة وحبور...
-إن عطاء الله في الدنيا والآخرة بلا حدود... خزانه لا تنفذ أبدا ... هو الكريم سبحانه وتعالى.
هو الكريم حقا. سبحانه لا أحصي ثناء عليه كما أتنى على نفسه...

ردد عبد المنعم وعلى والمعلم وهم يبكون: "سبحانه... سبحانه... سبحانه..."
حتى امتلأت صفحات وأفاق الكوكب اللامتناهي بصدى تسبيحهم وبصدى تسبيح الملائكة
والأرواح الظاهرة...

قال المعلم بكاء حار: "كنت أتمنى أن أحيا السعادة التي تعيشها الآن".
تساءلت روح علي مدهشة: "ألم تعيش معنا الآن في الكوكب السابع يا سفير السماء؟"
-أنا الآن في زيارة يا علي. ولازال جزئي الأرضي لم يمت بعد. وروحى الآن هي التي تحلق معكما.

قال عبد المنعم: "يا ليتنا نعيش في الدنيا مثلك يا سفير السماء".
تساءل المعلم مدهشا: "ولم؟!"

-حتى ننعم بالشهادة في سبيل الله مرات ومرات...
بكى المعلم قائلًا:

-إن الله -عز وجل- يستحق أن نضحي بأرواحنا في سبيله مiliارات ومليارات المرات...
وقال علي بكاء:

-ولو فعلنا ذلك ما وفينا حقا لاسم من أسمائه الحسنى أو صفة من صفاته العليا...
قال المعلم باكيا:

-أنت الآن يا علي وكل من هو في هذا الكوكب، أعظم علما مني.

حضر الطائر الذي يحمل روح علي المعلم وهو ينفخ بالنشيج والبكاء وهو يتساءل:
كيف ذلك يا معلمي العظيم؟

-أنت قد شاهدت الحقيقة في دار الحقيقة، أما أنا فإني آتٍ إلى هنا للزيارة. وشنان بين العائش في الحقيقة والزائر. شنان بين علم اليقين وحق اليقين. شنان ثم شنان وهيهات هيهات بين منْ علم ومنْ شاهد... وشنان وهيهات بين منْ شاهد ومنْ ذاق...

قال عبد المنعم:

-إن أعظم نعمة للإنسان أن يشرفه الله بالخلق، وينزله إلى الدنيا، ويبيئ له سبله في عبوديته عز وجل... وما أعظم الشهادة في سبيله سبحانه وتعالى...
وواصل:

-أما حق اليقين الذي نحياه الآن، فهو يفتقد إلى التكليف والاختبار والتحميس يا سفير السماء.
فتساءل المعلم مدهشاً:

-ولكن الكمال في الوصول إلى نقطة النهاية ألا وهي حق اليقين وعدم التكليف. أليس كذلك؟
فأجابه عبد المنعم:

-حق اليقين هو راحة للنفس من عناء التكليف، ولكن الع神性 في الفلاح في اختبارات التحميس والابتلاء والتکليف...
وقال علي:

-إن الله يفرح بثبات عبده أمام اختبارات التكليف والتحميس... بل يباهي سبحانه وتعالى- بعده الثابت على الحق أمام الملائكة الكرام...
ثم تسأله:

-ألم يقل الله في الحديث القدسي: ((أيها الشاب التائب أنت عندك أفضل من بعض ملائكتي))؟!
بكى المعلم. قال:

-ولكن ما أكثر ما يسقط الإنسان في الابتلاءات! والقليل هم الذين يثبتون ولا يتربون تحت سياط التحميس!
ثم أكمل وهو لازال باكيًا:

-هي نار المعاصي التي يحجزها عنا الرسول الأعظم -صلى الله عليه وسلم- وكل الأنبياء والمرسلين -عليهم الصلاة والسلام- ولكن نتفلت ونهوي في حم براكين نار الشهوات والذنوب!...
قال علي:

-ولتكن يا سفير السماء تحمل جزءاً ملائكياً رهيباً، فمالك والشهوات؟!
أنا وقعت في الشهوات وأعوذ بالله أن يتكرر ذلك مني!

اندهش على سائله:
كيف ذلك يا سفير السماء؟!

رد المعلم بكاء حار:

سأخبرك الآن بحقيقة أمري والتي خبأتها عنك طوال المدة التي عايشناها معاً و كنت منتظراً أن تكون في دار الحق حتى أخبرك بها. لقد كنت يا علي، أحد ملائكة السماء الكبار، وكنت من الذين جادلوا الله -عز وجل- في أمر آدم قائلين له: أتعجل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ لقد كنا نرى السجل المخزي للشياطين وهي تفسد في الأرض بعد إصلاحها، وتفسق فيها، وتخرب كل عمار، وتهدم كل بنيان، وتحارب كل إصلاح... وصعدت سجلات ذنوبها إلى السماء حتى ضجت الملائكة من الروائح العفنة للذنوب والمعاصي. حتى إبليس نفسه ضج من ذنوب الشياطين وطلب من الله -عز وجل- أن يتراك الأرض ويعيش مع الملائكة في السماء. واستجيب لطلبه، وعاش إبليس هنا في الكوكب السابع مع الملائكة الكرام، يسبح بحمد ربه، ويقدس له حتى طرد من رحمة الله بعد معصيته العظمى لأمر الله. جادلنا الله في خلق آدم -عليه السلام- حتى لا تمتد سلسلة الفساد في الأرض، من الشياطين إلى ذرية آدم. وأخيراً، استجبنا لأمر الله، وسجدت مع الملائكة لآدم. وكنت غير مقتنع بالسجود الذي سيفسد في الأرض.

عاش آدم -عليه السلام- هنا في الكوكب السابع يرفل برعاية الله وحب الملائكة وبنعيم الجنان... وقلنا إن آدم لن يفسد كما كانa نتوقع لأنه عاش بعيداً عن الأرض والشياطين. وخلق الله حواء من ضلع آدم لكي تؤنس وحشته. ولكن الطبع البشري قد غلب آدم وحواء فأكلَا من الشجرة المحرمة! ولم تته حواء آدم ولم ينه آدم حواء. لقد غاب عنهما صوت الضمير!

تعجبت الملائكة كيف يعصي آدم ربه هنا بالكوكب السابع، والحياة هنا هي حياة هنية تساعد على الخير والصلاح والطاعة والتقوى... فقلت لهم: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم. فقالوا: نحن نتحدث عن آدم نفسه وليس ابن آدم الذي لم يظهر بعد! قلت: أكيد أن الحياة اللعينة، وهي صورة من صور إبليس، لها القدرة على الدخول إلى الكوكب السابع، هي التي أغرتهم بالأكل من الشجرة المحرمة حتى لا يموتان ويخلدان في الكوكب السابع...

طرد آدم وزوجه من الجنان إلى كوكب الأرض وتكاثرت ذرياتهما... وشاهدنا سجلات معاصي ذريتهما الرهيبة تتضاعد وتتضاعد وانتشرت روائحها العفنة حتى فسدت جو الأرض!... تساءلنا: هل هذه الذرية تستحق سجودنا الذي سجناه لأبيها؟! لقد فسدو في الأرض أكثر من فساد الشياطين أنفسهم!

تمنيت أن أرتدي الطبيعة البشرية لأثبت أمام الله أن الفساد في الأرض سببه النفوس الشريرة وليس الطبيعة البشرية. وحدث ما تمنيت. وهبطت إلى الأرض. وحدث ما لم يكن أتوقعه، لقد اقترفت ما يقترب ببني آدم: حسدت، حقدت، غضبت، ضربت، آذيت...!

بكى المعلم بنحيب وهو يواصل:

بعدما كررت الطبيعة البشرية، وازدادت المعاصي التي اقترفتها شراسة؛ تركت الأرض ومن عليها، وعشت في صومعة في أحد الجبال، أبعد عن ذرية آدم والمعاصي التي تولد من الاحتكاك بهم، وأعبد ربِّي، وأرعى غنمِي...
سكت المعلم برهة ثم استأنف بنحيب:

- تعرضت لي راعية غنم سافر أهلها بعيداً. لم أستطع أن أصبر عليها، ولم تستطع أن تصبر علىَّ! واقترفنا جريمة الزنا والعياذ بالله! بكثُر وبكثُر حتى ملئت الوادي بدموعي، واستغفرت ربِّي. وطلبت من الله أن يصرف عنِّي الشرور والآلام والصفات الرديئة من طبيعتي البشرية، واستجيب لطلبي، وصارت طبيعتي البشرية ربانية. عاهدت الله أن أسخر طبيعتي البشرية الربانية وطبيعتي الملائكة في تعصيٍّ وتثبيت كلِّ منْ يدعو إلى الله -عز وجل-. سواء كان نبياً أو صديقاً أو ولياً أو تقيناً أو صادقاً أو صالحاً ...

سرت مع موسى وقومه وهو يفرون من فرعون وجنته، ودفعت بيديِّي فرعون وجنته في الطرق الياكسة الاتني عشر في البحر الأحمر، ولم أتركهم ولم تتركهم بيديِّي، وإنما انطبق البحر عليهم ...

مدحت الخضر من روحي الملائكة وهو يقوم بأفعاله الغربية العجيبة. مدحت يوشع بن نون وجنته بمدد من روحي الملائكة حين قال الله له: (لَا يَقْفُ إِنْسَانٌ فِي وَجْهِكَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاكَ. كَمَا كُنْتُ مَعَ مُوسَى أَكُونُ مَعَكَ. لَا أَهْمِلُكَ وَلَا أَتُرْكُكَ).⁶ تشدَّدَ وَتَشَجَّعَ، لأنَّكَ أَنْتَ تَقْسِمُ لِهَا الشَّعْبَ الْأَرْضَ الَّتِي حَفَّتُ لِابنَهُمْ أَنْ أَعْطِيهِمْ.⁷ إِنَّمَا كُنْ مُشَدِّداً، وَتَشَجَّعَ جِدًا لِكَيْ تَتَحَفَّظَ لِلْعَمَلِ حَسَبَ كُلِّ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَمْرَكَ بِهَا مُوسَى عَبْدِي. لَا تَمْلِنْ عَنْهَا يَمِينَا وَلَا شَمَالَا لِكَيْ تُفْلِحَ حَيْثُماً تَذَهَّبُ.⁸ لَا يَبْرُخْ سِفْرُ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ مِنْ فَمِكَ، بَلْ تَلْهُجْ فِيهِ نَهَارَاً وَلَيْلَا، لِكَيْ تَتَحَفَّظَ لِلْعَمَلِ حَسَبَ كُلِّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِيهِ. لَأَنَّكَ حِينَئِذٍ تُصْلِحُ طَرِيقَكَ وَحِينَئِذٍ تُفْلِحُ.⁹ أَمَا أَمْرُكَ؟ تَشَدَّدَ وَتَشَجَّعَ! لَا تَرْهَبْ
وَلَا تَرْتَعِبْ لَأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مَعَكَ حَيْثُماً تَذَهَّبُ)¹¹⁹ ...

تعجبت من الطبيعة البشرية ليوشع بن نون -عليه السلام- وهو يتلزم لأمر الله ولشرعه ولتعاليمه... وتعجبت أكثر وبكثير حين رأيت الشمس تثبت في السماء ولا تغرب له ولحيشه!¹²⁰ ...
بكثير وأنا أسمع داود عليه السلام وهو يقول: (الرَّبُّ رَاعِيَ فَلَا يُعُوْزُنِي شَيْءٌ).² في مراع
حُضْرٍ يُزِيدُنِي. إِلَى مِيَاهِ الرَّاحَةِ يُورِدُنِي.³ يَرِدُّنِي. يَهْدِنِي إِلَى سُبُّلِ الْبَرِّ مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ).

كنت في روح أسف بن برخيا حين أحضر عرش ملكة سباً من اليمن إلى بيت المقدس في
غمضة عين!¹ ...
بكثير وأنا أرى أيب و هو يمثل النموذج الأمثل في الصبر على البلاء، وبكثير حينما كنت
أسمعه وهو يقول متحدثاً عن الله:

الآية 5 - 9 من الإصلاح 1

الآيات 1 - 3 من المزمور 23

-⁴هُوَ حَكِيمُ الْقَلْبِ وَشَيْدُ الْقُوَّةِ. مَنْ تَصَلَّبَ عَلَيْهِ فَسَلَّمَ؟⁵ الْمُرْحَزُخُ الْجِبَالُ وَلَا تَعْلَمُ، الَّذِي يَقْلِبُهَا فِي عَضَّيْهِ.⁶ الْمُرْعِزُغُ الْأَرْضَ مِنْ مَقْرِهَا، فَتَنَزَّلُ أَعْمَدُهَا.⁷ الْأَمْرُ الشَّمْسَ فَلَا تُشْرِقُ، وَيَحْتُمُ عَلَيِ الْجُجُومِ.⁸ الْبَاسِطُ السَّمَاءَاتِ وَحْدَهُ، وَالْمَاشِي عَلَى أَعْلَى الْبَحْرِ.⁹ صَانِعُ النَّعْشِ وَالْجَبَارِ وَالثَّرَيَا...¹⁰ فَاعِلٌ عَظَائِمٌ لَا تُفْحَصُ، وَعَجَابٌ لَا تُعْدُ!¹²¹

وتعجبت من قوة صبر أيوب. فلقد طال مرضه أعوااما طويلة وهو صابر صبرا جميلا. ولما بدأ الجزع يدب إلى قلب زوجه، طلبت منه أن يدعوه ربه ليفرج عنه، فقال لها لقد عشت سبعين سنة سليما صحيحا فهو هو قليل الله أن أصبر له سبعين سنة أخرى؟

ولما رأت الملائكة هذا الأنموذج من الصبر، قلت معهم إن السجود كان مستحقا لأبيك آدم... ف والله يعلم ما لا نعلم...

ولقد ارتجت السماء وأيوب يدعو ربه: {إِنِّي مَسْنَى الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}¹²² ... ولم يتوجه إلى السماء طالبا الفرج إلا بعد أن طال به المرض وباعت زوجه قرونها من شعرها لكي تحضر له طعاما...

بكية وأنا أرى يونس يفدي السفينة وأهلها بنفسه ويقول:
-خُدُونِي وَاطْرَحُونِي فِي الْبَحْرِ فَيَسْكُنُ الْبَحْرُ عَنْكُمْ، لَأَنِّي عَالَمُ أَنَّهُ يُسْبِبِي هَذَا النَّوْءُ الْعَظِيمُ عَلَيْكُمْ)¹²³ ...

وبكية مع الملائكة حين سمعنا دعائه من بطن الحوت، في جوف البحر، وفي ظلمة الليل:
-لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ¹²⁴ ...

ابتهجت ملائكة السماء حين ولد المسيح عليه السلام، وأنشدت معهم بحماس:
-«الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعْلَى، وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ»¹²⁵ ...

ارتعدت وأنا أسمع النبي يحيى بن زكريا، الشهيد بن الشهيد، يقول:

-كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ أَفْوَالِ اشْعَيَاءِ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: صَوْتُ صَارَخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، اصْنُعُوا سُبْلَةً مُسْتَقِيمَةً.⁵ كُلُّ وَادٍ يَمْتَلِئُ، وَكُلُّ جَبَلٍ وَأَكْمَةٍ يَنْخُفِضُ، وَتَصِيرُ الْمُعْوَجَاتُ مُسْتَقِيمَةً، وَالشَّيْعَابُ طُرُقاً سَهْلَةً،⁶ وَيُبَصِّرُ كُلُّ بَشَرٍ خَلَاصَ اللَّهِ¹²⁶ ...

وقلت في نفسي:

كم هي شاقة الاستقامه على طريق الله؟!...

تعجبت وأنا أرى أتباع المسيح -عليه السلام- بعد رفعه إلى السماء، يختلفون في طبيعته، وتعتقد المجتمع المسكوني العديدة في هذا الأمر! ولقد كان المسيح يقول لتلاميذه وللأجيال التي ستأتي بعده التي تتناحر وتتمنى أن يكون المسيح معهم ولو يوما واحدا:

¹²¹ سفر أيوب الآيات 4 - 10 إصلاح 9 بتصرف

¹²² جزء من الآية 83 من سورة الأنبياء

¹²³ سفر أيوب الآية 12 إصلاح 1

¹²⁴ جزء من الآية 87 من سورة الأنبياء

¹²⁵ الآية 14 إصلاح 2 من إنجيل لوقا

¹²⁶ الآيات 4-6 إصلاح 3 من إنجيل لوقا

-²² وَقَالَ لِلْتَّلَامِيْذِ: (سَتَأْتِيَ اِيَّاُمْ فِيهَا تَشْتَهِيْنَ اَنْ تَرَوْا يَوْمًا وَاحِدًا مِنْ اَيَّامِ اِبْنِ الْإِنْسَانِ وَلَا تَرَوْنَ).
 23 وَيَقُولُونَ لَكُمْ: هُوَذَا هُنَّا! اُو: هُوَذَا هُنَّا! لَا تَدْهِبُوا وَلَا تَشْتَهِيْوا،²⁴ لَأَنَّهُ كَمَا اَنَّ الْبَرْقَ الَّذِي يَبْرُقُ مِنْ نَاحِيَّةِ تَحْتَ السَّمَاءِ يُضِيِّعُ إِلَى نَاحِيَّةِ تَحْتَ السَّمَاءِ، كَذَلِكَ يَكُونُ اِيْضًا اِبْنُ الْإِنْسَانِ فِي يَوْمِهِ.²⁵ وَلَكِنَّ يَتَبَغِي اَوْلًا اَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا وَيُرْفَضَ مِنْ هَذَا الْجِيلِ¹²⁷ ...
 كُنْتُ فِي رُوحِ حَوَارِيِ الْأَنْبِيَاءِ وَاتَّبَاعِهِ وَاصْحَابِهِ، اَمْدُهُمْ مِنْ جَزْئِيِ الْمَلَائِكَيِ وَمِنْ كُلِ الْقَدْرَاتِ الَّتِي مَنْحَنِيَ اللَّهُ اِيَّاهَا ...

دَافَعْتُ عَنْ اَتَابِعِ الْمَسِيحِ وَهُمْ يَبْلُغُونَ كَلْمَةَ اللَّهِ بَعْدِ رُفْعِ الْمَسِيحِ إِلَى السَّمَاءِ... كُنْتُ فِي اَرْوَاحِ اَصْحَابِ الْاَخْدُودِ وَهُمْ يَضْحُونَ بِأَرْوَاحِهِمْ فِي سَبِيلِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الْوَاحِدِ وَالْكَفَرِ بِالْمَلَكِ اِلَّهِ الْمَزِيفِ...¹²⁸

اَصَابَتْنِي الرَّعْدَةُ وَأَنَا اَسْمَعُ جَبْرِيلَ عَظِيمَ مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ وَهُوَ يَبْدَا بِنَزْوَلِ الْوَحْيِ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وَيَقُولُ: {اَفْرَا بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ اِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اَفْرَا وَرَبُّكَ الْاَكْرَمُ * الَّذِي عَلِمَ بِالْفَلَقِ * عَلِمَ اِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}¹²⁹ ...
 وَقَلَتْ فِي نَفْسِي:

لَقَدْ جَاءَ النَّبِيُّ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ الْمَسِيحُ وَقَالَ:

²⁶ (وَمَتَّى جَاءَ الْمُعَرَّبِيُّ الَّذِي سَأَرْسَلَهُ اَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الْاَبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الْاَبِ يَتَبَغِي، فَهُوَ يَشْهُدُ لِي).²⁷ وَتَشَهَّدُونَ اَنْتُمْ اِيْضًا لَانَّكُمْ مَعِي مِنَ الْاِبْتِدَاءِ).¹²⁹ ...
 وَقَلَتْ:

وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ الْمَسِيحُ اِيْضًا:

(وَأَمَّا اَنَّ فَانَا مَاضٍ إِلَى الَّذِي اَرْسَلَنِي، وَلَيْسَ اَحَدٌ مِنْكُمْ يَسْأَلُنِي: اَيْنَ تَمْضِي؟⁶ لَكِنْ لَأَنِّي قُلْتُ لَكُمْ هَذَا قَدْ مَلَأَ الْحُرْنَ قُلُوبَكُمْ.⁷ لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ: اِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ اَنْ اُنْطَلِقَ، لَأَنَّهُ اِنْ لَمْ اُنْطَلِقْ لَا يَأْتِيَكُمُ الْمُعَرَّبِيُّ، وَلَكِنْ اِنْ دَهْبَتْ اَرْسَلَهُ إِلَيْكُمْ.⁸ وَمَتَّى جَاءَ ذَلِكَ يُبَيِّكِثُ الْعَالَمَ عَلَى حَطِّيَّةٍ وَعَلَى بَرَّ وَعَلَى دِيْنُونَةٍ:⁹ اَمَّا عَلَى حَطِّيَّةٍ فَلَأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِي).¹³⁰ ...
 وَقَلَتْ:

وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ الْمَسِيحُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-:

¹² (إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً اِيْضًا لَا قُوْلُ لَكُمْ، وَلَكِنْ لَا تَسْتَطِيْعُونَ اَنْ تَحْتَمِلُوا اَنَّ ...¹³ وَأَمَّا مَتَّى جَاءَ ذَلِكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْسِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لَأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِاُمُورٍ آتَيَهُ).¹³¹ ...
 وَأَيْقَنْتُ وَقَلَتْ:

¹²⁷ الآيات 22 – 25 اصحاح 17 من إنجيل لوقا

¹²⁸ الآيات 1-5 من سورة العنكبوت

¹²⁹ الآيات 26، 27 اصحاح 15 من إنجيل يوحنا

¹³⁰ الآيات 5 - 9 اصحاح 16 من إنجيل يوحنا

¹³¹ الآيات 12، 13 اصحاح 16 من إنجيل يوحنا

لقد صدقت يا مسيح... فالرسول محمد -عليه وآلـه الصلاة والسلام- روح الحق، ويرشد البشرية إلى جميع الحق، لأنـه لا يتكلـم من نفسه.

ورـنت في أذني آيات عظـيمـة في القرآن الكـريم تـؤكـد آية الإنـجـيل:

{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَمَهُ شَدِيدُ الْفُوْرَى} ¹³² ...

لقد رأـيت النبي محمد -صـلـى الله عليه وسلم- يـتفـصـدـ عـرـقاـ في اللـيـلـةـ الشـدـيـدـةـ البرـودـةـ حين يـنـزـلـ أـمـينـ وـحـيـ السـمـاءـ بـالـوـحـيـ...ـ

وـكانـ المصـطـفـىـ يـبـلـغـ ماـ أـنـزلـ عـلـيـهـ مـاـ أـلـيـاتـ وـالـذـكـرـ الـحـكـيمـ،ـ وـلـاـ يـأـبـهـ لـأـذـىـ قـوـمـ،ـ وـلـاـ

لـسـخـرـيـتـهـمـ،ـ وـلـاـ لـنـكـذـيـبـهـمـ وـاـتـهـاـمـهـمـ إـيـاهـ بـالـسـحـرـ وـالـكـهـانـةـ وـالـشـعـرـ!ـ....ـ

كـنـتـ معـ الصـحـابـةـ وـهـمـ يـدـافـعـونـ عنـ الرـسـوـلـ المـصـطـفـىـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـيـ غـزـوـةـ أحـدـ...

كـنـتـ فـيـ روـحـ الحـسـينـ بـنـ عـلـيـ الذـيـ ضـرـبـ المـثـلـ الـأـعـلـىـ فـيـ مـوـاجـهـةـ الطـغـيـانـ...ـ

كـنـتـ فـيـ روـحـ عـبـدـ اللهـ بـنـ الزـبـيرـ الذـيـ ضـرـبـ المـثـلـ فـيـ ثـبـاتـ عـلـىـ الـحـقـ وـلـمـ يـتـرـعـزـ قـيـدـ أـنـمـلـةـ

وـهـوـ يـوـاجـهـ جـحـافـلـ الـطـاغـيـةـ الـحـجـاجـ وـجـحـافـلـ كـلـ الطـوـاغـيـتـ وـالـجـبـابـرـةـ عـلـىـ مـدارـ التـارـيخـ ...ـ

كـنـتـ فـيـ أـرـوـاحـ الـمـؤـمـنـيـنـ وـهـمـ يـطـهـرـونـ الـمـسـجـدـ الـأـقـصـىـ مـنـ جـيـوشـ الـصـلـيـبـيـنـ فـيـ حـطـيـنـ...ـ

كـنـتـ فـيـ أـرـوـاحـ الـمـؤـمـنـيـنـ فـيـ عـيـنـ جـالـوتـ وـهـمـ يـصـدـونـ الغـزوـ النـتـرـيـ الـهـمـجـيـ...ـ

كـنـتـ فـيـ أـرـوـاحـ الـمـؤـمـنـيـنـ وـهـمـ يـقاـمـونـ الـحـمـلـةـ الـفـرـنـسـيـةـ الـغـاشـمـةـ...ـ

وـفـيـ حـمـلـةـ فـرـيـزـرـ...ـ

وـفـيـ حـرـبـ رـمـضـانـ 1393ـ 1973ـ...ـ وـلـمـ أـكـنـ وـحـديـ،ـ بـلـ كـانـتـ مـلـائـكـةـ السـمـاءـ تـعـضـدـ

وـتـشـدـ مـنـ أـزـرـ الـجـيـشـ الـمـصـرـيـ الـعـظـيمـ الـذـيـ ضـرـبـ أـرـوـعـ الـأـمـلـةـ فـيـ الجـهـادـ قـيـ سـبـيلـ اللهـ،ـ

وـدـحرـ الـمـعـتـدـيـنـ،ـ وـرـفـعـ الرـأـسـ عـالـيـةـ خـفـاقـةـ...ـ وـيـكـفـيـ قـوـلـ الرـسـوـلـ -عـلـيـهـ وـآلـهـ الصـلاـةـ وـالـسـلـامـ-

عـنـ أـبـنـاءـ مـصـرـ:ـ ((ـهـمـ خـيـرـ أـجـنـادـ الـأـرـضـ..ـ)).ـ

كـنـتـ فـيـ أـرـوـاحـ الـمـجـاهـدـيـنـ الـأـفـغـانـ وـهـمـ يـصـدـونـ الغـزوـ السـوـفـيـتـيـ الـهـمـجـيـ حـتـىـ كـتـبـ اللهـ النـصـرـ

فـيـ عـامـ 1988ـ مـيـلـادـيـ...ـ

قـالـتـ رـوـحـ عـلـيـ فـيـ نـفـسـهـ:

وـلـكـنـ الـأـغـنـامـ فـتـنـتـهـمـ فـيـ دـيـنـهـ فـأـضـحـوـاـ يـقـاتـلـوـنـ فـيـ بـيـنـهـمـ بـعـدـ خـرـوجـ الـمـعـتـدـيـ!ـ...

كـنـتـ فـيـ أـرـوـاحـ أـهـلـ الـبـوـسـنةـ وـالـهـرـسـكـ وـهـمـ يـضـحـوـنـ بـالـغـالـيـ وـالـنـفـيـسـ فـيـ مـوـاجـهـةـ الـهـجـمةـ

الـصـلـيـبـيـةـ الشـرـسـةـ مـنـ الـصـرـبـ وـالـعـالـمـ الـغـرـبـيـ كـلـهـ الذـيـ يـنـفـخـ مـنـ رـوـحـهـ الـخـبـيـثـةـ فـيـ نـارـ هـذـهـ

الـحـرـبـ حـتـىـ لـاـ تـنـطـيـءـ أـبـداـ!ـ...

وـكـنـتـ فـيـ أـرـوـاحـ الـمـؤـمـنـيـنـ فـيـ الـحـرـبـ الـعـالـمـيـةـ الـثـالـثـةـ فـيـ هـرـمـجـدـونـ أـزـوـدـ عـنـهـمـ وـأـقـوـيـ أـرـوـاحـهـمـ

الـمـعـنـوـيـةـ ضـدـ الـهـجـمةـ الـصـلـيـبـيـةـ الـعـالـمـيـةـ الـحـاـقـدـةـ.

وـجـهـ الـمـعـلـمـ حـدـيـثـهـ إـلـىـ عـبـدـ الـمـنـعـ قـائـلاـ:

¹³² الآيات 3 - 5 من سورة النجم

-كنت في روحك يا عبد المنعم، أثناء التعذيب الرهيب في مبنى أمن الدولة في عام 1982.
وكنت كذلك في روح كل الصامدين على الحق أمام كل الطغاة...
وكنت في روح كل الدعاة إلى الحق والخير والجمال؛ أؤيدهم بقبس من روحي الملائكة، وأكفر
بذلك عن الذنوب التي اقترفتها في بداية طبيعتي البشرية.
ثم توجه إلى علي قائلاً:

-وكنت في روحك يا علي، حتى تجدد الحركة الإسلامية وتعيدها إلى الصواب بعدما أبعدتها
السرية عن جادة الصواب، وأبعدها الجهل إلى التطرف!...

التحق الطائر الذي يحمل روح أحمد الغرباوي بركب المعلم وهو يحلق في سماء الكوكب، فتبسم
المعلم قائلاً:

-وكنت في روحك يا غرباوي، حتى تعرضت للشهادة على أيدي جماعات الجهل والظلم
والضلالة...
ثم قال علي:

-ولكنك لم تكمل رسالتك وخاصة مع جماعات التكفير والتدمير بعد استشهادك على يد الطغاة.
قال الغرباوي لعلي عبد المنعم:
لقد كنت يا علي على حق. ولقد ظلمناك فسامحنا
ثم أردف للمعلم:

ستستمر قوافل الدعاة إلى الله -عز وجل- تتدفق، وسيأتي من بعد علي عبد المنعم منٌ يجدد
الدين ويمحو الجهل والضلالة...
ظل الأربعة يطيرون في جو الكوكب السابع يسبحون الله ويمجدونه ويقدسونه حتى فوجئ
الكوكب كله بما يحمل من أرواح المؤمنين والملائكة بنحيب رهيب من المعلم ارتجت له أركان
الكوكب السابع الامتناهية...

فهتفت الأرواح:

ـ ما بك يا سفير السماء؟!

ـ وقالت الملائكة:

ـ خير يا معلم البشرية؟!

ـ فرد باكيًا:

ـ أستغفر الله. أستغفر الله. أعن الله الإنسان على طبيعته البشرية. أعن الله على
طبيعته البشرية. أعن الله. يا ليتني لم أطلب من الله أن أرتدي طبيعة البشر. يا ليتني. يا ليتني لم
أعص الله. لو كنت مكان آدم بطبعتي البشرية. لاكلث من مئة شجرة محرمة...! أستغفر الله.
ـ أستغفر الله...

ـ ثم بكى بكاء مرا...

ـ قال علي عبد المنعم:

يا سفير السماء، إن أسماء الله -عز وجل-. يحب أن يتحققها في الدنيا والآخرة. فهو تعالى أوجب تحقيق أسمائه الحسنى وصفاته العليا منذ الأزل وإلى الأزل... ومن أسمائه سبحانه- "الغفور الرحيم". فهو يحب تعالى- أن يحقق هذين الاسمين قبل خلق آدم عليه السلام، وحين عصى آدم وأكل من الشجرة إلى طلوع الشمس من مغربها، ويوم القيمة إلى مala نهاية... فهو سبحانه وتعالى- لا يحب أن يعصيه عبده، ولكنه يحب من عبده أن يتعلم من تجاربه ومن أخطائه. وإذا قع العبد في هوة المعاشي والذنوب؛ ساعده الله على القيام، وأخذ بيده، وثبته، وحقق اسمه الغفور، وغفر لعبدته مما كانت صحيفته مليئة بالذنوب، حتى لو كانت تملأ الأرض...

ويظل اسم الله "الغفور" يتحقق ويتحقق إلى يوم القيمة وحتى بعد دخول الجنة... فالعبد العاصي في النار، يحقق الله فيه اسمه الغفور، فيغفر له ذنبه حتى يصعد درجة أقل من العذاب وأقل، حتى يخرجه من النار ويدخله الجنة...
والعبد في الدرجة الدنيا في الجنة، يغفر الله له أكثر وأكثر حتى تعلو درجته إلى جنة أعظم وأسمى... ثم يغفر الله له أكثر وأكثر حتى تعلو درجته أعلى وأعلى حتى يصل إلى الفردوس أعلى...

بكى المعلم والأرواح وهتفوا بصوت هادر رهيب:

كفى يا علي. لا نستطيع أن نتحمل ما تقوله. كفى يا علي. كفى. سبحان الله. لا حول ولا قوة إلا بالله. لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ثم قال المعلم:

يا علي، كنت معلمك في الدنيا قبل أن تناول الشهادة، والآن أنت معلمي بالكوكب السابع...

ثم دخل في نوبة بكاء شديد...

بكى علي لبكاء معلمه، وبكى الغرباوي وعبد المنعم لبكاء علي والمعلم. وظل الأربعة يحلقون في سماء الكوكب ملايين السنين الضوئية بمقاييس كوكب الأرض، وهم يقدسون الله عز وجل، ويسبحون بحمده، حتى وصلوا إلى قصر غلام أصحاب الأخدود المنيف حيث يتم عقد لقاء الذكر الأسبوعي والذي يديره غلام أصحاب الأخدود، وكان يحضره دائمًا علي ووالده والغرباوي وسفير السماء والملوك السبعة وجمع غفير من الطيور الزاهية التي تحمل أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء والمؤمنين الأبرار الذين شرفهم الله في ذكره وتسبيحه وتقديسه في الدار الآخرة...

تمت مساء الاثنين 1432/8/24 الموافق 2011/7/24 بمدينة الطائف بالمملكة العربية السعودية

في أرض الجمل تحاول السماء أن تتصل بأهل الأرض
ويمثلهم علي عبد المنعم- لتأخذ بآيديينا إلى بر النجاة
 والأمان، فهل تفلح؟ هذا ما تجيب عنه هذه الرواية...

